الكنوز الملية الجامعة
لشروح
العقيدة الواسطية

شرح جامع لحواشي وتعليقات لجلة من العلماء، وهم:

الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ
الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي
الشيخ محمد بن خليل هراس
الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع
الشيخ فيصل بن عبد العزيز بن مبارك
الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز
الشيخ محمد بن صالح العثيمين

جمع وتأليف
سعد بن شايم الحضيري

المجلد الثاني

مدار الوطن للنشر

الكنوز المليّة الجامعة

لشروح

العقيدة الواسطية

المجلد الثاني

ح مدار الوطن للنشر ١٤٣٥هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية اثناء النشر
الحضيري، سعد شايم
الكنوز الملية الجامعة لشروح العقيدة الواسطية. / سعد شايم الحضيري - الرياض، ١٤٣٥هـ
٢مج
ردمك: ٢ - ١ - ٩٠٥٩٩ - ٦٠٣ - ٩٧٨ (مجموعة)
٦ - ٣ - ٩٠٥٩٩ - ٦٠٣ - ٩٧٨ (ج٢)
١- التوحيد - مجموعات ٢- العقيدة الإسلامية - مجموعات أ - العنوان
ديوي ٢٤٠.٨ ١٤٣٥/٩١٣٧

رقم الإيداع: ١٤٣٥/٩١٣٧
ردمك: ٢ - ١ - ٩٠٥٩٩ - ٦٠٣ - ٩٧٨ (مجموعة)
٦ - ٣ - ٩٠٥٩٩ - ٦٠٣ - ٩٧٨ (ج٢)

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م

مدار الوطن للنشر
المقر الجديد

الرياض - الروضة - مخرج ١١
شارع ابي سعيد الخدري
متفرع من شارع خالد بن الوليد
هاتف: ٠١١٢٣١٣٠١٨ / ٣ خطوط - ٠١١٤٧٩٢٠٤٢
فاكس: ٠١١٢٣٢٠٩٦
www.madaralwatan.com
pop@madaralwatan.com
madaralwatan@hotmail.com
فرع السويدي / هاتف: ٠١١٤٢٦٧١٧٧ فاكس: ٠١١٤٢٦٧٣٧٧
مندوب الرياض ٠٥٠٣٢٦٩٣١٦ مندوب الغربية ٠٥٠٤١٤٣١٩٨ مندوب الشرقية والدمام ٠٥٠٣١٩٣٢٦٨
مندوب الجنوبية ٠٥٠٣١٩٣٢٦٩ مندوب الشمالية والقصيم ٠٥٠٤١٣٠٧٢٨
مسؤول التوزيع الخيري ٠٥٠٣١٩٣٢٦٩ - ٠٥٠٦٤٣٦٨٠٤ لطلبات الجهات الحكومية ٠٥٠٠٩٩٦٩٨٧

بسم الله الرحمن الرحيم

فَصْلٌ

في الأدلة من السنَّة النبوية في إثبات العقيدة

(ثُمَّ سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَالسُّنَّةُ تُفَسِّرُ القُرْآنَ، وَتُبَيِّنُهُ، وَتَدُلُّ عَلَيْهِ، وَتُعَبِّرُ عَنْهُ.

وَمَا وَصَفَ الرَّسُولُ بِهِ رَبَّهُ ﷻ، مِنَ الأَحَادِيثِ الصِّحَاحِ الَّتِي تَلَقَّاهَا أَهْلُ المَعْرِفَةِ بِالقَبُولِ، وَجَبَ الإِيمَانُ بِهَا كَذَلِكَ، فَمِنْ ذَلِكَ:

مِثْلُ قَوْلِهِ ﷺ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ).

الشرح

قوله: (ثُمَّ سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ).

❁ **الهراس**: قوله: «ثم في سنة رسول الله» عطف على قوله فيما تقدم: «وقد دخل في هذه الجملة ما وصف الله به نفسه في سورة الإخلاص.. إلخ». يعنى: ودخل فيها ما وصف به الرسول ﷺ ربه فيما وردت به السنة الصحيحة. اهـ

❁ **العثيمين**: السنة لغة: الطريقة، وسنة النبي ﷺ: ما شرعه من قوله، أو فعله، أو إقراره، خبرًا كانت أو طلبًا، والإيمان بما جاء فيها واجب، كالإيمان بما جاء في القرآن، سواء في أسماء الله وصفاته أو في غيرها؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾. وقوله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾. اهـ.

❁ **آل الشيخ**: يعني: فيما ورد من نصوص الصفات من الأحاديث النبوية، فإن النبي ﷺ أوتي الكتاب والحكمة، والمراد بها السنة كما جاء في الحديث: «ألا إني أوتيت

القرآن ومثله معه»[١]. يعني: السنة. وقال تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم: ٣-٤].

لما ذكر المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ القسم الكبير، والمقدار الكثير من نصوص الكتاب العزيز، المثبتة لصفات الله تعالى، ذكر من السنة المطهرة مقدارًا كثيرًا، وقسمًا كبيرًا؛ ليكون قد جمع في صفات الله تَعَالَى بين ما أثبته الكتاب والسنة، وإن كان أحدهما يكفي لكن بهما أبلغ. اهـ

❁ **ابن باز**: السنة هي الوحي الثاني، والأصل الثاني من أصول الإسلام، وهي توافق وتفسر ما جاء في القرآن، من أسماء الله وصفاته، وتثبتها على حقيقتها وعلى ما يليق بجلال الله وعظمته، فقد جاء فيها من الصفات كثير، كالنزول والضحك والقَدَم والفرح، وغير ذلك مما جاءت به، مما يجب أن يُقَرَّ ويثبت ويعتقد حقيقة معناه على الوجه اللائق بالله تعالى، شأن جميع الصفات.

❁ فإن سنة رسول الله ﷺ الصحيحة تفسِّر القرآن، وتبينه، وتدل عليه، وتعبر عنه، كما دلّ عليه القرآن؛ لأن الله جل وعلا قال: ﴿ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾، وقال تعالى: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ﴾، وقال جل وعلا: ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾، فكما جاءت الآيات بالصفات والأسماء، هكذا جاءت السنة بالأسماء والصفات، فما ثبت في السنة الصحيحة، حكمه حكم ما ثبت في القرآن، يجب إثباته لله، والإيمانُ به بأنه وصفٌ لله، واسمٌ لله على الوجه اللائق بالله سبحانه، من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل، الباب واحد، والحكم واحد، ما جاء في السنة الصحيحة حكمه حكم ما جاء في القرآن، سواء بسواء عند أهل السنة والجماعة.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (١٧١٧٤)، وأبو داود (٤٦٠٤)، والطبراني في «مسند الشاميين» (١٠٦١) بإسناد صحيح عن المقدام بن معدي كرب، عن النبي ﷺ أنه قال: «ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه، لا يوشك رجل شبعان على أريكته، يقول: عليكم بهذا القرآن، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه، ألا لا يحل لكم الحمار الأهلي، ولا كل ذي ناب من السبع، ولا لقطة معاهد، إلا أن يستغني عنها صاحبها، ومن نزل بقوم فعليهم أن يقروه، فإن لم يقروه فله أن يعقبهم بمثل قِراه».

وهذه الأحاديث [التي يوردها المصنف] كالتي قبلها من الآيات، دلّت كما دلَّ القرآن على إثبات الصفات والأسماء لله سبحانه، وأنّه جل وعلا مسمى بالأسماء الحسنى وموصوف بالصفات العلى، كما جاء في القرآن، فكذا في السنة، وهذه الأحاديث من جملة الأحاديث الواردة في الصفات، ومراد المؤلف أن يذكر نموذجًا من الآيات والأحاديث الواردة في الصفات حتى يعرف المسلم ما وراءها، فذكر جملة من الآيات، وجملة من الأحاديث الواردة في أسماء الله وصفاته، وأن أهل السنة والجماعة يؤمنون بما دلت عليه من الأسماء والصفات، ويُمرونها كما جاءت، من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل، ولا ينكرونها، كما تفعل الجهمية والمعتزلة، ولا يؤولونها، كما يؤولونها جماعة الماتريدية والأشاعرة وغيرهم، بل يمرونها كما جاءت مع الإيمان بها وإثباتها، واعتقاد ما دلت عليه من الصفات والأسماء، وينزهون الله عن مشابهة خلقه، بلا تعطيل ولا تمثيل عند أهل السنة، الآيات ثابتة، والأحاديث ثابتة، معناها صحيح، وليس هناك تمثيل، ولا تشبيه، ولا تعطيل. اهـ

* **الهراس**: والسنة هي الأصل الثاني الذي يجب الرجوع إليه، والتعويل عليه بعد كتاب الله ﷻ، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾ [النساء: ١١٣]. والمراد بالحكمة: السنة. وقال: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾ [الجمعة: ٢]، وقال آمرًا لنساء نبيه: ﴿وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ﴾ [الأحزاب: ٣٤]، وقال سبحانه: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾ [الحشر: ٧]، وقال صلوات الله وسلامه عليه وآله: «**ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه**»(١).

وحكم السنة حكم القرآن، في ثبوت العلم، واليقين، والاعتقاد، والعمل؛ فإن السنة توضيح للقرآن، وبيان للمراد منه: تفصل مجمله، وتقيّد مطلقَه، وتخصّص عمومه، كما قال تعالى: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ﴾ [النحل: ٤٤].

---

(١) تقدّم قريبًا.

وأهل البدع والأهواء بإزاء السنة الصحيحة فريقان:

١- فريق لا يتورع عن ردها وإنكارها، إذا وردت بما يخالف مذهبه؛ بدعوى أنها أحاديث آحاد لا تفيد إلا الظن، والواجب في باب الاعتقاد اليقين، وهؤلاء هم المعتزلة والفلاسفة.

٢- وفريق يثبتها ويعتقد بصحة النقل، ولكنه يشتغل بتأويلها، كما يشتغل بتأويل آيات الكتاب، حتى يخرجها عن معانيها الظاهرة، إلى ما يريده من معان بالإلحاد والتحريف، وهؤلاء هم متأخرو الأشعرية، وأكثرهم توسعًا في هذا الباب الغزالي، والرازي. اهـ

منزلة السنة من القرآن

قوله: (فَالسُّنَّةُ تُفَسِّرُ الْقُرْآنَ، وَتُبَيِّنُهُ، وَتَدُلُّ عَلَيْهِ، وَتُعَبِّرُ عَنْهُ).

* آل الشيخ: فالسنة تفسر القرآن ولا تخالفه أبدًا، وتبينه: إيضاحًا له، (وتدل عليه): أي: دالة عليه، وتعبر عنه. اهـ

* ابن مانع: قال ابن عدوان:

وسنة خير المرسلين محمد * تفسر آياتِ الكتاب المُمَجَّدِ
تُبَيِّنُه للطالبي سُبْلَ الهدى * تدل عليه بالدليل المؤكدِ
ودع عنك تزويقات قوم فإنها * بحلتها التعطيلُ يا صاح ترشدِ

اهـ

وجوب الإيمان بما جاء في السنة الصحيحة من نصوص الصفات

قوله: (وَمَا وَصَفَ الرَّسُولُ بِهِ رَبَّهُ مِنَ الأَحَادِيثِ الصِّحَاحَ الَّتِي تَلَقَّاهَا أَهْلُ المَعْرِفَةِ بِالقَبُولِ، وَجَبَ الإِيمَانِ بِهَا كَذَلِك).

❁ **الهراس**: قوله: «وما وصف الرسول به..» إلخ. يعني: أنه كما وجب الإيمان بكل ما وصف الله به نفسه في كتابه، من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل، كذلك يجب الإيمان بكل ما وصفه به أعلم الخلق بربه، وبما يجب له، وهو رسوله الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه وآله.

قوله: «وَجَبَ الإِيمَانِ بِهَا كَذَلِك». أي: إيمانًا مثل ذلك الإيمان، خاليًا من التحريف والتعطيل، ومن التكييف والتمثيل، بل إثبات لها على الوجه اللائق بعظمة الرب جل شأنه. اهـ

❁ **السعدي**: قوله: «وجب الإيمان بها كذلك» أي: إيمانا خاليا من التعطيل والتحريف، ومن التكييف والتمثيل، بل إثباتنا لها على الوجه اللائق بعظمة الرب.

وحكم السنة حكم القرآن في ثبوت العلم، واليقين، والاعتقاد، والعمل؛ فإن السنة توضيح القرآن، أو بيان لمجمله، أو تقييد لمطلقه، قال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [النساء: ١١٣] أي: السنة. وقال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧]. اهـ

❁ **آل الشيخ**: قوله: «وجب الإيمان بها كذلك». أي: كما وجب الإيمان بالقرآن وهما الوحيان، وغلَّظ ﷺ فيمن اكتفى بالقرآن، والدلالة به ويترك السنة، فقال ﷺ: «وإن ما حرم رسول الله كما حرم الله»[1]. اهـ

---

(١) رواه الإمام أحمد (١٧١٩٤)، والترمذي (٢٦٦٤)، وابن ماجه (٣١٩٣) بسند صحيح.

❁ **قال المصنف** رَحِمَهُ اللَّهُ(١): أحاديث الأحكام تجيء موافقة لكتاب الله مع تفسيرها لمجمله، ومع ما فيها من الزيادات التي لا تعارض القرآن، فإن الله ﷻ أنزل على نبيه الكتاب والحكمة، وأمر أزواج نبيه أن يذكرن ما يتلى في بيوتهن من آيات الله والحكمة، وامتن على المؤمنين بأن بعث فيهم رسولًا من أنفسهم يتلو عليهم آياته، ويزكيهم، ويعلمهم الكتاب والحكمة، وقال النبي ﷺ: **«إلا وإني أوتيت الكتاب ومثله معه»**(٢). وفي رواية: **«ألا إنه مثل القرآن أو أكثر»** فالحكمة التي أنزلها الله عليه مع القرآن، وعلمها لأمته، تتناول ما تكلم به في الدين من غير القرآن، من أنواع الخبر والأمر، فخبره موافق لخبر الله، وأمره موافق لأمر الله، فكما أنه يأمر بما في الكتاب، أو بما هو تفسير ما في الكتاب، وبما لم يذكر بعينه في الكتاب، فهو أيضًا يخبر بما في الكتاب، وبما هو تفسير ما في الكتاب، وبما لم يذكر بعينه في الكتاب، فجاءت أخباره في هذا الباب، يذكر فيها أفعال الرب، كخلقه، ورزقه، وعدله، وإحسانه، وإثابته، ومعاقبته. ويذكر فيها أنواع كلامه وتكليمه لملائكته وأنبيائه، وغيرهم من عباده، ويذكر فيها ما يذكره من رضاه، وسخطه، وحبه، وبغضه، وفرحه، وضحكه، وغير ذلك من الأمور التي تدخل في هذا الباب. اهـ

❁ **وقال** رَحِمَهُ اللَّهُ(٣): وقد اتفق الصحابة والتابعون لهم بإحسان وسائر أئمة الدين أن السنة تفسر القرآن وتبينه وتدل عليه، وتعبر عن مجمله، وأنها تفسر مجمل القرآن من الأمر والخبر. اهـ

❁ **وقال أيضًا**(٤): وفي الجملة فيعلم أن سنة النبي ﷺ هي التي تفسر القران، وتبينه، وتدل عليه وتعبر عنه، فالسنة المتواترة تقضي على ما يفهمه بعض الناس من

---

(١) «درء تعارض العقل والنقل» (٢/ ١٤٦).

(٢) أخرجه أحمد (١٧٣٠٦)، وأبو داود (٤٦٠٤) بسند صحيح، وتقدم قريبًا.

(٣) «مجموع الفتاوى» (١٧/ ٤٣٢).

(٤) «منهاج السنة النبوية» (٤/ ١٧٦).

ظاهر القرآن، فإن الرسول ﷺ بين للناس لفظ القرآن ومعناه، كما قال أبو عبد الرحمن السلمي: حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن: عثمان بن عفان، وعبد الله بن مسعود وغيرهم، أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي ﷺ عشر آيات، لم يجاوزوها حتى يتعلموا معناها. اهـ

* **وقال أيضًا**(١): الدين الذي اجتمع عليه المسلمون اجتماعًا ظاهرًا معلومًا هو منقول عن نبيهم نقلًا متواترًا، نقلوا القرآن ونقلوا سنته، وسنته مفسرة للقرآن مبينة له، كما قال تعالى له: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]، فبين ما أنزل الله لفظه ومعناه، فصار معاني القرآن التي اتفق عليها المسلمون اتفاقًا ظاهرًا مما توارثته الأمة عن نبيها، كما توارثت عنه ألفاظ القرآن، فلم يكن -ولله الحمد- فيما اتفقت عليه الأمة شيء محرف مبدل من المعاني، فكيف بألفاظ تلك المعاني، فإن نقلها والاتفاق عليها أظهر منه في الألفاظ، فكان الدين الظاهر للمسلمين الذي اتفقوا عليه، مما نقلوه عن نبيهم لفظه ومعناه، فلم يكن فيه تحريف، ولا تبديل، لا للفظ ولا للمعنى، بخلاف التوراة والإنجيل، فإن من ألفاظها ما بدل معانيه وأحكامه اليهود والنصارى، أو مجموعهما، تبديلًا ظاهرًا مشهورًا في عامتهم، كما بدلت اليهود ما في الكتب المتقدمة من البشارة بالمسيح ومحمد صلى الله عليهما وسلم، وما في التوراة من الشرائع، وأمره في بعض الأخبار، وكما بدلت النصارى كثيرًا مما في التوراة والنبوات من الأخبار، ومن الشرائع التي لم يغيرها المسيح، فإن ما نسخه الله على لسان المسيح من التوراة يجب اتباع المسيح فيه. اهـ

---

(١) «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» (٣/ ١٧).

إثبات نزول الرب إلى السماء الدنيا كل ليلة على ما يليق بجلاله

قوله: (فَمِنْ ذَلِكَ مِثْلُ قَوْلِهِ ﷺ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، كُلَّ لَيْلَةٍ حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ[(١)]).

❁ آل الشيخ: هذا حديث صحيح شهير، قال ابن عبد البر ما معناه: «إنه حديث شهير تلقته الأمة بالقبول»[(٢)]. وهذا الحديث فيه وجوب الإيمان بجمل من الصفات: ففيه إثبات صفة نزول ربنا كل ثلث الليل الآخر، على ما يليق بجلال الله وعظمته، نزول حقيقي لا يعلم كنه، ولا كيفية نزوله إلا هو، وكذلك سائر صفاته.

فإذا قال لنا المبطل الجاحد النافي: كيف ينزل ربنا؟

قلنا: كيف هو؟ فإن القول في الصفات كالقول في الذات، يُحتذى حذوه، ويقاس عليه، فكما أن إثباتَ الذات إثباتُ وجودٍ وحقيقةٍ، لا يعلم كنهها وكيفيتها إلا هو تعالى، فإثبات النزول إثباتُ وجودٍ وحقيقةٍ لا يعلم كنهه إلا هو تعالى.

ثم كونه يخلو منه العرش أو لا في الحقيقة السكوت عنه أولى.

وفيه إثبات صفة الكلام، وصفة السمع من جهتين:

الأولى: قوله: «من يدعوني»؛ لأن دعاء من لا يسمع عبث.

والثانية: قوله: «فأستجب له»، ومن لا يسمع كيف يجيب السائل له؟!

وصفة المغفرة، وفيه إثبات كمال جوده وفضله.

---

(١) أخرجه البخاري (١١٤٥، ٦٣٢١، ٧٤٩٤)، ومسلم (٧٥٨) عن أبي هريرة ؓ مرفوعًا.

(٢) انظر التمهيد (٧/١٢٨)، ونصه: «وهذا حديث ثابت من جهة النقل، صحيح الإسناد، لا يختلف أهل الحديث في صحته، وهو حديث منقول من طرق متواترة، ووجوه كثيرة من أخبار العدول عن النبي ﷺ». اهـ

وفيه إثبات قربه تعالى لسائليه، كما قال: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة: ١٨٦] الآية.

وفيه الحث والتحريض على التعرض لنفحات مغفرة الربّ آخر الليل، فلا يفوت هذا الخير الكثير، والفضل العظيم.

وهذه الثلاثة بعضها أخص من بعض فقوله: «من يدعوني» شامل لدعاء العبادة ودعاء المسألة.

«من يسألني» هذا أخص من الذي قبله، وهذا السؤال. يعني: أي سؤال ديني أو دنيوي.

والثالث قوله: «من يستغفرني فأغفر له»، وهذا أخص من الذي قبله. اهـ

﴾ **الهراس**: قوله: «فمن ذلك مثل قوله ﷺ..» إلخ، الكلام على هذا الحديث من جهتين:

الأولى: صحته من جهة النقل، وقد ذكر المؤلف رحمه الله أنه متفق عليه. ويقول الذهبي في كتابه «العلو للعلي الغفار»: إن أحاديث النزول متواترة، تفيد القطع[(١)].

وعلى هذا، فلا مجال لإنكار أو جحود.

الثانية: ما يفيده هذا الحديث، وهو إخباره ﷺ بنزول الرب تبارك وتعالى كل ليلة.. إلخ. ومعنى هذا: أن النزول صفة لله ﷻ على ما يليق بجلاله وعظمته، فهو لا يماثل نزول الخلق، كما أن استواءه لا يماثل استواء الخلق. يقول شيخ الإسلام رحمه الله في تفسيره سورة الإخلاص: «فالرب سبحانه إذا وصفه رسوله بأنه ينزل إلى سماء الدنيا كل ليلة، وأنه يدنو عشية عرفة إلى الحجاج، وأنه كلم موسى بالوادي الأيمن في البقعة

---

(١) انظر «العلو للعلي الغفار» (ص/ ٧٣، ٧٩)، و«مختصره» للألباني (ص/ ١١٠، ١١٦). وعبارته: «وأحاديث نزول الباري متواترة»، قال: «وذلك متواتر أقطع به». اهـ

المباركة من الشجرة، وأنه استوى إلى السماء وهي دخان، فقال لها وللأرض: ائتيا طوعًا أو كرهًا- لم يلزم من ذلك أن تكون هذه الأفعال من جنس ما نشاهده من نزول هذه الأعيان المشهودة حتى يقال: ذلك يستلزم تفريغ مكان وشغل آخر»(١).

فأهل السنة والجماعة يؤمنون بالنزول صفة حقيقية لله ﷻ، على الكيفية التي يشاء، فيثبتون النزول كما يثبتون جميع الصفات التي ثبتت في الكتاب والسنة، ويقفون عند ذلك، فلا يكيفون، ولا يمثلون، ولا ينفون، ولا يعطلون، ويقولون: إن الرسول أخبرنا أنه ينزل، ولكنه لم يخبرنا كيف ينزل، وقد علمنا أنه فعّال لما يريد، وأنه على كل شيء قدير.

ولهذا ترى خواص المؤمنين يتعرضون في هذا الوقت الجليل لألطاف ربهم ومواهبه، فيقومون لعبوديته، خاضعين خاشعين، داعين متضرعين، يرجون منه حصول مطالبهم التي وعدهم بها على لسان رسوله ﷺ. اهـ

❁ **السعدي**: قوله ﷺ: «ينزل ربنا إلى سماء الدنيا كل ليلة...» إلخ، فهذا الحديث قد استفاض في الصحاح والسنن والمسانيد، واتفق على تلقيه بالقبول والتصديق أهل السنة والجماعة، بل جميع المسلمين الذين لم تغيرهم البدع، وعرفوا به عظيم رحمة ربهم، وسعة جوده، واعتنائه بعباده وتعرضه لحوائجهم الدينية والدنيوية، وأن نزوله حقيقة كيف يشاء، فيثبتون النزول كما يثبتون جميع الصفات التي ثبتت في الكتاب والسنة، ويقفون عند ذلك، فلا يكيفون، ولا يمثلون، ولا ينفون، ولا يعطلون. ويقولون: إن الرسول أخبرنا أنه ينزل، ولم يخبرنا كيف ينزل وقد علمنا أنه فعال لما يريد وعلى كل شيء قدير؛ ولهذا كان خواص المؤمنين يتعرضون في هذا الوقت الجليل لألطاف ربهم ومواهبه، فيقومون بعبوديته خاضعين، خاشعين، داعين، متضرعين، يرجون منه حصول مطالبهم التي وعدهم إياها على لسان رسوله ﷺ، ويعلمون أن وعده حق، ويخشون أن ترد أدعيتهم بذنوبهم ومعاصيهم، فيجمعون بين الخوف والرجاء،

---

(١) مجموع الفتاوى (١٧/ ٣٥٠).

ويعترفون بكمال نعمة الله عليهم، فتمتلئ قلوبهم من التعظيم والإيمان، ومن التصديق والإذعان. اهـ.

* **ابن باز**: أهل السنة يثبتون هذا النزول وصفًا لله، وهو نزول يليق بالله، لا يشابه خلقه في نزولهم، فإن العبد ينزل من أعلى إلى أسفل من سطح جبل مثلًا، لكن النزول غير النزول، نزول الله غير نزول عبده، فليس النزول كالنزول..

وهكذا القول، فيقول الله، وليس القول كالقول، وليس النداء كالنداء، وليس الكلام كالكلام، صفات الله تليق به، وهو يستجيب للداعي جل وعلا، «**من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟**» فهو الجواد الكريم ﷻ، وهو الغفور الرحيم، فيجب إثبات هذه الصفات لله على الوجه اللائق به. اهـ

* **العثيمين**: معنى النزول عند أهل السنة أنه ينزل بنفسه سبحانه نزولًا حقيقيًا يليق بجلاله، ولا يعلم كيفيته إلا هو.

ومعناه عند أهل التأويل نزول أمره، ونرد عليهم بما يأتي:

١ - أنه خلاف ظاهر النص وإجماع السلف.

٢ - أن أمر الله ينزل كل وقت، وليس خاصًا بثلث الليل الآخر.

٣ - أن الأمر لا يمكن أن يقول: من يدعوني فأستجيب له... إلخ.

ونزوله سبحانه إلى السماء الدنيا لا ينافي علوه؛ لأن الله سبحانه ليس كمثله شيء، ولا يقاس نزوله بنزول مخلوقاته. اهـ

* قال المصنف شيخ الإسلام في شرح حديث النزول[١]: قد استفاضت به السنة عن النبي ﷺ، واتفق سلف الأمة، وأئمتها، وأهل العلم بالسنة والحديث على تصديق

(١) مجموع الفتاوى (٥/ ٣٢٢)

ذلك وتلقيه بالقبول. ومن قال ما قاله الرسول ﷺ فقوله حق وصدق، وإن كان لا يعرف حقيقة ما اشتمل عليه من المعاني، كمن قرأ القرآن ولم يفهم ما فيه من المعاني، فإن أصدق الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، والنبي ﷺ قال هذا الكلام وأمثاله علانية، وبلغه الأمة تبليغًا عامًّا، لم يخص به أحدًا دون أحد، ولا كتمه عن أحد، وكانت الصحابة والتابعون تذكره، وتأثُره، وتبلّغه، وترويه في المجالس الخاصة والعامة، واشتملت عليه كتب الإسلام التي تقرأ في المجالس الخاصة والعامة، كصحيحي البخاري ومسلم، «وموطأ مالك» «ومسند الإمام أحمد»، و«سنن أبي داود»، والترمذي، والنسائي، وأمثال ذلك من كتب المسلمين، لكن من فهم من هذا الحديث وأمثاله ما يجب تنزيه الله عنه، كتمثيله بصفات المخلوقين، ووصفه بالنقص المنافي لكماله الذي يستحقه- فقد أخطأ في ذلك، وإن أظهر ذلك مُنِع منه، وإن زعم أن الحديث يدل على ذلك ويقتضيه فقد أخطأ أيضًا في ذلك.

فإن وصفه ﷻ في هذا الحديث بالنزول هو كوصفه بسائر الصفات... ومذهب سلف الأمة وأئمتها أنهم يصفونه بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ في النفي والإثبات، والله ﷻ قد نفى عن نفسه مماثلة المخلوقين...

وكان مذهب السلف والأئمة إثبات الصفات، ونفي مماثلتها لصفات المخلوقات، فالله تعالى موصوف بصفات الكمال الذي لا نقص فيه منزه عن صفات النقص مطلقًا، ومنزه عن أن يماثله غيره في صفات كماله، فهذان المعنيان جمعا التنزيه، وقد دل عليهما قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ [الإخلاص: ١-٢]، فالاسم «الصمد» يتضمن صفات الكمال والاسم «الأحد» يتضمن نفي المثل، كما قد بسط الكلام على ذلك في تفسير هذه السورة.

فالقول في صفاته كالقول في ذاته، والله تعالى ليس كمثله شيء، لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، لكن يفهم من ذلك أن نسبة هذه الصفة إلى موصوفها كنسبة هذه الصفة إلى موصوفها، فعلم الله، وكلامه، ونزوله، واستواؤه، هو كما يناسب ذاته ويليق

بها، كما أن صفة العبد هي كما تناسب ذاته وتليق بها، ونسبة صفاته إلى ذاته كنسبة صفات العبد إلى ذاته؛ ولهذا قال بعضهم: إذا قال لك السائل: كيف ينزل؟ أو كيف استوى؟ أو كيف يعلم؟ أو كيف يتكلم ويقدر ويخلق؟ فقل له: كيف هو في نفسه؟ فإذا قال: أنا لا أعلم كيفية ذاته. فقل له: وأنا لا أعلم كيفية صفاته، فإن العلم بكيفية الصفة يتبع العلم بكيفية الموصوف.

السؤال عن كيفية النزول

إذا تبين هذا فقول السائل: كيف ينزل؟ بمنزلة قوله: كيف استوى؟ وقوله: كيف يسمع؟ وكيف يبصر؟ وكيف: يعلم ويقدر؟ وكيف يخلق ويرزق؟

وقد تقدم الجواب عن مثل هذا السؤال من أئمة الإسلام مثل: مالك بن أنس وشيخه ربيعة بن أبي عبد الرحمن؛ فإنه قد روي من غير وجه أن سائلا سأل مالكًا عن قوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ كيف استوى؟ فأطرق مالك حتى علاه الرحضاء ثم قال: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلا رجل سوء، ثم أمر به فأخرج، ومثل هذا الجواب ثابت عن ربيعة شيخ مالك، وقد روي هذا الجواب عن أم سلمة ﵂ موقوفًا ومرفوعًا، ولكن ليس إسناده مما يعتمد عليه[1].

الفرق بين العلم بمعنى الصفة والعلم بكيفيتها

وهكذا سائر الأئمة قولهم يوافق قول مالك في أنا لا نعلم كيفية استوائه، كما لا نعلم كيفية ذاته، ولكن نعلم المعنى الذي دل عليه الخطاب، فنعلم معنى الاستواء ولا نعلم كيفيته، وكذلك نعلم معنى النزول ولا نعلم كيفيته، ونعلم معنى السمع، والبصر، والعلم، والقدرة ولا نعلم كيفية ذلك، ونعلم معنى الرحمة، والغضب، والرضا، والفرح، والضحك، ولا نعلم كيفية ذلك...

---

(١) تقدم تخريج ذلك كله في «إثبات الاستواء».

وقد سئل بعض أئمة نفاة العلو عن النزول فقال: ينزل أمره. فقال له السائل: فمِمَّن ينزل؟ ما عندك فوق العالم شيء، فممن ينزل الأمر من العدم المحض؟ فبهت(١).. اهـ

النزول لا ينافي العلو والاستواء على العرش

* **قال المصنف أيضًا**(٢): مذهب السلف والأئمة أنه مع نزوله إلى سماء الدنيا لا يزال فوق العرش، لا يكون تحت المخلوقات، ولا تكون المخلوقات محيطة به قط، بل هو العلي الأعلى، العلي في دنوه، القريب في علوه؛ ولهذا ذكر غير واحد إجماع السلف على أن الله ليس في جوف السموات، ولكن طائفة من الناس قد يقولون: إنه ينزل ويكون العرش فوقه. ويقولون: إنه في جوف السماء، وإنه قد تحيط به المخلوقات وتكون أكبر منه، وهؤلاء ضلال جهال، مخالفون لصريح المعقول وصحيح المنقول، كما أن النفاة الذين يقولون: ليس داخل العالم ولا خارجه جهال ضلال، مخالفون لصريح المعقول وصحيح المنقول، فالحلولية والمعطلة متقابلان. اهـ

وقال في «شرح حديث النزول»(٣): القول في صفاته كالقول في ذاته، والله تعالى ليس كمثله شيء، لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، لكن يفهم من ذلك أن نسبة هذه الصفة إلى موصوفها كنسبة هذه الصفة إلى موصوفها، فعلم الله، وكلامه، ونزوله، واستواؤه، هو كما يناسب ذاته، ويليق بها، كما أن صفة العبد هي كما تناسب ذاته وتليق بها، ونسبة صفاته إلى ذاته، كنسبة صفات العبد إلى ذاته؛ ولهذا قال بعضهم: إذا قال لك السائل: كيف ينزل؟ أو كيف استوى؟ أو كيف يعلم؟ أو كيف يتكلم ويقدر ويخلق؟ فقل له: كيف هو في نفسه؟ فإذا قال: أنا لا أعلم كيفية ذاته. فقل له: وأنا لا أعلم كيفية

---

(١) يعني: أنت تنفي العلو، فكيف تثبت نزول الأمر، فلابد أن يكون الآمر -وهو الله- في العلو.

(٢) في درء تعارض العقل والنقل (٣/ ٢٨٨)

(٣) «مجموع الفتاوى» (٥/ ٣٢٤).

صفاته، فإن العلم بكيفية الصفة يتبع العلم بكيفية الموصوف. فهذا إذا استعملت هذه الأسماء والصفات على وجه التخصيص والتعيين، وهذا هو الوارد في الكتاب والسنة..

إلى أن قال: وأيضا فيقال له: وصف نفسه بالنزول، كوصفه في القرآن بأنه ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] وبأنه استوى إلى السماء وهي دخان، وبأنه نادى موسى، وناجاه في البقعة المباركة من الشجرة، وبالمجيء والإتيان في قوله: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢]، وقال: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام: ١٥٨]، والأحاديث المتواترة عن النبي ﷺ في إتيان الرب يوم القيامة كثيرة، وكذلك إتيانه لأهل الجنة يوم الجمعة، وهذا مما احتج به السلف على من ينكر الحديث، فبينوا له أن القرآن يصدق معنى هذا الحديث، كما احتج به إسحاق بن راهويه على بعض الجهمية بحضرة الأمير عبد الله بن طاهر، أمير خراسان. قال أبو عبد الله الرباطي: حضرت مجلس الأمير عبد الله بن طاهر ذات يوم، وحضر إسحاق بن راهويه، فسئل عن حديث النزول أصحيح هو؟ فقال: نعم، فقال له بعض قواد عبد الله: يا أبا يعقوب، أتزعم أن الله ينزل كل ليلة؟ قال: نعم قال: كيف ينزل؟ قال أثبته فوق حتى أصف لك النزول، فقال له الرجل: أثبته فوق. فقال له إسحاق: قال الله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢] فقال الأمير عبد الله بن طاهر: يا أبا يعقوب، هذا يوم القيامة. فقال إسحاق: أعز الله الأمير، ومن يجيء يوم القيامة من يمنعه اليوم(١).

مسألة خلو العرش

ثم بعد هذا إذا نزل هل يخلو منه العرش أو لا يخلو؟ هذه مسألة أخرى تكلم فيها أهل الإثبات، فمنهم من قال: لا يخلو منه العرش، ونقل ذلك عن الإمام أحمد بن حنبل في رسالته إلى مسدد، وعن إسحاق بن راهويه، وحماد بن زيد، وعثمان بن سعيد الدارمي، وغيرهم.

---

(١) أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص/ ٥٦٧-٥٦٨ ط: الكتب العلمية) بأسانيد جياد.

ومنهم من أنكر ذلك وطعن في هذه الرسالة وقال: راويها عن أحمد بن حنبل مجهول لا يعرف[١].

والقول الأول معروف عند الأئمة كحماد بن زيد وإسحاق بن راهويه وغيرهما قال الخلال في «كتاب السنة»: حدثنا جعفر بن محمد الفريابي، ثنا أحمد بن محمد المقدمي، ثنا سليمان بن حرب، قال: سأل بشرُ بنُ السري حمادَ بنَ زيد فقال: يا أبا إسماعيل، الحديث الذي جاء: «ينزل ربنا إلى سماء الدنيا» يتحول من مكان إلى مكان؟ فسكت حماد بن زيد ثم قال: هو في مكانه يقرب من خلقه كيف شاء. ورواه ابن بطة في كتاب «الإبانة» فقال: حدثني أبو القاسم حفص بن عمر الأردبيلي، حدثنا أبو حاتم الرازي حدثنا سليمان بن حرب قال سأل بشر بن السري حماد بن زيد فقال: يا أبا إسماعيل الحديث الذي جاء «ينزل الله إلى سماء الدنيا» أيتحول من مكان إلى مكان؟ فسكت حماد بن زيد، ثم قال: هو في مكانه يقرب من خلقه كيف شاء[٢]. وقال ابن بطة: وحدثنا أبو بكر النجاد ثنا أحمد بن علي الأبار ثنا علي بن خشرم قال: قال إسحاق بن راهويه: دخلت على عبد الله بن طاهر فقال: ما هذه الأحاديث التي تروونها؟ قلت: أي شيء أصلح الله الأمير؟ قال: تروون أن الله ينزل إلى السماء الدنيا، قلت: نعم، رواها الثقات الذين يروون الأحكام. قال: أينزل ويدع عرشه؟ قال: فقلت: يقدر أن ينزل من غير أن يخلو العرش منه. قال: نعم. قلت: ولم تتكلم في هذا؟ وقد رواها اللالكائي أيضًا بإسناد منقطع واللفظ مخالف لهذا. وهذا الإسناد أصح[٣]، وهذه والتي قبلها حكايتان صحيحتان رواتها أئمة ثقات.

---

(١) ذكره القاضي أبو يعلى في «اختلاف الروايتين والوجهين» عن الإمام أحمد (ص/ ٥٢)، وابن القيم في «مختصر الصواعق» (٢/ ٢٥٩-٢٦٢).

(٢) أخرجه العقيلي في «الضعفاء» (١/ ١٤٣) بسند صحيح، وابن بطة في «الإبانة» كما في «المختار من الإبانة» (١٥).

(٣) أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص/ ٥٦٧-٥٦٨)، واللالكائي في «أصول الاعتقاد» (٣/ ٤٥٢) بأسانيد جياد.

فحماد بن زيد يقول: هو في مكانه يقرب من خلقه كيف شاء[١]. فأثبت قربه إلى خلقه مع كونه فوق عرشه، وعبد الله بن طاهر -وهو من خيار من ولي الأمر بخراسان- كان يعرف أن الله فوق العرش، وأشكل عليه أنه ينزل لتوهمه، أن ذلك يقتضي أن يخلو منه العرش، فأقره الإمام إسحاق على أنه فوق العرش، وقال له: يقدر أن ينزل من غير أن يخلو منه العرش؟ فقال له الأمير: نعم، فقال له إسحاق: لم تتكلم في هذا؟ يقول: فإذا كان قادرًا على ذلك، لم يلزم من نزوله خلو العرش منه، فلا يجوز أن يُعترض على النزول بأنه يلزم منه خلو العرش، وكان هذا أهون من اعتراض من يقول: ليس فوق العرش شيء، فينكر هذا وهذا.

ونظيره ما رواه أبو بكر الأثرم في «السنة» قال: حدثنا إبراهيم بن الحارث يعني العبادي، قال: حدثني الليث بن يحيى، قال: سمعت إبراهيم بن الأشعث يقول: سمعت الفضيل بن عياض يقول: إذا قال الجهمي: أنا أكفر برب يزول عن مكانه. فقل: أنا أؤمن برب يفعل ما يشاء.

أراد الفضيل بن عياض رحمه الله مخالفة الجهمي الذي يقول: إنه لا تقوم به الأفعال الاختيارية، فلا يتصور منه إتيان، ولا مجيء، ولا نزول، ولا استواء، ولا غير ذلك من الأفعال الاختيارية القائمة به، فقال الفضيل: إذا قال لك الجهمي: أنا أكفر برب يزول عن مكانه. فقل: أنا أؤمن برب يفعل ما شاء. فأمره أن يؤمن بالرب الذي يفعل ما يشاء من الأفعال القائمة بذاته، التي يشاؤها لم يرد من المفعولات المنفصلة عنه.

ومثل ذلك يروى عن الأوزاعي وغيره من السلف، أنهم قالوا في حديث النزول: يفعل الله ما يشاء. قال اللالكائي: حدثنا المسير بن عثمان، حدثنا أحمد بن الحسين: ثنا أحمد بن علي الأبار قال: سمعت يحيى بن معين يقول: إذا سمعت الجهمي يقول: أنا أكفر برب ينزل. فقل: أنا أؤمن برب يفعل ما يريد. اهـ المقصود.

---

(١) روى البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص/ ٥٦٩) بسنده عن محمد بن سلّام قال: إن رجلًا سأل عبدالله بن المبارك فقال: يا أبا عبد الرحمن كيف ينزل؟ فقال ابن المبارك: ينزل كيف شاء، وقال ابن قتيبة: لا نحتم على النزول بشيء، ولكنا نبين كيف هو في اللغة، والله أعلم بما أراد. اهـ

إثباتُ صفةِ الفرحِ للهِ تعالى

(وَقَوْلِهِ ﷺ: «لَلهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ التَّائِبِ مِنْ أَحَدِكُمْ بِرَاحِلَتِهِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْه).

الشرح

* **قال شيخ الإسلام المصنف**[(١)]: وهذا الحديث مستفيض عن النبي ﷺ في الصحيحين من غير وجه من حديث ابن مسعود[(٢)]، وأبي هريرة[(٣)]، وأنس[(٤)]، وغيرهم[(٥)]. اهـ

* **الهراس**: تتمة هذا الحديث، كما في البخاري وغيره: «لله أشد فرحًا بتوبة عبده المؤمن، من رجل بأرض فلاة دويّة مهلكة، ومعه راحلته عليها طعامه وشرابه، فنزل عنها، فنام وراحلته عند رأسه، فاستيقظ وقد ذهبت، فذهب في طلبها، فلم يقدر عليها، حتى أدركه الموت من العطش، فقال: والله لأرجعن فلأموتن حيث كان رحلي. فرجع، فنام، فاستيقظ، فإذا راحلته عند رأسه، فقال: اللهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح».

وفي هذا الحديث إثبات صفة الفرح لله ﷻ، والكلام فيه كالكلام في غيره من الصفات: أنه صفةٌ حقيقةٌ لله ﷻ، على ما يليق به، وهو من صفات الفعل التابعة لمشيئته

---

(١) في «درء تعارض العقل والنقل» (١/ ٢٩٨).

(٢) أخرجه البخاري (٦٣٠٨)، ومسلم (٢٧٤٤).

(٣) أخرجه مسلم، ثاني حديث في كتاب التوبة، قبل حديث (٢٧٤٤).

(٤) أخرجه البخاري (٦٣٠٩)، ومسلم (٢٧٤٧).

(٥) أخرجه مسلم (٢٧٤٦)، عن البراء بن عازب ﷺ.

تعالى وقدرته، فيحدث له هذا المعنى المعبر عنه بالفرح، عندما يُحْدِث عبده التوبة والإنابة إليه، وهو مستلزم لرضاه عن عبده التائب، وقبوله توبته.

وإذا كان الفرح في المخلوق على أنواع، فقد يكون فرح خفة وسرور وطرب، وقد يكون فرح أشر وبطر، فالله ﷻ منزه عن ذلك كله، ففرحه لا يشبه فرح أحد من خلقه، لا في ذاته، ولا في أسبابه، ولا في غاياته، فسببه كمال رحمته وإحسانه، التي يحب من عباده أن يتعرضوا لها، وغايته إتمام نعمته على التائبين المنيبين.

وأما تفسير الفرح بلازمه -وهو الرضا- وتفسير الرضا بإرادة الثواب؛ فكل ذلك نفي وتعطيل لفرحه ورضاه سبحانه، أوجبه سوء ظن هؤلاء المعطلة بربهم، حيث توهموا أن هذه المعاني تكون فيه كما هي في المخلوق، تعالى الله عن تشبيههم وتعطيلهم. اهـ

❁ **آل الشيخ**: في هذا الحديث إثبات صفة الفرح، بل إثبات شدة فرح الله بتوبة العبد ورجوعه إلى ربه، والباعث عليه ليس إلا مجرد إحسان ومحبته للطاعة، فصار فيه الحث على الرجوع عن معاصي الله، وتوبةِ العبد إلى ربه، فالربّ تعالى هو الذي وفقه للتوبة، وحرك قلبه لها، ويسر له أسبابها، وهداه إليها، ثم مع هذا كان شديد الفرح بتوبة عبده حين يتوب إليه من المعاصي، مِنْ أحدكم إذا ضلت راحلته ثم وجدها، فَفَرحُ هذا بدابته من المعلوم أنه أعظم من فَرَح كل فَرِح، وفَرَحُ ربِّ العالمين أعظم من فرحِ هذا براحلته، فرحٌ يليق به لا كفرح العباد. اهـ

❁ **العثيمين**: الفرح ثابت لله؛ لقوله ﷺ: «**للهُ أشد فرحًا بتوبة عبده من أحدكم براحلته...**» الحديث. وهو فرح حقيقي يليق بالله، ولا يصح تفسيره بالثواب؛ لأنه مخالف لظاهر اللفظ وإجماع السلف. اهـ.

❁ **ابن باز**: فالفرح وصف لله يليق بالله، يفرح لا كفرح المخلوقين، ويرضى لا كرضاهم، ويغضب لا كغضبهم، فالإنسان الذي ذهبت منه ناقته، وهو في أرض فلاة واضطجع تحت شجرة ينتظر الموت، ثم وجد الراحلة عند رأسه، فقال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح، فالله سبحانه أفرح بتوبة عبده من

هذا براحلته، مع أنه هو الذي تفضل بها، وهو الذي يَمُنُّ بها، ويفرح بها من عبده، فهو المنان بها والموفق لها جل وعلا ﷻ. اهـ

❁ **السعدي**: وهذا فرح جود وإحسان؛ لأنه ﷻ ينوع جوده وكرمه على عباده في جميع الوجوه، ويحب من عباده أن يسلكوا كل طريق يوصلهم إلى رحمته وإحسانه، ويكره لهم ضد ذلك؛ فإنه تعالى جعل لرحمته وكرمه أسبابًا، وبينها لعباده، وحثهم على سلوكها، وأعانهم عليها، ونهاهم عن ما ينافيها ويمنعها، فإذا عصوه وبارزوه بالذنوب، فقد تعرضوا لعقوباته التي لا يحب منهم أن يتعرضوا لها، فإذا راجعوا التوبة والإنابة فرِح بذلك أعظم فَرَح يُقَدَّر، فإنه ليس في الدنيا نظير فرح هذا الذي في أرض فلاة مهلكة، وقد انفلتت منه راحلته التي عليها مادة حياته من طعام، وشراب، وركوب، فأيس منها وجلس ينتظر الموت، فإذا هو بها واقفة على رأسه فأخذ بخطامها، وكاد الفرح أن يقضي عليه، وقال من الدهش وشدة الفرح: «**اللهم أنت عبدي وأنا ربك**»، فهل يوجد فرح أعظم من فرح الآيس من حياته إذا حصلت له على أكمل الوجوه؟ فتبارك الرب الكريم الجواد الذي لا يحصي العباد ثناء عليه، هو كما أثنى على نفسه وفوق ما يثني عليه عباده.

وهذا الفرح تبع لغيره من الصفات كما تقدم: أن الكلام على الصفات يتبع الكلام على الذات، فهذا فرح لا يشبه فرح أحد من خلقه، لا في ذاته، ولا في أسبابه، ولا في غاياته، فسببه الرحمة والإحسان وغايته إتمام نعمته على التائبين المنيبين. اهـ

❁ **وقال شيخ الإسلام المصنف**(١): ثبت في الصحيح من غير وجه عن النبي ﷺ أنه قال: «**لله أشد فرحًا بتوبة عبده، من رجل أضل راحلته بأرض دوية**(٢) **مهلكة،**

(١) في منهاج السنة النبوية (٥/ ٣٢٤).

(٢) قال في «القاموس»: وأرض دَوِيَّة ويضم: غير موافقة. اهـ يعني بفتح الدال وضمها، وقال أبو السعادات في «النهاية»: الدَّوُّ: الصحراء التي لا نبات فيها، والدويَّة، منسوبة إليها. اهـ، قلت: الظاهر أنَّ المراد الصحراء الخالية والمفازة المنقطعة.

عليها طعامه وشرابه، فطلبها فلم يجدها، فقال[١] تحت شجرة ينتظر الموت، فاستيقظ فإذا هو بدابته، عليها طعامه وشرابه، فالله أشدُّ فرحًا بتوبة عبده من هذا براحلته» والفرح إنما يكون بحصول المحبوب، والمذنب كالعبد الآبق من مولاه الفار منه، فإذا تاب فهو كالعائد إلى مولاه وإلى طاعته، وهذا المثل الذي ضربه النبي ﷺ، يبين من محبة الله وفرحه بتوبة العبد ومن كراهته لمعاصيه، ما يبين أن ذلك أعظم من التمثيل بالعبد الآبق، فإن الإنسان إذا فقد الدابة التي عليها طعامه وشرابه في الأرض المهلكة، فإنه يحصل عنده ما الله به عليم من التأذي، من جهة فقد الطعام والشراب والمركب، وكون الأرض مفازةً لا يمكن الخلاص منها، وإذا طلبها فلم يجدها يئس واطمأن إلى الموت، وإذا استيقظ فوجدها كان عنده من الفرح ما لا يمكن التعبير عنه، بوجود ما يحبه ويرضاه بعد الفقد المنافي لذلك، وهذا يبين من محبة الله للتوبة، المتضمنة للإيمان والعمل الصالح ومن كراهته لخلاف ذلك، ما يردُّ على منكر الفرق[٢] من الجهمية والقدرية، فإن الطائفتين تجعل جميع الأشياء بالنسبة إليه سواء... اهـ المقصود

---

(١) أي: نام في وقت القيلولة.

(٢) أي: الفرق بين صفتي الفرح والكراهة.

إثبات صفة الضحك لله تعالى

وَقَوْلُهُ ﷺ: «يَضْحَكُ اللهُ إِلَى رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الآخَرَ كِلاهُمَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

الشرح

* **قال شيخ الإسلام**(١): أحاديث الضحك متواترة عن النبي وقد رواها الأئمة، وروى مالك في «الموطأ» منها حديثه عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر كلاهما يدخل الجنة، يقاتل هذا في سبيل الله فيقتل، ثم يتوب الله على القاتل فيقاتل في سبيل الله فيستشهد**» وقد أخرجه أهل الصحاح من حديث مالك وغير مالك، ورواه أيضا سفيان الثوري الإمام عن أبي الزناد، وحدث به(٢).

وقد روى صاحبا الصحيحين منها قطعة، مثل هذا الحديث، ومثل حديث أبي هريرة، وحديث أبي سعيد الطويل المشهور وفيه: «**فلا يزال يدعو الله حتى يضحك الله منه، فإذا ضحك الله منه قال له ادخل الجنة**»(٣)، ورواه أعلم التابعين بإجماع المسلمين سعيد بن المسيب عن أبي هريرة، وغير سعيد أيضا، ورواه عنه الزهري وعنه أصحابه. اهـ

* **الهراس**: قوله: «**يضحك الله إلى رجلين..**» إلخ، يُثبت أهلُ السنة والجماعة الضحك لله ﷻ كما أفاده هذا الحديث وغيره على المعنى الذي يليق به سبحانه، والذي

(١) في «التسعينية» (٣/ ٩١٥) وذيل «الفتاوى الكبرى» (٦/ ٦١٤ ط عطا).
(٢) أخرجه مالك في «الموطأ» (١٦٧٣)، والبخاري (٢٨٢٦)، ومسلم (١٨٩٠)، وأحمد (٩٤٨٠).
(٣) تقدمت مخرجة في فصل إثبات الرؤية.

لا يشبهه ضحك المخلوقين عندما يستخفهم الفرح، أو يستفزهم الطرب؛ بل هو معنى يحدث في ذاته عند وجود مقتضيه، وإنما يحدث بمشيئته وحكمته؛ فإن الضحك إنما ينشأ في المخلوق عند إدراكه لأمر عجيب يخرج عن نظائره، وهذه الحالة المذكورة في هذا الحديث، كذلك فإن تسليط الكافر على قتل المسلم مدعاة في بادئ الرأي لسخط الله على هذا الكافر، وخذلانه، ومعاقبته في الدنيا والآخرة، فإذا مَنَّ الله على هذا الكافر بعد ذلك بالتوبة، وهداه للدخول في الإسلام، وقاتل في سبيل الله حتى يستشهد فيدخل الجنة- كان ذلك من الأمور العجيبة حقًّا.

وهذا من كمال رحمته، وإحسانه، وسعة فضله على عباده سبحانه، فإن المسلم يقاتل في سبيل الله، ويقتله الكافر، فيكرم الله المسلم بالشهادة، ثم يمن على ذلك القاتل، فيهديه للإسلام والاستشهاد في سبيله، فيدخلان الجنة جميعًا.

وأما تأويل ضحكه سبحانه بالرضا، أو القبول، أو أن الشيء حل عنده بمحل ما يُضْحَكُ منه، وليس هناك في الحقيقة ضحك- فهو نفي لما أثبته رسول الله ﷺ لربه، فلا يلتفت إليه. اهـ

❁ **قال الشيخ**: هذا الحديث فيه إثبات صفة الضحك، أن الله يضحك حقيقة على ما يليق بجلاله وعظمته، كما أنه يفرح حقيقة تليق بجلاله، وتختص به، ومثله حديث: «**ضحك الله الليلة من فعالكما**»(١).

وتقدم قول أهل السنة في الصفات، أنهم يثبتونها لله تعالى من غير تمثيل، كما أنهم ينفون عن الله ما لا يليق بجلاله وعظمته من غير تعطيل.

وأما معناه: فإن الكافر يقتل المؤمن، ثم يَمُنُّ الله على الكافر فيسلم، فيكون هو وقتيله يدخلان الجنة. اهـ

---

(١) رواه البخاري (٣٧٩٨، ٤٨٨٩)، ومسلم (٢٠٥٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في قصة إكرام الأنصاري لضيفه.

❁ **ابن باز**: قوله ﷺ: «**يضحك الله**» ضحكٌ يليق بالله، لا يشابه خلقه في صفاتهم وضحكهم، بل صفات الله تليق به وتناسبه جل وعلا. اهـ

❁ **العثيمين**: والضحك ثابت لله تعالى؛ لقوله ﷺ: «**يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر كلاهما يدخلان الجنة**». وفسره أهل السنة والجماعة بأنه ضحك حقيقي يليق بالله، وفسره أهل التأويل بالثواب.

ونرد عليهم بأنه مخالف لظاهر اللفظ، وإجماع السلف.

وصورتها أن كافرًا يقتل مسلمًا في الجهاد، ثم يسلم ذلك الكافر ويموت على الإسلام، فيدخلان الجنة كلاهما. اهـ.

❁ **السعدي**: وهذا أيضًا من كماله وكمال إحسانه وسعة رحمته؛ فإن المسلم يقاتل في سبيل الله ويقتله الكافر، فيكرم الله المسلم بالشهادة، ثم يَمُنُّ الله على ذلك الكافر القاتل فيهديه للإسلام فيدخلان الجنة جميعًا، وهذا من جوده المتتابع على عباده من كل وجه.

والضحك يكون من الأمور العجيبة التي تخرج عن نظائرها، وهذه الحالة المذكورة كذلك، فإن تسليط الكافر على قتل المسلم في بادئ الأمر أمرٌ غير محبوب، ثم هذا المتجرِّئ على القتل يتبادر لأذهان كثير من الناس أنه يبقى على ضلاله ويعاقب في الدنيا والآخرة، ولكن رحمة الله وإحسانه فوق ذلك كله، وفوق ما يظن الظانون ويتوهم المتوهمون، وكذلك لما دعا النبي ﷺ على أناس -من رؤساء المشركين؛ لعنادهم وأذيتهم- بالطرد عن رحمة الله أنزل الله قوله: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ [آل عمران: ١٢٨] الآية[١]. فتاب عليهم بعد ذلك، وحسن إسلام كثير منهم. اهـ.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٥٦٠)، ومسلم (٦٧٥) عن أبي هريرة.

الرد على المعطلة صفة الضحك

* **قال المصنف في «الرسالة الأكملية»**[١]: وقول القائل: إن الضحك خفة روح. ليس بصحيح؛ وإن كان ذلك قد يقارنه، ثم قول القائل: خفة الروح، إن أراد به وصفًا مذمومًا فهذا يكون لما لا ينبغي أن يضحك منه، وإلا فالضحك في موضعه المناسب له صفة مدح وكمال، وإذا قُدِّر حيان أحدهما يضحك مما يضحك منه، والآخر لا يضحك قط، كان الأول أكمل من الثاني؛ ولهذا قال النبي ﷺ: «**ينظر إليكم الرب قنطين فيظل يضحك يعلم أن فرجكم قريب**. فقال له أبو رزين العقيلي: يا رسول الله، أويضحك الرب؟ قال: نعم. قال: لن نعدم من رب يضحك خيرًا»[٢]. فجعل الأعرابي العاقل -بصحة فطرته- ضحكه دليلًا على إحسانه وإنعامه، فدل على أن هذا الوصف مقرون بالإحسان المحمود، وأنه من صفات الكمال، والشخص العبوس الذي لا يضحك قط هو مذموم بذلك. اهـ

---

(١) كما في مجموع الفتاوى (٦/ ١٢١).

(٢) سيأتي تخريجه إن شاء الله.

فصلٌ في إثبات صفة العَجَب لله تعالى

(وَقَوْلُهُ ﷺ: «عَجِبَ رَبُّنَا مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ وَقُرْبِ غِيَرِهِ(١)، يَنْظُرُ إِلَيْكُمْ أَزِلِينَ قَنِطِينَ، فَيَظَلُّ يَضْحَكُ يَعْلَمُ أَنَّ فَرَجَكُمْ قَرِيبٌ» حَدِيثٌ حَسَنٌ(٢)).

الشَّرْح

قوله: «عَجِبَ رَبُّنَا».

❁ الهراس: قوله: «عجب ربنا..»، إلخ، هذا الحديث يثبت لله ﷻ صفة العَجَبِ(٣)، وفي معناه قوله عليه الصلاة والسلام: «عجب ربك من شاب ليس

---

(١) وفي بعض النسخ المطبوعة: «خَيْرِهِ» قال الشيخ إسماعيل الأنصاري: ليس فيما تتبعته من المراجع سوى هذا اللفظ «غِيَرِهِ» بالغين. اهـ.

(٢) أخرجه الإمام أحمد (١٦١٨٧)، والطيالسي (١٠٩٢)، وابن ماجه (١٨١)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٥٥٤)، والطبراني (ج١٩/ ص٢٠٨)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٣/ ٤٢٦) عن أبي رزين قال: قال رسول الله ﷺ: «ضحك ربنا من قنوط عباده وقرب غِيَرِهِ. قال: قلت: يا رسول الله، أويضحك ربنا؟ قال: نعم. قلت: لن نعدم من رب يضحك خيرًا.
ولم أقف عليه بلفظ: «عجب»، بل الثابت بلفظ «ضحك»، وقد صح المعنى من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «عجب الله من قوم يدخلون الجنة بالسلاسل» أخرجه البخاري (٣٠١٠، ٤٥٥٧)، وعنده أيضًا (٤٨٨٩)عن أبي هريرة مرفوعًا: «لقد عجب الله من فلانة وفلان» وعند مسلم (٢٠٥٤) بلفظ: «قد عجب الله من صنيعكما بضيفكما الليلة».

(٣) العَجَب بفتح العين والجيم، التعجب من الشيء المستغرب. وقد تضم الواو مع سكون الجيم ويكثر إطلاقه بالضم والسكون على الكِبْر، قال في «القاموس»: وبالضم: الزهو والكِبْر، وإنكار ما يرد عليك كالعَجَب محركة. وتَعَجَّبْتُ منه، واستعْجَبْتُ منه، كعَجِبْتُ منه. اهـ وقال في «اللسان»: العُجْبُ والعَجَبُ: إنكار ما يرد عليك لقلة اعتياده. اهـ

له صبوة»[١].

وقرأ ابن مسعود ﷺ: (بَلْ عَجِبْتُ وَيَسْخَرُونَ). بضم التاء على أنها ضمير الرب جل شأنه[٢].

وليس عجبه سبحانه ناشئًا عن خفاء في الأسباب، أو جهل بحقائق الأمور، كما هو الحال في عجب المخلوقين، بل هو معنى يحدث له سبحانه على مقتضى مشيئته وحكمتهن وعند وجود مقتضيه، وهو الشيء الذي يستحق أن يتعجب منه. اهـ

---

(١) أخرجه أحمد (١٧٣٧١)، وأبو يعلى (١٧٤٩)، والطبراني في «المعجم الكبير» (ج١٧/ ص ٣٠٩/ ح٨٥٣)، وتمام في «فوائده» (١٣٠٠) من حديث قتيبة بن سعيد، عن عبد الله بن لهيعة، عن أبي عشانة، عن عقبة بن عامر بسند ضعيف، فيه ابن لهيعة سيء الحفظ، لكن رواية قتيبة عنه مقبولة؛ لأنه كتب حديثه من كتب عبد الله بن وهب، وكان ابن وهب سمع من ابن لهيعة قبل اختلاطه، ثم عرضها قتيبة على ابن لهيعة، وحسّنه الهيثمي في «المجمع» (١/ ٢٧٠)، وقد أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (٥٧١)، وابن عدي في «الكامل» (٤/ ١٤٦٥، ١٤٦٦)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٥٧٦) من طرق أخرى عن ابن لهيعة به. وله شاهد عن أبي هريرة. انظر «تخريج المسند» للشيخ شعيب الأرنؤوط (٢٨/ ٦٠٠).

(٢) قرأ حمزة والكسائي وخلفٌ من العشرة: ﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴾ [الصافات: ١٢] بضم التاء، «بل عَجِبْتُ» وقرأ الباقون بفتح التاء.

انظر: «المبسوط في القراءات العشر» لأبي بكر أحمد بن الحسين بن مِهْران النيسابوري (ص/ ٣٧٥).

قال في «اللسان»: وقوله تعالى: ﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴾ قرأها حمزة والكسائي بضم التاء، وكذا قراءة عليّ بن أبي طالب وابن عباس، وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وعاصم وأبو عمرو: (بل عجبتَ) بنصب التاء. قال الفرّاء: العَجَبُ أصل العَجَب في اللغة: أنّ الإنسان إذا رأى ما ينكره ويَقِلُّ مثله، قال: عجبتُ من كذا، وعلى هذا معنى قراءة من قرأ بضم التاء؛ لأن الآدمي إذا فعل ما ينكره الله جاز أن يقول: عجبتُ، والله عز وجل قد علم ما أنكره قبل كونه، ولكن الإنكار والعَجَب الذي تلزم به الحجة عند وقوع الشيء. اهـ

قلت: وهذا مثل قوله تعالى: ﴿ لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴾، فهو عز وجل عالم بكل شيء، ومحيط بكل شيء قبل كونه ووجوده، وإنما المراد علم الوقوع منهم؛ ليجازيهم عليه، فكذلك العَجَب. والله أعلم.

* **السعدي والهراس**: وهذا العجب الذي وصف الرسول به ربه من آثار رحمة الله، وهو من كماله تعالى، والله تعالى ليس كمثله شيء في جميع نعوته، فإذا تأخر الغيث عن العباد مع فقرهم وشدة حاجتهم استولى عليهم اليأس والقنوط، وصار نظرهم قاصرًا على الأسباب الظاهرة، وحسبوا أن لا يكون وراءها فرج من القريب المجيب فيعجب الله منهم، وهذا محل عجب، كيف يقنطون ورحمته وسعت كل شيء، والأسباب لحصولها قد توفرت؟ فإن حاجة العباد وضرورتهم من أسباب رحمته، والدعاء لحصول الغيث والرجاء لله من الأسباب، ووقوع الغيث بعد امتناعه مدة طويلة وحصول الضرورة يوجب أن يكون لفضل الله وإحسانه موقع كبير وأثر عجيب، كما قال تعالى: ﴿فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ[1]﴾ [الروم: ٤٨-٤٩] الآيات. والله تعالى قدر من ألطافه وعوائده الجميلة أن الفرج مع الكرب، وأن اليسر مع العسر، وأن الضرورة لا تدوم، فإن حصل مع ذلك قوة التجاء وشدة طمع بفضل الله، ورجاء وتضرع كثير ودعاء- فتح الله عليهم من خزائن جوده ما لا يخطر بالبال. اهـ

قوله: «مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ»

* **الهراس**: القنوط مصدر (قنط)، وهو اليأس من رحمة الله، قال تعالى: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦]. اهـ

* **آل الشيخ**: القنوط: شدة اليأس، وهو استبعادهم ويأسهم من حصول المطر[2]. اهـ

---

(١) أي: آيسين قنطين.

(٢) قال في «القاموس»: قَنَطَ - كنَصَرَ، وضَرَب، وحَسِبَ، وكَرُمَ- قُنوطًا -بالضم- وكفَرِحَ، قَنَطًا وقناطَةً، وكَمَنَعَ وحَسِبَ - يَئِسَ، فهو قَنِطٌ، كفَرِح. وقَنَّطَه تقنيطًا: آيَسَهُ. اهـ

قوله: «وَقُرْبِ غِيَرِهِ».

❁ **ابن باز**: أي: تغير الأمور، والإنسان قد يقنط وييأس من شدة الجدب، وفرج الله قريب. اهـ

❁ **الهراس**: قوله: «وقرب خيره»[(١)]. أي: فضله ورحمته. وقد روي: «غِيَرِهِ»[(٢)]، والغير: اسم من قولك: غيَّرَ الشيءَ فتغير[(٣)]. وفي حديث الاستسقاء: «من يكفر بالله يلق الغير»[(٤)]. أي: تغير الحال، وانتقالها من الصلاح إلى الفساد. اهـ

❁ **ابن مانع**: قوله: «وَقُرْبِ غِيَرِهِ». اسم من قولك: غيرت الشيء فتغير. قال أبو السعادات: وفي حديث الاستسقاء: «من يكفر بالله يلق الغِيَرَ» أي: تغير الحال وانتقالها من الصلاح إلى الفساد. اهـ

❁ **السعدي**: «وقرب غيره». أي: تغييره الشدة بالرخاء. اهـ

❁ **آل الشيخ**: «وقرب غِيَرِه». أي: قرب تغييره للحال التي أنتم عليها إلى الحال التي أحسن منها، تغيير حال السوء إلى حال الخصب والفرح. اهـ

* قال شيخ الإسلام[(٥)]: «قرب غيره». أي: قرب تغيره من الجدب إلى الخصب. اهـ

---

(١) تقدّم أنّ هذه اللفظة لم ترد في الرواية، ولا في النسخ الخطية المعتمدة.

(٢) هذه هي الرواية المعتمدة وما سواها فخطأ.

(٣) قال في «القاموس»: وتغيَّرَ عن حاله: تحوَّل، وغيَّره: جعله غيرَ ما كان وحوَّله وبدَّله، والاسم: الغَيْرُ، وغِيَرُ الدهر -كعِنَب-: أحداثه المغيِّرة. اهـ

(٤) أخرجه الطبراني في «الكبير» (ج٢٥/ ص٢٤٥/ ح٢٨)، وفي «الدعاء» (٣/ ١٧٧٥)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٦/ ١٤١) من حديث أنس بن مالك الطويل في الاستسقاء وفيه أن رجلًا من كنانة قام فقال قصيدة ومنها:

فَمَـــن يـــشكرِ الله يلـــقَ المزيـــدْ ** ومَـــن يكفـــر الله يلـــقَ الغـــير

وسنده ضعيف، فيه مسلم الملائي ضعيف، وسعيد بن خثيم قال ابن حجر: صدوق رمي بالتشيع له أغاليط. اهـ

(٥) في «درء تعارض العقل والنقل» (٤/ ٧٤)

قوله: «يَنْظُرُ إِلَيْكُمْ أَزِلِينَ قَنِطِينَ».

❁ **ابن مانع**: الأزْل: الشدة والضيق، وقد أَزِلَ الرجل يأزل أزْلًا. أي: صار في ضيق وجدب، كأنه أراد: من يأسكم وقنوطكم. اهـ

❁ **آل الشيخ**: «أَزْلِيْن» الأَزْلُ: شدة الضعف، والحال -والله أعلم- يعني: شديدي الحال. «قنطين»: يعني آيسين من الغيث. اهـ

❁ **الهراس**: قوله: «أزلين قنطين»: حالان من الضمير المجرور في «إليكم»، و«أزلين»: جمع أزِل، اسم فاعل من الأزْل، بمعنى الشدة والضيق، يقال: أزِل الرجل يأزل أزْلًا، من باب فرِح. أي: صار في ضيق وجدب(١). اهـ

❁ **آل الشيخ**: هذا الحديث فيه إثبات عدة صفات من صفات الله تعالى:

إحداها: العَجَب، وأن الله يَعْجَب عجبًا يليق بجلاله وعظمته، من غير تمثيل.

«ينظر إليكم» فيه إثبات صفة النظر. **«فيظل يضحك»** فيه إثبات صفة الضحك.

«يعلم أن فرجكم قريب» فيه إثبات صفة العلم. اهـ

❁ **العثيمين**: والعجب ثابت لله تعالى؛ لقول الرسول ﷺ: **«عجب ربنا من قنوط عباده وقرب خيره»** الحديث. والممتنع على الله من العَجَب هو ما كان سببه الجهل بطرق المتعجَّب منه؛ لأن الله لا يخفى عليه شيء، أما العَجَب الذي سببه خروج الشيء عن نظائره أو عمّا ينبغي أن يكون عليه، فإن ذلك ثابت لله.

وقد فسره أهل السنة بأنه عَجَب حقيقي يليق بالله.

وفسره أهل التأويل بثواب الله أو عقوبته.

ويرد عليهم بأنه خلاف ظاهر النص وإجماعِ السلف. اهـ

---

(١) قال في «القاموس»: الأَزْل: الضيق والشدة، وبالكسر: الكذب، والداهية، وبالتحريك: القِدَم. اهـ

الرد على شبهات المعطلة

* قال شيخ الإسلام في «الرسالة الأكملية»(١): وأما قوله: التعجب استعظام للمتعجب منه.

فيقال: نعم، وقد يكون مقرونًا بجهلٍ بسبب التعجب، وقد يكون لما خرج عن نظائره، والله تعالى بكل شيء عليم، فلا يجوز عليه أن لا يعلم سبب ما تعجب منه، بل يتعجب؛ لخروجه عن نظائره تعظيما له، والله تعالى يعظِّم ما هو عظيم، إما لعظمة سببه أو لعظمته، فإنه وصف بعض الخير بأنه عظيم، ووصف بعض الشر بأنه عظيم، فقال تعالى: ﴿رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٩]، وقال: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾ [الحجر: ٨٧]، وقال: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّءَاتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٦٦-٦٧]، وقال: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٦]، وقال: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]؛ ولهذا قال تعالى: ﴿بَلْ عَجِبْتُ وَيَسْخَرُونَ﴾ على قراءة الضم، فهنا هو عَجِبَ من كفرهم مع وضوح الأدلة.

وقال النبي ﷺ للذي آثر هو وامرأته ضيفهما-: «لقد عَجِبَ الله» وفي لفظ في الصحيح: «لقد ضحك الله الليلة من صنعكما البارحة»(٢).

وقال: «إن الرب ليعجب من عبده إذا قال: رب اغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت. يقول: علم عبدي أنه لا يغفر الذنوب إلا أنا»(٣).

---

(١) كما في «مجموع الفتاوى» (٦/ ١٢٣).

(٢) كلا اللفظين في الصحيح وقد تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه الترمذي (٣٤٦٦)، وأبو داود (٢٦٠٢)، وصححه ابن حبان (٢٦٨٧)، وقال الترمذي: حسن صحيح، وحسنه الألباني من حديث علي بن أبي طالب في دعاء ركوب الدابة.

وقال: «عجب ربك من شاب ليست له صبوة»(١).

وقال: «عجب ربك من راعي غنم على رأس شظية يؤذن ويقيم، فيقول الله: انظروا إلى عبدي»(٢)، أو كما قال ﷺ، ونحو ذلك. اهـ

---

(١) تقدم تخريجه قريبًا، والصبوة: جهلة الفتوَّة، قاله في «القاموس» وقال صاحب «النهاية»: أي ميل إلى الهوى، وهي المرة منه. اهـ

(٢) أخرجه أحمد (١٧٣١٢، ١٧٤٤٢، ١٧٤٤٣)، وأبو داود (١٢٠٣)، والنسائي (٦٦٦)، والطبراني في «الكبير» (ج١٧/ ص٣٠٩/ ح٨٥٥)، والبيهقي (١٩٠٥)، بسند صحيح عن عقبة بن عامر به مرفوعًا. والشَّظِيَّةُ: القطعة من الجبل، لم تنفصل منه.

إثبات صفة الرِّجْلِ والقَدَمِ للهِ على ما يليق به تعالى

قال المصنف: (وَقَوْلُهُ ﷺ: «لا تَزَالُ جَهَنَّمُ يُلقَى فِيهَا، وَهِيَ تَقُولُ هَل مَنْ مَزِيدٍ حَتَّى يَضَعَ رَبُّ العِزَّةِ فِيهَا رِجْلَهُ» وَفِي رِوَايَةٍ: «عَلَيْهَا قَدَمَهُ فَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، فَتَقُولُ قَطْ قَطْ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ[(١)]).

الشرح

❁ **ابن باز**: قوله: «قط قط». أي: حسبي حسبي، ففيه إثبات القَدَمِ والرِّجْلِ لله على الوجه اللائق به، فهو سميع بصير، له يد، وله قدم، كلها صفات تليق به، لا يشابه خلقه فيها، ولا في سمعه، ولا في بصره، ولا في يده، ولا في قدمه، ولا في ضحكه، ولا في غير ذلك، فصفات الله وأسماؤه تليق به، وصفات المخلوقين تليق بهم، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾، ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾، هكذا قال أهل السنة والجماعة في جميع الصفات بابها واحد؛ خلافًا للجهمية، والمعتزلة، والأشعرية، وغيرهم، ممن ألحد في صفلت الله، فالجهمية نفوا أسماء الله وصفاته جميعًا، والمعتزلة نفوا الصفات، وأثبتوا الأسماء المجردة من المعاني، والأشعرية وطوائف أخرى نفوا بعضًا، وأثبتوا بعضًا[(٢)].

والصواب هو إثبات جميع ما جاء في الكتاب والسنة من أسماء الله وصفاته، كلّ ما صح به الخبر عن رسول الله ﷺ فهو مثل ما جاء في القرآن، يجب إثباته لله على الوجه اللائق بالله من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل، بل على حد قوله سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾، ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾. اهـ

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨٤٨، ٦٦٦١، ٧٣٤٨)، ومسلم (٢٨٤٨).

(٢) أثبتوا الأسماء، وسبعة صفات وهي: الحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام.

❁ **آل الشيخ**: هذا الحديث فيه إثبات صفة الرِّجل، وصفة القدم لله، تبارك وتعالى من غير تكييف، ولا تمثيل، ولا توهم، يجب علينا أن نعلمه ونعتقده ونجزم به، كما أتى عن رسوله ﷺ.

«لا تزال جهنم يلقى فيها»: يعني: دوام اتصافها بذلك وهي تقول: هل من مزيد؟ تطلب وتسأل الزيادة، باقية ما امتلأت تطلب.

قوله: «فينزوي بعضها إلى بعض» وتتضايق: «فتقول: قط قط» أي: كافيني، وهو اسم فعل. اهـ

❁ **الهراس**: قوله: «لا تزال جهنم...» إلخ في هذا الحديث إثبات الرِّجْلِ والقَدَم لله ﷻ. اهـ

قاعدة في الصفات

❁ **آل الشيخ**: ولا يمكننا أن نحيط بخالقنا تبارك وتعالى علمًا، بل الخلق يعلمون خالقهم بما أوحاه إليهم على ألسن رسله، ولا يعلمون ما هو عليه، ومعرفة ما هو عليه من أمنع الممتنعات، بل هم ممنوعون أن يخوضوا في صفات الله تعالى، مأمورون بالتفكر في آياته، ممنوعون عن التفكر في كيفية صفاته، فإن الله لم يجعل لهم إليه سبيلًا، وأيضًا السبيل ليس حجابًا إذا كشف علموا ما هو عليه، بل لا يحيطون به علمًا، كما في الآية الكريمة. ونعرف أن القول في الصفات كالقول في الذات كما تقدم، بل ما يثبت له سبحانه يختص به ويليق به، وإن اتفق في اللفظ، وكذلك ما يضاف إلى المخلوق يختص به ويليق به، فإثبات الصفات إثبات وجود لا إثبات تكييف. اهـ

الحكمة من وضع الرب رجله في النار

❁ **السعدي والهراس**: هذه الصفة تجري مجرى بقية الصفات، فتثبت لله على الوجه اللائق بعظمته سبحانه، والحكمة من وضع رجله سبحانه في النار أنه قد وعد أن يملأها، كما في قوله تعالى: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة: ١٣]. ولما كان مقتضى رحمته وعدله ألا يعذب أحدًا بغير ذنب، وكانت النار في غاية العمق والسعة، حقق وعده تعالى، فوضع فيها قدمه، فحينئذ يتلاقى طرفاها، ولا يبقى فيها فضل عن أهلها.

وأما الجنة فإنه يبقى فيها فضل عن أهلها مع كثرة ما أعطاهم وأوسع لهم، فينشئ الله لها خلقا آخرين، كما ثبت بذلك الحديث(١). اهـ

❁ **العثيمين**: القدم ثابتة لله تعالى؛ لقوله ﷺ: «**جهنم يُلقى فيها وهي تقول: هل من مزيد؟ حتى يضع رب العزة فيها رجله -وفي رواية عليها قدمه- فينزوي بعضها إلى بعض، وتقول: قط قط**».

وفسر أهل السنة الرِجْل والقدم بأنها حقيقية على الوجه اللائق بالله.

وفسر أهل التأويل الرجل بالطائفة. أي: الطائفة الذين يضعهم الله في النار، والقدم بالمقدَمين إلى النار.

ورُدَّ عليهم بأن تفسيرهم مخالف لظاهر اللفظ وإجماع السلف، وليس عليه دليل. اهـ.

---

(١) عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: «لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد؟ حتى يضع رب العزة فيها قدمه، فينزوي بعضها إلى بعض وتقول: قط قط، بعزتك وكرمك، ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشئ الله لها خلقًا، فيسكنهم فضل الجنة» أخرجه البخاري (٧٣٨٤)، ومسلم (٢٨٤٨)، وأخرجه البخاري أيضًا (٤٨٥٠)، ومسلم (٢٨٤٦) من حديث أبي هريرة مرفوعًا.

❁ **ابن مبارك**: قال البغوي في «شرح السنَّة»: القَدمُ والرِجْل المذكوران في هذا الحديث من صفات الله المنزَّهة عن التكييف والتشبيه، وكذلك كلُّ ما جاء من هذا القبيل في الكتاب والسنَة، كاليد، والإصبع وغيرها، فالإيمان بها فرضٌ، والامتناع عن الخوض فيها واجب، فالمهتدي يسلك فيها طريق التسليم، والخائض فيها زائغ، والمنكر معطِّل، والمكيِّف مشبِّه، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾. انتهى[1].

مسلك السلف في نصوص الصفات

وقال الوليد بن مسلم: سألت الأوزاعي، ومالك، والثوري، والليث بن سعد، عن الأحاديث التي فيها الصفة فقالوا: أمِرُّوها كما جاءت بلا كيف[2].

وقال إسحاق بن راهويه: إنما يكون التشبيه لو قيل: له يدٌ كيدٍ، وسمعٌ كسمعٍ[3]،

---

(١) انظر «شرح السنة» للبغوي (١/ ١٧٠-١٧١).

(٢) أخرجه اللالكائي وانظر: «سنن الترمذي» (٦٦٢)، و«فتح الباري» (١٣/ ٤٠٧).

(٣) ذكر الترمذي في جامعه في الزكاة في باب ما جاء في فضل الصدقة، عقب حديث أبي هريرة مرفوعًا (٦٦١): «**ما تصدق أحد بصدقة من طيب- ولا يقبل الله إلا الطيب- إلا أخذها الرحمن بيمينه، وإن كانت تمرة تربو في كف الرحمن...**» الحديث. ثم قال: حديث حسن صحيح، وقد قال غير واحد من أهل العلم في هذا الحديث وما يشبهه هذا من الروايات من الصفات، ونزول الرب تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا قالوا: قد ثبتت الروايات في هذا ونؤمن بها ولا نتوهم، ولا يقال: كيف. هكذا روي عن مالك بن أنس، وسفيان بن عيينة، وعبد الله بن المبارك أنهم قالوا: أمروها بلا كيف، وهكذا قول أهل العلم من أهل السنة والجماعة، وأما الجهمية فأنكرت هذه الروايات، وقالوا: هذا تشبيه. اهـ

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «الفتوى الحموية» (ص/ ١٠٩ طبعة أنصار السنة): فقول ربيعة ومالك: الاستواء غير مجهول، موافق لقول الباقين: أمروها كما جاءت بلا كيف، فإنما نفوا علم الكيفية، ولم ينفوا حقيقة الصفة، ولو كان القوم آمنوا باللفظ المجرد من غير فهم لمعناه على ما يليق بالله لما قالوا: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، ولما قالوا: أمروها كما جاءت بلا كيف، فإن الاستواء حينئذٍ لا يكون معلومًا، بل مجهولًا بمنزلة حروف المعجم، فإنه لا يحتاج إلى نفي علم الكيفية إذا لم يفهم عن اللفظ معنى، =

[أو مثل سمع، فإذا قال: سمع كسمع أو مثل سمع، فهذا التشبيه، وأما إذا قال كما قال الله: يدٌ، وسمع، وبصر. ولا يقول: كيف، ولا يقول: مثل سمع، ولا كسمع، فهذا لا يكون تشبيهًا، وهو كما قال الله تبارك وتعالى في كتابه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾][(١)].

وقال ابن عبد البر: «أهل السنة مجمعون على الإقرار بهذه الصفات الواردة في الكتاب والسنة، ولم يكيِّفوا شيئًا منها، وأمَّا الجهمية والمعتزلة والخوارج فقالوا: من أقرَّ بها فهو مشبِّه؛ فسمَّاهم من أقرَّ بها معطِّلة. انتهى[(٢)]، والله ﷻ أعلم». اهـ

قال المصنف رحمه الله[(٣)] -في بيان المزيد المذكور في قوله: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ [ق: ٣٠]-: قد قيل إنها تقول: ﴿هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ أي: ليس في محتمل للزيادة، والصحيح أنها تقول: «هل من مزيد؟» على سبيل الطلب. أي: هل من زيادة تزاد فيَّ. والمزيد ما يزيده الله فيها من الجن والإنس، كما في الصحيحين عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول: هل من مزيد؟ حتى يضع رب

=

وإنما يحتاج إلى نفي علم الكيفية إذا أثبت الصفات. وأيضًا فإن من ينفي الصفات الخبرية أو الصفات مطلقًا لا يحتاج إلى أن يقول بلا كيف، فمن قال: الله ليس على العرش، لا يحتاج أن يقول: بلا كيف، فلو كان مذهب السلف نفي الصفات في نفس الأمر لما قالوا: بلا كيف.

وأيضًا فقولهم: أمروها كما جاءت يقتضي إبقاء دلالتها على ما هي عليه، فإنها جاءت ألفاظًا دالة على معان، فلو كانت دلالتها منتفية لكان الواجب أن يقال: أمرّوا لفظها مع اعتقاد أن المفهوم منها غير مراد، أو أمرّوا لفظها مع اعتقاد أن الله لا يوصف بما دلّت عليه حقيقة، وحينئذ تكون قد أمرت كما جاءت ولا يقال حينئذ: بلا كيف، إذ نفي الكيف عمّا ليس بثبات لغو من القول. اهـ

(١) ما بين المعكوفين سقط من شرح ابن مبارك واستدركته من «جامع الترمذي» لأهميته في توضيح مقصود السلف في الإثبات والإمرار. انظر «جامع الترمذي» كتاب الزكاة، باب ما جاء في فضل الصدقة، عقب حديث (٦٦٢).

(٢) «فتح الباري» (١٣/ ٤٠٧)، و«عون المعبود» (١٣/ ٣١).

(٣) «مجموع الفتاوى» (١٦ / ٤٦).

العزة فيها قَدَمَه -ويروى: عليها قدمه- فينزوي بعضها إلى بعض، وتقول: قط قط»(١)، فإذا قالت حسبي حسبي. كانت قد اكتفت بما ألقي فيها، ولم تقل بعد ذلك: هل من مزيد؟ بل تمتلئ بما فيها؛ لانزواء بعضها إلى بعض؛ فإن الله يضيّقها على من فيها؛ لسعتها، فإنه قد وعدها لَيَمْلَأَنَّها من الجنة والناس أجمعين، وهي واسعة فلا تمتلئ حتى يضيّقها على مَن فيها. قال: **«وأما الجنة فإن الله ينشئ لها خلقا فيدخلهم الجنة»**(٢). فبين أن الجنة لا يضيقها سبحانه، بل ينشئ لها خلقًا فيدخلهم الجنة؛ لأن الله يدخل الجنة من لم يعمل خيرًا؛ لأن ذلك من باب الإحسان، وأما العذاب بالنار فلا يكون إلا لمن عصى فلا يعذب أحدًا بغير ذنب». والله أعلم. اهـ

فائدة: في رد شبهات المعطلة على أدلة إثبات القدم والرجل

قال الإمام عثمان بن سعيد الدارمي في «نقضه على المريسي»(٣): ثم أنشأت أيها المريسي تطعن في حديث الرسول ﷺ بعدما صدقت به، وعرفت أنه قد قاله، ثم فسرته تفسيرًا مخالفًا لتفاسير أهل الصلاة، وهو قوله: **«لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول: هل من مزيد؟ حتى يضع الجبار فيها قدمه فتزوى فتقول: قط قط»** وادّعيت أيها المريسي أن الحديث حقٌّ، ومعناه عندك: أنها لا تمتلئ حتى يضع الجبار قدمه فيها، فقلت: معنى قدمه: أهل الشقوة، الذين سبق لهم في علمه أنهم صائرون إليها، كما قال ابن عباس بباطل زعمك في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمۡ قَدَمَ صِدۡقٍ عِندَ رَبِّهِمۡۗ﴾ [يونس: ٢]، قال: ما قدّموا من أعمالهم، فقد روينا أيها المريسي عن الثقات الأئمة

(١) تقدم تخريجه.
(٢) تقدم تخريجه.
(٣) المسمى: «رد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد» (١/ ٣٩٤-ط: الرشد).

المشهورين، عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير القَدَم خلاف ما ادّعيت من تأويلك هذا، حدثنا عبد الله بن أبي شيبة ويحيى الحماني، عن وكيع، عن سفيان، عن عمار الدهني، عن مسلم البطين، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: الكرسي موضع القدمين والعرش لا يقدره إلا الله عز وجل.

فهذا الذي عرفناه عن ابن عباس صحيحًا مشهورًا[(١)]، فما بالك تحيد عن المشهور المنصوص من قوله، وتتعلق بالمغمور منه، الملتبس الذي يحتمل المعاني؟! وكيف تدعي أنها لا تمتلئ حتى يلقي الله فيها الأشقياء، الذين هم قدم الجبار عندك، فتمتلئ بهم في دعواك؟ وهل استزادت أيها التائه إلا بعد مصير الأشقياء إليها وإلقاء الله إياهم فيها، فاستزادت بعد ذلك؟ أفيلقيهم فيها ثانية وقد ألقاهم فيها قَبلُ فلم تمتلئ؟ كأنه في دعواك حبس عنها الأشقياء، وألقى فيها السعداء، فلما استزادت ألقى فيها الأشقياء بعدُ حتى ملأها، لو ادّعى هذا من لم يسمع حرفًا من القرآن ما زاد. اهـ

---

(١) أخرجه أيضًا عبد الله بن أحمد (٥٧٢ - ط: الحمدان)، وصححه ابن خزيمة في «التوحيد»، وابن منده في «التوحيد» (١٠٠٢)، وفي «الرد على الجهمية» (١٧)، وصححه أيضًا أبو زرعة الرازي كما حكى عن ابن منده في «التوحيد»، والأزهري في «تهذيب اللغة» (١٠/ ٥٤) حيث قال: والصحيح عن ابن عباس في الكرسي ما رواه الثوري وغيره: الكرسي موضع القدمين، وهذه الرواية اتفق أهل العلم على صحتها، والذي روي عن ابن عباس في الكرسي أنه العلم، فليس مما يثبته أهل المعرفة بالأخبار. اهـ
وقال شيخ الإسلام في «بيان تلبيس الجهمية» (٨/ ٣٦٣): وطائفة اشتبه عليها مفسرو الكرسي بالعلم مع أن هذا لا يعرف في اللغة ألبتة، ... وهذا وإن كان من رواية جعفر بن أبي وحشية عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، فالثابت عن ابن عباس من رواية الثوري، عن مسلم البطين، عن سعيد بن جبير خلاف هذا، وقال: الكرسي موضع القدمين. اهـ

إثباتُ صفةِ الكلامِ لله

قال المصنف: (وَقَوْله ﷺ: «يَقُولُ تَعَالَى يَا آدَمُ! فَيَقُولُ لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ فَيُنَادِي بِصَوْتٍ إِنَّ الله يَأْمُرُكَ أَنْ تُخْرِجَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ بَعْثًا إِلَى النَّارِ»، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(١). وَقَوْلُهُ ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ وَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ»(٢)).

الشرح

❁ الهراس: في هذين الحديثين إثبات القول والنداء والتكليم لله ﷻ، وقد سبق أن بينا مذهب أهل السنة والجماعة في ذلك، وأنهم يؤمنون بأن هذه صفات أفعال له سبحانه، تابعة لمشيئته وحكمته، فهو قال، ويقول، ونادى، وينادي، وكلم، ويكلم، وأن قوله ونداءه وتكليمه إنما يكون بحروف وأصوات، يسمعها من يناديه ويكلمه، وفي هذا رد على الأشاعرة في قولهم: إن كلامه قديم، وإنه بلا حرف ولا صوت. اهـ

قَوْله ﷺ: «يَقُولُ تَعَالَى يَا آدَمُ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، فَيُنَادِي بِصَوْتٍ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُخْرِجَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ بَعْثًا إِلَى النَّارِ».

❁ آل الشيخ: فيه إثبات صفة الكلام لله سبحانه حقيقة على ما يليق بجلاله وعظمته، كلام حقيقة مسموع بالآذان، فإن آدم سمعه بأذنيه فيجيب آدم.

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٧٠، ٤٤٦٤، ٦١٦٥، ٧٠٤٥)، ومسلم (٢٢٢) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (١٣٤٧، ١٣٥١، ٣٣٩٩، ٣٤٠٠، ٦١٧٤، ٦١٩٥، ٧٠٠٥، ٧٠٧٤)، ومسلم (١٠١٦) عن عدي بن حاتم رضي الله عنه.

وكما تكلم في الدنيا يتكلم في الآخرة على ما يليق بجلاله وعظمته، وهذا التكليم في الآخرة من غير ترجمان، ولا واسطة، بل كفاحًا، فهو تكلم ويتكلم وسيتكلم، ومذهب أهل السنة أن الله لم يزل متكلمًا إذا شاء، وهذه عبارتهم.

في هذا الحديث: إثبات صفة الكلام؛ لأن النداء نوع منه، وهو الذي سبحانه ينادي.

وفيه أنه بحرف وصوت، وفي رواية: «فيناديه» ففيه إثبات صفة الكلام، ومن أدلة ذلك: **«أما إني لا أقول: (الم) حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف»**(١).

وقد جرت محاورة بين بدعي وسني، فقال البدعي: إذا قال الله لك: ما دليلك على أن الله يتكلم بحرف وصوت؟ فأجاب السنّي بقوله: أقول ها أنا ربي، أسمع كلامك بحرف وصوت. اهـ

* **ابن باز**: قوله ﷺ: **«يقول الله تعالى: يا آدم، فيقول: لبَّيك وسعديك، فينادي بصوت: إنَّ الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثًا إلى النار...»** فهذا الحديث فيه إثبات الصوت لله، وأنه سبحانه له صوت يسمع، تسمعه الملائكة، وسمعه موسى عليه السلام، وسمعه محمد ﷺ ليلة المعراج، وقوله: **«إن الله يأمرك أن تخرج بعث النار»** جاء في الحديث: **«أنهم من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون»** وهذا بعث النار، لا ينجو إلا واحد من الألف، وتسعمائة وتسعة وتسعون بعث النار، هذا يدل على عظم الخطر؛ ولهذا قال جل وعلا: ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣]، وقال

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٩١٠) والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣/ ٣٧١) من حديث عبد الله بن مسعود يقول: قال رسول الله ﷺ: **«من قرأ حرفًا من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول (الم) حرف ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف»**.

قال أبو عيسى الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه. اهـ قال الشيخ الألباني: صحيح. وأخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (٦٠١٧)، والطبراني في«المعجم الكبير» (ج٩/ ص١٣٠/ ح٨٦٤٦)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣/ ٣٧١) موقوفًا على ابن مسعود.

جل وعلا: ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [الأنعام: ١١٦]، وقال سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ ﴾ [سبأ: ٢٠].

ولما سمع الصحابة هذا الأمر -من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون- عظم عليهم الأمر قال عليه الصلاة والسلام في تكملة الحديث: «**لا تخافوا إن التسعمائة والتسعة والتسعين من يأجوج ومأجوج، ومنكم واحد**» من أمة محمد غير يأجوج ومأجوج، فهذا يدل على أن كثرة الداخلين في النار من يأجوج ومأجوج الذين هم من أخبث الناس، ويخرجون في آخر الزمان. اهـ

❁ **السعدي**: في هذا الحديث إثبات القول من الله، والنداء لآدم، وأنه نداء حقيقة بصوت، وهذا من فضل الله لا يشكل على المؤمنين؛ فإن النداء والقول من أنواع كلامه، وكلام الله صفة من صفاته، والصفة تتبع الموصوف.

وفيه أن القول والنداء يكون في يوم القيامة، وهذا من أدلة الأفعال الاختيارية، وكم لهذه المسألة من براهين من الكتاب والسنة. اهـ

وَقَوْلُهُ ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ وَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ».

❁ **ابن باز**: هذا يدل على أن التكليم عام يوم القيامة: «ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه». لكن أهل الشر يكلمهم كلامًا يضرهم، كلام غضب عليهم، وأهل الخير كلامًا يسرهم. اهـ

❁ **السعدي والهراس**: هذا الحديث أيضا: فيه إثبات لتكليمه لجميع العباد بلا واسطة، وتكليمه لعباده نوعان:

١- **نوع بلا واسطة**: كما في هذا الحديث، وتكليمه لأهل الجنة تكليم محبة ورضوان وإحسان، وأما ما في هذا الحديث فإنه تكليم محاسبة يكون مع البر والفاجر.

وأما قوله تعالى: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧٧] فالمنفي كلام خاص، وهو الكلام الذي يسر المتكلم.

٢- ونوع بواسطة: وهو كلامه تعالى لرسله من الملائكة بأمره، ونواهيه، وأخباره لأنبيائه ورسله من البشر. اهـ

مذاهب المعطلة في صفة الكلام الإلهي

* العثيمين: مذهب الجهمية في كلام الله أنه خلق من مخلوقاته لا صفة من صفاته، وإنما أضافه الله إليه إضافة تشريف وتكريم، كما أضاف إليه البيت والناقة في قوله: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ﴾، وقوله: ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ اللَّهِ﴾.

ومذهب الأشعرية أن الكلام صفة من صفاته؛ لكنه هو المعنى القائم بالنفس، وهذه الحروف مخلوقة لتعبر عنه، والكلابية يقولون كقول الأشعرية، إلا أنهم سموا الألفاظ حكاية لا عبارة، وعلى مذهبيهما ليس كلام الله بحرف وصوت وإنما هو المعنى القائم بنفسه. اهـ

مذاهب الناس في صفة الكلام

* قال شيخ الإسلام[١]: مسألة كلام الله تعالى الناس فيها مضطربون، قد بلغوا فيها إلى تسعة أقوال:

أحدها: قول من يقول: إن كلام الله ما يفيض على النفوس من المعاني التي تفيض، إما من العقل الفعّال[٢] عند بعضهم، وإما من غيره، وهذا قول الصائبة والمتفلسفة

(١) «مجموعة الرسائل والمسائل» لابن تيمية (٣/ ١١٣ ط المنار)، و«مجموع الفتاوى» (١٢/ ١٦٣) و«شرح الطحاوية» (١/ ١٧٣).

(٢) يطلق العقل الفعّال عند الباطنية والفلاسفة على جبريل عليه السلام. انظر «الدرر السنية» (١/ ٥٢)، «درء التعارض» (٢/ ٣٠٤)، و«المنتقى من منهاج الاعتزال» (ص/ ١٠٦)، و«جلاء العينين» للشيخ نعمان الألوسي (ص/ ٣٠٢).

الموافقين لهم، كابن سينا وأمثاله، ومن دخل مع هؤلاء من متصوفة الفلاسفة ومتكلميهم، كأصحاب وحدة الوجود[١].

وثانيها: قول الجهمية من المعتزلة وغيرهم، الذين يقولون: كلام الله مخلوق يخلقه في بعض الأجسام، فمن ذلك الجسم ابتدأ لا من الله، ولا يقوم عندهم بالله كلام ولا إرادة.

وثالثها: قول من يقول: بأنه معنى واحد قديم قائم بذات الله، هو الأمر والنهي والخبر والاستخبار، إن عُبِّرَ عنه بالعربية كان قرآنًا، وإن عُبِّرَ عنه بالعبرانية كان توراةً، وإن عُبِّرَ عنه بالسريانية كان إنجيلًا، وأنه معنى واحد في الأزل. وهذا قول ابن كلاب ومن وافقه، كالأشعري، وغيره.

ورابعها: قول من يقول: إنه حروف وأصوات قديمة أزلية مجتمعة في الأزل. وهذا قول طائفة من أهل الكلام وأهل الحديث، ذكره الأشعري في المقالات عن طائفة، وهو الذي يذكر عن السالمية[٢]، ونحوهم، وهؤلاء قال طائفة منهم: إن تلك الأصوات القديمة هي الصوت المسموع من النار، أو هي بعض الصوت المسموع من النار، وأما جمهورهم مع جمهور العقلاء فأنكروا ذلك، وقالوا: هذا مخالفة لضرورة العقل.

وخامسها: قول من يقول: إنه حروف وأصوات، لكن تكلم بعد أن لم يكن متكلمًا، وكلامه حادث في ذاته، كما أن فعله حادث في ذاته، بعد أن لم يكن متكلمًا ولا فاعلًا، وهذا قول الكرامية وغيرهم، وهو قول هشام بن الحكم وأمثاله من الشيعة.

وسادسها: أن كلامه يرجع إلى ما يحدثه من علمه وإرادته القائم بذاته.

---

(١) قال أبو الوليد بن رشد: والذي يقوله القدماء في أمر الوحي والرؤيا إنما هو عن الله تعالى بتوسط موجود روحاني، ليس بجسم وهو واهب العقل الإنساني عندهم الذي يسمونه العقل الفعّال، وفي الشرع يسمى ملكًا. اهـ من «جلاء العينين» للآلوسي (ص/ ١٣٩).

(٢) هم أتباع أبي عبد الله محمد بن أحمد بن سالم، (ت ٢٩٧هـ)، وابنه أبي الحسن أحمد بن محمد بن سالم (ت ٣٥٠هـ) ويجمع السالمية بين كلام أهل السنة وكلام المعتزلة مع التشبيه والتصوف الغالي.

وسابعها: أن كلامه يتضمن معنىً قائمًا بذاته وهو ما خلقه في غيره، وهذا قول أبي منصور الماتريدي.

وثامنها: أنه مشترك بين المعنى القديم القائم بالذات، وبين ما يخلقه في غيره من الأصوات.

وتاسعها: قول من يقول: إنه لم يزل متكلمًا إذا شاء بكلام يقوم به، وهو متكلم بصوت يسمع، وأن نوع الكلام قديم، وإن لم يجعل نفس الصوت المعين قديمًا، وهذا هو المأثور عن أئمة الحديث والسنة.

وبالجملة أهل السنة والجماعة - أهل الحديث، ومن انتسب إلى السنة والجماعة كالكلابية والكرامية والأشعرية والسالمية- يقولون: إن الكلام غير مخلوق. وهذا هو المتواتر عن السلف والأئمة من أهل البيت وغير أهل البيت، ولكن تنازعوا بعد ذلك على الأقوال الخمسة المتأخرة.

أما القولان الأولان قول الفلاسفة الدهرية القائلين بقدم العالم والصابئة المتفلسفة ونحوهم، والثاني قول الجهمية من المعتزلة ومن وافقهم، كالنجارية، والضرارية.

وأما الشيعة فمتنازعون في هذه المسألة، وقدماؤهم كانوا يقولون: القرآن غير مخلوق، كما يقوله أهل السنة والحديث، وهذا هو المعروف عند أهل البيت، كعلي بن أبي طالب، وغيره مثل أبي جعفر الباقر وجعفر الصادق وغيرهم، ولكن الإمامية تخالف أهل البيت في عامة أصولهم. اهـ

إثبات علو الرب وفوقيته

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَقَوْلُهُ فِي رُقْيَةِ المَرِيضِ: «رَبَّنَا اللهُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ، تَقَدَّسَ اسْمُكَ، أَمْرُكَ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، كَمَا رَحْمَتُكَ فِي السَّمَاءِ، اِجْعَل رَحْمَتَكَ فِي الأَرْضِ، اِغْفِرْ لَنَا حُوبَنَا(١) وَخَطَايَانَا، أَنْتَ رَبُّ الطَّيِّبِينَ، أَنْزِلَ رَحْمَةً مِنْ رَحْمَتِكَ، وَشِفَاءً مِنْ شِفَائِكَ عَلَى هَذَا الوَجَعِ؛ فَيَبْرَأَ» حَدِيثٌ حَسَنٌ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ(٢).

وَقَوْلِهِ: «أَلا تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ» حَدِيثٌ صَحِيحٌ (رواه البخاري(٣) وغيره).

وَقَوْلُهُ: «وَالعَرْشُ فَوْقَ ذلك(٤)، وَاللهُ فَوْقَ العَرْشِ، وَهُوَ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ» حَدِيثٌ حَسَنٌ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ(٥).

---

(١) الحوب: بضم الحاء: الذنب الكبير. قال أبو السعادات ابن الأثير: «حوبنا» بضم الحاء: الإثم، وبالفتح مثله، وقيل: إن الضم لغة أهل الحجاز، والفتح لغة تميم. اهـ

(٢) أخرجه أحمد (٢٣٩٥٧)، وأبو داود (٣٨٩٢)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (١٠٣٥)، والحاكم (١٢٧٢).

(٣) أخرجه البخاري (٣٣٤٤، ٤٣٥١، ٧٤٣٢)، ومسلم (١٠٦٤). من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعًا.

(٤) كذا في نسخة بخط المؤلف وفي أكثر النسخ «فوق الماء»، والمثبت هو الموافق للرواية.

(٥) أخرجه أبو داود (٤٧٢٨)، وأبو سعيد عثمان بن سعيد في النقض على المريسي (١/ ٤٦٩): عن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه، عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله فوق عرشه، فوق سمواته، فوق أرضه مثل القبة» وأشار النبي ﷺ مثل القبة: «وإنه ليئط به أطيط الرحل بالراكب».

واللفظ الذي ذكره المصنف صح موقوفًا على ابن مسعود، وله حكم الرفع، قال: «بين سماء الدنيا والتي تليها مسيرة خمسمائة عام، وبين كل سماءين مسيرة خمسمائة عام، وبين السماء السابعة وبين الكرسي مسيرة خمسمائة عام، وبين الكرسي وبين الماء مسيرة خمسمائة عام، والعرش فوق ذلك، والله فوق العرش، وهو يعلم ما أنتم عليه». أخرجه ابن خزيمة في «التوحيد وإثبات صفات الرب» (٥٩٤)، وابن أبي زمنين في «أصول السنة» (٣٩)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٣/ ٣٩٥-٣٩٦، ح٦٥٩)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٧٥١)، والطبراني في «الكبير» (٩/ ٢٢٨)، وأبو الشيخ في =

وَقَوْلُهُ لِلجَارِيَةِ: «أَيْنَ اللهُ؟» قَالَتْ فِي السَّمَاءِ. قَالَ: «مَنْ أَنَا؟» قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ الله. قَالَ: «أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ[(١)].

الشرح

* ابن باز: قوله: في رقية المريض «ربنا الذي في السماء...»، الحديث في سنده ضعف؛ إلا إنه يوجد له طرق أخرى، لا أعلم حالها، لكن لعل أبا داود اطّلع عليها فيكون من باب الحسن لغيره، وإلاّ سنده عند أبي داود ضعيف؛ لكن معناه صحيح حتى لو ما ثبت، فالآيات والأحاديث تكفي[(٢)]. اهـ

* الهراس: الحديث الأول والثاني صريح في علوه تعالى وفوقيته، فهو كقوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك: ١٦]. وقد سبق أن قلنا: إن هذه النصوص ليس المراد منها أن السماء ظرف حاوٍ له سبحانه؛ بل (في) إما أن تكون بمعنى (على) كما قاله كثير من أهل العلم واللغة، و(في) تكون بمعنى (على) في مواضع كثيرة؛ مثل قوله تعالى: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طه: ٧١]، وإما أن يكون المراد من السماء جهة العلو، وعلى الوجهين فهي نص في علوه تعالى على خلقه.

=

«العظمة» (٢/ ٦٨٨-٦٨٩، ح٢٧٩)، وأبو بكر الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (٢٨٣٠)، وابن قدامة في «إثبات صفة العلو» (ص: ١٠٤)، وصححه الذهبي في «كتاب العرش» (١٠٥)، و«كتاب العلو» (٥٤٤)، وعزاه لعبد الله بن الإمام أحمد في «السنة»، وأبي بكر بن المنذر، وأبي أحمد العسال، وأبي القاسم الطبراني، وأبي الشيخ، واللالكائي، وأبي عمر الطلمنكي، وأبي عمر بن عبد البر، وقال: وإسناده صحيح. وصححه الألباني في «مختصر العلو» (٢٩٧).

(١) أخرجه مسلم(٥٣٧).

(٢) وله شواهد في أسانيدها ضعف انظرها في «تخريج مسند الإمام أحمد» (٣٩/ ٣٧٩-٣٨١) للشيخ شعيب الأرنؤوط ومعاونيه.

وفي حديث الرقية المذكور توسل إلى الله ﷻ بالثناء عليه بربوبيته، وإلاهيته، وتقديس اسمه وعلوه على خلقه، وعموم أمره الشرعي وأمره القدري، ثم توسل إليه برحمته التي شملت أهل سمواته جميعًا أن يجعل لأهل الأرض نصيبًا منها، ثم توسل إليه بسؤال مغفرة الحوب -وهو الذنب العظيم- ثم الخطايا التي هي دونه، ثم توسل إليه بربوبيته الخاصة للطيبين من عباده- وهم الأنبياء وأتباعهم- التي كان من آثارها أن غمرهم بنعم الدين والدنيا الظاهرة والباطنة.

فهذه الوسائل المتنوعة إلى الله لا يكاد يرد دعاء من توسل بها؛ ولهذا دعا الله بعدها بالشفاء الذي هو شفاء الله الذي لا يدع مرضًا إلا أزاله، ولا تعلق فيه لغير الله، فهل يفقه هذا عباد القبور، من المتوسلين بالذوات والأشخاص والحق والجاه والحرمة ونحو ذلك؟. اهـ

قوله: «رَبَّنَا اللهُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ».

❁ **العثيمين**: في حديث رقية المريض من صفات الله إثبات ربوبية الله، وإثبات علوه في السماء، وتقدس أسمائه عن كل نقص، وأن له الأمر في السماء والأرض، فحكمه فيهما نافذ، وإثبات الرحمة، وإثبات الشفاء لله وهو رفع المرض. اهـ

❁ **آل الشيخ**: فيه إثبات علو الربّ وفوقيته، وجاء في علوه وفوقيته أكثر من ألف دليل(١).

قوله: «في السماء» إما أن يراد به مطلق العلو وتكون على بابها، وإما أن تكون بمعنى (على). أي: عليها وفوقها.

(١) ذكرها ابن القيم في «اجتماع الجيوش الإسلامية» و«الصواعق المرسلة».

قوله: «**تقدس اسمك**» هذا فيه إثبات أن الله تسمى بها كما قال تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ١]، وقال ﷺ: «**إن لله تسعة وتسعين اسمًا**» فدل على أن لله أسماء، وأنها دلت على الكمال إلى الغاية، ولا يجوز أن يتسمى بها أحد.

ومذهب أهل السنَّة: إثبات الأسماء الواردة في الكتاب والسنة، وتقدم لكم وجوب الإيمان بها لفظها ومعناها، ويُقَرُّ ويعتقد معناها ولفظها.

معنى التقديس: التطهير، و«اسمك» مفرد مضاف، يشمل جميع الأسماء المثبتة في النصوص، وأنها كلها مقدسة، ليس المراد تقدس واحد من أسمائك فقط والآخر لا، بل جميع الأسماء كلها، ففيه إثبات الصفات، وأنها مقدسة، المعنى تقدست أسماؤك عن نقص وعيب.

وفيه إثبات كمال أسماء الله تعالى، فإن المراد جنس الأسماء؛ ولهذا في الآيات: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

قوله: «**أمرك في السماء والأرض**» فيه إثبات صفة الكلام؛ لأن أمره بكلامه كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢].

قوله: «**كما رحمتك في السماء**»: فيه إثبات صفة الرحمة.

قوله: «**اجعل رحمتك في الأرض**» فيه إثبات صفة الرحمة.

قوله: «**اغفر لنا حُوبنا وخطايانا**» الحوب: هي الذنوب والخطايا، وعطف الخطايا على الحوب، إما أنه نوعان، نوع ونوع إلخ، والله أعلم.

وفيه إثبات صفة السمع.

قوله: «**أنت رب الطيبين**» فيه إثبات صفة الطيب، فهو الذي خلق الطيبين والطيب، فهو أولى بالطيب على وجه الكمال، وعدم مماثلته للخلق بوجه.

قوله: «**أنزل رحمة من رحمتك**» فيه إثبات صفة الرحمة.

قوله: «**وشفاء من شفائك على هذا الوجع فيبرأ**» الشفاء: هو البرء. اهـ

قوله: «أَلا تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ؟!».

❁ **آل الشيخ**: في هذا إثبات علو الربّ وفوقيته.

(في) هنا بمعنى (على) وهي تجيء في العربية بمعنى الاستعلاء، كما في قوله: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طه: ٧١].

و«السماء» المراد بها السموات. يعني: فوق السموات.

«من في السماء» يعني: من على السماء، وقد تكون على بابها، وهو الظرفية. يعني في العلو. اهـ

❁ **ابن باز**: قوله عليه الصلاة والسلام: «**ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء؟!**» يعني: في العلو، وهكذا قوله ﷺ: «**ربنا الله الذي في السماء تقدّس اسمك**». يعني: في العلو، «**أنزل رحمتك**» هذا يدل على العلو، هكذا قوله عليه الصلاة والسلام في حديث الأوعال: «**والعرش فوق الماء، والله فوق العرش، وهو يعلم ما أنتم عليه**» مثل ما تقدم في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾. اهـ

قوله: «**وَالعَرْشُ فَوْقَ ذلك، وَاللهُ فَوْقَ العَرْشِ، وَهُوَ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ**»

❁ **الهراس**: فيه الجمع بين الإيمان بعلوه تعالى على عرشه، وبإحاطة علمه بالموجودات كلها. فسبحان من هو علي في دنوه، قريب في علوه. اهـ

❁ **آل الشيخ**: وهذا أيضًا فيه إثبات علو الربّ وفوقيته من غير تمثيل. اهـ

❁ **السعدي**: فيه الجمع بين الإيمان بعلوه على عرشه، وفوق مخلوقاته، وبإحاطة علمه بالموجودات كلها، وقد جمع الله بين الأمرين في عدة مواضع من كتابه. ا.هـ

❁ **ابن مبارك**: قال البخاري: باب ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾، ﴿وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾، قال أبو العالية: ﴿ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾: ارتفع ﴿فَسَوَّىٰهُنَّ﴾: خلقهنَّ. وقال مجاهد: ﴿ٱسْتَوَىٰ﴾: علا على العرش.

قال الحافظ: وقد نقل أبو إسماعيل الهروي في كتاب «الفاروق» بسنده إلى داود بن علي بن خلف[١] قال: كنا عند أبي عبدالله ابن الأعرابي -يعني: محمد بن زياد اللغوي- فقال له رجل: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ فقال: هو على العرش كما أخبر. فقال: يا أبا عبد الله، إنما معناه: استولى. فقال: اسكت، لا يقال: استولى على الشيء إلا أن يكون له مضادٌّ.

وقال غيره: لو كان بمعنى استولى لم يختص بالعرش؛ لأنه غالبٌ على جميع المخلوقات.

ونقل محيي السنة البغوي في «تفسيره» عن ابن عباس وأكثر المفسرين أن معناه: ارتفع. وقال أبو عبيد والفرَّاء وغيرهما بنحوه.

وأخرج أبو القاسم اللالكائي في كتاب «السنة» من طريق الحسن البصري عن أمِّه عن أمِّ سلمة أنها قالت: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإقرار به إيمان، والجحود به كفر.

وأخرج البيهقي بسندٍ جيد عن الأوزاعي قال: كنا والتابعون متوافرون نقول: إن الله على عرشه، ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته. انتهى[٢].

وقال في «شرح الطحاوية»: روى شيخ الإسلام أبو إسماعيل الأنصاري في كتابه «الفاروق» بسنده إلى مطيع البلخي: أنه سأل أبا حنيفة عمَّن قال: لا أعرف ربي في

---

(١) إمام الظاهرية.

(٢) «فتح الباري» لابن حجر (١٣/ ٤٠٦).

السماء أم في الأرض. فقال: قد كفر؛ لأن الله يقول: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ وعرشه فوق سبع سمواته. قلت: فإن قال: إنه على العرش، ولكن يقول: لا أدري العرش في السماء أم في الأرض. قال: هو كافر؛ لأنه أنكر أنه في السماء، فمن أنكر أنه في السماء فقد كفر. اهـ

قوله: (وَقَوْلُهُ لِلجَارِيَةِ: «أَيْنَ اللهُ؟» قَالَتْ فِي السَّمَاءِ. قَالَ: «مَنْ أَنَا؟» قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللهِ. قَالَ: «أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ»)

❁ **الهراس**: تضمن هذا شهادة الرسول ﷺ بالإيمان للجارية التي اعترفت بعلوه تعالى على خلقه، فدل ذلك على أن وصف العلو من أعظم أوصاف الباري جل شأنه، حيث خصه بالسؤال عنه دون بقية الأوصاف، ودل أيضًا على أن الإيمان بعلوه المطلق من كل وجه هو من أعظم أصول الإيمان، فمن أنكره؛ فقد حرم الإيمان الصحيح، والعجب من هؤلاء الحمقى من المعطلة النفاة زعمهم أنهم أعلم بالله من رسوله، فينفون عنه الأين بعدما وقع هذا اللفظ بعينه من الرسول مرة سائلًا غيره، كما في هذا الحديث، ومرة مجيبًا لمن سأله بقوله: أين كان ربنا؟[1]. اهـ

❁ **آل الشيخ**: هذا فيه جواز السؤال عن الله بلفظ «أين؟»، وأهل التجهم والاعتزال يشهدون لمن يقول: أين الله بالكفران، والنبي ﷺ أقرها على ذلك وشهد لها

(١) تقدم تخريجه من حديث أبي رزين العقيلي ﷺ، قال: قلت يا رسول الله، أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه؟ قال: «كان في عماء، ما تحته هواء، وما فوقه هواء، وخلق عرشه على الماء». أخرجه أحمد (١٦١٨٨)، والترمذي (٣٣٦٨)، وابن ماجه (١٨٣)، وصححه ابن حبان (٦١٤١)، وقال الترمذي: حديث حسن. اهـ

والعماء: السحاب الرقيق. والمراد بالخلق المسؤول عنه هو هذا المخلق الموجود الآن من هذا الكون، بدليل ذكر العماء، وهو السحاب، وهو خلق من خلق الله، وفي هذا الحديث دليل على جواز السؤال عن الله تعالى بالأين.

بالإيمان، فدلك على أن مثبتي الصفات أتباع سيد ولد عدنان، ومنكريها أتباع جهم بن صفوان.

وفي هذا النص إثبات لعلو الرب وفوقيته. اهـ

❁ **ابن مانع**: قوله: «أين الله؟» فيه رد على أهل البدع المنكرين لعلو الله على خلقه، فنزهوه بجهلهم عما رضي به رسوله ﷺ، فقالوا: منزه عن الأين. وذلك جهل وضلال والحق ما جاءت به السنة. قال ابن عدوان:

وقد جاء لفظ الأين من قول صادق ❁ رسول إله العالمين محمدِ

كما قد رواه مسلم في صحيحه ❁ كذاك أبو داود والنَّسَئِي قدِ. اهـ

❁ **السعدي**: هذه النصوص وغيرها المصرحة بأنه تعالى في السماء إما أن (في) بمعنى (على) كما قاله كثير من أهل العلم واللغة. و(في) تكون بمعنى (على) في مواضع كثيرة مثل قوله: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طه: ٧١] أي: عليها. وقال طائفة من أهل العلم: إن معنى ﴿فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: في جهة العلو. وعلى الوجهين: فهي نص في علو الله على خلقه.

وفي حديث الرقية المذكور توسل إلى الله بالثناء عليه بربوبيته، وألوهيته، وقدسيته، وعلوه، وعموم أمره الشرعي، وأمره القدري، فإن الله له الأمر القدري الذي ينشأ عنه جميع الموجودات والحوادث والتدابير القدرية، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ﴾ [القمر: ٥٠] وله الأمر الشرعي المتضمن للشرائع التي شرعها لعباده على ألسنة رسله، فتوسل إلى الله بذلك، ثم توسل إليه برحمته التي شملت أهل السموات كلهم، أن يجعل لأهل الأرض نصيبًا وافرًا منها، ثم توسل إليه بسؤال مغفرة الحوب- وهو الذنب العظيم والخطايا وما دونها- ثم بربوبيته الخاصة للطيبين، وهم الأنبياء وأتباعهم، التي من آثار ربوبيته إياهم أن غمرهم بنعم الدين والدنيا الظاهرة والباطنة.

فهذه الوسائل المتنوعة لا يكاد يرد دعاء من توسل بها؛ فلهذا دعا الله بعدها بالشفاء، الذي هو شفاء الله الذي لا يدع مرضًا إلا أزاله، ولا فيه تعلق بغير الله، فأفضل المنن منن المولى التي لا سعي لمخلوق فيها.

وفي شهادة الرسول بالإيمان للجارية التي اعترفت بعلو الله ورسالة رسوله أن من أعظم أوصاف الباري الاعتراف بعلوه على خلقه ومباينته لهم، وأنه على العرش استوى وأن هذا أصل الإيمان، وأن من أنكر علو الله المطلق من كل وجه فقد حرم هذا الإيمان. اهـ

جملة من الأدلة على إثبات صفة العلو

* قال شيخ الإسلام(١): أما علو الله تعالى على سائر مخلوقاته، وأنه كامل الأسماء الحسنى والصفات العلى: فالذي يدل عليه منها الكتاب قوله تعالى ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠] وقوله: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥] وقوله: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ [الملك: ١٦-١٧]؟ وقوله: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨] وقوله: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤] وقوله: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ [السجدة: ٥] وقوله: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠]. وقوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الفرقان: ٥٩] في ستة مواضع؛ وقوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ وقوله إخبارًا عن فرعون: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾ [غافر: ٣٦-٣٧] وقوله: ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢] وقوله: ﴿مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام: ١١٤] وأمثال ذلك.

والذي يدل عليه من «السنة» قصة معراج الرسول إلى ربه(٢)، ونزول الملائكة من

(١) «مجموع الفتاوى» (٥/ ١٣٦).

(٢) بلغت مروياتها حدَّ التواتر القطعي، انظرها في «تفسير سورة الإسراء» في «الدر المنثور» للسيوطي، و«تفسير ابن جرير»، و«ابن كثير» وغير ذلك. وفي «زاد المعاد» لابن القيم، و«شرح الطحاوية».

عند الله، وصعودها إليه، وقوله: في الملائكة الذين يتعاقبون في الليل والنهار: «**فيعرج الذين باتوا فيكم إلى ربهم فيسألهم، وهو أعلم بهم**»[(١)]. وفي حديث الخوارج: «**ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء؟!**»[(٢)] وفي حديث الرقية: «**ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك**»[(٣)] وفي حديث الأوعال: «**والعرش فوق ذلك والله فوق عرشه، وهو يعلم ما أنتم عليه**»[(٤)] وفي حديث قبض الروح: «**حتى يعرج بها إلى السماء التي فيها الله**»[(٥)]. وفي «سنن أبي داود» عن جبير بن مطعم قال: أتى رسول الله ﷺ أعرابي فقال: يا رسول الله جهدت الأنفس، وجاع العيال، وهلك المال، فادع الله لنا فإنا نستشفع بك على الله، ونستشفع بالله عليك. فسبح رسول الله ﷺ حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه وقال: «**ويحك أتدري ما الله؟ إن الله لا يستشفع به على أحد من خلقه، شأن الله أعظم من ذلك، إن الله على عرشه، وإن عرشه على سمواته وأرضه هكذا وقال بأصابعه مثل القبة**»[(٦)]. وفي الصحيح عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ لما خطب خطبة عظيمة يوم عرفات في أعظم جمع حضره رسول الله ﷺ جعل يقول: «**ألا هل بلغت؟**» فيقولون: نعم، فيرفع إصبعه إلى السماء وينكبها إليهم ويقول: «**اللهم اشهد غير**

---

(١) أخرجه البخاري (٥٥٥، ٣٢٢٣، ٤٧٢٩، ٤٧٨٦)، ومسلم (٦٣٢) من حديث أبي هريرة مرفوعًا.

(٢) تقدم قريبًا.

(٣) تقدم قريبًا.

(٤) تقدم قريبًا.

(٥) أخرجه الإمام أحمد (٨٧٦٩، ٢٥٠٩٠)، وابن ماجه (٤٢٦٢)، والنسائي في «الكبرى» (١١٣٧٨، ١١٩٢٥)، والطبري في «تهذيب الآثار - مسند عمر» (٧٢٥) من حديث أبي هريرة مرفوعًا بسند صحيح.

(٦) أخرجه أبو داود (٤٧٢٦)، والدارمي في «الرد على الجهمية» (٧١)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٥٧٦)، والبغوي في «شرح السنة» (٩٢)، والبزار في «المسند» (٣٤٣٢)، والطبراني في «الكبير» (ج٢/ ص١٢٨/ ح١٥٤٧)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٨٨٣)، وصححه ابن خزيمة في «التوحيد» (١٤٧)، واللالكائي في «أصول السنة» (٦٥٦)، والدارقطني في «الصفات» (٣٩)، ومحمد بن أبي شيبة في «العرش» (١١)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٩).

مرة»[١]. وحديث الجارية لما سألها: «أين الله؟» قالت: في السماء. فأمر بعتقها، وعلل ذلك بإيمانها[٢]. وأمثاله كثيرة.

وأما الذي يدل عليه من الإجماع، ففي الصحيح[٣] عن أنس بن مالك ﷺ قال: كانت زينب تفتخر على أزواج النبي ﷺ تقول زوجكن أهاليكن وزوجني الله من فوق سبع سمواته[٤].

وروى عبد الله بن أحمد[٥] وغيره بأسانيد صحاح عن ابن المبارك أنه قيل له: بم نعرف ربنا؟ قال: بأنه فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه، ولا نقول كما قالت الجهمية: إنه هاهنا في الأرض.

وبإسناد صحيح عن سليمان بن حرب -الإمام- سمعت حماد بن زيد -وذكر الجهمية- فقال: إنما يحاولون أن يقولوا: ليس في السماء شيء[٦].

وروى ابن أبي حاتم عن سعيد بن عامر الضبعي -إمام أهل البصرة علمًا ودينًا- أنه ذكر عنده الجهمية فقال: هم شر قولًا من اليهود والنصارى وقد اجتمع أهل الأديان مع المسلمين، على أن الله تعالى على العرش، وقالوا هم: ليس على العرش شيء[٧].

---

(١) أخرجه مسلم (١٢١٨).

(٢) تقدم تخريجه قريبًا.

(٣) أخرجه البخاري (٧٤٨).

(٤) وهذا يدل على اتفاق الصحابة من نساء النبي عليه السلام وغيرهن على إقرارها على قولها: «من فوق سبع سمواته» فهو من الخبر المشهور في فضائل زينب وافتخارها به ولم يرد عليها أحد ذلك.

(٥) في: كتاب «السنة» (٢١٦) ط القحطاني.

(٦) «السنة» لعبد الله (٤١).

(٧) أخرجه البخاري في «خلق أفعال العباد» (١٣)، وقال الذهبي في «العرش» (ص/ ٢٦٤) و«العلو» (ص١١٧): رواه ابن أبي حاتم في كتابه، يعني «الرد على الجهمية».

وقال محمد بن إسحاق بن خزيمة - إمام الأئمة -: من لم يقل: إن الله فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه، وجب أن يستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه، ثم ألقي على مزبلة؛ لئلا يتأذى به أهل القبلة، ولا أهل الذمة[١].

وروى الإمام أحمد قال: أنا سريح بن النعمان قال: سمعت عبد الله بن نافع الصائغ قال: سمعت مالك بن أنس يقول: الله في السماء، وعلمه في كل مكان، لا يخلو من علمه مكان[٢].

وحكى الأوزاعي، أحد الأئمة الأربعة في عصر تابعي التابعين، الذين هم مالك إمام أهل الحجاز، والأوزاعي إمام أهل الشام، والليث إمام أهل مصر، والثوري إمام أهل العراق، حكى شهرة القول في زمن التابعين بالإيمان بأن الله تعالى فوق العرش[٣]، وبصفاته السمعية، وإنما قاله بعد ظهور جهم المنكِر لكون الله فوق عرشه، النافي لصفاته؛ ليعرف الناس أن مذهب السلف خلافه.

وروى الخلال بأسانيد -كلهم أئمة- عن سفيان بن عيينة قال: سئل ربيعة بن أبي عبد الرحمن عن قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ كيف استوى؟ قال الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول ومن الله الرسالة ومن الرسول البلاغ وعلينا التصديق[٤].

---

(١) أخرجه عنه الحاكم في «علوم الحديث» (ص٨٤)، وعنه أبو عثمان الصابوني في «اعتقاد السلف» (ص٢٩)، وابن قدامة في «العلو» (١١٢)، وعلقه من طريق الحاكم الذهبي في «العرش» (٢٤١)، وقال شيخ الإسلام في «درء تعارض العقل والنقل» (٦/ ٢٦٤): وهذا معروف عنه رواه الحاكم في «تاريخ نيسابور»، وأبو عثمان النيسابوري في رسالته المشهورة. اهـ، وصححه في «الفتوى الحموية» (ص/ ٣٥).

(٢) أخرجه عبد الله بن أحمد في «السنة» (٢١٣)، ط القحطاني، والآجري في «الشريعة» (٦٥٢).

(٣) أخرجه ابن بطة في «الإبانة الصغرى» (ص/ ٢٢٩)، والبيهقي في «الأسماء» (٨٦٥)، والذهبي في «العرش» (١٥)، و«العلو» (ص/ ١٠٢)، و«الأربعين» (ص١٣)، وصححه ابن القيم في «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص/ ١٣١، ١٣٥).

(٤) تقدم مرارًا.

وهذا مروي عن مالك بن أنس تلميذ ربيعة بن أبي عبد الرحمن أو نحوه(١).

وقال الشافعي: خلافة أبي بكر حق قضاه الله تعالى في سمائه، وجمع عليه قلوب عباده(٢).

ولو يجمع ما قاله الشافعي في هذا الباب لكان فيه كفاية، ومن أصحاب الشافعي عبد العزيز بن يحيى الكناني المكي له كتاب «الرد على الجهمية» وقرر فيه مسألة العلو، وأن الله تعالى فوق عرشه.

والأئمة في الحديث والفقه والسنة والتصوف المائلون إلى الشافعي ما من أحد منهم إلا له كلام فيما يتعلق بهذا الباب ما هو معروف يطول ذكره(٣).

وفي كتاب «الفقه الأكبر» المشهور عن أبي حنيفة يروونه بأسانيد عن أبي مطيع الحكم بن عبد الله، قال: سألت أبا حنيفة عن الفقه الأكبر؟ فقال: لا تكفِرَنَّ أحدًا بذنب. إلى أن قال: من قال: لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض فقد كفر؛ لأن الله يقول: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ وعرشه فوق سبع سموات. قلت: فإن قال: إنه على العرش ولكن لا أدري العرش في السماء أم في الأرض. قال: هو كافر وإنه يدعى من أعلى لا من أسفل(٤).

وسئل علي بن المديني عن قوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ﴾ [المجادلة: ٧] الآية؟ قال: اقرأ ما قبله ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ﴾ الآية(٥).

---

(١) تقدم مرارًا.

(٢) ذكره ابن القيم في «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص/ ١٥٤).

(٣) كاللالكائي الطبري، وابن خزيمة، والبغوي وأبي عثمان الصابوني، وأبي الفتح بن نصر المقدسي في «الحجة»، وأبي القاسم التميمي الأصبهاني في «الحجة»، وأبي محمد الجويني، وغيرهم من فقهاء الشافعية ومنهم الذهبي، والمزي، وابن كثير، وأمم غيرهم.

(٤) انظر «شرح الفقه الأكبر» للسمرقندي (ص/ ٢٥).

(٥) ذكره الذهبي في «العلو» معلقًا من رواية لشيخ الإسلام أبي إسماعيل الهروي (٤٧٣ - ط: أشرف)، وفي «مختصره» للألباني (٢٢٥)، وذكره ابن القيم في «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص/ ٢٣٤).

وروي عن أبي عيسى الترمذي قال: هو على العرش كما وصف في كتابه وعلمه وقدرته وسلطانه في كل مكان(١).

وأبو يوسف(٢) لما بلغه عن المرّيسي أنه ينكر الصفات الخبرية، وأن الله فوق عرشه، أراد ضربه فهرب، فضرب رفيقه ضربًا بشعًا. وعن أصحاب أبي حنيفة في هذا الباب ما لا يحصى.

ونقل أيضًا عن مالك: أنه نص على استتابة الدعاة إلى مذهب جهم، ونهى عن الصلاة خلفهم.

ومن أصحابه محمد بن عبد الله بن أبي زمنين الإمام المشهور قال: في الكتاب الذي صنفه في «أصول السنة» باب الإيمان بالعرش قال: ومن قول أهل السنة إن الله خلق العرش وخصه بالعلو والارتفاع فوق جميع ما خلق، ثم استوى عليه كيف شاء، كما أخبر عن نفسه في قوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ إلى أن قال: فسبحان من بعد فلا يرى، وقرب بعلمه وقدرته(٣).

وأما أحمد بن حنبل وأصحابه فهم أشهر في هذا الباب.

وبه ائتم أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري المتكلم -صاحب الطريقة المنسوبة إليه- قال(٤):

---

(١) قاله في تفسير سورة الحديد من «جامعه» (٥/ ٤٩٢-ط: الرسالة) بعد حديث (٣٥٨٣).

(٢) الإمام صاحب أبي حنيفة، يقعوب الأنصاري رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٣) انظر: «أصول السنة» مع تخريجه «رياض الجنة» لعبد الله البخاري (ص/ ٨٨).

(٤) في «الإبانة عن أصول الديانة» (ص/ ٢٠ - ط: فوقية حسين)، (ص/ ٣٤ - ط: دار ابن زيدون).

فصل في إبانة قول أهل الحق والسنة:

فإن قال قائل: قد أنكرتم قول المعتزلة، والقدرية، والجهمية، والحرورية والرافضة، والمرجئة، فعرِّفونا قولكم الذي تقولون، وديانتكم التي بها تدينون؟

قيل له: قولنا الذي نقول به وديانتنا التي بها ندين الله: التمسك بكتاب ربنا، وسنة نبينا محمد، وما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون.

وبما كان يقول أبو عبد الله أحمد بن حنبل -نضَّر الله وجهه، ورفع درجته، وأجزل مثوبته- قائلون ولما خالف قوله مخالفون؛ لأنه الإمام الفاضل والرئيس الكامل، الذي أبان الله به الحق عند ظهور الضلال وأوضح به المنهاج وقمع به بدع المبتدعين، وزيغ الزائغين وشك الشاكين، فرحمة الله عليه من إمام مقدَّم، وجليل معظم، وكبير مفهَّم.

وجملة قولنا: بأنا نقر بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، وبما جاؤوا به من عند الله، وبما رواه الثقات عن رسول الله ﷺ، لا نرد من ذلك شيئًا، وأن الله واحد لا إله إلا هو، فرد صمد لم يتخذ صاحبة ولا ولدًا، وأن محمدًا عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق، وأن الجنة حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، وأن الله مستوٍ على عرشه، كما قال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾.

ونعود فيما اختلفنا فيه إلى كتاب ربنا وسنة نبينا وإجماع المسلمين.

إلى أن قال: باب ذكر الاستواء على العرش.

إلى أن قال: فإن قال قائل: فما تقولون في الاستواء؟ قيل له: إن الله مستوٍ على عرشه، كما قال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾. وقد قال قائلون من المعتزلة، والجهمية، والحرورية: إن معنى قوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ أنه استولى ومَلَكَ وقَهَرَ، وأنه في كل مكان، وجحدوا أن يكون الله على عرشه، كما قال أهل الحق، وذهبوا بالاستواء إلى القدرة، فلو كان كما ذكروا، كان لا فرق بين العرش والأرض؛ لأن الله قادر على كل شيء... إلخ[1]. اهـ

---

(١) انظر: «الإبانة» للأهمية (ص/ ٣٣-٣٦) ط دار ابن زيدون، ففيه كلام واستدلال مبسوط للأشعري رحمه الله في تثبيت مذهب السلف، ورد تأويل المعتزلة والجهمية.

* وقال شيخ الإسلام في «الفتوى الحموية»(١): فهذا كتاب الله من أوله إلى آخره، وسنة رسوله ﷺ من أولها إلى آخرها، ثم عامة كلام الصحابة والتابعين، ثم كلام سائر الأئمة- مملوء بما هو إما نص، وإما ظاهر(٢) في أن الله ﷻ هو العلي الأعلى، وهو فوق كل شيء، وهو على كل شيء، وأنه فوق العرش، وأنه فوق السماء.. مما لا يكاد يحصى إلا بكلفة، وفي الأحاديث الصحاح والحسان ما لا يحصى إلا بالكلفة مما هو من أبلغ المتواترات اللفظية والمعنوية التي تورث علمًا يقينيًّا من أبلغ العلوم الضرورية أن الرسول ﷺ المبلغ عن الله ألقى إلى أمته المدعوين أن الله سبحانه على العرش، وأنه فوق السماء، كما فطر الله على ذلك جميع الأمم، عربهم وعجمهم، في الجاهلية والإسلام، إلا من اجتالته الشياطين عن فطرته، ثم عن السلف في ذلك من الأقوال ما لو جمع لبلغ مِئِينَ، أو ألوفًا(٣).

ثم ليس في كتاب الله، ولا في سنة رسوله ﷺ، ولا عن أحد من سلف الأمة، لا من الصحابة، ولا من التابعين لهم بإحسان، ولا عن الأئمة الذين أدركوا زمن الأهواء والاختلاف- حرفٌ واحدٌ يخالف ذلك، لا نصًّا ولا ظاهرًا، ولم يقل أحد منهم قط: إن الله ليس في السماء. ولا إنه ليس على العرش، ولا إنه بذاته في كل مكان، ولا إن جميع الأمكنة بالنسبة إليه سواء، ولا إنه لا داخل العالم، ولا خارجه، ولا إنه لا متصل ولا منفصل، ولا إنه لا تجوز الإشارة الحسية إليه بالأصابع ونحوها، بل قد ثبت في الصحيح عن جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ لما خطب خطبته العظيمة يوم عرفات في أعظم مجمع حضره الرسول ﷺ جعل يقول: «**ألا هل بلغت؟** فيقولون: نعم، فيرفع إصبعه إلى السماء ثم ينكبها إليهم ويقول: **اللهم اشهد**»(٤) غير مرة وأمثال ذلك كثيرة...إلخ وهو فصل مهم وطويل يحسن الرجوع إليه.

---

(١) كما في «مجموع الفتاوى» (٥/ ١٢).

(٢) النص في الكلام ما بان المراد منه على وجه واحد لا يحتمل غيره، والظاهر ما كان أظهر في أحد وجهين، أو أكثر كلها محتملة.

(٣) جمع في ذلك الذهبي كتابين هما «العلو للعلي الغفار»، و«العرش».

(٤) أخرجه مسلم (١٢١٨).

إثبات معية الله لخلقه وأن قربه لا ينافي علوه وفوقيته

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَقَوْلُهُ: «أَفْضَلُ الإِيمَانِ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ اللهَ مَعَكَ حَيْثُمَا كُنْتَ» حَدِيثٌ حَسَنٌ[1]. وَقَوْلُهُ: «إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ إِلَى الصَّلاةِ؛ فَلا يَبْصُقَنَّ قِبَلَ وَجْهِهِ، وَلا عَنْ يَمِينِهِ؛ فَإِنَّ اللهَ قِبَلَ وَجْهِهِ، وَلَكِنْ عَنْ يَسَارِهِ، أَوْ تَحْتَ قَدَمِهِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ[2]

وَقَوْلُهُ ﷺ: «اللهُمَّ رَبَّ السموات السَّبْعِ [وَربَّ الأَرْضِ][3] وَرَبَّ العَرْشِ العَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الحَبِّ وَالنَّوَى، مُنْزِلَ[4] التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ والفُرْقَانِ[5]، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ دَابَّةٍ[6] أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا، أَنْتَ الأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ البَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ، اقْضِ عَنِّي الدَّيْنَ وَأَغْنِنِي مِنَ الفَقْرِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ[7].

---

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٨٧٩٦)، وفي «مسند الشاميين» (١٤١٦)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص/ ٥٤١)، و«الشعب» (٧٤١)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ١٢٤) من حديث عبادة بن الصامت مرفوعًا. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٦٠): رواه الطبراني في «الأوسط» و«الكبير»، وقال: تفرد به عثمان بن كثير. قلت: ولم أر من ذكره بثقة ولا جرح. اهـ وقال المصنف: حديث حسن. وسكت عنه ابن رجب في «شرح الأربعين»، وسكت عنه البيهقي في موضعين من كتبه، فدل على صحته عنده، حيث قال في مقدمة «دلائل النبوة»، (١ /٤٧-ط: قلعجي): وعادتي في كتبي المصنفة في الأصول والفروع الاقتصار من الأخبار على ما يصح منها دون ما لا يصح، أو التمييز بين ما يصح منها وما لا يصح؛ ليكون الناظر فيها من أهل السنة على بصيرة مما يقع الاعتماد عليه لا يجد من زاغ قلبه من أهل البدع عن قبول الأخبار مغمزًا فيما اعتمد عليه أهل السنة من الآثار. اهـ وضعف الألباني في «ضعيف الجامع» (١٠٠٢)، وهذا الحديث سقط من النسخة التي بخط المصنف، فلعله أسقطه عمدًا.

(٢) أخرجه البخاري (٤٠٦، ٧٥٣، ١٢١٣، ٦١١١)، ومسلم (٥٤٧) من حديث ابن عمر.

(٣) ليست في بعض النسخ، وهي ثابتة في صحيح مسلم كما سيأتي.

(٤) بسكون النون وكسر الزاي من الإنزال، وقيل: بفتح النون وتشديد الزاي مفتوحة من التنزيل.

(٥) في بعض النسخة المطبوعة: «والقرآن».

(٦) في بعض النسخ المطبوعة: «أعوذ بك من شر نفسي، ومن شر كل دابة...» إلخ.

(٧) أخرجه مسلم (٢٧١٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

وَقَوْلِهِ ﷺ لَـمَّا رَفَعَ أصحابه(١) أَصْوَاتَهُمْ بِالذِّكْرِ: «أَيُّهَا النَّاسُ، ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، فَإِنَّكُمْ لا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلا غَائِبًا، إِنَّمَا تَدْعُونَ سَمِيعًا [بَصِيرًا](٢) قَرِيبًا، إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(٣)).

الشرح

قوله: «أَفْضَلُ الإِيمَانِ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ اللهَ مَعَكَ حَيْثُمَا كُنْتَ».

❁ **ابن باز**: فهو معه بعلمه، وهو فوق السموات بذاته جل وعلا- أي: في العلو- ومعناه: معنا بعلمه وإحاطته جلَّ وعلا، فهو سبحانه فوق العرش وجميع الخلق، وعلمه في كل مكان، لا يخفى عليه خافية، هو مع أهل البحار، ومع أهل الأرض، ومع جميع الناس، لا يخفى عليه خافية، معهم بعلمه جل وعلا، كما قال في قصة النبي مع الصديق ﷺ حين قال له النبي ﷺ وهما في الغار: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾، وكما في قوله في قصة موسى وهارون: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾، وقال تعالى: ﴿وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾، فهذه معية خاصة، والعامة: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾، فالواجب على أهل الإسلام أن يعلموا هذا الأمر، وأنّ الله مع عباده بعلمه وإحاطته، ومع أوليائه بعلمه، وكلاءته، وحفظه وعنايته، ﷻ، وهو فوق العرش، فوق جميع الخلق، كما قال: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾، فهو فوق العرش جل وعلا، وعلمه في كل مكان ﷻ.

---

(١) في بعض النسخ «الصحابة»، وفي أخرى «لأصحابه لما رفعوا».

(٢) سقطت من نسخة المؤلف، وثبتت في بقية النسخ، وهي إحدى روايات البخاري.

(٣) أخرجه البخاري (٢٩٩٢، ٤٢٠٥، ٦٣٨٤، ٦٤٠٩، ٦٦١٠، ٧٣٨٦)، ومسلم (٢٧٠٤) عن أبي موسى الأشعري ﷺ مرفوعًا.

فالواجب على كل مكلف وعلى كل مسلم أن يعتقد عقيدة أهل السنة والجماعة في الإيمان بعلو الله، واستوائه على عرشه، وأنه ﷻ لا تخفى عليه خافية، وعلمه محيط بعباده أينما كانوا. اهـ

❁ **الهراس**: قوله: «**أفضل الإيمان أن تعلم أنَّ الله معك حيثما كنت**» فيه دلالة على أن أفضل الإيمان هو مقام الإحسان والمراقبة، وهو أن يعبد العبد ربه كأنه يراه ويشاهده، ويعلم أن الله معه حيث كان، فلا يتكلم، ولا يفعل، ولا يخوض في أمر إلا والله رقيب مطلع عليه، قال تعالى: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ﴾ [يونس: ٦١].

ولا شك أن هذه المعية إذا استحضرها العبد في كل أحواله، فإنه يستحيي من الله ﷻ أن يراه حيث نهاه، أو أن يفتقده حيث أمره؛ فتكون عونًا له على اجتناب ما حرم الله، والمسارعة إلى فعل ما أمر به من الطاعات، على وجه الكمال ظاهرًا وباطنًا، ولا سيما إذا دخل في الصلاة التي هي أعظم صلة ومناجاة بين العبد وربه، فيخشع قلبه، ويستحضر عظمة الله وجلاله، فتقل حركاته، ولا يسيء الأدب مع ربه بالبصق أمامه أو عن يمينه. اهـ

❁ **آل الشيخ: قوله**: «**معك**» أي: مع كل عبدٍ، هذا فيه إثبات صفة المعية العامة، وهي معية تليق بجلال الله وعظمته، وهو مستوٍ على العرش، معية من غير امتزاج، ولا اختلاط، ولا مماسة، معك في جميع أحوالك، ما يكون من حالة إلا والله معك، ومقتضى المعية العامة العلم، والإحاطة على خفيَّاتك وجلياتك.

وفيه من الفوائد:

١ - أن الإيمان يزيد وينقص، ثم هذه الزيادة تارة تكون عن فعل، وتارة تكون عن ترك، والنقص تارة يكون من غير اختيار، كالحائض وغيرها.

٢ - وأن كماله بشيئين:

الأول: في الكمية، وهي القيام بالواجبات والمندوبات، وترك المحرمات والمكروهات.

والثاني: بالكيفية، وهو التفاضل بتفاضل ما في القلوب، كما في خبر أبي بكر(١).

٣- وفيه من الفوائد: دخول أعمال القلب في الإيمان؛ ولهذا أحد تعاريف الإيمان أنه قول وعمل... إلخ، فهذا من قول القلب، علمه وإقراره أن الله معك حيثما كنت.

٤- ثم ما دل عليه من كونه أفضل، الإيمان؛ لكونه يكسب مقام الإحسان، فإن الدين مراتب ثلاث أعلاه الإحسان، كما في حديث جبريل، والإحسان كما وضحه النبي ﷺ: **«أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه، فإنه يراك»**(٢).

٥- وفائدة أخرى: أن التقسيم الذي في حديث جبريل، يفيد أن الإحسان ليس خارجًا من الإيمان، بل منه، كما أنه من الإسلام، فإذا أفرد دخل فيه الآخر، وإذا اقترنا فكلٌّ له مرتبة. اهـ

---

(١) لعله يقصد ما اشتهر من الأثر: «ما سبقكم -أو ما فضلكم- أبو بكر بكثرة صيام ولا صلاة، ولكن بشيء وقر في صدره». وهذا أثر لا يصح عن النبي ﷺ، بل قال الحفاظ: لا أصل له.
وقال العلامة ابن القيم في «المنار المنيف» (٢٤٦): ومما وضعه جهلة المتسببين إلى السنة حديث: «ما سبقكم أبو بكر...» إلخ، وهذا من كلام أبي بكر بن عياش. اهـ
وقال التاج السبكي في «طبقات الشافعية» (٦/ ٢٨٨): لم أجد له إسنادًا. اهـ وقال العراقي في «تخريج الإحياء» (١/ ٣٠، ١٠٥): رواه الترمذي الحكيم في «النوادر» من قول بكر بن عبد الله المزني، ولم أجده مرفوعًا. وأقره السخاوي في «المقاصد» (٩٧٠)، وقال الألباني في «الضعيفة» (٩٦٢): لا أصل له مرفوعًا. اهـ

(٢) أخرجه البخاري (٤٧٧٧)، ومسلم (٩) من حديث أبي هريرة ﷺ، وأخرجه مسلم (٧) من حديث ابن عمر، عن أبيه عمر بن الخطاب ﷺ.

قوله: «إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ إِلَى الصَّلاةِ، فَلا يَبْصُقَنَّ قِبَلَ وَجْهِهِ، وَلا عَنْ يَمِينِهِ، فَإِنَّ اللهَ قِبَلَ وَجْهِهِ».

❁ **ابن باز:** فالله فوق العرش، وهو قِبَلَ وجه المصلي، ولا منافاة، فهو معنا أينما كنا، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤]. اهـ

❁ **الهراس:** قوله: «إذا قام أحدكم إلى الصلاة..» إلخ، دل على أن الله ﷻ يكون قبل وجه المصلي، قال شيخ الإسلام في «العقيدة الحموية»: «إن الحديث حق على ظاهره، وهو سبحانه فوق العرش، وهو قبل وجه المصلي، بل هذا الوصف يثبت للمخلوقات؛ فإن الإنسان لو أنه يناجي السماء، أو يناجي الشمس والقمر لكانت السماء والشمس والقمر فوقه، وكانت أيضا قبل وجهه». اهـ

❁ **ابن عثيمين:** قال شيخ الإسلام في «العقيدة الحموية»: وكذلك قوله ﷺ: «**إذا قام أحدكم إلى الصلاة فإن الله قبل وجهه، فلا يبصقن قبل وجهه...**» الحديث، حق على ظاهره، وهو سبحانه فوق العرش، وهو قبل وجه المصلي، بل هذا الوصف يثبت للمخلوقات؛ فإن الإنسان لو أنه يناجي السماء، أو يناجي الشمس والقمر لكانت السماء والشمس والقمر فوقه، كانت أيضًا قبل وجهه(١). اهـ

«اللهُمَّ رَبَّ السموات السَّبْعِ وَرَبَّ الأَرْضِ وَرَبَّ العَرْشِ العَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الحَبِّ وَالنَّوَى، مُنَزِّلَ التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالفُرْقَانِ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ دَابَّةٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا، أَنْتَ الأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ البَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ، اِقْضِ عَنِّي الدَّيْنَ وَأَغْنِنِي مِنَ الفَقْرِ».

---

(١) «الفتوى الحموية الكبرى» لابن تيمية (ص/ ١٥٠).

* **آل الشيخ**: هذا الحديث فيه هذا الدعاء النبوي، وفيه إثبات عدة أسماء للرب سبحانه وصفات، منها: صفة العلو في قوله: «مُنزل»، فإن النزول لا يكون إلا من أعلى.

وفيه أن القرآن والتوراة والإنجيل منزلة غير مخلوقة.

وفيه إثبات صفة السمع، وأن الله تعالى يسمع حقيقة، فلا يُدْعى إلا الذي يَسمع دعاءَ الداعي.

وفيه إثبات هذه الأسماء الأربعة الحسنى لله سبحانه، وهي المذكورة في سورة الحديد في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ [الحديد: ٣].

وفيه بيان تفسير كل من الأسماء الأربعة، وأن تفسير اسمه «الأول»: الذي ليس قبله شيء. ومعنى «الآخر»: الذي ليس بعده شيء. ومعنى «الظاهر»: الذي ليس فوقه شيء. ومعنى «الباطن»: الذي ليس دونه شيء. فلا يسوغ تفسير هذه الأسماء إلا بهذا التفسير النبوي.

ومعنى الظهور: العلو، فإن كل مكان أعلى فهو أظهر.

وقول النبي ﷺ: **«الباطن» مثل «أن تعلم أن الله معك»، ومثل «قِبَل وجهه»** فإن بطونه على ما يليق بجلال الله وعظمته من غير تمثيل.

وذكر ابن القيم أن الأول مقابل الآخِر، والظاهر مقابل الباطن، وأن المراد بالباطن بذاته، كما أنه الظاهر بذاته، وكما أنه الأول بذاته فهو الآخر بذاته، ولا يظن أن هذا يدل على الحلول كما ذكره بعض المبتدعة، فإن المخلوقات في يده ﷻ كالذرة، فإن المخلوقات لا تحول دونه جل وعلا، فإنه الذي لا أكبر ولا أعظم منه. اهـ

* **الهراس**: قوله: «اللهم رب السموات..» إلخ، تضمن الحديث إثبات أسمائه تعالى: الأول، والآخر، والظاهر، والباطن. وهي من الأسماء الحسنى، وقد فسرها النبي ﷺ بما لا يدع مجالًا لقائلٍ، فهو أعلم الخلق جميعًا بأسماء ربه، وبالمعاني التي تدل عليها، فلا يصح أن يلتفت إلى قول غيره أيًا كان.

وفي الحديث أيضًا يعلّمنا نبينا صلوات الله وسلامه عليه وآله كيف نثني على ربنا ﷻ قبل السؤال، فهو يثني عليه بربوبيته العامة التي انتظمت كلَّ شيء، ثم بربوبيته الخاصة، الممثلة في إنزاله هذه الكتب الثلاثة، تحمل الهدى والنور إلى عباده، ثم يعوذ، ويعتصم به سبحانه من شر نفسه، ومن شر كل ذي شر من خلقه، ثم يسأله في آخر الحديث أن يقضي عنه دينه، وأن يغنيه من فقر. اهـ

❁ **ابن باز**: في هذا الحديث العظيم الذي رواه مسلم أنواع من الصفات: كونه فوق العرش، وكونه رب السموات، ورب الأرض، وكونه منزل التوراة والإنجيل والقرآن، كل هذا يدل على علوه ﷻ، وأنه ينزل منه كل شيء، ينزل منه الأمر والوحي، كله ينزل منه، وهو فوق العرش جل وعلا، فوق جميع الخلق ﷻ، وكون جميع النواصي بيده يصرفها كيف يشاء ﷻ، وكونه هو الأول، فليس قبله شيء، والآخِر فليس بعده شيء، والظاهر فليس فوقه شيء، والباطن فليس دونه شيء، كما جاء في القرآن العظيم ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣]، فهو الأول ليس قبله شيء، والآخر ليس بعده شيء، هو الدائم الكامل لم يزل موجودًا ﷻ، لم يسبقه شيء ولا يلحقه عدم، بل هو دائم أبدًا، وهو الظاهر الذي قد ارتفع فوق جميع الخلق، فليس فوقه شيء في الأعلى جل وعلا، فهو فوق العرش والعرش سقف المخلوقات، وهو الباطن فليس دونه شيء، لا يحجبه شيء، يعلم أحوال عباده، ويعلم ما في الضمائر، وهذا الدعاء فيه وسيلة في طلب قضاء الدين والإغناء من الفقر. اهـ

قوله: «**فَإِنَّكُمْ لا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلا غَائِبًا**».

❁ **آل الشيخ**: لما رفع أصحابه أصواتهم بالذكر في بعض الأسفار، قال: «**أيها الناس اربَعوا على أنفسكم**». أي: اقصورا على أنفسكم والرَّبْع: القَصْر، وارفقوا بها يعني: لا ترفعوا هذا الرفع. «**فإنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائبًا**» فيحوجكم ذلك إلى رفع

الأصوات، وإنما يحتاج رفع الصوت للأصم الذي لا يسمع والغائب، أما القريب فليس في رفع الصوت له فائدة. اهـ

* **الهراس**: أفاد هذا الحديث قربه سبحانه من عباده، وأنه ليس بحاجة إلى أن يرفعوا إليه أصواتهم؛ فإنه يعلم السر والنجوى.

وهذا القرب المذكور في الحديث قرب إحاطة، وعلم، وسمع، ورؤية، فلا ينافي علوه على خلقه. اهـ

قوله: «إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ».

* **آل الشيخ**: في هذا إثبات صفة السمع، وإثبات قُرْب الربّ تعالى من داعيه، وهذا هو القرب، فإنه أتى في القرآن خاصٌّ، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]، وكما في هذا الحديث، وكما في حديث: «**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد**»(١)، والقرب لا ينقسم كما تنقسم المعية. اهـ

* **العثيمين**: الدليل على قرب الله قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾، وقوله ﷺ: «**إنما تدعون سميعًا قريبًا**».

وهو قرب حقيقي يليق بالله تعالى ولا ينافي علوه؛ لأنه تعالى بكل شيء محيط، ولا يقاس بخلقه؛ لأنه ليس كمثله شيء. اهـ

* **ابن باز**: الحديث الذي فيه أنهم لما رفعوا أصواتهم، قال: «**أيها الناس اربعوا على أنفسكم، فإنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائبًا**» بيّن لهم أنه سبحانه يسمع كلام عباده

---

(١) رواه مسلم (٤٨٢).

ودعاءهم، فلا يحتاج إلى رفع الصوت المخالف للشرع، بل يكون الرفع وسطًا؛ ولهذا قال: «لا تدعون أصمّ ولا غائبًا»، كانوا يرفعون أصواتهم، فأمرهم النبي ﷺ ألا يفعلوا ذلك، وأن لا يبالغوا في الرفع، إلا في التلبية، هذا مستثنى، جاء رفع الصوت في التلبية(١). أما التكبير المعتاد فيكون وسطًا، ليس فيه مبالغة في الرفع.

وقوله: «فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبًا» فهو فوق العرش، وهو مع عباده، يسمع أصواتهم، ويسمع كلامهم جل وعلا؛ ولهذا قال: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ ﴾ [البقرة: ١٨٦]؛ ولهذا قال: «إن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته»، فهو سبحانه قريب لا يحتاج إلى المبالغة في رفع الأصوات بالذكر، ولكن إظهارها من باب الذكر لله لا من باب أنه يحتاج إلى ذلك، ولكنه من باب الذكر، فرفع الصوت بالذكر لإظهار ذكر الله جل وعلا، كما يرفع الناس أصواتهم بالتلبية؛ إظهارًا لذكر الله ﷻ، وإلا فهو سبحانه يعلم السِّرَّ وأخفى، ويسمع أصوات عباده وإن أخفوها، لا تخفى عليه خافية، سميع قريب، يسمع أصواتهم وإن أخفوها، ويعلم أحوالهم وإن أسروها، لا تخفى عليه خافية جل وعلا.

فالواجب على المؤمن أن يؤمن بالله، وأنه سميع قريب يعلم أحوال عباده، ويسمع أصواتهم، ويعلم دعاءهم، ولا تخفى عليه خافية جل وعلا، مع كونه فوق العرش، فوق جميع الخلق ﷻ، فهذه عقيدة أهل السنة والجماعة، خلافًا لعقيدة أهل البدع. اهـ

---

(١) كما في الحديث الصحيح: «أفضل الحج العج والثج» والعج هو رفع الصوت بالتلبية، والثج إهراق دماء الهدي، والفرق أن التلبية شعار التوحيد، وهو من أظهر الشعائر المخالفة لهدي المشركين بتلبية الشرك.

انظر روايات الحديث وطرقه في «البدر المنير» لابن الملقن (٦/ ١٥٥-١٥٨)، و«السلسلة الصحيحة» (١٥٠٠)، وصحيح سنن ابن ماجة (٢٣٨٣)، وصحيح سنن الترمذي (٨٢٧) للألباني.

إثبات رؤية الرب في القيامة وفي الجنة عيانًا بالأبصار

وَقَوْلِهِ ﷺ: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ[١] كَمَا تَرَوْنَ القَمَرَ لَيْلَةَ البَدْرِ، لا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنْ اِسْتَطَعْتُمْ أَنْ لا تُغْلَبُوا عَلَى صَلاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَصَلاةٍ قَبْلَ غُرُوبِهَا؛ فَافْعَلُوا»، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ[٢].

الشرح

* **السعدي**: قد تواترت النصوص في رؤية الله لأهل الجنة، وأنهم يرون ربهم، ويتمتعون بمشاهدته. اهـ

* **آل الشيخ**: هذا الحديث فيه إثبات رؤية الرب سبحانه في القيامة عيانًا بالأبصار، ويُرى في الجنة عيانًا بالأبصار. اهـ

* **السعدي والهراس**: هذا الحديث الصحيح المتواتر يشهد لما دلت عليه الآيات السابقة من رؤية المؤمنين لله ﷻ في الجنة، وتمتعهم بالنظر إلى وجهه الكريم.

وهذه النصوص من الآيات والأحاديث تدل على أمرين:

أولهما: علوه تعالى على خلقه؛ لأنها صريحة في أنهم يرونه من فوقهم.

ثانيهما: أن أعظم أنواع النعيم هو النظر إلى وجه الله الكريم. اهـ

---

(١) في بعض النسخ زيادة (يوم القيامة) وهي موافقة لرواية البخاري (٧٤٣٦).

(٢) أخرجه البخاري (٥٥٤، ٥٧٣، ٤٨٥١، ٧٤٣٤، ٧٤٣٥، ٧٤٣٦)، ومسلم (٦٣٣) عن جرير البجلي ؓ مرفوعًا.

قوله: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ القَمَرَ لَيْلَةَ البَدْرِ».

* **الهراس**: المراد تشبيه الرؤية بالرؤية، لا تشبيه المرئي بالمرئي. يعني: أن رؤيتهم لربهم تكون من الظهور والوضوح كرؤية القمر في أكمل حالاته، وهي كونه بدرًا، ولا يحجبه سحاب؛ ولهذا قال بعد ذلك: «**لا تضامون في رؤيته**». اهـ

* **آل الشيخ**: «**كما ترون القمر ليلة البدر**» وهذا أظهر وأجلى ما يكون في رؤية القمر ليلة أربعة عشر؛ لكبره ولارتفاعه وظهوره. أي: كما أن رؤيتكم عيانًا بالأبصار مقابلة. اهـ

قوله: «لا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ».

* **آل الشيخ**: «**لا تُضَامُوْن**» بضم التاء، وتخفيف الميم. أي: لا يلحق أحد منكم ضيم، أو ضيق، أو مشقة عند رؤيته، فكلٌّ يراه من غير ضيم يلحقه، وذلك أنه جلي ظاهر، كلٌّ يراه في مكانه بخلاف الشيء الخفي.

ويروى: «**لا تَضَامُّون في رؤيته**» أي: لا ينضم بعضكم إلى بعض. أي: لا يحوج هذا كنظر الشيء الخفي؛ لأنه شيء أجلى. وفي رواية أخرى: «لا تضارون» أي: لا يلحقكم ضرر عند رؤيته.

وهذا تشبيه للرؤية بالرؤية، لا تشبيه للمرئي بالمرئي؛ لأنه لم يرد في النصوص تشبيه الباري بخلقه، ورؤية الناس للقمر معلوم أنها من غير إحاطة، فلا يدركون كنهه ولا كيفيته وهو مخلوق، فالباري يرى ولا يحاط به رؤيةً، فإن الله تعالى أجل وأعظم من أن تحيط به أبصار المخلوقين؛ لضعفها كما في قوله: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ﴾ [الأنعام: ١٠٣] فَنَفَى الأخص - وهو الإحاطة - ولا يلزم من نَفي الأخص نَفيُ الأعم، وهو الرؤية. اهـ

* **الهراس**: «لا تضامُّون في رؤيته» روي بتشديد الميم من التضام. بمعنى: التزاحم والتلاصق، والتاء يجوز فيها الضم والفتح، على أن الأصل تَتَضَامون، فحذفت إحدى التاءين تخفيفًا، وروي بتخفيف الميم من الضيم. بمعنى: الظلم. يعني: لا يلحقكم في رؤيته ضيم ولا غبن. اهـ

قوله: «فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس».

* **آل الشيخ**: **«صلاة قبل طلوع الشمس»** وهي صلاة الفجر. **«وصلاة قبل غروبها»** وهي صلاة العصر. يعني: ألا تؤخروها عن وقتها التي شرعت فيها، **«فافعلوا»** فإن كل الصلوات الخمس فريضة، وكلٌّ من الواجبات، وواجبٌ المحافظة عليها، لكن بعضها أفضل من بعض، كما أن المحرمات بعضها أشد تحريمًا من بعض، ففيه أفضلية هاتين الصلاتين، وأفضلية المحافظة عليهما في أوقاتهما.

وكل منهما قيل: إنها الوسطى، وقد ذكر ابن كثير الأقوال، وبسط تعدادها في قوله: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، وثبت عن النبي ﷺ أنها العصر.

وجاء في الحديث الآخر ما يدل على أفضليتهما: قال ﷺ: **«من صلى البردين دخل الجنة»**(١)، وهما العصر والفجر، وكان أول ما فرض هاتان الصلاتان في أول النهار وفي آخره.

ومناسبة ذكر هذا: أن أهل الجنة يرون الله بكرة وعشيًا، وهذا وجه قرن هذه الجملة بما قبلها.

---

(١) رواه البخاري (٥٧٤)، ومسلم (٦٣٥) من حديث أبي موسى الأشعري مرفوعًا.

وفيه ما يشعر أن أكمل المؤمنين رؤية، أشدهم محافظة على هاتين الصلاتين، وجاء في الحديث: «أن الله يتجلى لهم يوم الجمعة»(١)، وهذا لا ينافي هذه الروية؛ لأن رؤيتهم لربهم يوم الجمعة نظرٌ إليه أسبوعي، وهذه رؤية يومية، وأيضًا ذاك أخص من هذا.

وأما النساء فجاء حديث أنهن يرينه من العيد إلى العيد(٢).

ورؤيته تعالى أعظم نعيم أهل الجنة، بل ما طاب لهم نعيم إلا برؤيته تعالى، كما أن أهل الجحيم أعظم عذابهم أن حجبوا عن رؤيته، ويُرى سبحانه في عرصات القيامة. اهـ

* **الهراس والسعدي**: وفي حثه ﷺ في هذا الحديث على صلاة العصر وصلاة الفجر - خاصة - إشارة إلى أن من حافظ عليهما في جماعة نال هذا النعيم الكامل، الذي

---

(١) أخرج الترمذي(٢٥٤٩)، وابن ماجه (٤٣٣٦)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٥٨٥) عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «إن أهل الجنة إذا دخلوها نزلوا فيها بفضل أعمالهم، ثم يُؤذن لهم في مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا، فيزورون ربهم، فيبرز لهم عرشه ويتبدى لهم في روضة من رياض الجنة، فتوضع لهم منابر من نور، ومنابر من لؤلؤ، ومنابر من ياقوت، ومنابر من زبرجد، ومنابر من ذهب، ومنابر من فضة، ويجلس أدناهم وما فيهم من دني، على كثبان المسك والكافور، وما يرون أن أصحاب الكراسي أفضلُ منهم مجلسًا»، قال أبو هريرة: قلت يا رسول الله، ما نرى ربنا؟ قال: «نعم، هل تمارون في رؤية الشمس والقمر ليلة البدر؟» قال: لا، قال: «كذلك لا تمارون في رؤية ربكم». الحديثَ وقال الترمذي: هذا حديث غريب. أي: ضعيف، وضعفه الألباني، لكن صحت الأحاديث في رؤية المؤمنين لربهم كل يوم جمعة، وهو يوم المزيد، وقد استقصى الروايات العلامة ابن القيم في «حادي الأرواح» (الباب: ٦٥)، (٦٠٥-٧١٤) ط/ عالم الفوائد، فليراجع، و«مجموع الفتاوى» لشيخ الإسلام (٦/ ٤٠١-٤٦٠).

(٢) رواه الدارقطني في «كتاب الرؤية» (٥٢) عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال: «إذا كان يوم القيامة رأى المؤمنون ربهم عز وجل فأحدثهم عهدًا بالنظر إليه في كل جمعة، وتراه المؤمنات يوم الفطر ويوم النحر»، وفي سنده مجاهيل، وقد سكت عنه ابن القيم في «زاد المعاد» (١/ ٣٩٥)، وشيخ الإسلام ابن تيمية في «الفتاوى» (٦/ ٤٠١)، والذي يظهر من كلام شيخ الإسلام، بأن هذا الحديث مثل رؤية يوم الجمعة؛ لأنها عيد الأسبوع، والعيدان للسنة، وأن ذلك لا ينافي ثبوت الرؤية للنساء في غير العيدين، كما أن إثبات رؤية الرجال يوم الجمعة لا ينافي رؤية يومية، أو كل يوم مرتين؛ لورود الأحاديث في ذلك، وهذا الذي حققه رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفتاوى» (٦/ ٤٠١-٤٦٠) فليراجع للفائدة.

يضمحل بإزائه كل نعيم، وهو يدل على تأكيد هاتين الصلاتين، كما دل على ذلك الحديث الآخر: «**يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر**». متفق عليه(١). اهـ

(١) أخرجه البخاري (٥٥٥، ٣٢٢٣، ٧٤٢٩، ٧٤٨٦)، ومسلم (٦٣٢) عن أبي هريرة مرفوعًا.

منهج أهل السنة والجماعة في قبول أحاديث الصفات

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: (إِلَى أَمْثَالِ هَذِهِ الأَحَادِيثِ الَّتِي يُخْبِرُ فِيهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ رَبِّهِ بِمَا يُخْبِرُ بِهِ؛ فَإِنَّ الفِرْقَةَ النَّاجِيَةَ أَهْلَ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ يُؤْمِنُونَ بِذَلِكَ؛ كَمَا يُؤْمِنُونَ بِمَا أَخْبَرَ اللهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ؛ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلا تَعْطِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلا تَمْثِيلٍ).

الشرح

قوله: «إِلَى أَمْثَالِ هَذِهِ الأَحَادِيثِ الَّتِي يُخْبِرُ فِيهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ رَبِّهِ بِمَا يُخْبِرُ بِهِ».

❁ **آل الشيخ**: ذكر المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ أمثلة في أحاديث الصفات تدلنا على ما وراءها، ثم قال: «إلى أمثال هذه الأحاديث...» إلخ، يريد: أنها ليست هذه الأحاديث وحدها، بل هي قليل من كثير، ونقطة من بحر، وحصر الأحاديث التي يصف بها رسول الله ﷺ ربه ﷻ على الحقيقة لا على المجاز بما يناسبه ويليق به، يستدعي أسفارًا.

والمصنف ذكر القسم الكبير من الكتاب العزيز بالنسبة إلى هذه المختصرة، ثم ذكر القسم الكبير من السنة بالنسبة إلى هذه المختصرة؛ لتكون معك أصول تستدل بها على ما وراءها، ولتأخذها براهين لما يذكر من المسائل. اهـ

❁ **الهراس**: قوله: «إلى أمثال هذه الأحاديث..» إلخ، لما كان ما ذكره المؤلف من الأحاديث ليس هو كل ما ورد في باب الصفات من الأخبار، نبه على أن أمثال هذه الأحاديث التي ذكرها، مما يخبر فيه الرسول ﷺ عن ربه بما يخبر به، فإن حكمه كذلك، وهو وجوب الإيمان بما يتضمنه من أسماء الله وصفاته.

ثم عاد فأكد معتقد أهل السنة والجماعة، وهو أنهم يؤمنون بما وردت به السنة الصحيحة من صفات، كإيمانهم بما أخبر الله به في كتابه، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل. اهـ

قوله: «فَإِنَّ الفِرْقَةَ النَّاجِيَةَ أَهْلَ السُّنَّةِ وَالجَماعَةِ يُؤْمِنُونَ بِذَلِكَ».

❁ **آل الشيخ**: الفرقة الناجية هي أهل السنة والجماعة، والثنتان والسبعون كلها في النار، ليس الناجي غير أهل السنة والجماعة، الذين درجوا على ما درج عليه النبي ﷺ؛ ولهذا لما سئل النبي ﷺ من هم؟ قال: «من كان على ما أنا عليه اليوم وأصحابي»[(١)]. وحديث: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»[(٢)]، وما عداهم فهم على جَوْر وانحراف.

قوله: «يؤمنون بذلك كله». يعني: بجميع ما ثبت عن النبي ﷺ في الصفات، «كما يؤمنون بما أخبر الله به في كتابه». يعني: القرآن، فالكتاب والسنة أخوان شقيقان يجب الإيمان بهما جميعًا؛ فإن النبي ﷺ أوتي الكتاب والحكمة وهي السنة، فيؤمنون بها، ويعتقدون مدلولها على ما يليق بجلال الله وعظمته. اهـ

❁ **ابن مانع**: قال ابن عدوان النجدي المتوفى سنة ١١٧٩هـ:

وَسَلِّمْ لأخبارِ الصحيحين يا فَتى ❁ ولكنْ عن التمثيلِ وُقِّفْتَ أَبْعِدِ
ودعْ عنكَ تزويقاتِ قومٍ فإنها ❁ بِحُلتها التعطيلُ يا صاحِ تَرْشُدِ

ا.هـ.

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٤١)، والحاكم (١/ ١٢٩) وتقدم تفصيل تخريجه.
(٢) متفق عليه، تقدم تخريجه.

وسطيةُ وخيريةُ أهلِ السنةِ والجماعةِ بين فرقِ الأمة

قال المصنف: (بَلْ هُمُ الوَسَطُ فِي فِرَقِ الأُمَّةِ، كَمَا أَنَّ الأُمَّةَ هِيَ الوَسَطُ فِي الأُمَمِ.

فَهُمْ وَسَطٌ فِي بَابِ صِفَاتِ اللهِ ﷻ بَيْنَ أَهْلِ التَّعْطِيلِ الجَهْمِيَّةِ وَأَهْلِ التَّمْثِيلِ المُشَبِّهَةِ.

وَهُمْ وَسَطٌ فِي بَابِ أَفْعَالِ اللهِ بَيْنَ الجَبْرِيَّةِ وَالقَدَرِيَّةِ.

وَفِي بَابِ وَعِيدِ الله بَيْنَ المُرْجِئَةِ والوَعِيدِيَّةِ مِنَ القَدَرِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ[1].

وَفِي بَابِ أَسْمَاءِ الإِيمَانِ وَالدِّينِ بَيْنَ الحَرُورِيَّةِ وَالمُعْتَزِلَةِ، وَبَيْنَ المُرْجِئَةِ وَالجَهْمِيَّةِ.

وَفِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ بَيْنَ الرَّافِضَةِ وَالخَوَارِجِ).

الشرح

❁ الهراس: ثم أخبر عن أهل السنة والجماعة بأنهم وسط بين فرق الضلال والزيغ من هذه الأمة، كما أن هذه الأمة وسط بين الأمم السابقة، قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣]. ومعنى ﴿وَسَطًا ﴾: عدولًا خيارًا، كما ورد الحديث بذلك[2].

فهذه الأمة وسط بين الأمم التي تجنح إلى الغلو الضار، والأمم التي تميل إلى التفريط المهلك، فإن من الأمم من غلا في المخلوقين، وجعل لهم من صفات الخالق وحقوقه ما جعل، كالنصارى الذين غلوا في المسيح والرهبان، ومنهم من جفا الأنبياء وأتباعهم، حتى قتلهم، ورد دعوتهم، كاليهود الذين قتلوا زكريا ويحيى، وحاولوا قتل المسيح، ورموه بالبهتان.

---

(١) في بعض النسخ: «من القدرية، والخوارج، وغيرهم».

(٢) سيأتي تخريجه.

وأما هذه الأمة، فقد آمنت بكل رسول أرسله الله، واعتقدت رسالتهم، وعرفت لهم مقاماتهم الرفيعة التي فضلهم الله بها.

ومن الأمم أيضًا من استحلت كل خبيث وطيب، ومنها من حرم الطيبات غلوًا ومجاوزة.

وأما هذه الأمة، فقد أحل الله لها الطيبات، وحرم عليها الخبائث، إلى غير ذلك من الأمور التي من الله على هذه الأمة الكاملة بالتوسط فيها.

فكذلك أهل السنة والجماعة متوسطون بين فرق الأمة المبتدعة التي انحرفت عن الصراط المستقيم. اهـ

قوله: (بَل هُمْ الوَسَطُ فِي فِرَقِ الأُمَّةِ، كَمَا أَنَّ الأُمَّةَ هِيَ الوَسَطُ فِي الأُمَمِ).

❁ **آل الشيخ**: الوسط يعني: العدل الخيار في فرق هذه الأمة المحمدية التي افترقت على ثلاث وسبعين فرقة، أما بقية الفرق الثنتين والسبعين فهم أهل انحراف عن الصراط المستقيم. منهم من خرج به عن الدين، ومنهم من خرج به عن بعضه، ومنهم من مال به، **كما أن الأمة هي الوسط العدل الخيار في الأمم** كما قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾، فشهادتهم مقبولة على البقية، والبقية لا تقبل شهادتهم عليهم، وكما قال ﷺ: «**أنتم توفون سبعين أمة، أنتم خيرها وأكرمها على الله**»(١). اهـ

❁ **السعدي**: والمراد بالوسط: العدل الخيار الذين جمعوا كل حق في أقوال الخلق، وردوا ما فيها من الباطل، قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣]. فهذه الأمة وسط بين الأمم التي

---

(١) رواه أحمد (٢٠٠١٥)، والترمذي (٣٠٠١)، والنسائي في «الكبرى» (١١٤٣١)، وابن ماجه (٤٢٨٨)، والحاكم (٦٩٨٧، ٦٩٨٨)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٨١٧٢)، والطبراني في «المعجم الكبير» (ج١٩/ ص ٤١٩ ح١٠١٢). وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه. اهـ

تميل إلى الغلو الضار، والأمم التي تميل إلى التفريط المهلك. فمن الأمم من غلا في المخلوقين وجعل لهم من صفات الخالق ومن حقوقه ما جعل، ومنهم من جفا الأنبياء وأتباعهم حتى قتلهم ورد دعوتهم، وهذه الأمة آمنت بكل رسول أرسله الله، واعتقدت رسالتهم ومقاماتهم الرفيعة التي فضلهم الله بها، ولم يغلوا في أحد من المخلوقين، ومن الأمم من أحلت كل طيب وخبيث، ومنهم من حرم الطيبات غلوا ومجاوزة، وهذه الأمة أحل الله لهم الطيبات، وحرم عليهم الخبائث، ونحو ذلك من الأمور التي من الله على هذه الأمة الكاملة بالتوسط فيها. اهـ.

❁ **ابن باز**: يمتاز أهل السنة والجماعة على غيرهم من فرق أهل الضلالة والبدع، بأنهم وسط، وموافقون للحق في جميع أبواب العلم والدين، فلم يغلوا ولم يفرطوا، كفعل أهل البدع، فهم وسط في باب صفات الله، بين الجهمية المعطلة والمشبهة، فالجهمية نفوا صفات الباري، والمشبهة أثبتوها وغلوا في إثباتها حتى شبهوا الله بخلقه، وأما أهل السنة فأثبتوها على الوجه اللائق بجلاله من غير تشبيه ولا تمثيل، فعقيدة أهل السنة والجماعة عقيدة مستقيمة، وسط في هذا الباب وغيره، فهم وسط في باب الله كما أن الأمة وسط بين الأمم، فأهل السنة وسط في هذا الباب، يثبتون صفات الله وأسماءه، من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل، يعني: يمرونها كما جاءت، ولا يحرفونها، ولا يعطلونها، ولا يمثلون صفات الله بصفات خلقه، كما تفعل الجهمية والمعتزلة، بل هم يثبتونها إثباتًا بريئًا من التمثيل، وينزهون الله عن مشابهة خلقه تنزيهًا بريئًا من التعطيل، فالإثبات لا يحتاج إلى تمثيل، والتنزيه لا يحتاج إلى تعطيل، بل يقولون: نثبت صفات الله وأسماءه على الوجه اللائق بجلال الله، من غير تحريف لها، ولا تعطيل لها، ومن غير تكييف لها، ولا تمثيل، فهم وسط في باب صفات الله بين أهل التعطيل الجهمية، وأهل التمثيل المشبهة، فالجهمية يعطلون صفات الله وأسماءه، والمشبهة يثبتونها ويقولون: يدٌ كيدي، وصوت كصوتي، وقدم كقدمي، يمثلون، وهذا منكر عظيم، وكفر وضلال، فأهل السنة وسط بين أهل التعطيل الجهمية، وبين أهل

التمثيل المشبهة، وهم وسط في باب أفعال الله، يثبتون أفعال الله وأنها حق، فهو جل وعلا ينزل إلى سماء الدنيا كل ليلة، ويبرز لعباده يوم القيامة حتى يرون وجهه الكريم كما يرون الشمس صحوًا ليس دونها سحاب، خلافًا للجهمية المعطلة، وخلافًا للمعتزلة الذين يقولون بإثبات أسماء الله دون صفاتٍ، أسماء مجردة ليس لها معنى. اهـ

* **الشيخ**: هذه الأمة وسط بين الأمم، الدليل قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾. وقوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾.

ومثال كونها وسطًا في العبادات رفع الله عن هذه الأمة من الحرج والمشقة، اللذين كانا على من قبلها، فهذه الأمة إذا عدموا الماء تيمموا وصلّوا في أي مكان، بينما الأمم الأخرى لا يصلون حتى يجدوا الماء، ولا يصلون إلا في أمكنة معينة.

ومثال كونها وسطًا في غير العبادات القِصاص في القتل، كان مفروضًا على اليهود، وممنوعًا عند النصارى، ومخيرًا بينه وبين العفو أو الدية عند هذه الأمة.

وفِرَق هذه الأمة ثلاث وسبعون فرقة والناجي منها من كان على مثل ما عليه النبي ﷺ وأصحابه وكلها في النار إلا الناجية؛ لقوله ﷺ: «**افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة**». قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: «**من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي**»[1].

---

(١) رواه الترمذي رقم (٢٦٤١)، والحاكم (١/ ١٢٩) من حديث عبد الله ابن عمرو رضي الله عنهما.

وسطية أهل السنة في الأصول

وأهل السنة والجماعة وسط بين فرق الأمة في أصول خمسة:

الأول: أسماء الله وصفاته، فأهل السنة وسط فيها بين أهل التعطيل وأهل التشبيه؛ لأن أهل التعطيل ينكرون صفات الله، وأهل التشبيه يثبتونها مع التشبيه، وأهل السنة والجماعة يثبتونها بلا تشبيه.

الثاني: القضاء والقدر: الذي عبر عنه المؤلف بأفعال الله، فأهل السنة وسط فيه بين الجبرية والقدرية؛ لأن الجبرية يثبتون قضاء الله في أفعال العبد ويقولون: إنه مجبر لا قدرة له، ولا اختيار.

والقدرية ينكرون قضاء الله في أفعال العبد، ويقولون: إن العبد قادر مختار لا يتعلق فعله بقضاء الله[1].

وأهل السنة يثبتون قضاء الله في أفعال العبد، ويقولون: إن للعبد قدرة واختيارًا أودعهما الله فيه، متعلقين بقضاء الله.

الثالث: الوعيد بالعذاب، فأهل السنة وسط فيه بين الوعيدية[2] وبين المرجئة؛ لأن الوعيدية يقولون: فاعل الكبيرة[3] مخلد في النار. والمرجئة يقولون: لا يدخل النار، ولا يستحق ذلك. وأهل السنة يقولون: مستحق لدخول النار دون الخلود فيها.

الرابع: أسماء الإيمان والدين: فأهل السنة وسط فيه بين المرجئة من جهة، وبين المعتزلة والحرورية من جهة؛ لأن المرجئة يسمون فاعل الكبيرة مؤمنًا كامل الإيمان،

---

(١) أي: ليست مفعولة لله.
(٢) وهم الخوارج والمعتزلة.
(٣) أي: من المسلمين.

والمعتزلة والحرورية يسمونه غير مؤمن، لكن المعتزلة يقولون: لا مؤمن ولا كافر، بل في منزلة بين منزلتين، والحرورية يقولون: إنه كافر، وأهل السنة يقولون: إنه مؤمن ناقص الإيمان، أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته.

الخامس: أصحاب النبي ﷺ: فأهل السنة وسط فيه بين الروافض والخوارج؛ لأن الروافض بالغوا في حبِّ آل النبي ﷺ وغلوا فيهم حتى أنزلوهم فوق منزلتهم، والخوارج يبغضونهم، ويسبونهم، وأهل السنة يحبون الصحابة جميعهم، وينزلون كل واحد منزلته التي يستحقها، من غير غلو، ولا تقصير. اهـ

قوله: (فَهُمْ وَسَطٌ فِي بَابِ صِفَاتِ الله ﷻ بَيْنَ أَهْلِ التَّعْطِيلِ الجَهْمِيَّةِ وَأَهْلِ التَّمْثِيلِ المُشَبِّهَةِ).

❁ **الهراس**: قوله: «فهم وسط في باب صفات الله..» إلخ، يعني: أن أهل السنة والجماعة وسط في باب الصفات بين من ينفيها ويعطل الذات العلية عنها، ويحرف ما ورد فيها من الآيات والأحاديث عن معانيها الصحيحة إلى ما يعتقده هو من معان بلا دليل صحيح، ولا عقل صريح، كقولهم: «رحمة الله»: إرادته الإحسان، و«يده»: قدرته، و«عينه»: حفظه ورعايته، و«استواؤه على العرش»: استيلاؤه. إلى أمثال ذلك من أنواع النفي والتعطيل التي أوقعهم فيها سوء ظنهم بربهم، وتوهمهم أن قيام هذه الصفات به لا يعقل إلا على النحو الموجود في قيامها بالمخلوق، ولقد أحسن القائل حيث يقول:

وقـصارى أمـر مَـن أوّل أن ظنـوا الظنونـا
فيقولــون عــلى الــرحمن مــا لا يعلمونــا

اهـ

* **السعدي**: أهل السنة والجماعة متوسطون بين فرق الأمة المبتدعة التي انحرفت عن الصراط المستقيم، كما تقدم بيان ذلك، وأن أهل السنة يثبتون جميع ما ثبت في النصوص من صفات الله على حقيقتها اللائقة بعظمة الباري. اهـ

الطوائف المخالفة لأهل السنة

* **العثيمين**: أشار المؤلف إلى طوائف من أهل البدع:

أولًا: الجهمية: وهم أتباع الجهم بن صفوان، الذي أخذ التعطيل عن الجعد بن درهم، وقتل في خراسان سنة ١٢٨هـ، ومذهبهم في الصفات إنكار صفات الله، وغلاتهم ينكرون حتى الأسماء؛ ولذلك سموا بالمعطلة.

ومذهبهم في أفعال العباد أن العبد مجبور على عمله ليس له قدرة ولا اختيار، ومن ثم سموا جبرية.

ومذهبهم في الوعيد وأسماء الإيمان والدين: أن فاعل الكبيرة مؤمن كامل الإيمان، ولا يدخل النار؛ ولذلك سموا مرجئة، فهم أهل الجيمات الثلاث «تجهم، وجبر، وإرجاء».

ثانيًا: المعتزلة: وهم أتباع واصل بن عطاء، الذي اعتزل مجلس الحسن البصري، حين كان الحسن يقرر أن فاعل الكبيرة مؤمن ناقص الإيمان، فاعتزله واصل وجعل يقرر أن فاعل الكبيرة في منزلة بين منزلتين.

ومذهبهم في الصفات: إنكار صفات الله، كالجهمية، ومذهبهم في أفعال العباد أن العبد مستقل بفعله، يفعل بإرادة وقدرة مستقلًا عن قضاء الله وقدره، عكس الجهمية؛ ولذلك سموا قدرية.

ومذهبهم في الوعيد: أن فاعل الكبيرة مخلد في النار، عكس الجهمية القائلين بأنه لا يدخل النار؛ ولذلك سموا الوعيدية.

ومذهبهم في أسماء الإيمان والدين: أن فاعل الكبيرة في منزلة بين منزلتين، ليس مؤمنًا، ولا كافرًا. عكس الجهمية القائلين بأنه مؤمن كامل الإيمان؛ ولذلك سموا أصحاب المنزلة بين منزلتين.

ثالثًا: الخوارج: سموا بذلك؛ لخروجهم على إمام المسلمين، ويقال لهم: الحرورية، نسبة إلى حروراء موضع بالعراق قرب الكوفة، خرجوا فيه على علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

كانوا من أشد الناس تدينًا في الظاهر حتى قال فيهم النبي ﷺ لأصحابه: «**يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم؛ فإن في قتلهم أجرًا لمن قتلهم إلى يوم القيامة**»[1].

ومذهبهم في الوعيد: أن فاعل الكبيرة مخلد في النار، كافر يحل دمه وماله، ومن ثم استباحوا الخروج على الأئمة إذا فسقوا.

رابعا: الروافض: ويقال لهم الشيعة، الذين يغلون في آل بيت النبي ﷺ، ويفضلون علي بن أبي طالب رضي الله عنه على جميع الصحابة، ومنهم من يفضله على النبي ﷺ، ومنهم من يجعله ربًا، وسموا شيعة؛ لتشيعهم لآل البيت، وسموا روافض؛ لأنهم رفضوا زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، حين سألوه عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فأثنى عليهما، وقال هما وزيرا جدي -يعني: النبي ﷺ- فانصرفوا عنه ورفضوه. اهـ

❁ **الهراس**: وإنما سمي أهل التعطيل جهمية، نسبة إلى الجهم بن صفوان الترمذي رأس الفتنة والضلال، وقد تُوُسِّعَ في هذا اللفظ حتى أصبح يطلق على كل من نفى شيئًا من الأسماء والصفات، فهو شامل لجميع فرق النفاة، من فلاسفة، ومعتزلة، وأشعرية، وقرامطة باطنية.

---

(١) رواه البخاري (٣٣٤٤، ٣٦١٠، ٤٣٥١، ٤٦٦٧، ٥٠٥٨، ٦١٦٣، ٦٩٣٠-٦٩٤٠، ٧٤٣٢)، ومسلم (١٠٦٦).

فأهل السنة والجماعة وسط بين هؤلاء الجهمية النفاة وبين أهل التمثيل المشبهة الذين شبهوا الله بخلقه، ومثلوه بعباده.

وقد رد الله على الطائفتين بقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾، فهذا يرد على المشبهة، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ يرد على المعطلة.

وأما أهل الحق فهم الذين يثبتون الصفات لله تعالى إثباتًا بلا تمثيل، وينزهونه عن مشابهة المخلوقات تنزيهًا بلا تعطيل، فجمعوا أحسن ما عند الفريقين؛ أعني التنزيه والإثبات، وتركوا ما أخطئوا وأساءوا فيه من التعطيل والتشبيه. اهـ

* **آل الشيخ**: هذا الباب باب الصفات باب عظيم كبير، والناس في هذا الباب ثلاث فرق:

* **الفرقة الأولى**: أهل التحريف والتعطيل، نفوا وجحدوا، وهم الجهمية والمعتزلة والأشاعرة، وإن كانوا يتفاوتون.

* **وقابلتهم الفرقة الثانية**: وهم أهل التشبيه والتمثيل من الرافضة وغيرهم.

* **والثالثة**: **أهل الوسط**، وهم أهل السنة والجماعة، توسطوا فأثبتوا ما أثبته الله لنفسه وأثبته له رسوله، إثباتًا لا يقتضي التمثيل، ونفوا عن الله ما لا يليق بجلاله وعظمته، نفيًا لا يقتضي التعطيل، فصاروا أهل الوسط في هذه الفرق.

فالأولون نفوا حتى غلوا في النفي، فعطلوا صفات الله سبحانه، زعمًا منهم أن إثباتها يقتضي التشبيه، أو خوفًا من التشبيه، فوقعوا في تشبيه شرٍّ منه كما يأتي.

وأهل التمثيل أثبتوا وغلوا في الإثبات، فوقعوا في التشبيه والتمثيل، قالوا: يد كيدي، وسمع كسمعي، وبصر كبصري، ونحوه.

وكل من الطائفتين يضرب النصوص بعضها ببعض، ووفق الله أهل السنة للطريق المستقيم، أهل الدين القويم، أتباع سيد المرسلين، الذين اقتدوا واتبعوا الصحابة والتابعين، وما جاء به سيد المرسلين عن رب العالمين.

الفرق بين مذهب الأشاعرة والجهمية

مذهب الأشاعرة في الصفات إثبات الأسماء جميعها، وإثبات سبع صفات، والجهمية ينكرونها جميعًا، فوافقوهم في النفي ما عدا السبع والأسماء.

وليس عند أهل السنة بحث ولا تفتيش، بل آمنوا بالجميع على ما يليق بجلال الله وعظمته، فالصدر الأول الصحابة ومن بعدهم، قَبِلُوا ما جاء به الكتاب والسنة، وآمنوا به، من غير تمثيل، ثم لما ظهرت المعطلة والمشبهة احتاج أهل السنة للكلام في الصفات والبحث فيها، فبينوا أن طريقتهم هي إثباتها مع العلم بمعانيها[1]، وأنها حق، وضللوا، وبدعوا، وكفروا أهل التعطيل وأهل التمثيل، ومن كلام بعضهم[2]: «من شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن نفى عنه ما وصف به نفسه فقد كفر، وليس فيما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله تشبيه». ومن كلام بعضهم[3]: «المعطل يعبد عدمًا، والمشبه يعبد صنمًا، والموحد يعبد إلهًا واحدًا فردًا صمدًا» وعابد العدم شر من عابد الصنم كما تقدم.

فعرفت كفر كلٍّ من الطائفتين، وعرفت أن كفر المعطلة أعظم؛ لأنه محفوف بتشبيهين، شبَّهوا أولًا، وعطَّلوا ثانيًا، ولزمهم في تعطيلهم التمثيل بالجمادات والمعدومات، بل والممتنعات. اهـ

* **ابن مانع**: قوله: «بين أهل التعطيل الجهمية وأهل التمثيل المشبهة». التعطيل هو نفي الصفات الإلهية عن القيام بالذات العلية، وتأويلها بلا دليل صحيح ولا عقل صريح كقولهم: رحمة الله: إرادته الإحسان والإنعام، ويده: قدرته، واستواؤه على

(١) على ما تقتضيه لغة القرآن، دون التعرض للكيفية.

(٢) هو الإمام نعيم بن حماد الخزاعي شيخ الإمام البخاري. انظر «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» للالكائي (٩٣٦)، وجاء نحوه عن إسحاق بن راهوية رَحِمَهُ اللهُ كما عند اللالكائي (٩٣٧).

(٣) انظر «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (٥/ ٢٦١)، (١٢/ ٧٣).

العرش: استيلاؤه عليه. كل هذا وأمثاله من التعطيل، وما حملهم على ذلك إلا الظن الفاسد، والرأي الكاسد، ولقد أحسن القائل حيث قال:

وقصارى أمر من أوّل أنْ ظنوا الظنونا
فيقولون على الرحمن ما لا يعلمونا

والجهمية المعطلة هم أتباع الجهم بن صفوان الترمذي رأس الفتنة والضلال، وهم في هذا الباب طائفتان: نفاة، ومثبتة. فالنفاة قالوا: لا ندري أين الله. فلا هو داخل العالم ولا خارجه، ولا متصل ولا منفصل، فلم يؤمنوا بقول الله: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٨]، وقول النبي ﷺ للجارية: «أين الله؟»(١) وغير ذلك من أدلة الكتاب والسنة.

وأما المثبتة من فرقتي الضلال، فهم الذين يقولون: إن الله في كل مكان، تعالى الله عن قولهم علوًّا كبيرًا، فإنه سبحانه فوق مخلوقاته مستو على عرشه، بائن من خلقه.

وأما أهل التمثيل المشبهة فهم الذين شبهوا الله بخلقه، ومثلوه بعباده.

وقد رد الله على الطائفتين بقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ فهذا يرد على المشبهة، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ يرد على المعطلة.

وأما أهل الحق فهم الذين يثبتون الصفات لله تعالى، إثباتًا بلا تمثيل، وينزهونه عن مشابهة المخلوقات تنزيهًا بلا تعطيل. اهـ

---

(١) تقدم تخريجه، وأنه أخرجه مسلم.

قوله: (وَهُمْ وَسَطٌ فِي بَابِ أَفْعَالِ اللهِ بَيْنَ الجَبْرِيَّةِ وَالقَدَرِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ).

❁ السعدي: فإن الجبرية يزعمون أن العبد مجبور على أفعاله لا قدرة له عليها، وأن أفعاله بمنزلة حركات الأشجار، كل هذا غلو منهم في إثبات القدر.

والقدرية قابلوهم، فنفوا تعلق قدرة الله بأفعال العباد؛ تنـزيهًا لله بزعمهم فأفعال العباد عندهم لا تدخل تحت مشيئة الله وإرادته.

وكل من هاتين الطائفتين ردَّتْ طائفةً كبيرة من نصوص الكتاب والسنة، وهدى الله أهل السنة والجماعة للتوسط بين الطائفتين المنحرفتين، فآمنوا بقضاء الله وقدره، وشموله للأعيان، والأوصاف، والأفعال، التي من جملتها أفعال المكلفين وغيرهم، وآمنوا بأنه ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وآمنوا مع ذلك بأن الله تعالى جعل للعباد قدرةً وإرادةً تقع بها أقوالهم وأفعالهم، على حسب اختيارهم وإرادتهم، فآمنوا بكل نصٍّ فيه تعميم قدرته ومشيئته لكل شيء، وبكل نص فيه إثبات أن العباد يعملون ويفعلون كل الأفعال الكبيرة والصغيرة بإرادتهم وقدرتهم، وعَلِموا أن الأمرين لا يتنافيان بل يتساعدان، كما سيأتي توضيح ذلك إن شاء الله. اهـ

❁ آل الشيخ: «وهم وسط في باب أفعال الله» في شمول مشيئته، وخلقه لأفعال العباد: «بين الجبرية» الذين يجعلون أفعال العبد فعل الله، وليس للعبد فعل أصلًا، وإنما هو كالميت أدرج في الأكفان، «والقدرية وغيرهم» الذين يقولون: الأفعال فعلها العبد، فما شاء فعل وما لم يشأ لم يفعل ولم يخلقها الله.

فأفعال الله تعالى قد غلا في إثباتها قوم، وهم القدرية المجبرة من الجهمية والأشاعرة ومن وافقهم، حتى جعلوا العبد مجبورًا على أفعاله، وأنه كالآلة، وكالمستدير في يد مديره، لا فعل له، ولا إرادة له، ولا قدرة، ولازم قولهم: أن أفعالهم هي أفعال الله، وغلاتهم يقولون: أفعالهم عين فعل الله.

وقابلهم قوم- وهم القدرية النافية للقدر- فأخرجوها عن أفعال الله، وأنها ليست بتكوينه، وقالوا: إن الذي يفعله العبدُ، من غير قضاء الله وقدره. فلازم قولهم: أن العبد يخلق مع الله.

فهدى الله أهل السنة، فأثبتوا أفعال الله ولم يغلوا فيها، فآمنوا أن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وأن العبد له فعل ومشيئة وقدرة، لكنها تابعة لمشيئة الله وقدرته، ومشمولة بالخلق. اهـ

أفعال العباد

❁ **الهراس**: اعلم أن الناس اختلفوا في أفعال العباد، هل هي مقدورة للرب أم لا؟ فقال جهم وأتباعه- وهم الجبرية-: إن ذلك الفعل مقدور للرب لا لعبد. وكذلك قال الأشعري وأتباعه: إن المؤثر في المقدور قدرة الرب، لا قدرة العبد.

وقال جمهور المعتزلة -وهم القدرية أي: نفاة القدر-: إن الرب لا يقدر على عين مقدور العبد، واختلفوا هل يقدر على مثل مقدوره؟ فأثبته البصريون كأبي علي، وأبي هاشم، ونفاه الكعبي وأتباعه البغداديون.

وقال أهل الحق: أفعال العباد بها صاروا مطيعين وعصاة، وهي مخلوقة لله تعالى، والحق سبحانه منفرد بخلق المخلوقات، لا خالق لها سواه.

فالجبرية غلوا في إثبات القدر، فنفوا فعل العبد أصلًا، والمعتزلة نفاة القدر جعلوا العباد خالقين مع الله؛ ولهذا سُمُّوا مجوس هذه الأمة.

وهدى المؤمنين أهل السنة لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، فقالوا: العباد فاعلون، والله خالقهم وخالق أفعالهم، كما قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات: ٩٦].

وهذه المسألة من أكبر المسائل التي تضاربت فيها آراء النُّظَّار، وقد أُلفت فيها كتب خاصة، كـ«شفاء العليل في القضاء والقدر والحكمة والتعليل» لشمس الدين ابن القيم، ولم يهتد إلى الصواب فيها إلا من اعتصم بالكتاب والسنة.

مرامٌ شطَّ مَرْمَى العقلِ فيه ❋ ودون مداه بِيدٌ لا تبيد

اهـ

قوله: (وَفِي بَابِ وَعِيدِ الله بَيْنَ الْمُرْجِئَةِ والوَعِيدِيَّةِ مِنَ القَدَرِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ)(١).

❋ السعدي: وذلك أن المرجئة جعلت الإيمان فقط تصديق القلب، وأخرجت عنه جميع الأعمال الباطنة والظاهرة، وجوَّزوا على الله أن يعذب المطيعين، وأن يُنَعِّمَ العاصين.

وأما الوعيدية من القدرية فخلدوا في النار كل من مات مصرًّا على الكبائر التي دون الشرك، فانحرفت كل واحدة، وردَّت لأجل ذلك من النصوص ما ردت. وهدى الله أهل السنة والجماعة، فتوسطوا وقالوا: إن الإيمان اسم لجميع العقائد الدينية، والأعمال القلبية والبدنية، وأنه قد يبقى ناقصًا إذا تجرَّأ المؤمن على المعاصي بدون توبة، وأن الله لا يظلم من عباده أحدًا، ولا يعذب الطائعين بغير جرم ولا ذنب، وأنه لا يخلِّد في النار مَن في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان، ولو فعل الكبائر، كما تواترت بذلك النصوص في الكتاب والسنة. اهـ

❋ الهراس: قوله: «وفي باب وعيد الله بين المرجئة والوعيدية...» يعني: أن أهل السنة والجماعة وسط في باب الوعيد بين المفرطين من المرجئة الذين قالوا: لا يضر مع

(١) «القدرية» أي: المعتزلة، و«غيرهم» أي: الخوارج.

الإيمان ذنب، كما لا تنفع مع الكفر طاعة. وزعموا أن الإيمان مجرد التصديق بالقلب، وإن لم ينطق به، وسُمُّوا بذلك نسبة إلى الإرجاء- أي: التأخير- لأنهم أخروا الأعمال عن الإيمان.

ولا شك أن الإرجاء بهذا المعنى كفر يخرج صاحبه عن الملة؛ فإنه لابد في الإيمان من قول باللسان، واعتقاد بالجنان، وعمل بالأركان، فإذا اختل واحد منها لم يكن الرجل مؤمنًا.

وأما الإرجاء الذي نسب إلى بعض الأئمة من أهل الكوفة، كأبي حنيفة وغيره، وهو قولهم: إن الأعمال ليست من الإيمان. ولكنهم مع ذلك يوافقون أهل السنة على أن الله يعذب من يعذب من أهل الكبائر بالنار، ثم يخرجهم منها بالشفاعة وغيرها، وعلى أنه لابد في الإيمان من نطق باللسان، وعلى أن الأعمال المفروضة واجبة يستحق تاركها الذم والعقاب- فهذا النوع من الإرجاء ليس كفرًا، وإن كان قولًا باطلًا مبتدعًا؛ لإخراجهم الأعمال عن الإيمان.

وأما الوعيدية فهم القائلون بأن الله يجب عليه عقلا أن يعذب العاصي، كما يجب عليه أن يثيب المطيع، فمن مات على كبيرة ولم يتب منها لا يجوز عندهم أن يغفر الله له، ومذهبهم باطل مخالف للكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء: ٤٨]، وقد استفاضت الأحاديث في خروج عصاة الموحدين من النار ودخولهم الجنة.

فمذهب أهل السنة والجماعة وسط بين نفاة الوعيد من المرجئة وبين موجبيه من القدرية، فمن مات على كبيرة عندهم، فأمره مفوض إلى الله، إن شاء عاقبه، وإن شاء عفا عنه، كما دلت عليه الآية السابقة، وإذا عاقبه بها فإنه لا يخلد خلود الكفار، بل يخرج من النار، ويدخل الجنة. اهـ

* **آل الشيخ**: أهل السنة وسط في باب نصوص وعيد الله بالعذاب أو بالنار لعصاة الموحدين بين طرفين: المرجئة، والوعيدية.

فالمرجئة: يعطلون نصوص الوعيد، ولا يعتقدون حقيقة الوعيد، وأن عصاة المؤمنين على خطر إن لم يتجاوز الربّ عنهم، بل يُغلِّبون جانب الرجاء، ويتأخر منهم العمل.

والوعيدية من القدرية وغيرهم يثبتون نصوص الوعيد، ويغلون في إثباتها ويزيدون فيها، ويرون أن من تُوعد فيها من عصاة الموحدين فهو من المخلدين في النار، حكمه حكم الكفار والمشركين.

وأهل السنة يثبتون نصوص الوعيد، ويمرونها كما جاءت ولا يعطلونها، مع مراعاة شيء آخر وهو أن كل ذنب دون الشرك، فهو تحت المشيئة، ولا يُغلِّبون جانب الرجاء فيتأخر منهم العمل، ولا يرون أن عصاة الموحدين مثل الكفار، ولكن يخشون عليهم.

ويأتي في آخر الكتاب إيضاح هذا الباب في باب مستقل. اهـ

* **ابن مانع**: قال في «التعريفات»: المرجئة قوم يقولون: لا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة، وقال القسطلاني في «شرح البخاري»: المرجئة نسبة إلى الإرجاء -أي: التأخير- لأنهم أخروا الأعمال عن الإيمان، حيث زعموا أن مرتكب الكبيرة غير فاسق(١).

وهم فرقتان كما ذكر ذلك شيخ الإسلام في «الفرقان»:

الأولى: الذين قالوا: إن الأعمال ليست من الإيمان. ومع كونهم مبتدعة في القول الباطل فقد وافقوا أهل السنة على أن الله يعذب من يعذبه من أهل الكبائر بالنار، ثم يخرجهم بالشفاعة كما جاءت به الأحاديث الصحيحة، وعلى أنه لابد في الإيمان أن

---

(١) انظر «إرشاد الساري بشرح صحيح البخاري» (١/ ١٣٧)، قال: المرجئة: بضم الميم وكسر الجيم ثم همزة نسبة إلى الإرجاء... إلخ.

يتكلم به بلسانه، وعلى أن الأعمال المفروضة واجبة، وتاركها مستحق للذم والعقاب، وقد أضيف هذا القول إلى بعض الأئمة من أهل الكوفة.

وأما الفرقة الثانية: فهم الذين قالوا: إن الإيمان مجرد التصديق بالقلب وإن لم يتكلم به. فلا شك أنهم من أكفر عباد الله، فإن الإيمان هو قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالأركان، فإذا اختل واحد من هذا الأركان لم يكن مؤمنًا.

وأما الوعيدية فهم القائلون بالوعيد، وهو من أصول المعتزلة، وهو أن الله لا يغفر لمرتكب الكبائر إلا بالتوبة، ومذهبهم باطل يرده الكتاب والسنة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]، وقال عليه الصلاة والسلام: «**من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة**». قال أبو ذر: وإن زنى وإن سرق؟ قال: «**وإن زنى وإن سرق**». فمذهب أهل السنة حق بين باطلين وهدى بين ضلالتين، كما سمعت والله أعلم(١). اهـ

❁ **ابن باز:** أهل السنة وسط بين الوعيدية الذين يقولون: إن وعيد الله نافذ، وبين المرجئة، الذين يرجئون الأعمال، ويرون العبد إنما له قول واعتقاد، وأما عمله فليس من الإيمان، والوعيدية يمضون وعيد الله، وهم المعتزلة، يقولون: إن صاحب الكبيرة مخلّد في النار، إذا مات على المعاصي.

والمرجئة يقولون: لا يضر مع الإيمان شيء؛ لأنهم يرون أن العمل ليس من الإيمان، فيرون قوله وتصديقه كافيًا.

وأما أهل السنة، فيقولون: الإيمان قول وعمل واعتقاد، تضره المعاصي، لكن لا توجب خلوده في النار، كما تقوله المعتزلة، ولا يكفر كما تقوله الخوارج، ولكن المعاصي تضره، وتضعف إيمانه، وبزوالها والتوبة منها يكمل إيمانه.

---

(١) هذا النقل ملخّص من كلام شيخ الإسلام بتصرف من كتاب «الفرقان بين الحق والباطل». انظر المطبوع ضمن «مجموع الفتاوى» (١٣/ ٣٨-٣٩).

وهكذا هم وسط بين الوعيدية -من المعتزلة أيضًا والخوارج- وبين المرجئة، فالخوارج يقولون: الإيمان قول وعمل واعتقاد، لكن لا يزيد ولا ينقص. وهكذا الوعيدية من المعتزلة، يقولون: قول وعمل واعتقاد، لكن لا يزيد ولا ينقص، فمن مات على المعاصي صار من أهل النار، خالدًا مخلدًا فيها. وتزيد الخوارج أنه يكفر بذلك، مع كونه من أهل النار.

وأما أهل السنة، فهم وسط في ذلك، يقولون: المعاصي تنقص إيمانه وتضعفه، ولكن لا يكفر بها إلا إذا استحلها، ولا يخلد في النار. خلافًا للخوارج، وخلافًا للمعتزلة، قبحهم الله. اهـ

قوله: (وَفِي بَابِ أَسْمَاءِ الإِيمَانِ وَالدِّينِ بَيْنَ الحَرُورِيَّةِ وَالْمُعْتَزِلَةِ، وَبَيْنَ الْمُرْجِئَةِ وَالجَهْمِيَّةِ).

* **قال الشيخ**: «أسماء الإيمان والدين» كنصوص التكفير، وهذه يقال لها: مسألة الأسماء والأحكام، مثل الإسلام، والإيمان، والكفر، والفسق. والمرجئة ما بالوا بها، ولا أشفقوا، وأهل السنة أعطوها حقها، وخافوا ارتكابها.

فأهل السنة وسط بين طرفين: بين الحرورية -نسبة إلى حروراء، وهم الخوارج- والمعتزلة، وبين المرجئة -قيل: من الإرجاء وهو التأخير- والجهمية.

فالخوارج والمعتزلة طرف، والمرجئة والجهمية طرف.

* المعتزلة والخوارج قالوا: إن الإيمان قول وعمل، لكن لا يتبعض ولا يتجرأ. قالوا: إنّ تركَ المعصية وفعلَ الطاعة إيمان، فإذا فعل الموحد المعصية، أو ترك الطاعة زال عنه الإيمان كله.

ثم الخوارج تكفره، والمعتزلة تجعل له منزلة بين المنزلتين.

وافقوا أهل السنة في أصل الإيمان أنه قول وعمل، لكن خالفوهم فقالوا: لا يتبعض ولا يَتَجَزَّأ.

* والمرجئة والجهمية قالوا: الإيمان هو التصديق بالقلب فقط، أو القول فقط، وأنه لا يزيد ولا ينقص، ولا يتبعض ولا يتجزأ.

فيلزم على القول بأنه العلم بالحق والمعرفة، أن إيمان جبريل وإبليس واحد(١).

ويلزم على القول بأنه القول فقط، أن إيمان جبريل وإيمان المنافقين واحد(٢).

* وأهل السنة وسط بين هذين الطرفين، فقالوا: إن الإيمان قول باللسان، واعتقاد بالجنان، وعمل بالأركان، وهو يزيد بالطاعة، وينقص بالعصيان، ويتبعض ويتجزأ، وأن التصديق بالقلب وحده ليس بإيمان، وأن الذي يقول بلسانه ما ليس في قلبه ليس بمؤمن، وأن الفاسق الملّي لا يكفر بمطلق المعاصي والكبائر، وغير ذلك مما تقتضيه أصولهم. اهـ

مسألة الأسماء والأحكام

* **الهراس**: كانت مسألة الأسماء والأحكام من أول ما وقع فيه النزاع في الإسلام بين الطوائف المختلفة، وكان للأحداث السياسية والحروب التي جرت بين علي ومعاوية رضي الله عنهما في ذلك الحين -وما ترتب عليها من ظهور الخوارج والرافضة والقدرية- أثر كبير في ذلك النزاع.

* والمراد بالأسماء هنا: أسماء الدين، مثل مؤمن، ومسلم، وكافر، وفاسق.. إلخ.

---

(١) لأنّ إبليس عرف الحق وتركه.

(٢) لأن المنافقين يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم.

* والمراد بالأحكام: أحكام أصحابها في الدنيا والآخرة، فالخوارج الحرورية، والمعتزلة ذهبوا إلى أنه لا يستحق اسم الإيمان إلا من صدق بجنانه، وأقر بلسانه، وقام بجميع الواجبات، واجتنب جميع الكبائر.

* فمرتكب الكبيرة عندهم لا يسمى مؤمنًا باتفاق بين الفريقين.

ولكنهم اختلفوا: هل يسمى كافرًا أوْ لا؟

فالخوارج يسمونه كافرًا، ويستحلون دمه وماله؛ ولهذا كفروا عليًّا ومعاوية وأصحابهما، واستحلوا منهم ما يستحلون من الكفار.

وأما المعتزلة، فقالوا: إن مرتكب الكبيرة خرج من الإيمان، ولم يدخل في الكفر، فهو بمنزلة بين المنزلتين. وهذا أحد الأصول التي قام عليها مذهب الاعتزال[1].

واتفق الفريقان أيضا على أن من مات على كبيرة ولم يتب منها فهو مخلد في النار، فوقع الاتفاق بينهما في أمرين:

١- نفي الإيمان عن مرتكب الكبيرة.

٢- خلوده في النار مع الكفار.

ووقع الخلاف أيضا في موضعين:

أحدهما: تسميته كافرًا.

---

(١) أصول المعتزلة الكبرى خمسة:

١- العدل، وهو نفي القدر.

٢- التوحيد، وهو نفي الصفات الإلهية.

٣- المنزلة بين المنزلتين، وهو أن الفاسق يخرج من الإسلام ولا يدخل الكفر.

٤- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو الخروج بالسيف على الولاة الظلمة والفساق.

٥- إنفاذ الوعيد، وهو تعذيب عصاة المسلمين، وتخليدهم في النار.

والثاني: استحلال دمه وماله، وهو الحكم الدنيوي[١].

* وأما المرجئة، فقد سبق بيان مذهبهم، وهو أنه لا يضر مع الإيمان معصية، فمرتكب الكبيرة عندهم مؤمن كامل الإيمان، ولا يستحق دخول النار.

* فمذهب أهل السنة والجماعة وسط بين هذين المذهبين، فمرتكب الكبيرة عندهم مؤمن ناقص الإيمان، قد نقص من إيمانه بقدر ما ارتكب من معصية، فلا ينفون عنه الإيمان أصلًا، كالخوارج والمعتزلة، ولا يقولون بأنه كامل الإيمان، كالمرجئة والجهمية.

وحكمه في الآخرة عندهم أنه قد يعفو الله ﷻ عنه فيدخل الجنة ابتداء، أو يعذبه بقدر معصيته، ثم يخرجه ويدخله الجنة كما سبق، وهذا الحكم أيضًا وسط بين من يقول بخلوده في النار، وبين من يقول: إنه لا يستحق على المعصية عقابًا. اهـ

* **ابن مانع**: الحرورية هم الخوارج، واعلم أن الناس تنازعوا قديمًا في الأسماء والأحكام. أي: أسماء الدين مثل: مؤمن، ومسلم، وكافر، وفاسق، وفي أحكام هؤلاء في الدنيا والآخرة.

* فالمعتزلة وافقوا الخوارج على حكمهم في الآخرة دون الدنيا، فلم يستحلوا من دماء الفساق الموحدين وأموالهم كما استحلته الخوارج من الفاسق الملي مرتكب الكبائر؛ لأن الخوارج يرون ذلك كفرًا.

وإنما وافقوهم على حكمهم في الآخرة، وهو الخلود في النار، وأما في الدنيا فخالفوهم في الاسم فقالوا: مرتكب الكبيرة خرج من الإيمان ولم يدخل في الكفر، فهو بمنزلة بين المنزلتين، وهذا أصل من أصول المعتزلة وهو خاصة مذهبهم الباطل.

* وأما مذهب المرجئة فقد تقدم أنهم قالوا: لا يضر مع الإيمان معصية.

---

(١) فالخوارج تسمي العاصي كافرًا، وتستحل دمه وماله، بخلاف المعتزلة في ذلك.

* ومذهب أهل الحق خلاف هذين المذهبين، فلا يقولون بقول الخوارج والمعتزلة، ويخلدون عصاة الموحدين في النار، ولا يقولون بقول المرجئة: إن المعصية لا تضرهم. بل العبد الموحد مأمور بالطاعات، منهي عن المعاصي والمخالفات، فيثاب على طاعته ويعاقب على معصيته، إن لم يعف الله عنه، والبحث طويل لا يتسع له مثل هذه الحواشي، وإنما قصدنا بذلك تنبيه الطالب إلى مآخذ هذه المسائل. اهـ.

الفرق بين الخوارج والمعتزلة

* **السعدي**: الفرق بين الحرورية والمعتزلة: أن الحرورية -وهم الخوارج- يطلقون الكفر على العصاة من المؤمنين ويخلدونهم في النار.

وأما المعتزلة فلا يطلقون عليهم الكفر، بل يقولون: لا مسلمون ولا كفار، ولكنهم يخلدونهم في النار كالخوارج. والنصوص ترد قولهم جميعًا. اهـ.

قوله: (وَبَيْنَ الْمُرْجِئَةِ وَالْجَهْمِيَّةِ).

* **ابن مانع**: أما عطف الجهمية على المرجئة كما في نسختنا[1] فليس للمغايرة، فإن المرجئة جهمية أيضًا، فالجهم هو الذي ابتدع التعطيل، والتَّجهُّم، والإرجاء، والجبر، قال في النونية:

«جيمٌ» و«جيمٌ» ثم «جيمٌ» معهما * مقرونة مع أحرفٍ بوزان
فإذا رأيت الثور فيه يقارن * الجيمات بالتثليث شر قران
دلت على أن النحوس جميعها * سهم الذي قد فاز بالخذلان

---

(١) وهو الثابت في نسخة المؤلف وسائر النسخ.

«جـبرٌ» و«إرجـاءٌ» وجـيم «تجهـمٍ» * فتأمـل المجمـوع في الميـزان
فـاحكم بطالعهـا لمـن حـصلت لـه * بخلاصـه مـن ربقـة الإيـمان
والجهـم أصَّـلَها جميعًـا فاغتـدت * مقـسومة في النـاس بـالميزان
لكـن نجـا أهـلُ الحـديثِ المحـضِ * أتبـاعُ الرسـول وتـابعو القـرآن
عرفـوا الـذي قـد قـال مـعْ علـم بـها * قـال الرسـول فهـم أولـو العرفـان

ا.هـ.

قوله: (وَفِي أَصْحَابِ رَسُولِ الله ﷺ بَيْنَ الرَّافِضَةِ وَالخَوَارِجِ).

* **ابن مانع**: فالرافضة كفروهم والخوارج كفروا بعضهم، وأهل الحق عرفوا فضلهم كلهم، وأنهم أفضل هذه الأمة إسلامًا، وإيمانًا، وعلمًا، وحكمة ﷺ. اهـ

* **آل الشيخ**: الرافضة غَلَوا في عليٍّ وأهل البيت، حتى قال بعضهم بإلهيتهم، أو نبوتهم، أو عصمتهم، فالرافضة يغلون في أهل البيت بتعظيمهم، ويجفون بقية الصحابة إلا نفرًا قليلًا، ومسلكهم فيهم التكفير.

* ومسلك الخوارج في أصحاب رسول الله ﷺ معلوم معروف، يكفرونهم أو يفسقونهم -أهل البيت وغيرهم- لما وقع منهم من التحكيم وغيره، خصوصًا عليًّا ومعاوية وأهل الشام.

* وأهل السنة والجماعة وسط، وعلى هدى مستقيم بين ضلالتين، يترضون عن جميع أصحاب رسول الله ﷺ، ويعرفون حقهم، وينزلونهم منازلهم، ولا يرون فيهم ما يراه الخوارج والروافض من تكفيرهم.

* وكذلك أهل السنة والجماعة توسطوا في أهل بيت رسول الله ﷺ، ورأوا أن لهم مزية؛ لقربهم من النبي ﷺ كما قال ﷺ: «**والذي نفسي بيده، لا يؤمنون حتى يحبوكم لله ولقرابتي**»(١)، ولا يرون ما يراه الروافض من الغلو في أهل البيت، ولا ما يراه الخوارج والنواصب من العداء لأهل البيت. اهـ

* **السعدي**: الرافضة تسب الصحابة وتلعنهم، وربما كفرتهم، أو كفرت بعضهم، وأما الرافضة الغالية فإنهم مع سبهم لطائفة من الصحابة وللخلفاء الثلاثة، فإنهم يغلون في علي ويدَّعون فيه الألوهية، وهم الذين حرّقهم علي بن أبي طالب بالنار.

وقابلهم الخوارج، فقاتلوه، وقاتلوا الصحابةَ، وكفروهم، واستحلوا دماء الصحابة والمسلمين.

وهدى الله أهل السنة والجماعة فاعترفوا بفضل أصحاب نبيهم، وأنهم أعلى الأمة في كل خصلة كمال، ومع ذلك فلم يغلوا فيهم، ولم يعتقدوا عصمتهم، بل قاموا بحقوقهم وأحبوهم؛ لما لهم من الحق الأكبر على جميع الأمة، كما سيأتي ذلك إن شاء الله. اهـ

* **ابن باز**: أهل السنة وسط في أصحاب رسول الله ﷺ بين الرافضة وبين الخوارج، فالرافضة غلوا، والخوارج جفوا وقاتلوا الصحابة وكفروا أكثرهم، والرافضة غلوا في أهل البيت.

أما أهل السنة والجماعة فيترضون على جميع الصحابة ﷺ، ويؤمنون بعدالتهم جميعًا وأنهم خير خلق الله بعد الأنبياء عليهم السلام، ويتبرؤون من طريقة الروافض، الذين يغلون في علي ﷺ، وأهل البيت ﷺ، فأهل السنة لا يغلون، ولا يجفون، فهم مع الصحابة يترضون عنهم، ويعتقدون أنهم أفضل الخلق بعد الرسل والأنبياء عليهم السلام، وأنهم

---

(١) حسن صحيح بمجموع طرقه، أخرجه الإمام أحمد (١٧٧٢، ١٧٧٣، ١٧٧٧)، والترمذي (٣٧٥٨)، والبزار (٢١٧٥)، والحاكم (٣/ ٣٣٣)، وقال الترمذي: حسن صحيح، وسيأتي مزيد بسط في تخريجه إن شاء الله عند قول المصنف: «ويحبون أهل بيت رسول الله ﷺ ...» إلخ.

خير هذه الأمة، ولكن لا يغلون فيهم كما تغلوا الرافضة في عليّ ﷺ ، وأهل البيت ﷺ، ويدعونهم مع الله، ويزعمون أنهم معصومون، لا هذا ولا هذا، فالرافضة غلوا، وزلوا، وضلوا، والخوارج أيضًا جفوا في حق الصحابة ﷺ، ولم يثبتوا عدالتهم.

وأهل السنة أثبتوا عدالة الصحابة ﷺ، وفضلهم، وأنهم أفضل الخلق بعد الأنبياء عليهم السلام، ولكن خالفوا الرافضة في الغلو، فلم يغلوا في علي ﷺ، ولا في أهل البيت ﷺ، بل ترضوا عليهم، وعرفوا فضلهم، وأنهم من أهل الخير من استقام منهم على الحق، فهو يرجى له الخير، وعلي ﷺ مثل بقية الصحابة، وهو رابع الخلفاء، وله فضله، وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، لكن لا يغلى فيه، ولا يدعى مع الله، ولا يقال: إنه معصوم، ولا يقال: إنه صاحب الرسالة وأن جبريل عليه السلام خان! كل هذا باطل، لكنه ﷺ من أفضل الصحابة، ومن خيرة الصحابة ﷺ ، ولكن لا يجوز الغلو فيه وفي فاطمة ﷺ، ولا في الحسن، ولا في الحسين ﷺ، ولا في غيرهم، بل من استقام منهم على الحق من أهل البيت ﷺ فله صفة المؤمنين، يدعى له ويترضى عليه، لكن لا يغلى فيه، بل يعرف فضلهم، وأنهم من خيرة المسلمين، ولهم منزلتهم المعروفة عند أهل السنة والجماعة، فلا يغلون في أحد من الصحابة، ولا يجفون أحدًا، بل يعرفون حقهم، وفضلهم، ومنزلتهم التي أنزلهم الله إياها، ويحفظون فيهم وصية رسول الله ﷺ بهم. اهـ

❁ **الهراس**: المعروف أن الرافضة قبحهم الله يسبون الصحابة ﷺ، ويلعنونهم، وربما كفروهم، أو كفروا بعضهم، والغالبية منهم مع سبهم لكثير من الصحابة والخلفاء يغلون في علي وأولاده، ويعتقدون فيهم الإلهية.

وقد ظهر هؤلاء في حياة علي ﷺ بزعامة عبد الله بن سبأ الذي كان يهوديًا وأسلم وأراد أن يكيد للإسلام وأهله، كما كاد اليهود من قبل للنصرانية وأفسدوها على أهلها، وقد حرقهم علي بالنار؛ لإطفاء فتنتهم، وروي عنه في ذلك قوله:

لما رأيت الأمر أمرًا منكرا ❁ أجججت ناري ودعوت قنبرا

* وأما الخوارج، فقد قابلوا هؤلاء الروافض، فكفروا عليًّا ومعاوية ومن معهما من الصحابة، وقاتلوهم، واستحلوا دماءهم وأموالهم.

* وأما أهل السنة والجماعة، فكانوا وسطًا بين غلو هؤلاء وتقصير أولئك، وهداهم الله إلى الاعتراف بفضل أصحاب نبيهم، وأنهم أكمل هذه الأمة إيمانًا، وإسلامًا، وعلمًا، وحكمة، ولكنهم لم يغلوا فيهم، ولم يعتقدوا عصمتهم، بل قاموا بحقوقهم، وأحبوهم؛ لعظيم سابقتهم، وحسن بلائهم في نصرة الإسلام، وجهادهم مع رسول الله ﷺ. اهـ

الفِرَق الإسلامية

* **ابن مبارك**: قال في «فتح الباري» في أول كتاب التوحيد: قال ابن حزم في كتاب «الملل والنحل»(١): فِرَق المقرّين بملة الإسلام خمس: أهل السنة، ثم المعتزلة ومنهم القدرية، ثم المرجئة ومنهم الجهمية والكرَّامية، ثم الرافضة ومنهم الشيعة، ثم الخوارج ومنهم الأزارقة والإباضية، ثم افترقوا فرقًا كثيرة، فأكثر افتراق أهل السنة في الفروع، وأما في الاعتقاد ففي نُبَذٍ يسيرة، وأما الباقون ففي مقالاتهم ما يخالف أهل السنة الخلاف البعيد والقريب.

فأقرب فرق المرجئة من قال: الإيمان التصديق بالقلب واللسان فقط، وليست العبادة من الإيمان.

وأبعدهم: الجهميَّة القائلون بأن الإيمان عقدٌ بالقلب فقط، وإن أظهر الكفر والتثليث بلسانه، وعبد الوثن من غير تقية. والكُرَّامية القائلون بأن الإيمان قولٌ باللسان فقط، وإن اعتقد الكفر بقلبه. وساق الكلام على بقية الفرق، ثم قال: فأمَّا

---

(١) ذكره الحافظ بالمعنى ملخصًا، كعادته في النقل، وانظره مبسوطًا في «الفِصل في الملل والنحل» لابن حزم (٣/ ١١١ وما بعدها).

المرجئة فعمدتهم الكلام في الإيمان والكفر، فمن قال: إن العبادة من الإيمان، وأنه يزيد وينقص، ولا يكفِّر مؤمنًا بذنب، ولا يقول أنه يخلد في النار فليس مرجئًا، ولو وافقهم في بقية مقالاتهم.

* وأما المعتزلة فعمدتهم الكلام في الوعد والوعيد والقدر، فمن قال: القرآن ليس بمخلوق، وأثبت القدر، ورؤية الله تعالى في القيامة، وأثبت صفاته الواردة في الكتاب والسنة، وأن صاحب الكبائر لا يخرج بذلك عن الإيمان فليس بمعتزلي، ولو وافقهم في سائر مقالاتهم. وساق بقية ذلك إلى أن قال: وأما الكلام فيما يوصف الله به فمشترك بين الفرق الخمس من مثبتٍ لها ونافٍ، فرأس النفاة المعتزلة والجهمية، فقد بالغوا في ذلك حتى كادوا يعطِّلون، ورأس المثبتة مقاتل بن سليمان ومن تبعه من الرافضة والكُرَّامية، فإنهم بالغوا في ذلك حتى شبهوا الله تعالى بخلقه، تعالى الله سبحانه عن أقوالهم علوًّا كبيرًا، ونظير هذا التباين قول الجهمية: إن العبد لا قدرة له أصلًا. وقول القدرية أنه يخلق فعل نفسه. انتهى[١].

طريقة المخالفين للسنة في رد النصوص

وقال القرطبي[٢] في شرح حديث: «أبغض الرجال إلى الله الألدُّ الخصِم»[٣]: «هذا الشخص الذي يبغضه الله هو الذي يقصد بخصومته مدافعة الحق، وردَّه بالأوجه الفاسدة، والشُّبه الموهمة، وأشدُّ ذلك الخصومة في أصول الدين، كما يقع لأكثر المتكلِّمين المعرضين عن الطرق التي أرشد إليها كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وسلف أُمّته، إلى طرق مبتدعة، واصطلاحات مخترعة، وقوانين جدليّة، وأمور صناعية، مدار أكثرها على آراء سُوفسطائية، أو مناقضات لفظية، ينشأ بسببها على الآخذ فيها شُبَهٌ ربما

(١) انظر «فتح الباري» (١٣/ ٤٢٣-٤٢٤) ط: دار السلام.
(٢) المحدث العلامة أبو العباس القرطبي صاحب «المفهم لما أشكل من تلخيص صحيح مسلم».
(٣) أخرجه البخاري (٢٤٥٧)، ومسلم (٢٦٦٨).

يعجز عنها، وشكوكٌ يذهب الإيمان معها، وأحسنهم انفصالًا عنها أجدلهم لا أعلمهم، فكم من عالمٍ بفساد الشبهة لا يقوى على حلها، وكم من منفصلٍ عنها لا يدرك حقيقة علمها.

ثمَّ إن هؤلاء قد ارتكبوا أنواعًا من المحال لا يرتضيها البُلْهُ ولا الأطفال، لما بحثوا عن تحيُّز الجواهر والألوان والأحوال، فأخذوا فيما أمسك عنه السلف الصالح من كيفيات تعلقات صفة الله تعالى. إلى أن قال : ولا فرق بين البحث عن كيفية الذات وكيفية الصفات، ومن توقف في هذا فليعلم أنه إذا كان عجز عن كيفية نفسه مع وجودها، وعن كيفية إدراك ما يدركُ به، فهو عن إدراك غيره أعجز، وغاية علم العالم أن يقطع بوجود فاعل لهذه المصنوعات منزَّهٌ عن الشبيه، مقدس عن النظير، متصف بصفات الكمال، متى ثبت النقل عنه بشيء من أوصافه وأسمائه قبلناه واعتقدناه وسكتنا عما عداه، كما هو طريق السلف، وما عداه لا يأمن صاحبه من الزلل، ويكفي في الردع عن الخوض في طرق المتكلمين ما ثبت عن الأئمة المتقدمين، كعمر بن عبد العزيز، ومالك بن أنس، والشافعي، وقد قطع بعض الأئمة بأن الصحابة لم يخوضوا في الجوهر والعَرَض وما يتعلق بذلك من مباحث المتكلمين، فمن رغب عن طريقهم فكفاه ضلالًا. قال: وأفضى الكلام بكثير من أهله إلى الشك، وبعضهم إلى الإلحاد، وبعضهم إلى التهاون بوظائف العبادات، وسبب ذلك إعراضهم عن نصوص الشارع، وتطلبُّهم حقائق الأمور من غيره، وليس في قوة العقل ما يدرك ما في نصوص الشارع من الحِكم التي استأثر بها، وقد رجع كثيرٌ من أئمتهم عن طريقهم، حتى جاء عن إمام الحرمين أنه قال: ركبتُ البحر الأعظم، وغصتُ في كلِّ شيءٍ نهى عنه أهل العلم في طلب الحق فرارًا من التقليد، والآن فقد رجعتُ واعتقدتُ مذهب السلف. انتهى(١). اهـ

(١) انظر «المفهم لما أشكل من تلخيص صحيح مسلم» لأبي العباس القرطبي (٦/ ٦٩٠-٦٩١) ط: ابن كثير.

فَصْلٌ

في الإيمان بعلم الله ومعيته لخلقه وأنها لا تنافي علوه وفوقيته جلَّ وعلا

قال المصنف رحمه الله: (وَقَدْ دَخَلَ فِيمَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الإِيمَانِ بِاللهِ: الإِيمَانُ بِمَا أَخْبَرَ اللهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ وَتَوَاتَرَ عَنْ رَسُولِهِ، وَأَجْمَعَ عَلَيْهِ سَلَفُ الأُمَّةِ؛ مِنْ أَنَّهُ ﷻ فَوْقَ سمواتِهِ، عَلَى عَرْشِهِ، عَلِيٌّ عَلَى خلقِهِ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ مَعَهُمْ أَيْنَمَا كَانُوا، يَعْلَمُ مَا هُمْ عامِلُونَ[1]؛ كَمَا جَمَعَ بَيْنَ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤].

وَلَيْسَ مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ أَنَّهُ مُخْتَلِطٌ بِالخَلقِ؛ فَإِنَّ هَذَا لا تُوجِبُهُ اللُّغَةُ، وَهُوَ خِلَافُ مَا أَجْمَعَ عَلَيْهِ سَلَفُ الأُمَّةِ، وَخِلَافُ مَا فَطَرَ اللهُ عَلَيْهِ الخَلْقَ؛ بَل القَمَرُ آيَةٌ مِنْ آيَاتِ اللهِ، مِنْ أَصْغَرِ مَخْلُوقَاتِهِ، ثُمَّ هُوَ مَوْضُوعٌ فِي السَّمَاءِ، وَهُوَ مَعَ المُسَافِرِ[2] أَيْنَمَا كَانَ.

وَهُوَ سُبْحَانَهُ فَوْقَ العَرْشِ، رَقِيبٌ عَلَى خلقِهِ، مُهَيْمِنٌ عَلَيْهِمْ، مُطَّلِعٌ عَلَيْهِم إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَعَانِي رُبُوبِيَّتِهِ.

وَكُلُّ هَذَا الكَلامِ الَّذِي ذَكَرَهُ اللهُ مِنْ أَنَّهُ فَوْقَ العَرْشِ وَأَنَّهُ مَعَنَا حَقٌّ عَلَى حَقِيقَتِهِ، لا يَحْتَاجُ إِلَى تَحْرِيفٍ، وَلَكِنْ يُصَانُ عَنِ الظُّنُونِ الكَاذِبَةِ؛ [مِثْلُ أَنْ يَظُنَّ أَنَّ ظَاهِرَ قَوْلِهِ: ﴿فِى ٱلسَّمَآءِ﴾؛ أَنَّ السَّمَاءَ تُظِلُّهُ أَوْ تُقِلُّهُ، وَهَذَا بَاطِلٌ بِإِجْمَاعِ أَهْلِ العِلمِ وَالإِيمَانِ؛ فَإِنَّ اللهَ قَدْ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السموات وَالأَرْضَ، وَهُوَ يُمْسِكُ السموات وَالأَرْضَ أَنْ تَزُولا، وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ

---

(١) في بعض النسخ: «يعلم ما هم عليه وما هم عاملون».

(٢) في بعض النسخ زيادة «وغير المسافر».

أَنْ تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إلا بِإِذْنِهِ، وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ بِأَمْرِهِ)](١).

الشرح

❁ **ابن باز**: هذا الفصل أهم فصول هذا الكتاب، وهو مطابق لما تقدم في أول الكتاب، يقول رَحِمَهُ اللهُ: وقد دخل فيما ذكرناه من الإيمان بالله: الإيمان بأنه ﷻ فوق السماء فوق العرش بائن من خلقه، وهذا ثابت بالنص من الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة، فجميع سلف الأمة رحمهم الله تعالى آمنوا بأن الله ﷻ فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه -بائن: أي منفصل عن خلقه- ليس في خلقه شيء من ذاته، وليس في ذاته شيء من خلقه، بل هو منفصل عنهم، كما قال عبد الله بن المبارك وغيره: نعرف ربنا بأنه فوق سمواته فوق عرشه بائن من خلقه، وعلمه في كل مكان(٢).

وهكذا يقول السلف جميعًا رحمهم الله: إنه سبحانه فوق السموات فوق العرش وعلمه في كل مكان.

ولا تنافي بين عموم علمه وبين علوه وفوقيته، فهو سبحانه فوق العرش، مع هذا علمه محيط بكل مكان محيط بكل شيء علمًا، كما قد جمع بين هذا وهذا في قوله سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم﴾ -يعني: يخبرهم- ﴿بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٧]، فبدأها بالعلم وختمها بالعلم، فدل

---

(١) زيادة ثابتة في كثير من النسخ، وليست في النسخة التي بخط المصنف.

(٢) أخرجه عبد الله بن أحمد في «السنة» (٤٤ - ط: القحطاني)، والدارمي في «الرد على الجهمية» (٦٧)، وابن بطة في «الإبانة الكبرى» (٢/ ١٤٨)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٨٦٢)، والذهبي في «العلو» وصححه، ووافقه الشيخ الألباني في مختصره (١٥٠).

ذلك على أن العلم غير العلو، علمه بكل شيء أمر ثابت بالنصوص من الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة، وهكذا علوه فوق عرشه ثابت بالنصوص، فلا تنافي بين هذا وهذا، بل يجب أن يصان عن الظنون الكاذبة، مثل أن يظن أن السماء تقله أو تظله، أو أنه في حاجة إليها، لا يجوز هذا، بل هو الذي أقام السموات وأقام العرش، وهو الذي يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ﴾ [فاطر: ٤١]، ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ بِأَمۡرِهِۦۚ﴾ [الروم: ٢٥]، فالمخلوقات كلها قائمة به جل وعلا، فهو الممسك لها والمقيم لها، والمدبر لها، وهو الخالق لها، وهو فوق العرش، فوق جميع الخلق ﷻ.

فكونه معنا حق، وكونه فوق العرش حق على حقيقته، لا يحتاج إلى تحريف ولا يظن أنه مختلط بالخلق، كما تقول المعتزلة والجهمية وغيرهم من نفات الصفات، بل هو سبحانه فوق العرش، وعلمه في كل مكان، ولا تخفى عليه خافية جل وعلا، لا في السماء ولا في الأرض.

فيجب أن يكون المؤمن على هذه العقيدة العظيمة الثابتة في الكتاب والسنة، التي أجمع عليها سلف الأمة من أصحاب النبي ﷺ ومن بعدهم، وأن العلو لا ينافي المعية والعلم والإحاطة، العلو شيء، والعلم بالأشياء شيء آخر، فلا يزول ولا يعزب عن علمه شيء لا في الأرض ولا في السماء، مع أنه فوق العرش فوق جميع الخلق سبحانه ﴿لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا﴾ [الطلاق: ١٢]، ويقول سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ [البقرة: ٢٣١]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [البقرة: ٢٠]، وقوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا﴾ [الكهف: ٤٥]. اهـ

❁ **السعدي**: صرح المصنف رحمه الله في هذا الفصل بمسألة العلو لله واستوائه على عرشه، وأن ذلك داخل في الإيمان بالله، وذلك لما حصل في هذه المسألة من القلاقل والمخاصمات الطويلة بين أهل السنة والجماعة وبين طوائف الجهمية والمعتزلة، ومن تبعهم في هذه المسألة من الأشعرية ونحوهم، فإن مسألة العلو صُنِّفت فيها المصنفات المستقلة، وأورد فيها أهل السنة من نصوص الكتاب والسنة ما لا يمكن دفعه أو دفع

بعضه، وحققوا ذلك أيضًا بالعقل الصحيح، وأن الفطر والعقول معترفة؛ بل مضطرة إلى الإيمان بعلو الله، إلا من غيرت فطرته العقائد الباطلة.

وقد بين المصنف في هذا الموضوع الجمع بين الإيمان بعلو الله، وإثبات معيته وعلمه المحيط، وحققه بكلام واضح مبين بالأمثلة المقربة للمعاني بما لا يزيد عليه. اهـ

❁ **الهراس**: صرح المؤلف هنا بمسألة علو الله تعالى واستوائه على عرشه بائنًا من خلقه، كما أخبر الله عن ذلك في كتابه، وكما تواتر الخبر بذلك عن رسوله، وكما أجمع عليه سلف الأمة الذين هم أكملها علمًا وإيمانًا، مؤكدًا بذلك ما سبق أن ذكره في هذا الصدد، ومشددًا النكير على من أنكر ذلك من الجهمية والمعتزلة ومن تبعهم من الأشاعرة.

الجمع بين المعية والقرب وبين العلو

ثم بين أن استواءه على عرشه لا ينافي معيته وقربه من خلقه؛ فإن المعية ليس معناها الاختلاط والمجاورة الحسية، وضرب لذلك مثلًا بالقمر الذي هو موضوع في السماء، وهو مع المسافر وغيره أينما كان، بظهوره واتصال نوره، فإذا جاز هذا بالنسبة للقمر، وهو من أصغر مخلوقات الله، أفلا يجوز بالنسبة إلى اللطيف الخبير الذي أحاط بعباده علمًا وقدرة، والذي هو شهيد مطلع عليهم، يسمعهم، ويراهم، ويعلم سرهم ونجواهم، بل العالم كله، سمواته وأرضه، من العرش إلى الفرش، كله بين يديه سبحانه كأنه بندقة في يد أحدنا، أفلا يجوز لمن هذا شأنه أن يقال: إنه مع خلقه مع كونه عاليًا عليهم بائنًا منهم فوق عرشه؟! بلى، يجب الإيمان بكلٍ من علوه تعالى ومعيته، واعتقاد أن ذلك كله حق على حقيقته، من غير أن يساء فهم ذلك، أو يُحمل على معان فاسدة؛ كأن يفهم من قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾، معية الاختلاط والامتزاج، كما يزعمه الحلولية[1]، أو يفهم من قوله: ﴿فِى ٱلسَّمَآءِ﴾، أن السماء ظرف حاوٍ له محيط به، كيف وقد وسع

(١) الذين يظنون أنَّ الله يحل في مخلوقاته.

كرسيه السموات والأرض جميعًا، وهو الذي يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه؟ فسبحان من لا يبلغه وهم الواهمين، ولا تدركه أفهام العالمين. اهـ

قوله: (وَقَدْ دَخَلَ فِيمَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الإِيمَانِ بِالله الإِيمَانُ بِمَا أَخْبَرَ اللهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ وَتَوَاتَرَ عَنْ رَسُولِهِ، وَأَجْمَعَ عَلَيْهِ سَلَفُ الأُمَّةِ؛ مِنْ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ فَوْقَ سمواتِهِ، عَلَى عَرْشِهِ، عَلِيٌّ عَلَى خَلقِهِ).

❁ **آل الشيخ**: يعني منفصل من خلقه بائن منهم، ليس في ذاته شيء من مخلوقاته، ولا في مخلوقاته شيء من ذاته.

وقوله: (وَهُوَ سُبْحَانَهُ مَعَهُمْ أَيْنَمَا كَانُوا) معية تقتضي العلم والإحاطة والاطلاع.

تفسير المعية بلازمها وهو العلم

وقوله: (يَعْلَمُ مَا هُمْ عَامِلُونَ): هذا تفسير لقوله: «وهو سبحانه معهم».

وألجأهم إلى أن يفسروها باللازم؛ لرد محذور أكبر، من أجل أنهم يتكلمون مع الجهمية القائلين بالحلول وإنكار العلو، فبينوا أنه ليس بالخلق مختلطًا، هذا مقتضى المعية[١]، وكذلك الإحاطة والقدرة وملكه وقبضه. والإيمان بذلك من أعظم الإيمان بالله ﷻ، فهو مع كمال علوه وفوقيته بكمال علمه ومعيته مع خلقه.

---

(١) أي الذي ألجأ السلف إلى تفسيرها بلازم المعية -وهو العلم- لرد محذور القول بالاختلاط بالخلق، وليس هذا تأويلاً، بل العلم من حقيقة المعية. وسيأتي كلام ابن القيم رحمه الله قريبًا في تحرير ذلك.

وقوله: (كَمَا جَمَعَ بَيْنَ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤].

قوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ﴾ واستواؤه على عرشه هذا فيه إثبات علوه على خلقه ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ﴾ إثبات كمال العلم. ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ﴾ إثبات صفة المعية. ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ إثبات صفة البصر.

وقوله: (وَلَيْسَ مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ أَنَّهُ مُخْتَلِطٌ بِالْخَلْقِ) أي: ليس ممتزجًا بالخلق كما تقوله حلولية الجهمية، حاشا وكلا، بل معية الله تعالى لا تقتضي ذلك، فإنها وردت مطلقة في وصف الله.

وقوله: (فَإِنَّ هَذَا لا تُوجِبُهُ اللُّغَةُ) أي: لا توجبه اللغة التي نزل بها القرآن من أن المراد بها الامتزاج، بل ترد ويراد بها هذا، وترد ويراد بها هذا.

قوله: (وَهُوَ خِلَافُ مَا أَجْمَعَ عَلَيْهِ سَلَفُ الْأُمَّةِ) فإنهم مجمعون على أن الله فوق عرشه، بائن من خلقه، فلو قلتَ: المعية لها معنيان؟ قلتُ لك، لكن يدل على أن المراد الأول إجماع المسلمين، ولما سئل ابن المبارك بماذا نعرف ربنا؟ قال: «بأنه فوق سمواته على عرشه، بائن من خلقه»(١).

وقوله: (وَخِلَافُ مَا فَطَرَ الله عَلَيْهِ الخَلْقَ) أي: «خلاف ما فطر الله عليه الخلقَ» عربَهم وعجَمَهم، صامتَهم وناطقَهم، فإنهم مطبقون على معرفة خالقهم ومزيل الضرّ عنهم، فوق السموات على العرش، فإنهم إذا حَزَبَ أحدَهم حازبٌ، رفع رأسه إلى السماء، حتى البهائم العُجْم إذا حزبها حازب رفعت رؤوسها إلى السماء.

---

(١) تقدم تخريجه.

وقوله: (بَلِ القَمَرُ آيَةٌ مِنْ آيَاتِ الله مِنْ أَصْغَرِ مَخْلُوقَاتِهِ، وَهُوَ مَوْضُوعٌ فِي السَّمَاءِ، وَهُوَ مَعَ المُسَافِرِ وَغَيْرِ المُسَافِرِ أَيْنَمَا كَانَ) أي: «القمر آية من» جملة «آيات الله» المشاهدة في الدنيا، «من أصغر مخلوقاته» بالنسبة إلى السموات، «وهو موضوع في السماء، وهو مع المسافر وغير المسافر أينما كان» ويصح أن يكون مع المسافر وغير المسافر وهو في موضعه، فمعية القمر مع الماشي وغيره تخصه وهو في فَلَكِهِ، فكيف برب العالمين؟ يقول السفار: «سافرنا ومعنا القمر» وهو ليس مختلطًا بهم، بل في فَلَكِهِ، والعرب تقول: «ما زلنا نسير والقمر معنا» ولا يريدون أنه حالٌّ فيهم ممازجٌ.

وإذا كانت معية القمر تطلقها العرب ولا يريدون ما تقدم، فلأن لا تفيد النصوص ذلك في حق الله بطريق الأولى، فإن الشخص يكون معه القمر وليس فيه القمر وليس معه إلا نوره. ويقال: «فلان مع فلان» إذا كان يميل إليه وإن كان بينهما مسافة بعيدة، ويقال: «هذه المرأة مع فلان» وإن كان بينهما مسافة، «وفلان مع الأمير» كذلك، فبطريق الأولى رب العالمين، فكما أن ذاته لا كذوات المخلوقات، فكذلك صفاته، بل هي معية موافقة مطابقة لائقة به.

فالمراد شيء واحد وهو: أن المعية لا تقتضي امتزاجًا واختلاطًا، فإنه صح في لغة العرب أنه معهم من قولهم: «سرنا والقمر معنا». اهـ

وقوله: (وَهُوَ سُبْحَانَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ، رَقِيبٌ عَلَى خَلقِهِ، مُهَيْمِنٌ عَلَيْهِمْ).

«مطلع» أي: مشرف «عليهم». وكلٌّ حق على حقيقته، هو على العرش حق على حقيقته، وهو معنا حق على حقيقته، فهما شيئان متوافقان لا يتنافيان أبدًا، فليس معنى قوله: «حق على حقيقته» كما يتبادر في الذهن من صفات المخلوقين، فبين صفات الله وصفات المخلوقين أعظم تباين يوجد. «لا يحتاج إلى تحريف». أي الذي يسميه المحرفون تأويلًا.

وقوله: (وَلَكِنْ يُصَانُ عَنِ الظُّنُونِ الكَاذِبَةِ) أي: «يصان عن الظنون الكاذبة» والأفهام الفاسدة، فإن بالظنون الكاذبة يكثر الاختلاف. (مِثْلُ أَنْ يَظُنَّ أَنَّ ظَاهِرَ قَوْلِهِ: ﴿فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ أَنَّ السَّمَاءَ تُظِلُّهُ أَوْ تُقِلُّهُ) قوله (تُقِلَّه) أي: تحمله، وأنها لو سقطت لسقط تعالى الله وتقدس.

قوله: «أو تظله» أي: تكون له كالظلة تعالى الله وتقدس.

قوله: (وَهَذَا بَاطِلٌ بِإِجْمَاعِ أَهْلِ العِلمِ وَالإِيمَانِ؛ فَإِنَّ اللهَ قَدْ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السموات وَالأَرْضَ، وَهُوَ يُمْسِكُ السموات وَالأَرْضَ أَنْ تَزُولا، وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إِلا بِإِذْنِهِ، وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ بِأَمْرِهِ).

❁ **قال الشيخ**: قوله «فإن الله» هذه فاء التعليل «قد وسع كرسيه» الكرسي: موضع القدمين، وجاء في الحديث: «**ما السموات السبع مع الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة**»[(١)] وهو صغير النسبة إلى العرش كما في الحديث: «**ما الكرسي في العرش إلى كحلقة**»[(٢)] فكيف يظن أن السموات تقله أو تظله سبحانه؟! بل السموات السبع كلها كالخردلة في يد أحدنا كما في الحديث[(٣)].

---

(١) صححه ابن حبان في «صحيحه» (٣٦١) من حديث أبي ذر وفيه: قلت: يا رسول الله، فأي ما أنزل الله عليك أعظم؟ قال: «آية الكرسي» ثم قال: «يا أبا ذر ما السموات السبع مع الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على الحلقة» الحديث، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٠٩) و«مختصر العلو» للذهبي.

(٢) جزء من الحديث السابق.

(٣) كما في أثر موقوف على ابن عباس قال: «ما السموات السبع والأرضون السبع وما فيهن في يد الله عز وجل، إلا كخردلة في يد أحدكم» رواه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١٠٩٠)، وابن بطة في «الإبانة» (ج٣/ ص٢٠٨ ح ٣٠٨).

فيظهر بهذا أن جميع مخلوقاته مفتقرة محتاجة إليه، من العرش إلى الثَّرى، ولولا إقامته لها لانْدَكَّ بعضها على بعض، فهو تعالى الغني بذاته عن جميع مخلوقاته، من عرشه حتى الحضيض، بل كل المخلوقات مفتقرة إليه، فلا قامت إلا بأمره وقدرته وإمساكه، فكيف يظن أنه محتاج إليها وهو الغني الكامل بذاته؟ اهـ

معاني كلمة (مع)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله[١]: «كلمة (مع) في اللغة إذا أطلقت فليس ظاهرها في اللغة إلا المقارنة المطلقة، من غير وجوب مماسة، أو محاذاة عن يمين أو شمال، فإذا قيدت بمعنى من المعاني، دلت على المقارنة في ذلك المعنى فإنه يقال: ما زلنا نسير والقمر معنا. أو والنجم معنا. ويقال: هذا المتاع معي. لمجامعته لك وإن كان فوق رأسك، فالله مع خلقه حقيقة وهو فوق عرشه حقيقة» اهـ.

وقال أيضًا: «الحقيقة» هو اللفظ المستعمل فيما وضع له وقد يراد بها المعنى الموضوع للفظ الذي يستعمل اللفظ فيه. فالحقيقة، أو المجاز هي من عوارض الألفاظ في اصطلاح أهل الأصول وقد يجعلونه من عوارض المعاني لكن الأول أشهر. اهـ[٢]

تفسير المعية بالعلم ليس من المجاز

* **قال العلامة ابن القيم**[٣]: مما ادُّعِيَ فيه المجازُ: قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟﴾ [النحل: ١٢٨]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦]، وقوله: ﴿إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ﴾ [الشعراء: ١٥]، وقوله:

(١) في «مجموع الفتاوى» (٥/ ١٠٣).
(٢) مجموع الفتاوى (٥/ ٢٠٠).
(٣) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة (ص/ ٤٧٦-ط: إبراهيم السيد)، (٣/ ١٢٤٠ وما بعدها -ط: أضواء السلف).

﴿وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦]، وقوله: ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌۖ﴾ [البقرة: ١٨٦]، وقوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ﴾ [المجادلة: ٧] الآية ونحو ذلك.

قالت المجازية: هذا كله مجاز يمتنع حمله على الحقيقة، إذ حقيقته المخالطة والمجاورة وهي منتفية قطعًا، فإذًا معناها معية العلم والقدرة والإحاطة، ومعية النصر والتأييد والمعونة، وكذلك القرب.

قال أصحاب الحقيقة: والجواب عن ذلك من وجوه:

* أحدها: لا تخلو هذه الألفاظ إما أن يكون ظاهرها أن ذاته تعالى في كل مكان، أو لا يكون ذلك ظاهرها، فإن كان ذلك ظاهرها فهو قول طوائف من إخوان هؤلاء، وهم الجهمية الأولى، الذين كانوا يقولون: إن الله بذاته في كل مكان، ويحتجون بهذه الآيات وما أشبهها.

وهؤلاء الجهمية المستأخرون[1] الذين يقولون: ليس فوق السموات رب، ولا على العرش إله. عاجزون عن الرد على سلفهم الأول، وسلفهم خير منهم فإنهم أثبتوا له وجودًا بكل مكان، وهؤلاء نفوا أن يكون داخل العالم أو خارجه، والرسل وأتباعهم أثبتوا أنه خارج العالم، فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه.

* إلى أن قال: الوجه الثاني: أن الله سبحانه قد بين في القرآن غاية البيان، أنه فوق سمواته، وأنه مستوٍ على عرشه، وأنه بائن عن خلقه، وأن الملائكة تعرج إليه، وتنزل من عنده، وأنه رفع المسيح إليه، وأنه يصعد إليه الكلم الطيب، إلى سائر ما دلت عليه النصوص من مباينته لخلقه وعلوه على عرشه، هذه نصوص محكمة، فيجب رد المتشابه إليها، فتمسكتم بالمتشابه، ورددتم المحكم متشابهًا، وجعلتم الكل مجازًا.

---

(١) يعني: الأشاعرة.

* الوجه الثالث: أن الله تعالى قد بيّن في غير موضع أنه خلق السموات والأرض وما بينهما، وأن له ملك السموات والأرض وما بينهما، وأن الأرض قبضته يوم القيامة، والسموات مطويات بيمينه، وأن كرسيه وسع السموات والأرض، وأنه يمسك السموات والأرض، وهذه نصوص صريحة في أن الرب تعالى ليس هو عين هذه المخلوقات، ولا صفة من صفاتها ولا جزءًا منها، فإن الخالق غير المخلوق، وليس بداخل فيها محصور، بل هي صريحة في أنه مباين لها، وأنه ليس حالًّا فيها ولا محلًّا لها، فهي هادية للقلوب، عاصمة لها أن يفهم من قوله ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ [الحديد: ٤] أن الله سبحانه عين المخلوقات، أو حال فيها، أو محل لها.

* الوجه الرابع: أنه ليس ظاهر اللفظ، ولا حقيقته أنه سبحانه مختلط بالمخلوقات ممتزج بها، ولا تدل لفظة (مع) على هذا بوجه من الوجوه، فضلًا أن يكون هو حقيقة اللفظ وموضوعه، فإن (مع) في كلامهم لصحبته اللائقة، وهي تختلف باختلاف متعلقاتها ومصحوبها، فكون نفسِ الإنسان معه لون، وكون علمه وقدرته وقوته معه لون، وكون زوجته معه لون، وكون أميره ورئيسه معه لون، وكون ماله معه لون، فالمعية ثابتة في هذا كله مع تنوعها واختلافها، فيصح أن يقال: زوجته معه، وبينهما شقة بعيدة، وكذلك يقال: مع فلان دار كذا وضيعة كذا. فتأمل نصوص المعية في القرآن، كقوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ [الفتح: ٢٩]، وقوله: ﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾ [الحديد: ١٤]، وقوله: ﴿لَن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا﴾ [التوبة: ٨٣]، وقوله: ﴿وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]، ﴿وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣]، ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ﴾ [البقرة: ٢٤٩]، ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ [التحريم: ٨]، ﴿فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٥٣]، ﴿فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ﴾ [النساء: ١٠٢]، ﴿وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [المائدة: ٨٤] وأضعاف ذلك، هل يقتضي موضع واحد منها مخالطة في الذوات التصاقًا وامتزاجًا؟ فكيف تكون حقيقة المعية في حق الرب تعالى ذلك؟ حتى يدَّعى أنها مجاز لا حقيقة،

فليس في ذلك ما يدل على أن ذاته تعالى فيهم، ولا ملاصقة لهم، ولا مخالطة ولا مجاورة بوجه من الوجوه، وغاية ما تدل عليه (مع) المصاحبة والموافقة والمقارنة في أمر من الأمور، وذلك الاقتران في كل موضع بحسبه، يلزمه لوازم بحسب متعلقه.

فإذا قيل: الله مع خلقه بطريق العموم، كان من لوازم ذلك علمه بهم وتدبيره لهم وقدرته عليهم، وإذا كان ذلك خاصًا، كقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ [النحل: ١٢٨] كان من لوازم ذلك معيته لهم بالنصرة والتأييد والمعونة.

أنواع المعية

فمعية الله تعالى مع عبده نوعان: عامة وخاصة، وقد اشتمل القرآن على النوعين، وليس ذلك بطريق الاشتراك اللفظي[١]، بل حقيقتها ما تقدم من الصحبة اللائقة، وقد أخبر الله تعالى أنه مع خلقه مع كونه مستويًا على عرشه، وقرن بين الأمرين، كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [الحديد: ٤] فأخبر أنه خلق السموات والأرض، وأنه استوى على عرشه، وأنه مع خلقه يبصر أعمالهم من فوق عرشه كما في حديث الأوعال: «**والله فوق عرشه يرى ما أنتم عليه**»[٢] فعلُوُّه لا يناقض معيتَه، ومعيتُه لا تبطل علوَّه، بل كلاهما حق.

فمن المعية الخاصة قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾ [البقرة: ١٥٣]، ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٩]، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ [النحل: ١٢٨]، ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٤]، ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ ﴾ [التوبة: ٤٠].

---

(١) الاشتراك اللفظي: أن تشترك المسميات باللفظ، وتختلف بالمعاني، وكلها حقائق لذلك اللفظ. كلفظة العين تطلق حقيقة على ذوات مختلفة كعين الماء، والذهب، والعين الباصرة.

(٢) تقدم تخريجه.

ومن العامة ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤]، وقوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧] الآية.

فنبَّه سبحانه بالثلاثة على العدد الذي يجمع الشفع والوتر، ولا يمكن أهله أن ينقسموا في النجوى قسمين، ونبه بالخمسة على العدد الذي يجمعها، ويمكن أهله أن ينقسموا فيها قسمين، فيكون مع كل العددين، فالمشتركون في النجوى إما شفع فقط، أو وتر فقط، أو كلا القسمين، وأقل أقسام الوتر المتناجين ثلاثة، وأقل أنواع الشفع اثنان، وأقل أقسام النوعين إذا اجتمعا خمسة، فذكر أدنى مراتب طائفة الوتر، وأدنى مراتب النوعين إذا اجتمعا، ثم ذكر معيته العامة لما هو أدنى من ذلك أو أكثر.

وتأمل كيف جعل نفسه رابع الثلاثة، وسادس الخمسة؛ إذ هو غيرهم سبحانه بالحقيقة، لا يجتمعون معه في جنس ولا فصل، وقال: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٣] فإنهم ساووا بينه وبين الاثنين في الإلهية، والعرب تقول: رابع أربعة، وخامس خمسة، وثالث ثلاثة؛ لما يكون فيه المضاف إليه من جنس المضاف، كما قال تعالى: ﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾ [التوبة: ٤٠] رسول الله وصِدِّيقُهُ، فإن كان من غير جنسه قالوا: رابع ثلاثة، وخامس أربعة، وسادس خمسة.

وقال تعالى في المعية الخاصة لموسى وأخيه ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦]، وقال في العامة ﴿فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ﴾ [الشعراء: ١٥] فتأمل كيف أفرد ضمير نفسه، حيث أفرد موسى وأخاه عن فرعون، وكيف جمع الضمير لما أدخل فرعون معهما في الذكر، فجعل الخاص مع المعية الخاصة، والعام مع المعية العامة... اهـ

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ[١]: قال أبو عمر ابن عبد البر في كتاب «التمهيد في شرح الموطأ»[٢] لَمَّا شَرَحَ حديث النزول، قال: هذا حديث لم يختلفْ أهلُ العلم في صحتِه،

(١) «جامع المسائل» لابن تيمية (٣/ ١٥٧ -ت: عزير شمس).
(٢) انظر «التمهيد» (٧/ ١٢٨، ١٢٩، ١٣٤).

وفيه دليل على أن الله في السماء على العرش كما قالت الجماعة، وهو من حجتهم على المعتزلة. وهذا أشهرُ عند العامة والخاصة، وأَعرَفُ من أن يحتاجَ إلى أكثر من حكايتِه، لأنه اضطرارٌ، لم يُؤَنِّبهم عليه أحدٌ، ولا أنكرَه عليهم مسلمٌ.

وقال أبو عمر أيضًا: أجمعَ علماءُ الصحابة والتابعين الذين حُمِلَ عنهم التأويلُ قالوا في تأويل قوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾: هو على العرش، وعِلمُه في كل مكان. وما خالفهم في ذلك أحدٌ يُحتَجُّ بقوله.

وقال أيضًا: أهل السنة مُجمِعون على الإقرارِ بالصفاتِ الواردة في الكتاب والسنة، وحَمْلِها على الحقيقةِ لا على المجاز، إلا أنهم لا يُكَيِّفون شيئًا من ذلك، وأما الجهمية، والمعتزلة، والخوارج فكلُّهم يُنكِرها، ولا يَحمِلُ شيئًا منها على الحقيقة، ويزعم أنّ من أقرَّ بها مُشبِّه، وهم عند مَن أقرَّ بها نَافُونَ للمعبود.

وقال الشيخ أبو بكر الآجُرِّي في كتاب «الشريعة»[1] في باب التحذير من مذهب الحلولية: الذي يذهب إليه أهلُ العلم أن الله على عرشِه فوقَ سمواته، وعِلمُه محيط بكل شيء، قد أحاطَ بجميع ما خلقَ في السموات العُلى، وبجميع ما في سبع أرضين، يُرفَع إليه أعمالُ العباد.

فإن قال قائل: فما معنى ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ الآية التي يحتجون بها؟ قيل له: علمُه، والله على عرشِه وعلمُه يُحيط بهم، هكذا فسَّره أهلُ العلم، والآية يدلُّ أوَّلُها وآخرُها على أنه العلم وهو على عرشه، هذا قول المسلمين.

وقال الشيخ أبو عبد الله بن بَطَّة في كتاب «الإبانة»[2]: باب الإيمان بأن الله على عرشه بائن من خلقِه، وعِلمُه محيط بخلقه: أجمعَ المسلمون من الصحابة والتابعين أن الله على عرشِه فوقَ سمواته بائنٌ من خلقهِ، فأما قوله ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ فهو كما قالت

---

(١) انظر «الشريعة» (ص/ ٢٨٨).

(٢) انظر «المختار من الإبانة» (تتمة الرد على الجهمية) (٣/ ١٣٦، ١٤٣، ١٤٤).

العلماء: عِلْمُه، وأما قوله ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ﴾ معناه أنه هو الله في السموات وهو الله في الأرض، وتصديقُه في كتاب الله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِي ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾.

واحتجَّ الجهمي بقول الله تعالى ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾، فقال: إن الله معنا وفينا. وقد فسَّر العلماءُ أن ذلك علمه، ثم قال في آخرها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

فهؤلاء وأمثالُهم الذين هم من أعلم الناس بأقوال السلف من الصحابة والتابعين، وكلٌّ منهم له من المصنَّفات المشهورة ما فيه العلم بأقوال السلف وآثارِهم، ما يعلم أنهم أعلم بذلك من غيرهم، وقد حَكَوا إجماعَ السلف كما ترى.

التأويل

الوجه الثاني: أن يقال: الكلام في الآيات والأحاديث كلِّها على طريقةٍ واحدة، والتأويل الذي ذمَّه السلفُ والأئمة هو تحريف الكلام عن مواضعه، وإخراجُ كلامِ الله ورسوله عما دَلَّ عليه وبيَّنه الله به، وقد حَدَّه طائفةٌ بأنه صَرْفُ الكلام عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح بغير دليل.

فقوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ ونحوها من الآيات ليس ظاهرُها، ولا مدلولُها، ولا مقتضاها، ولا معناها أن يكون الله مختلطًا بالمخلوقين ممتزجًا بهم، ولا إلى جانبهم متيامنًا، أو متياسرًا، ونحو ذلك؛ لوجوه:

* أحدها: أنه لم يَقُل أحد من أهل اللغة: إنَّ المعيَّةَ تقتضي الممازجةَ والمخالطةَ، ولا تُوجبُ التيامنَ، ولا التياسُرَ ونحو ذلك من المعاني المنفيَّةِ عن الله مع خَلْقِه، وإنما تقتضي المصاحبة والمقارنةَ المطلقةَ.

* الثاني: أنه حيث ذُكِر في القرآن لفظ المعيّة فإنه لم يَدُلَّ على الممازجة والمخالطة، كما في قوله: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾، فليس معنى ذلك أن ذاتَ المؤمنين ممتزجةٌ بذاته.

* وكذلك قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنۢ بَعۡدُ وَهَاجَرُوا وَجَٰهَدُوا مَعَكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمۡۚ ﴾، والمجاهد معهم ليست ذاتُه ممتزجةً بذواتهم ولا مماسَّةً لذواتِهم.

* وقال تعالى: ﴿ٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَكُونُوا مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾، وليس المراد أن ذاتَه تمتزجُ بذواتهم، ولا مماسَّة لها.

* وقال تعالى: ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾، وقال تعالى: ﴿ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ﴾.

وهذا كثير في كتاب الله، وليس في شيء من ذلك أن معنى المعيَّة أن يكون أحدهما حالًّا في الآخر، ولا ممتزجًا به، ولا مختلطًا به.

فمن قال: إن ظاهرَ قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ ﴾ ونحو ذلك، أن يكون الله مختلطًا بالمخلوقين وممتزجًا بهم، وحالًّا فيهم، أو مماسًّا لهم، ونحو ذلك، فقد افترى على القرآن وعلى لغة العرب، وادَّعى أن هذا الكفر هو ظاهر القرآن، وهو كَذِبٌ على الله ورسوله بلا حجة، ولا برهانٍ.

وغاية ما يُقال: أن لفظ (مع) ظرفٌ أو ظرفُ مكانٍ، فيقتضي أن يكون المتعلق بهذا الظرف مكانًا من المضاف إليه، كما في قول القائل: هذا فوقَ هذا، فإن (فوق) من ظروف المكان، ولكن هذا لا يقتضي أن يكون المكان عن يمين المضاف إليه، أو عن شمالِه، ولا يقتضي أن يكون عن يمينه وشمالِه جميعًا، بل أكثرُ ما يَقتضي مطلق المكان، فإذا قُدِّرَ أنه فوقَ المضاف إليه لم يكن هذا مخالفًا لظاهر المعية.

ومن قال: إنه لابُدَّ في المعية من أن يكون ما مع الشيء متيامنًا، أو متياسرًا، أو إلى جانبه، ونحو ذلك، فقد غَلِطَ غَلَطًا بيِّنًا.

وهذا كما أن قوله ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَٰهٌۚ ﴾ ليس ظاهرُه أن ذاتَه في السموات والأرض، بل ظاهرُه أنه إله أهلِ السماءِ، وإله أهل الأرض، فأهلُ السماء يَألَهُونَه، وأهلُ الأرض يألهونَه.

وكذلك قوله ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ ﴾ ليس ظاهره أن نفس الله في السموات والأرض، فإنه لم يقل: هو في السموات والأرض. بل قال: ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ ﴾، فالظرفُ مذكورٌ بعدَ جملةٍ لا بعدَ مفردٍ، فهو متعلق بما في اسم (الله) من معنى الفعل، هو الله في السموات: أي المعبود الإله في السموات، والإله المعبود في الأرض، كقوله: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِي ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ﴾، بخلاف قوله: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ﴾ وقوله: ﴿أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾، فإنه لم يذكر ما يتعلق به قوله ﴿فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ غير نفسِه.

وكذلك الأثر الذي يُروَى عن ابن عباس أنه قال: «الحجر الأسودُ يمينُ الله في الأرض، فمن صافحَه واستلَمه فكأنما صافحَ اللهَ وقبَّلَ يمينَه»[(١)]، فمن قال: إن هذا يحتاج إلى تأويل فقد أخطأ، فإنه ليس ظاهر هذا أن الحجر هو صفةُ الله، فإنه قال: «يمين الله في الأرض»، فقيَّده بكونه «في الأرض»، وهذا بيِّن أنه ليس هو صفةَ الله. ثم قال: «فمن صافحَه وقبَّلَه فكأنما صافحَ الله وقبَّل يمينَه»، والمشبَّهُ غيرُ المشبَّهِ به، فقد صرَّح بأن المستلم له لم يصافحِ الله، وإنما هو مشبَّهٌ بذلك.

* الوجه الثالث أن يقال: إخبارُ الله في القرآن أنه مع عبادِه جاءَ عامًّا وخاصًّا.

* فالعام كقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾، وقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾. ففتَحَ الكلامَ بالعلم وختَمه بالعلم.

---

(١) أخرجه ابن قتيبة في «غريب الحديث» (٢/ ٢٢٣ ط: الجبوري)، وضعفه الألباني في «الضعيفة» (٢٢٣)، وقال شيخ الإسلام في «الرد على البكري» (٢/ ٥٩٣): هذا معروف عن ابن عباس وقد روي مرفوعًا، ولم يثبت بهذا اللفظ. اهـ

* وأما الخاصّ فكقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾، فهذا بيّن أنه ليس مع الفجّار والظّالمين، ولو كان بذاتِه في كل مكان لكان مخالفًا لهذه الآية.

وكذلك قوله لموسى وهارون: ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾، فهو مع موسى وهارون دون فرعون وقومه.

وكقوله عن النبي ﷺ: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾، فهو مع النبي ﷺ وصاحبه، لا مع الكفّار كأبي جهل وأمثالِه.

فلو كانت المعيَّةُ معناها الاختلاط والامتزاج، وكان في كل مكانٍ بذاته، لم يَجُزْ أن يكون في المعيَّةِ تخصيصٌ، فمن زَعَم أن معناها الامتزاج والاختلاط، وأن ظاهرها أن يكون في كل مكانٍ فقد أخطأ.

ولكن المعية وإن دلَّت على المصاحبة والمقارنة فهي في كل مكانٍ بحسب ما دلَّ عليه السياقُ.

فلما كان في تلك الآيتين قد افتتح الآية بالعلم وختمَها بالعلم، دَلَّ ذلك على أن من حُكْمِ المعية أنه عليم بكل شيء.

وهنا لَّما كان السياقُ يدلُّ على أن المقصودَ الإعانةُ والنصر دل على أن من حُكْمِ المعيَّة النصر والمعونة، فقول القائل: أنا معك. معناه: أني مصاحبك ومقارِنُك، وإذا كان كذلك اقتضَى أنّي أعلم حالك، وقد يقتضِي إذًا أنِّي أُعِينك، وأنصرك على أعدائك.

وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه كان يقول: «اللهم أنتَ الصاحبُ في السفر، وأنت الخليفة في الأهل، اللهم اصحَبْنا في سفرِنا، واخْلُفْنا في أهلنا»(١).

---

(١) أخرجه مسلم (١٣٤٢) بمعناه من حديث ابن عمر ﷺ، ولفظه: كان رسول الله ﷺ إذا استوى على بعيره خارجًا إلى سفر كبّر ثلاثًا ثم قال: «سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين، وإنا إلى ربنا لمنقلبون، اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى، ومن العمل ما ترضى، اللهم هوّن علينا سفرنا هذا، واطو عنا بعده، اللهم أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل، اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنظر، وسوء المنقلب في المال والأهل» وإذا رجع قالهن وزاد: «آيبون، تائبون، عابدون، لربنا حامدون».

وهذا وأمثالُه بيَّن أن لفظ المعية في القرآن ليس فيه هذا التأويل المتنازع فيه، وهو صَرْفُ اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدليلٍ يَقترِن بذلك، فإن هذا إنما يكون إذا كان ظاهرُ قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ يقتضي أن يكون الله ممتزجًا بنا حَالًّا في أجوافِنا، أو أن يكون إلى جوانبنا، وليس هذا مدلولَ لفظ المعية أصلًا، فبطل ما قال، بل يُقال:

الجواب الثاني: وهو أن قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ يَدُلُّ على نقيض قولِ الجهمية، فإنه ذكر نفسه وذكر أنه معهم، ولفظ الخطاب -إذا قيل: هم، وأنتم، ومعكم، ونحو ذلك- يتناول ما يتناوله الاسمُ الظاهر، واسمهُم يتناول جميعَ ذاتهم وصفاتِهم وأبعاضهم، وذلك يمتنع أن يكون في أحدهم شيءٌ من غيره، فإذا كان هو معهم دلَّ ذلك على أنه منفصل عنهم بائن منهم خارج عنهم، كما في نظائرِه، بل قوله: ﴿رَبِّ ٱلنَّاسِ﴾، ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ﴾، و﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، ونحو ذلك يقتضي أنه مغايرٌ للناس مباين لهم؛ لأنَّ الربَّ مُغايرٌ للمربوب، فإذا قيل: هو معهم اقتضى أنه مغايرٌ لهم، ولمسمَّى (مع) الذي هو معنى الظرف اللفظي، فإنه إذا قيل: هذا فوق هذا. اقتضى أنه مغايرٌ مباينٌ لما هو فوقه ولنفس المسمَّى بلفظ فوقه، ولفظُ (مع) هو من هذا الجنس ظرفٌ من الظروف، فيقتضي ذلك أن يكون المتعلق بهذا الظرف مغايرًا مباينًا له ولما أضيف إليه الظرف، ولا نزاع أن الشيء إذا كان فوق الشيء جاز أن يقال: هو معه، وقد يُجعَل الأعلى مع الأسفل، كما يقال: هذا الحِمْلُ معي. وقد يُجعَل الأسفل مع الأعلى، كما يقال: هذا المركوب معي. وقد يقال لما هو مباينٌ منفصلٌ عنه، كما يقال: هذه الغاشية معي. وقد يقال: سِرْنا البارحةَ والقمرُ معنا. وأمثال ذلك مما يقتضي المباينة والانفصال.

فعُلِم بذلك أن كونه ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ لا ينفي أن يكون الربّ مباينًا لهم، ولا يقتضي أن يكون على جوانبهم، بل غايتُه أن يكون بحيث هو مضافٌ إليه مما يُسمِّيه النحاةُ ظرفًا، كالفوق، ونحوه، فلا يكون بين قوله: فوقهم، وقوله: معهم، منافاة، بل يكون لفظ المعية دلَّ على مطلق أنه حيث يضاف إليهم، ولفظ الفوقية دلَّ على خصوص ذلك، ولو معية هي فوقية، ليست تيامنًا ولا تياسُرًا.

وحقيقة الأمر أن لفظ (مع) في الأصل معناه واحدٌ، وهو المصاحبة والمقارنة والمشاركة في مسمى (مع) الذي هو معنى الظرف، وهو ظرف إضافي. فقوله: هذا معه. بمنزلة قوله: هذا مصاحبٌ له مفارقٌ له. وهو يقتضي مطلقَ المصاحبة والمقارنة لا نوعًا منهم إلا بتفصيل وتخصيص(١).

وكذلك إذا قيل: هو يقتضي مطلق الموافقة أو المشاركة فيما قد يُسمَّى مكانًا ونحو ذلك من الأسماء، فإنه لا يدلُّ إلا على مطلق هذه الموافقة، لكن قد يكون من لوازم ذلك موالاة أحدهما للآخر محبةً ونصرةً، كما يقال: فلان معي وفلان عليَّ، إذ كان من شأن المتحابين قربُ كلٍّ منهما إلى الآخر حتى يتفقا في محل واحد، وقد يكون من لوازم ذلك معرفة كل منهما بالآخر أو معاونته؛ إذ من شأن المجتمعين من الآدميين في محل أن يعرف أحدهما الآخر ومعاونته له.

وهذا كما أن لفظ العلم في الأصل إنما يقتضي معرفة المعلوم، ثم قد يكون من لوازم ذلك ما يقتضيه العلم من محاسبة الشخص، ومجازاته، ونحو ذلك، كما في قوله: ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴾ [النساء: ١٠٨]، وكما في قوله: ﴿ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ ﴾ [الإسراء: ٤٧]، وقوله تعالى: ﴿ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ ﴾ إلى قوله: ﴿ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴾ [النور: ٦٣-٦٤].

وكذلك السمع، والبصر، مثل قوله: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾ [آل عمران: ١٨١]، وقوله: ﴿ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٨-٢١٩]، وقوله: ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ

(١) قال في «منهاج السنة» (٨/ ٣٧٥): لفظ (مع) في لغة العرب إنما تدل على المصاحبة والموافقة والاقتران، ولا تدل على أنّ الأول مختلط بالثاني في عامة موارد الاستعمال. اهـ

وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ﴾ [التوبة: ١٠٥]. فهذا ونحوه- وإن ذُكِر فيه لفظ السمع والرؤية- فالمقصود لوازم ذلك، من إحصاء ذلك، والجزاء عليه بالثواب والعقاب، وقد يكون المقصود بذلك قبول الدعاء، كقول الخليل: ﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ [إبراهيم: ٣٩]، وقول المصلي: سمع الله لمن حمده. كما يُعنَى بالنظر نظر الرحمة والمحبة، كقوله ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ﴾ [آل عمران: ٧٧].

فهذه الأمور لما كانت من لوازم العلم والسمع والبصر، ومن شأنه إحصاء الأعمال، والجزاء عليها، ونحو ذلك، صارت متضمنة لهذا المعنى. وكذلك المصاحبة لما كان لها لوازم -مثل معرفة الصاحب بحال صاحبه، وموالاته له، وموافقته له- دخلت هذه المعاني فيها حيث دلَّ عليه السياق.

ولفظ (مع) في الأصل يدل على المصاحبة، ويدل على لوازم هذا المعنى، من العلم الذي يتضمن الإحصاءَ، والجزاء على الأعمال عمومًا، ومن الموالاة والمعونة والنصر الذي يختص المؤمنين، ونحو ذلك، فقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۖ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾ ذكر بعد أن أخبر بخلق السموات والأرض واستوائِه على العرش، أنه يعلم ما يدخل في الأرض وما يخرج منها، وما ينزل من السماء وما يصعد فيها، وأنه مع الخلق أينما كانوا، وأنه بكل شيء عليم، فدلّ هذا السياق على أنه مع كونه استوى على العرش يعلم باطن الخلق وظاهرهم، وهو معهم، لا يغيب عنه شيء من أمرهم.

وكذلك قال النبي ﷺ في حديث العباس بن عبد المطلب لما ذكر السموات والعرش قال: «والله فوق عرشه، وهو يعلم ما أنتم عليه»[1].

(١) تقدم تخريجه.

وكذلك قال عبد الله بن مسعود: «ما بين السماء إلى السماء كذا وكذا» إلى أن قال: «والله فوق عرشه، وهو يعلم ما أنتم عليه»(١).

وكذلك ما ذكره في سورة المجادلة من قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾، فافتتح الآية بالعلم وختمها بالعلم.

ومثل هذا قوله: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ﴾ [النساء: ١٠٨].

وأما قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾، وقوله لموسى وهارون: ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾، وقوله عن الرسول: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ﴾، فقد عُلِمَ أن حكم المعية هنا ومقصودها ليس عامًّا لجميع المخلوقات كالعلم والقدرة، بل مختصًّا بالمتقين المحسنين دون الفجار الظالمين، وبموسى وهارون دون فرعون وقومه، وبالنبي وصِدِّيقه دونَ مشركي قومِه، فهذه الأمور التي فيها خصوصٌ وعمومٌ تضمَّنها لفظ المعية ودلَّ عليها، كما دلَّ لفظ العلم والسمع والبصر على ما تقدم، وهي في نفسها تقتضي من المصاحبة والمقارنة ما هو معناها في الأصل، ولا تقتضي ممازجة ولا مخالطة ولا تيامنًا ولا تياسرًا.

---

(١) تقدم تخريجه.

هل المعية تقتضي القرب؟

بل إذا قيل: إنها تتضمن قُربَه من خلقِه، فقربُه ثابت بنصوصٍ صريحة أصرح من لفظ المعية، كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]، وقو له تعالى: ﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ [سبأ: ٥٠]. وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال لأصحابه لما كانوا يرفعون أصواتهم بالتكبير: «أيها الناس، ارْبَعُوا على أنفسكم، فإنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائبًا، إنما تدعون سميعًا قريبًا، إن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته»(١). وهو سبحانه قريب في عُلُوِّه، عليٌّ في دُنُوِّه.

وقد تكلمنا على قربه من خلقه وقربِ عبادِه منه بكلام مبسوط، وذكرنا أقوال الناس كلهم في ذلك في غير هذا الموضع، وبَيَّنَّا أن قربَه لا يُنافِي عُلُوَّه. اهـ المقصود(٢).

---

(١) تقدم تخريجه في الصحيحين.

(٢) انظر «مجموع الفتاوى» (٥/ ٢٢٦ وما بعدها) فقد ذكر فصلًا طويلًا في ذلك، وسيأتي شيء من ذلك في الفصل التالي.

فَصلٌ

في إثبات صفة قرب الله الخاص وأنه لا ينافي علوه وفوقيته

قال المصنف: (وَقَدْ دَخَلَ فِي ذَلِكَ الإِيمَانُ بِأَنَّهُ قَرِيبٌ مُجِيبٌ؛ كَمَا جَمَعَ بَيْنَ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ١٨٦]، وَقَوْلِهِ ﷺ: «إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ»[(١)]. وَمَا ذُكِرَ فِي الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مَنْ قُرْبِهِ وَمَعِيَّتِهِ لا يُنَافِي مَا ذُكِرَ مِنْ عُلُوِّهِ وفَوْقِيَّتِهِ؛ فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فِي جَمِيعِ نُعُوتِهِ، وَهُوَ عَلِيٌّ فِي دُنُوِّهِ، قَرِيبٌ فِي عُلُوِّهِ).

الشرح

❁ **السعدي**: خص المصنف هذين الأمرين، وذلك لشدة الحاجة إلى الإيمان بقربه وإجابته؛ ليكون العبد مراقبًا لله إذا آمن بقربه إيمانًا تامًّا كثير اللهج بذكره ودعائه منيبًا إليه على الدوام، إذا آمن بإجابته للسائلين وإثابته للمطيعين. اهـ

❁ **الهراس**: قوله: «وقد دخل في ذلك الإيمان..» إلخ، يجب الإيمان بما وصف الله به نفسه من أنه قريب مجيب، فهو سبحانه قريب ممن يدعوه ويناجيه، يسمع دعاءه ونجواه، ويجيب دعاءه متى شاء، وكيف شاء، فهو تعالى قريب قرب العلم والإحاطة، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦]. وبهذا يتبين أنه لا منافاة أصلًا بين ما ذكر في الكتاب والسنة من قربه تعالى ومعيته، وبين ما فيهما من علوه تعالى وفوقيته، فهذه كلها نعوت له على ما يليق به سبحانه، ليس كمثله في شيء منها. اهـ

---

(١) تقدم أنه أخرجه البخاري (٢٩٩٢، ٤٢٠٥، ٦٣٨٤، ٦٤٠٩، ٦٦١٠، ٧٣٨٦)، ومسلم (٢٧٠٤) عن أبي موسى الأشعري ﷺ مرفوعًا.

❁ **ابن باز**: بيّن المؤلف رَحِمَهُ اللهُ أنه دخل في الإيمان بالله وأسمائه وصفاته المتقدم ذكره في المقدمة، دخل في ذلك أيضًا الإيمان بأنه قريب مجيب ﷻ، فكونه عاليًا فوق العرش، لا يمنع من كونه قريبًا مجيبًا ﷻ، فهو عليّ في دنوه، قريب في علوه، كما ذكر المؤلف، فهو قريب مجيب، وهو العلي الأعلى ﷻ فوق العرش، فوق جميع السموات، فوق جميع الخلائق؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾، فهو سبحانه قريب من داعيه، مجيب لعباده جل وعلا، إذا اقتضت حكمته إجابتهم.

وهكذا قوله ﷺ: «**إن الذي تدعونه قريب أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته**» لما سمع بعض أصحابه يرفعون أصواتهم في السفر، قال: «**إنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائبًا، إن الذي تدعونه سميع قريب**». وفي لفظ: «**إنما تدعون سميعًا، بصيرًا، قريبًا أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته**». فهو سبحانه مع علوه وكونه فوق العرش لا يمنع ذلك من كونه قريبًا مجيبًا يسمع دعاء الداعي، فهو سميع الدعاء قريب الإجابة، سميع قريب ﷻ، وقد كرر ذلك في آيات كثيرة في وصفه بأنه سميع، ويسمع السر وأخفى، ولا تخفى عليه خافية جل وعلا، وهكذا في الأحاديث فما ذكر من علوه وفوقيته لا ينافي ما ذكره من دنوه وقربه ومعيته، فهو مع عباده بعلمه واطلاعه ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾، وهو مع أوليائه بعلمه وحفظه وكلاءته، ونصره وتأييده، ﷻ.

فالواجب على كل مؤمن ومؤمنة الإيمان بذلك، وأنه سميع قريب، وأن علوه جل وعلا فوق العرش لا ينافي قربه من عباده وسماعه دعاءهم جل وعلا، فهو سميع قريب، وهو عليّ عظيم جل وعلا، كما قال: ﴿وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾. اهـ

❁ **قال الشيخ**: قوله: (وَقَدْ دَخَلَ فِي ذَلِكَ الإِيمَانُ بِأَنَّهُ قَرِيبٌ مُجِيب كَمَا جَمَعَ بَيْنَ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ١٨٦]).

يعني: دخل في الإيمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله، فإن الإيمان بالله يشمل الإيمان بذاته وأسمائه وصفاته الواردة في الكتاب والسنة، وأشياء من جملتها «**الإيمان بأنه قريب**» من سائليه، «**مجيب**» لداعيه، أي: قربه وإجابته.

وفي قوله ﷺ -لما رفع الصحابة أصواتهم بالذكر-: «**أيها الناس: اربَعوا على أنفسكم، فإنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائبًا، إن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته**». وهذا القرب هو القرب الخاص، قربه من عابديه ومن سائليه- يعني: سواء كان ذلك الدعاء دعاء عبادة، أو دعاء مسألة- والقرب لم يرد في الكتاب والسنة إلا لهذين: للعابدين وللسائلين، وجاء في الحديث: «**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد**»(١).

وقوله: (وَمَا ذُكِرَ فِي الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مَنْ قُرْبِهِ وَمَعِيَّتِهِ لا يُنَافِي مَا ذُكِرَ مِنْ عُلُوِّهِ وفَوْقِيَّتِهِ) أي: «**ما ذكر في الكتاب والسنة، من قربه ومعيته، لا ينافي ما ذكر**» في الكتاب والسنة «**من علوه وفوقيته**»، بل كلٌّ من هذا وهذا حق على حقيقته، فله سبحانه كمال القرب وكمال المعية، مع كمال العلو والفوقية.

وقوله: (فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فِي جَمِيعِ نُعُوتِهِ): يعني: ليست نعوته كنعوت الخلق، ولا تصل تقديرات الخلق إلى معرفة كُنْهِ صفاته، والمخلوق هو الذي نعوته ليست كذلك.

---

(١) رواه مسلم (٤٨٢).

وهذا الذي ذكره الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ من أن القرب نوع واحد، وهو القرب الخاص للعابدين والسائلين هو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه العلامة ابن القيم، كما سيأتي النقل عنه قريبًا، وذهب آخرون إلى أنَّه -كالمعية- نوعان، خاص وعام، وهو ما قرره الشراح هنا -السعدي والهراس- وغيرهما، وقد بسطت النقل في هذه المسألة في تعليقي على «المنحة الإلهية في شرح الواسطية» للدكتور علي الغرابي رحمه الله (ص/ ١٦٦-١٦٩ ط: دار الحجاز، الأولى).

وقوله: (وَهُوَ عَلِيٌّ فِي دُنُوِّهِ، قَرِيبٌ فِي عُلُوِّهِ). يعني: وهو مع كمال علوه قريب، ومع كمال قربه عليٌّ، ولا منافاة بين هذا وهذا، فهو سبحانه على كل شيء قدير، فلا يعجزه شيء، ولا يشق عليه شيء، بل السموات في يده كالخردلة في يد أحدنا. اهـ

الجمع بين العلو والقرب

❁ **السعدي**: ذكر رَحِمَهُ اللَّهُ الجمع بين الإيمان بعلو الله وقربه ومعيته؛ لئلا يظن الظان أن ذلك مثل صفات المخلوقين، وأنه إذا قيل: إنه العلي فوق خلقه كيف يكون معهم وقريبًا منهم؟ فأجاب بما تضمنه هذا الأصل الثابت في الكتاب والسنة وإجماع الأمة، وهو أن الله تعالى ليس كمثله شيء في جميع نعوته.

ومن نعوته اللازمة: العلو المطلق والقرب العام والخاص، وأن القرب والعلو في حقه يجتمعان لعظمته وكبريائه وإحاطته من كل وجه، فهو العلي في دنوه القريب في علوه. وهذا الأصل ينفعك في كل ما ورد عليك من صفات الله الثابتة، فأثبتها ولا تتوقف، فإن الذي أثبتها اللهُ الذي هو أعلم بنفسه، ورسولُه الذي هو أعلم الخلق، وأورعهم، وأنصحهم للخلق، فإن خطر ببالك تمثيلًا، أو استبعادًا فتفطن لقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ وتذكر أيضًا أن الكلام على الصفات مثل الكلام على الذات، فكما أنه لا نظير له ولا مثيل له في ذلك فكذلك في صفاته. اهـ

قال العلامة ابن القيم(١): وأما قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦] فهذه الآية لها شأن، وقد اختلف فيها السلف والخلف على قولين، فقالت طائفة: نحن أقرب إليه بالعلم، والقدرة، والإحاطة. وعلى هذا فيكون المراد قربه سبحانه بنفسه، وهو نفوذ قدرته ومشيئته فيه، وإحاطة علمه به.

---

(١) «مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة» (ص/ ٤٨٠ - ط: سيد إبراهيم)، و(٣/ ١٢٤٩ - ط: أضواء السلف).

والقول الثاني: أن المراد قرب ملائكته منه، وأضاف ذلك إلى نفسه بصيغة ضمير الجمع على عادة العظماء في إضافة أفعال عبيدها إليها بأوامرهم ومراسيمهم، فيقول الملِكُ نحن قتلناهم وهزمناهم، قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٨] وجبرائيل هو الذي يقرؤه على رسول الله ﷺ وقال: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ [الأنفال: ١٧] فأضاف قتل المشركين يوم بدر إليه، وملائكته هم الذين باشروه إذ هو بأمره.

وهذا القول أصح من الأول لوجوه:

أحدها: أنه سبحانه قيد القرب في الآية بالظرف، وهو قوله: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ﴾ [ق: ١٧] كالعامل في الظرف ما في قوله: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ﴾ [ق: ١٦] من معنى الفعل، ولو كان المراد قربه سبحانه بنفسه لم يتقيد ذلك بوقت تلقي الملكين، ولا كان في ذكر التقييد به فائدة، فإن علمه سبحانه وقدرته ومشيئته عامة التعلق.

الثاني: أن الآية تكون قد تضمنت علمه وكتابة ملائكته لعمل العبد، وهذا نظير قوله: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف: ٨٠] وقريب منه قوله تعالى في أول السورة: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ﴾ [ق: ٤] ونحو قوله: ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى﴾ [طه: ٥٢].

الثالث: أن قرب الرب تعالى إنما ورد خاصًا لا عامًّا، وهو نوعان: قربه من داعيه بالإجابة ومن مطيعه بالإثابة، ولم يجئ القرب كما جاءت المعية خاصة وعامة، فليس في القرآن، ولا في السنة أن الله قريب من كل أحد، وأنه قريب في الكافر والفاجر، وإنما جاء خاصًا، كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ١٨٦] فهذا قربه من داعيه وسائله، وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦] ولم يقل قريبة.

والذي عندي أن الرحمة لما كانت من صفات الله تعالى، وصفاته قائمة بذاته، فإذا كانت قريبة من المحسنين، فهو قريب سبحانه منهم قطعًا، وقد بينا أنه سبحانه قريب من أهل الإحسان، ومن أهل سؤاله بإجابته.

ويوضح ذلك أن الإحسان يقتضي قرب العبد من ربه، فيقرب ربه منه، لمّا تقرّب إليه بإحسانه تقرب تعالى إليه، فإنه «من تقرب منه شبرًا يتقرب منه ذراعًا، ومن تقرب منه ذراعا تقرب منه باعًا»(١)، فهو قريب من المحسنين بذاته ورحمته، قربا ليس له نظير، وهو مع ذلك فوق سمواته على عرشه، كما أنه سبحانه يقرب من عباده في آخر الليل، وهو فوق عرشه، فإن علوه سبحانه على سمواته من لوازم ذاته، فلا يكون قط إلا عاليًا، ولا يكون فوقه شيء ألبتة، كما قال أعلم الخلق به: «وأنت الظاهر فليس فوقك شيء»(٢) وهو سبحانه قريب في علوه عال في قربه، كما في الحديث الصحيح عن أبي موسى الأشعري قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فارتفعت أصواتنا بالتكبير فقال: «أيها الناس، اربَعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائبًا، إن الذي تدعونه سميع قريب، أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته»(٣) فأخبر ﷺ وهو أعلم الخلق به أنه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته، وأخبر أنه فوق سمواته على عرشه مطَّلِع على خلقه، يرى أعمالهم ويعلم ما في بواطنهم، وهذا حق لا يناقض أحدهما الآخر.

والذي يسهِّل عليك فهم هذا معرفة عظمة الرب وإحاطته بخلقه، وأن السموات السبع في يده كخردلة في يد العبد، وأنه سبحانه يقبض السموات بيده، والأرض بيده الأخرى، ثم يهزهن، فكيف يستحيل في حق من هذا بعض عظمته، أن يكون فوق عرشه ويقرب من خلقه كيف شاء وهو على العرش. اهـ

---

(١) كما صح في الحديث القدسي المخرّج عند البخاري (٧٤٠٥، ٧٥٠٥، ٧٥٧٣)، ومسلم (٢٦٧٥) من حديث أبي هريرة مرفوعًا.

(٢) أخرجه مسلم (٢٧١٣) من حديث أبي هريرة مرفوعًا.

(٣) تقدم تخريجه.

فَصلٌ

القرآن كلام الله حقيقة منزل غير مخلوق

قال المصنف رحمه الله: (وَمِنَ الإِيمَانِ بِاللهِ وَكُتُبِهِ الإِيمَانُ بِأَنَّ القُرْآنَ كَلامُ اللهِ، مَنَزَّلٌ، غَيْرُ مَخْلُوقٍ، مِنْهُ بَدَأَ، وَإِلَيْهِ يَعُودُ، وَأَنَّ اللهَ تَكَلَّمَ بِهِ حَقِيقَةً، وَأَنَّ هَذَا القُرْآنَ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ هُوَ كَلامُ اللهِ حَقِيقَةً، لا كَلامَ غَيْرِهِ.

وَلا يَجُوزُ إِطْلاقُ القَوْلِ بِأَنَّهُ حِكَايَةٌ عَنْ كَلامِ اللهِ، أَوْ عِبَارَةٌ عنه، بَلْ إِذَا قَرَأَهُ النَّاسُ أَوْ كَتَبُوهُ فِي المَصَاحِفِ؛ لَمْ يَخْرُجْ بِذَلِكَ عَنْ أَنْ يَكُونَ كَلامَ اللهِ تَعَالَى حَقِيقَةً، فَإِنَّ الكَلامَ إِنَّمَا يُضَافُ حَقِيقَةً إِلَى مَنْ قَالَهُ مُبْتَدِئًا، لا إِلَى مَنْ قَالَهُ مُبَلِّغًا مُؤْدِيًا. وَهُوَ كَلامُ اللهِ؛ حُرُوفُهُ، وَمَعَانِيه، لَيْسَ كَلامُ اللهِ الحُرُوفَ دُونَ المَعَانِي، وَلا المَعَانِيَ دُونَ الحُرُوفِ).

الشرح

❁ **السعدي**: ووجه ذلك: أنه داخل في الإيمان بالله وبكتبه الإيمان بكلام الله على هذا الوصف الذي ذكره المصنف: أنه من الإيمان بالله؛ لأنه وصفه، والكلام صفة للمتكلم، فالله تعالى موصوف بأنه متكلم إذا شاء بما شاء وأنه لم يزل -ولا يزال- يتكلم، وكلامه تعالى لا ينفد ولا يبيد، ونوع الكلام أزلي أبدي، ومفرداته لا تزال تقع شيئًا فشيئًا بحسب حكمة الله تعالى، والله تعالى أضافه إلى نفسه في قوله: ﴿كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ إضافة الصفة لموصوفها، فدل على أنه كلامه لفظه ومعناه ووصفه. وإذا كان كذلك كان غير مخلوق، ومن زعم أنه مخلوق من المعتزلة فقد أعظم الفرية على الله، ونفى كلام الله عن الله وصفًا، وجعله وصفا للمخلوق. اهـ

❁ **الهراس**: وأما كون الإيمان بأن القرآن كلام الله داخلًا في الإيمان بالكتب، فإن الإيمان بها إيمانًا صحيحًا يقتضي إيمان العبد بأن الله تكلم بها بألفاظها ومعانيها، وأنها

جميعًا كلامه هو لا كلام غيره، فهو الذي تكلم بالتوراة بالعبرانية، وبالإنجيل بالسريانية، وبالقرآن بلسان عربي مبين.

قوله: «ومن الإيمان بالله وكتبه..» إلخ، جعل المصنف الإيمان بأن القرآن كلام الله داخلًا في الإيمان بالله؛ لأنه صفة من صفاته، فلا يتم الإيمان به سبحانه إلا بها، إذ الكلام لا يكون إلا صفة للمتكلم، والله سبحانه موصوف بأنه متكلم بما شاء متى شاء، وأنه لم يزل- ولا يزال- يتكلم، بمعنى أن نوع كلامه قديم وإن كانت آحاده لا تزال تقع شيئًا بعد شيء بحسب حكمته.

وقد قلنا فيما سبق: إن الإضافة في قولنا: القرآن كلام الله. هي من إضافة الصفة للموصوف، فتفيد أن القرآن صفة الرب سبحانه، وأنه تكلم به حقيقة بألفاظه ومعانيه، بصوت نفسه.

فمن زعم أن القرآن مخلوق من المعتزلة، فقد أعظم الفرية على الله، ونفى كلام الله عن الله وصفًا، وجعله وصفًا لمخلوق، وكان أيضًا متجنيًا على اللغة، فليس فيها متكلم بمعنى خالق للكلام. اهـ

قوله: (وَمِنَ الإِيمَانِ بِاللهِ وَكُتُبِهِ الإِيمَانُ بِأَنَّ القُرْآنَ).

❁ **قال الشيخ**: أي: «القرآن» الموجود الذي في المصاحف «كلامُ الله منزَّل» من الله. يعني: أن الله نزله بواسطة جبريل، وجبريل سمعه من رب العالمين، وسمعه محمد ﷺ من جبريل، وبلَّغه العالمين، هذا هو طرق ورثة سيد المرسلين -بخلاف ورثة فرعون اللعين- نزل به الروح الأمين، بلسان عربي مبين، ولا منافاة بين هذا، وبين كونه مكتوبًا في اللوح المحفوظ.

وقوله: «غير مخلوق»، والقول بأنه مضاف إلى الله إضافة خلق، هو قول الجهمية والمعتزلة، قالوا: إنه مخلوق يخلقه في بعض الأجسام، إما في الشجرة، أو على لسان القارئ، فمن ذلك الجسم بدأ لا من الله، ولا يقوم بالله عندهم كلام ولا إرادة. اهـ

❁ ابن باز: من الإيمان بالله: الإيمان بأن القرآن كلام الله ﷻ، وأيضًا من الإيمان بكتب الله الإيمان بأنَّ القرآن -وهو كتابه المنزل على عبده ورسوله خاتم النبيين محمد عليه الصلاة والسلام، وهو كلام الله حروفه ومعانيه- يجب الإيمان بأنه كلام الله منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، وأنّ كونه يكتب في المصاحف، ويقرأ ويحفظ لا ينافي ذلك، فهو محفوظ في الصدور مكتوب في الصحف، مسموع بالآذان، وهو مع هذا كلام الله جل وعلا، حروفه ومعانيه، ولا يجوز إطلاق القول بأنه حكاية عن كلام الله أو تعبير عنه، كما تقول الأشاعرة وغيرهم من الكلابية[1] وغيرهم، بل هو كلام الله حروفه ومعانيه، ليس عبارة عن كلام الله ولا حكاية، بل هو نفسه كلام الله، فقوله: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ ﴾ كلام الله، ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ كلام الله، ﴿ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ ﴾ كلام الله، وجميع الآيات، وجميع الكلم كلها كلام الله من أوله إلى آخره، حروفه ومعانيه، ليس كلام الله الحروف دون المعاني، ولا المعاني دون الحروف ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ ﴾ هذا كلام الله، ومعانيه، من الحياة، والقيومية، والحفظ، والكلاءة، كل هذا كلامه ﷻ، ﴿ قُلۡ مَن يَكۡلَؤُكُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحۡمَٰنِۚ ﴾، ﴿ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ ﴾، ﴿ فَٱلۡحُكۡمُ لِلَّهِ ٱلۡعَلِيِّ ٱلۡكَبِيرِ ﴾، ﴿ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴾، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾، ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾، فكلام الله سبحانه يشمل الحروف والمعاني عند أهل السنة والجماعة. اهـ

---

(١) سيأتي التعريف بهم قريبًا.

قوله: (مِنْهُ بَدَأَ، وَإِلَيْهِ يَعُودُ، وَأَنَّ اللهَ تَكَلَّمَ بِهِ حَقِيقَةً).

❁ **الهراس**: معنى قول السلف: «منه بدأ، وإليه يعود». هو من البدء. يعني: أن الله هو الذي تكلم به ابتداء، لم يبتدأ من غيره، ويحتمل أن يكون من البُدُوِّ؛ بمعنى الظهور. يعني: أنه هو الذي تكلم به وظهر منه، لم يظهر من غيره.

ومعنى: «إليه يعود». أي: يرجع إليه وصفًا؛ لأنه وصفُه القائم به، وقيل: معناه يعود إليه في آخر الزمان، حين يرفع من المصاحف والصدور، كما ورد في أشراط الساعة(١). اهـ

❁ **آل الشيخ**: «منه بدأ» قولًا؛ ولهذا في الآيات ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢]، ﴿تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ [فصلت: ٢]. «وإليه يعود» في آخر الزمان، كما جاء في الأحاديث أنهم إذا نسوا الآيات أو الشيء، أنهم يرجعون إلى المصاحف، فلا يجدون شيئًا، ثم يرفع -بعد تعطله، وترك العمل به في آخر الزمن- إلى من تكلم به، من الصدور ومن المصاحف، يرفع من صدور من يقرؤه، وإذا نُظر في المصاحف فإذا هم لا يجدونه فيها.

قوله: «وأن الله تكلم به حقيقة» لا مجازًا. اهـ

---

(١) عن حذيفة بن اليمان عن النبي ﷺ أنه قال: «يدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب، حتى لا يُدرى ما صيام، ولا صلاة، ولا نسك، ولا صدقة، وليُسرى على كتاب الله عز وجل في ليلة فلا يبقى في الأرض منه آية...» الحديث. أخرجه ابن ماجه (٤٠٤٩)، وصححه الألباني وابن باز وغيرهم.

وعن عبد الله بن مسعود قال: أكثروا من تلاوة القرآن قبل أن يرفع! قالوا: هذه المصاحف ترفع، فكيف بما في صدور الرجال؟ قال: يسرى عليه ليلاً فيصبحون منه فقراء، وينسون قول لا إله إلا الله، ويقعون في قول الجاهلية وأشعارهم، وذلك حين يقع عليهم القول. أخرجه الدارمي في «المسند» (٣٣٨٤) وبنحوه أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٨٠٣)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٠٢٤٢)، وسعيد بن منصور (٥٧)، وعبد الرزاق (٥٩٨١)، والطبراني في «الكبير» (ج/١٥٣/٨٦٩٨-٨٧٠٠)، والحاكم (٤/ ٥٠٤)، وعلقه البخاري في «التاريخ الكبير» مختصرًا (٨/ ١٠٨) بلفظ عن ابن مسعود عن النبي ﷺ: «تعلموا القرآن قبل أن يرفع» والموقوف أصح.

وقال شيخ الإسلام: وعن ابن مسعود وغيره أنه قال يسرى على القرآن، فلا يبقى في المصاحف منه آية، ولا في الصدور منه آية. انظر مجموع الفتاوى (١٨/ ٣٠٤)، (٣٥/ ١٦٥).

قوله: (وَأَنَّ هَذَا القُرْآنَ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ هُوَ كَلَامُ الله حَقِيقَةً، لا كَلَامَ غَيْرِهِ).

* قال الشيخ: «وأن هذا القرآن» الذي هو المكتوب «الذي أنزله على محمد ﷺ هو كلام الله حقيقة» هو كلام رب العالمين «لا كلام غيره» وعبارة أهل السنة: إن الله لم يزل متكلمًا إذا شاء، وأن هذا القرآن كلام الله. اهـ

* قال الشيخ: قوله: (وَلا يَجُوزُ إِطْلَاقُ القَوْلِ بِأَنَّهُ حِكَايَةٌ عَنْ كَلَامِ الله، أَوْ عِبَارَةٌ عنه). أطلقته الكلابية. يعني: أنه يشبهه، وإلا ليس كلام الله.

وبعضٌ[1] تحاشى كلمة حكاية وقال: هو «عبارة عنه». أي: عن كلام الله، وإلا ليس كلام الله كما أطلقته الأشاعرة.

وهذا كله بناءً على القول بالكلام النفسي وأنه شيء واحد، لا فرق بين أمره ونهيه، وخبره واستفهامه، وتوراته وإنجيله، وهم الذين ألف المصنف في الرد عليهم «التسعينية»[2]، وهذا القول أشر من قول الجهمية، وقد أضحكوا الأمم وخرجوا به

---

(١) المراد بهذا البعض هو الشيخ أبو الحسن الأشعري وأتباعه، وأما الكلابية فهم الذين يقولون: حكاية عن كلام الله، هذا ما حكاه عنهم شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره. انظر: «إبطال التحليل» (الفتاوى الكبرى) (٦/ ٦٣٢ ط: عطا)، و«الرسالة الكيلانية» في «مجموع الفتاوى» (١٢/ ٣٧٥). وعكس ذلك الحافظ ابن حجر في «الفتح» (١٣/ ٤٩٣).

فائدة: كلمة «بعض» اسم يدل على قسم من كلٍ، ويستعمل مضافًا أو معرفًا بـ«أل» على الأشهر، أو منونًا دون تعريف، وذهب الأصمعي وصاحبه أبو حاتم السجستاني والزجاج وصاحب «القاموس» وغيرهم إلى أنه معرفة لا تدخل عليه «أل»! قال أبو حاتم: العرب لا تقول: الكل ولا البعض -يعني بإدخال «أل» التعريف- قال: وقد استعمله الناس حتى سيبويه والأخفش في كتبهما، لقلة علمهما بهذا النحو، فاجتنب ذلك فإنه ليس من كلام العرب اهـ. وقال الأزهري: النحويون أجازوا الألف واللام في «بعض» و«كل» وإن أبى الأصمعي ذلك. اهـ انظر: «القاموس المحيط» و«لسان العرب» مادة «بعض».

(٢) سيأتي -إن شاء الله- نقل بعض كلامه من التسعينية.

عن المعقول، والأشاعرة فرع عن الكلابية في هذه المسألة، والماتريدية قولهم يقارب قول الأشاعرة، إلا أن بين القولين فروقًا عديدة، بعض المؤلفين صرح بكثير منها. اهـ

❋ **ابن مانع**: قوله: (وَلا يَجُوزُ إِطْلاقُ القَوْلِ بِأَنَّهُ حِكَايَةٌ عَنْ كَلامِ اللهِ) كما هو قول الكلابية، (أَوْ عِبَارَةٌ عنه) كما هو قول الأشعرية. اهـ

❋ **الهراس**: ومن زعم أن القرآن الموجود بيننا حكاية عن كلام الله، كما تقوله الكلابية[1]، أو أنه عبارة عنه، كما تقوله الأشعرية، فقد قال بنصف قول المعتزلة؛ حيث فرق بين الألفاظ والمعاني، فجعل الألفاظ مخلوقة، والمعاني عبارة عن الصفة القديمة، كما أنه ضاهى النصارى في قولهم بحلول اللاهوت، وهو الكلمة في الناسوت -وهو جسد عيسى ﷺ- إذ قال بحلول المعاني التي هي الصفة القديمة في هذه الألفاظ المخلوقة، فجعل الألفاظ ناسوتًا لها.

والقرآن كلام الله؛ حيث تصرف، فمهما كتبناه في المصاحف، أو تلوناه بالألسنة لم يخرج بذلك عن أن يكون كلام الله؛ لأن الكلام كما قال المصنف إنما يضاف إلى من قاله مبتدئًا، لا إلى من قاله مبلغًا مؤديًا. اهـ

قوله: (بَلْ إِذَا قَرَأَهُ النَّاسُ، أَوْ كَتَبُوهُ فِي المَصَاحِفِ لَمْ يَخْرُجْ بِذَلِكَ عَنْ أَنْ يَكُونَ كَلامَ اللهِ تَعَالَى حَقِيقَةً).

❋ **ابن مانع**: كما هو قول أهل السنة. اهـ

❋ **آل الشيخ**: **أي «إذا قرأه الناس» أو حفظوه في صدورهم «أو كتبوه في المصاحف، لم يخرج بذلك عن أن يكون كلام الله تعالى حقيقة»، فالصوت صوت**

(١) الكلابية هم أتباع أبي محمد عبد الله بن سعيد بن كلاب القطان، ت ٢٤٠هـ، وقد ورثهم الأشاعرة في مقالات التعطيل والتأويل.

القارئ، والمداد والورق مخلوق، وأما هذا المحفوظ فهو كلام الله، هذا المسموع هو كلام الله، هذا المرسوم هو كلام الله، هذا المتلو هو كلام الله تعالى.

فله أربع مراتب:

١- الوجود الذهني، وهو حفظه في الصدور.

٢- والوجود العيني.

٣- والوجود النطقي.

٤- والوجود السمعي، فما في الصدور منه هو كلام الله، وهذا الذي تراه في المصاحف هو كلام الله، والذي تتلفظ به هو كلام الله، والذي تسمعه هو كلام الله.

والمراد أنه بكل مراتبه ووجوهه لا يخرج عن أن يكون كلام الله تعالى حقيقة، سواء وجوده في المصحف، أو التلاوة، أو غير ذلك، فهو كلام الله موجود في المصاحف، محفوظ في الصدور، مسموع بالآذان، متلو باللسان، والورق والمداد مخلوق، والصوت صوت القارئ، والكلام كلام الباري.

قوله: (فَإِنَّ الكَلامَ إِنَّمَا يُضَافُ حَقِيقَةً إِلَى مَنْ قَالَهُ مُبْتَدِئًا، لا إِلَى مَنْ قَالَهُ مُبَلِّغًا مُؤَدِّيًا) عن غيره، فالذي يقوله الأول ينسب إليه، وقد جاء في القرآن إضافة القرآن إلى الله، كقوله: ﴿ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾. والكلام في لغة العرب إذا أضيف فالمراد إلى من قاله مبتدئًا، فإنك إذا قلت: قال الشافعي، فالمراد أنه أول من قال هذا القول، وأما قوله سبحانه: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [الحاقة: ٤٠] فهذا جاء في موضعين فالمراد التبليغ.

فإن قيل: أضافه إلى الرسول؟ قيل: نعم، فيه أن الرسول في آية: جبريل، وآيةٍ أنه: محمدﷺ. فيدل على أنه ليس كلامه، إنما بلَّغه عن غيره، فإضافته إلى مبلِّغه إضافة تبليغ، لا إضافة قول وابتداء لأحدهما دون الآخر. اهـ

قوله: (وَهُوَ كَلامُ الله، حُرُوفُهُ، وَمَعَانِيه، لَيْسَ كَلامُ اللهِ الْحُرُوفَ دُونَ المَعَانِي، وَلا المَعَانِي دُونَ الحُرُوفِ).

❁ **آل الشيخ**: القرآن «كلام الله حروفه ومعانيه» جميعًا. «ليس كلامُ الله الحروفَ» فقط «دون المعاني» كما يقول طوائف من أهل الكلام والحديث: إنه حروف وأصوات قديمة أزلية لها معانٍ تقوم بذات المتكلم.

«ولا المعاني» فقط «دون الحروف» كما تقوله الكلابية والأشاعرة، بل هو كلام الله -مجموع الأمرين- حروفه، ومعانيه. اهـ

❁ **ابن مانع**: قوله: «لَيْسَ كَلامُ الله الحُرُوفَ دُونَ المَعَانِي» وهذا قول المعتزلة(١). «وَلا المَعَانِي دُونَ الحُرُوفِ» وهذا قول الأشاعرة. اهـ.

❁ **السعدي**: من زعم أن القرآن الموجود بيننا عبارة عن كلام الله، أو حكاية عنه كما قاله الكلابية والأشعرية- فقد قال بنصف قول المعتزلة. فالقرآن كلام الله حيث تصرف، سواء كان محفوظًا في الصدور، أو متلوًّا بالألسنة، أو مكتوبًا في المصاحف، فلا يخرج بذلك عن أن يكون كلام الله كما قال المصنف: «فإن الكلام إنما يضاف إلى من قاله مبتدئًا، لا إلى من قاله مبلغا مؤديا».

وقول السلف: «كلام الله منه بدأ» أي: هو الذي تكلم به وظهر منه، لم يبد من غيره وقولهم: «إليه يعود» أي: يرجع. أي: يوصف الله به. وقيل: إن المراد بذلك ما ورد من أن من أشراط الساعة أن يرفع القرآن من الصدور والمصاحف، ولكن الأول أولى.

وهذه المسألة -مسألة الكلام- عظيمة تكلم فيها الناس على اختلاف طرائقهم، ولكن المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ ذكر في هذا الفصل كلامًا في الكلام جامعًا، نافعًا، مأخوذًا من الأدلة الشرعية عقلية ونقلية.

---

(١) لكنَّهم يقولون: هو مخلوق، وإضافته إلى الله إضافة ملك وتشريف لا إضافة صفة، كبيت الله وناقة الله. كلها على سبيل المجاز المقصود منه التشريف. هذا قولهم، خلطوا بين الصفات والذوات!!

وأما كون هذا داخلًا في الإيمان بكتبه، فإن الإيمان بالكتب وخصوصًا القرآن يقتضي أن يؤمن العبد بكل ألفاظها ومعانيها وما دلت عليه من العقائد والمعاني الجليلة، فمن لم يؤمن بجميع ذلك فلم يتم إيمانه.

أقسام الناس المؤمنين بالقرآن

واعلم أن المؤمنين بالقرآن على قسمين: كاملين، وناقصين.

* أما الكاملون: فإنهم أقبلوا على القرآن فتفهموا معانيه، ثم آمنوا بها واعتقدوها كلها، وتخلقوا بأخلاقها، وعملوا بما دل عليه، امتثالًا لأوامره، واجتنابًا لنواهيه، ولم يفرِّقوا بين نصوصه، كحال أهل البدع الذين آمنوا ببعض دون بعض.

* وأما الناقصون: فهم قسمان: قسم مبتدعون، وقسم فاسقون ظالمون.

* أما المبتدعون: فكل من ابتدع بدعة ترك لها شيئًا من كتاب الله وسنة رسول الله، وهؤلاء على مراتبهم في البدعة، بحسب ما خالفوا فيه.

* وأما الفاسقون: فهم الذين عرفوا أنه يجب عليهم الإيمان بالكتاب، والعمل به، فاعترفوا بذلك، ولكن أعمالهم ناقضت أقوالهم، فتجرؤوا على مخالفة الكتاب بترك كثير من واجباته، والاقتحام على كثير مما نهى عنه، من غير أن يجحدوه، ولكن نفوسهم الأمارة بالسوء غلبتهم واستولت عليهم.

فنسأل الله تعالى أن يجعلنا ممن آمن بكتابه إيمانًا صحيحًا، حتى نكون لجميع نصوصه معتقدين، ولأوامره ونواهيه خاضعين، إنه جواد كريم. اهـ.

* **قال شيخ الإسلام في «التسعينية»**[1]: الصواب الذي عليه سلف الأمة- كالإمام أحمد، والبخاري صاحب «الصحيح» في كتاب «خلق أفعال العباد»، وغيره، وسائر

(١) كما في «الفتاوى الكبرى» (٦/ ٤٦٦).

الأئمة قبلهم وبعدهم- اتباع النصوص الثابتة، وإجماع سلف الأمة، وهو أن القرآن جميعه كلام الله، حروفه ومعانيه، ليس شيء من ذلك كلامًا لغيره، ولكن أنزله على رسوله، وليس القرآن اسمًا لمجرد المعنى، ولا لمجرد الحرف، بل لمجموعهما، وكذلك سائر الكلام ليس هو الحروف فقط ولا المعاني فقط، كما أن الإنسان المتكلم الناطق ليس هو مجرد الروح ولا مجرد الجسد، بل مجموعهما، وأن الله تعالى متكلم بصوت، كما جاءت به الأحاديث الصحاح، وليس ذلك كأصوات العباد- لا صوت القارئ ولا غيره- وأن الله ليس كمثله شيء، لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، فكما لا يشبه علمُه، وقدرتُه، وحياتُه علمَ المخلوق، وقدرتَه، وحياتَه، فكذلك لا يشبه كلامُه كلامَ المخلوق، ولا معانيَه تشبه معانيه، ولا حروفُه تشبه حروفَه، ولا صوتُ الرب يشبه صوتَ العبد، فمن شبه الله بخلقه فقد ألحد في أسمائه وآياته، ومن جحد ما وصف به نفسه فقد ألحد في أسمائه وآياته. اهـ

* وقال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: قال تعالى: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ٦] وهو منزل من الله، كما قال تعالى: ﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ﴾ [الأنعام: ١١٤]. فأخبر سبحانه أنهم يعلمون ذلك، والعلم لا يكون إلا حقًّا. وقال تعالى: ﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ [الزمر: ١]، ﴿ حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ [غافر: ١-٢]، ﴿ حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ [فصلت: ١-٢]، وقال تعالى: ﴿ وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ [السجدة: ١٣] وقال تعالى: ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴾ [طه: ١٢٩] ونحو ذلك وقال تعالى: ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ﴾ [النحل: ١٠٢]. فأخبر سبحانه أنه منزل من الله، ولم يخبر عن شيء أنه منزل من الله إلا كلامه، بخلاف نزول الملائكة، والمطر، والحديد، وغير ذلك.

(١) «مجموع الفتاوى» (١٢/ ٢٩٦ وما بعدها).

ولهذا كان القول المشهور عن السلف أن القرآن كلام الله غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود؛ فإن من قال: إنه مخلوق، يقول: إنه خُلِقَ في بعض المخلوقات القائمة بنفسها. فمن ذلك المخلوق نزل وبدأ، لم ينزل من الله، فإخبار الله تعالى أنه منزَّل من الله، يناقض أن يكون قد نزل من غير الله؛ ولهذا فسر الإمام أحمد قوله: «منه بدأ» أي: هو المتكلم به. وقال أحمد: كلام الله من الله ليس ببائن عنه.

وأيضًا فلو كان مخلوقًا في غيره لم يكن كلامه، بل كان يكون كلامًا لذلك المخلوق فيه، وكذلك سائر ما وصف به نفسه من الإرادة، والمحبة، والمشيئة، والرضا، والغضب، والمقت، وغير ذلك من الأمور، لو كان مخلوقًا في غيره لم يكن الرب تعالى متصفًا به، بل كان يكون صفة لذلك المحل، فإن المعنى إذا قام بمحل كان صفة لذلك المحل، ولم يكن صفة لغيره فيمتنع أن يكون المخلوق- أو الخالق- موصوفًا بصفة موجودة قائمة بغيره؛ لأن ذلك فطري، فما وصف به نفسه من الأفعال اللازمة يمتنع أن يوصف الموصوف بأمر لم يقم به. وهذا مبسوط في مواضع أخر.

ولم يقل السلف: إن النبي سمعه من الله تعالى. كما يقول ذلك بعض المتأخرين قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٦٤] وفي الصحيحين عن ابن مسعود قال: قال لي النبي ﷺ: «اقرأ علي القرآن» قلت: أقرأ عليك وعليك أنزل؟! قال: «إني أحب أن أسمعه من غيري» فقرأت عليه سورة النساء حتى بلغت إلى هذه الآية ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١] قال: «حسبك» فنظرت فإذا عيناه تذرفان من البكاء(١). والنبي ﷺ سمعه من جبريل، وهو الذي نزل عليه به، وجبريل سمعه من الله تعالى، كما نص على ذلك أحمد وغيره من الأئمة، قال تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٩٧]، وقال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ

(١) أخرجه البخاري (٤٥٨٢، ٥٠٤٩، ٥٠٥٠، ٥٠٥٥، ٥٠٥٦)، ومسلم (٨٠٠).

ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ [الشعراء: ١٩٣-١٩٥]، وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ﴾ [النحل: ١٠١-١٠٢]، فأخبر سبحانه أنه نزله روح القدس -وهو الروح الأمين، وهو جبريل- من الله بالحق، ولم يقل أحد من السلف: إن النبي ﷺ سمعه من الله، وإنما قال ذلك بعض المتأخرين.

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴾ [القيامة: ١٧-١٩]، هو كقوله تعالى: ﴿ نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ ﴾ [القصص: ٣]، وقوله: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ ﴾ [يوسف: ٣] ونحو ذلك مما يكون الرب فعله بملائكته، فإن لفظ (نحن) هو للواحد المطاع الذي له أعوان يطيعونه، فالرب تعالى خلق الملائكة وغيرها، تطيعه الملائكة أعظمَ مما يطيع المخلوقَ أعوانُه، فهو سبحانه أحق باسم (نحن) و(فعلنا) ونحو ذلك من كل ما يستعمل، وفي الصحيحين عن ابن عباس قال: «كان النبي ﷺ يعالج من التنزيل شدة، وكان يحرك شفتيه فقال ابن عباس: أنا أحركهما لك كما كان رسول الله ﷺ يحركهما. وقال سعيد بن جبير: أنا أحركهما كما رأيت ابن عباس يحركهما فحرك شفتيه فأنزل الله ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴾ قال: جمعه لك في صدرك وتقرؤه ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴾ فإذا قرأه رسولنا وفي لفظ: فإذا قرأه جبريل فاستمع له وأنصت ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴾ أي: نقرؤه. فكان رسول الله ﷺ بعد ذلك إذا أتاه جبريل استمع فإذا انطلق جبريل قرأه النبي ﷺ كما قرأه[(١)]».

وقد بيّن الله تعالى أنواع تكليمه لعباده في قوله: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ﴾ [الشورى: ٥١] فبين سبحانه أن التكليم تارة يكون وحيًا، وتارة من وراء حجاب -كما كلم موسى- وتارة يرسل

---

(١) أخرجه البخاري (٥، ٤٩٢٧، ٤٩٢٨، ٤٩٢٩، ٥٠٤٤، ٧٥٢٤)، ومسلم (٤٤٨).

رسولًا فيوحي الرسول بإذن الله ما يشاء، وقال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [الحج: ٧٥] فإذا أرسل الله تعالى رسولًا كان ذلك مما يكلم به عباده، فيتلوه عليهم، وينبئهم به، كما قال تعالى: ﴿قُل لَّا تَعْتَذِرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ﴾ [التوبة: ٩٤] وإنما نبأهم بواسطة الرسول، والرسول مبلغ به، كما قال تعالى: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾ [المائدة: ٦٧] وقال تعالى: ﴿لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ ﴾ [الجن: ٢٨] وقال تعالى: ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾ [النور: ٥٤] والرسول أمر أمته بالتبليغ عنه، ففي صحيح البخاري عن عبد الله بن عمرو، عن النبي ﷺ أنه قال: «**بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار**»[(١)]، وقال ﷺ لما خطب المسلمين: «**ليبلغ الشاهد الغائب، فرب مبلغ أوعى من سامع**»[(٢)]، وقال ﷺ: «**نضر الله امرأ سمع منا حديثا فبلغه إلى من لم يسمعه، فرب حامل غير فقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه**»[(٣)]، وفي السنن عن جابر قال: كان النبي ﷺ يعرض نفسه على الناس بالموسم فيقول: «**ألا رجل يحملني إلى قومه لأبلغ كلام ربي؟ فإن قريشا منعوني أن أبلغ كلام ربي**»[(٤)]، وكما لم يقل أحد من السلف إنه مخلوق، فلم يقل أحد منهم: إنه قديم، لم يقل واحدًا من القولين أحد من الصحابة، ولا التابعين لهم بإحسان، ولا من بعدهم من الأئمة الأربعة، ولا غيرهم، بل الآثار متواترة عنهم بأنهم كانوا يقولون: القرآن كلام الله. ولما ظهر من قال: إنه مخلوق قالوا ردًا لكلامه: إنه غير مخلوق، ولم يريدوا بذلك أنه مفترى

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٦١).

(٢) أخرجه البخاري (٦٧، ١٠٥، ١٧٤١، ٣١٩٧، ٤٤٠٦، ٤٦٦٢، ٥٥٥٠، ٧٠٧٨، ٧٤٤٧)، ومسلم (٢٦٩٩) عن أبي بكرة مرفوعًا.

(٣) أخرجه ابن ماجه (٢٣٦) عن أنس مرفوعًا، وصححه الألباني، وله طرق كثيرة، منها عن ابن مسعود عند ابن ماجه (٢٣٢)، والترمذي (٢٦٥٧). انظر كتاب الشيخ عبد المحسن العباد «طرق حديث: «نضر الله امرأ...»».

(٤) أخرجه أبو داود (٤٧٣٤)، والترمذي (٢٩٢٥)، وابن ماجه (٢٠١) بسند صحيح، وصححه الألباني.

-كما ظنه بعض الناس- فإن أحدًا من المسلمين لم يقل: إنه مفترى. بل هذا كفر ظاهر، يعلمه كل مسلم، وإنما قالوا: إنه مخلوق، خلقه الله في غيره، فرد السلف هذا القول، كما تواترت الآثار عنهم بذلك، وصنفوا في ذلك مصنفات متعددة، وقالوا: منه بدأ، وإليه يعود.

أول من أحدث المقالات في القرآن

وأول من عرف أنه قال مخلوق: الجعد بن درهم، وصاحبه الجهم بن صفوان، وأول من عرف أنه قال هو قديم عبد الله بن سعيد بن كلاب، ثم افترق الذين شاركوه في هذا القول، فمنهم من قال: الكلام معنى واحد قائم بذات الرب، ومعنى القرآن كله، والتوراة، والإنجيل، وسائر كتب الله وكلامه هو ذلك المعنى الواحد، الذي لا يتعدد ولا يتبعض، والقرآن العربي لم يتكلم الله به بل هو مخلوق، خلقه في غيره.

وقال جمهور العقلاء: هذا القول معلوم الفساد بالاضطرار؛ فإنه من المعلوم بصريح العقل أن معنى آية الكرسي ليس معنى آية الدين، ولا معنى ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ معنى ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾، فكيف بمعاني كلام الله كله في الكتب المنزلة؟ وخطابه لملائكته، وحسابه لعباده يوم القيامة، وغير ذلك من كلامه؟

ومنهم من قال: هو حروف، أو حروف وأصوات قديمة أزلية لازمة لذاته؛ لم يزل- ولا يزال- موصوفًا بها.

وكلا الحزبين يقول: إن الله تعالى لا يتكلم بمشيئته وقدرته، وإنه لم يزل -ولا يزال- يقول: ﴿يَٰنُوحُ﴾، ﴿يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ﴾، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ﴾، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾، كما قد بسطت أقوالهم في غير هذا الموضع.

مذاهب السلف

ولم يقل أحد من السلف بواحد من القولين، ولم يقل أحد من السلف: إن هذا القرآن عبارة عن كلام الله. ولا حكاية له، ولا قال أحد منهم: إن لفظي بالقرآن قديم، أو غير مخلوق. فضلًا عن أن يقول: إن صوتي به قديم، أو غير مخلوق. بل كانوا يقولون بما دل عليه الكتاب والسنة من أن هذا القرآن كلام الله، والناس يقرؤونه بأصواتهم، ويكتبونه بمدادهم، وما بين اللوحين كلام الله، وكلام الله غير مخلوق. وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا تسافروا بالقرآن إلى أرض العدو**»[١]، وقال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ﴾ [البروج: ٢١-٢٢] والمداد[٢] الذي يكتب به القرآن مخلوق، والصوت الذي يقرأ به هو صوت العبد، والعبد وصوته وحركاته وسائر صفاته مخلوقة، فالقرآن الذي يقرؤه المسلمون كلام الباري، والصوت الذي يقرأ به العبد صوت القارئ، كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ﴾ [التوبة: ٦]، وقال النبي ﷺ «**زينوا القرآن بأصواتكم**»[٣]. فبين أن الأصوات التي يقرأ بها القرآن أصواتنا، والقرآن كلام الله؛ ولهذا قال أحمد بن حنبل وغيره من أئمة السنة: يحسّنه الإنسان بصوته، كما قال أبو موسى الأشعري للنبي ﷺ: «**لو علمت إنك تسمع لحبرته لك تحبيرا**»[٤]. فكان ما قاله أحمد وغيره من أئمة السنة، من أن الصوت صوت العبد، موافقًا للكتاب والسنة، وقد قال تعالى: ﴿وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ

---

(١) أخرجه البخاري (٢٩٩٠)، ومسلم (١٨٦٩) من حديث ابن عمر، واللفظ لمسلم.

(٢) المداد: هو الحبر.

(٣) أخرجه أبو داود (١٤٦٨)، والنسائي (١٠١٥)، وابن ماجه (١٣٤٢)، وعلقه البخاري جازمًا في كتاب التوحيد من صحيحه، وصححه الألباني.

(٤) أخرجه النسائي في «الكبرى» (٨٠٥٨) عن بريدة، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٧/ ١٤٨٣)، وقال الحافظ ابن حجر في «الفتح» (٩/ ٩٣): ولابن سعد بإسناد صحيح على شرط مسلم من حديث أنس، عن أبي بردة نحوه.

﴿وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ﴾ [لقمان: ١٩]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ﴾ [الحجرات: ٢]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [الحجرات: ٣]، وقال تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩] ففرق سبحانه بين المداد الذي يكتب به كلماته وبين كلماته، فالبحر وغيره من المداد الذي يكتب به الكلمات مخلوق، وكلمات الله غير مخلوقة، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾ [لقمان: ٢٧] فالأبحر إذا قُدِّرَتْ مِدادًا تنفد، وكلمات الله لا تنفد؛ ولهذا قال أئمة السنة: لم يزل الله متكلمًا كيف شاء، وبما شاء. كما ذكرت الآثار بهذه المعاني عن ابن المبارك، وأحمد بن حنبل، وغيرهما.

هذا وقد أخبر سبحانه عن نفسه بالنداء في أكثر من عشرة مواضع، فقال تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [الأعراف: ٢٢]، وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [القصص: ٦٢]، ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٦٥]، وذكر سبحانه نداءه لموسى ﷺ في سورة طه، ومريم، والطواسيم الثلاث[1]، وفي سورة ﴿والنازعات﴾، وأخبر أنه ناداه في وقت بعينه، فقال تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [القصص: ٣٠]، وقال تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ [النازعات: ١٥-١٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا﴾ [القصص: ٤٦]، واستفاضت الآثار عن النبي ﷺ، والصحابة، والتابعين، ومن بعدهم من أئمة السنة، أنه سبحانه ينادي بصوت، نادى موسى، وينادي عباده يوم القيامة بصوت، ويتكلم بالوحي بصوت، ولم ينقل عن أحد من السلف أنه قال: إن الله يتكلم

(١) هي سور الشعراء والنمل والقصص، سميت بذلك لأنها مفتتحة بحروف (ط س).

بلا صوت، أو بلا حرف، ولا أنه أنكر أن يتكلم الله بصوت أو بحرف، كما لم يقل أحد منهم: إن الصوت الذي سمعه موسى قديم. ولا إن ذلك النداء قديم. ولا قال أحد منهم: إن هذه الأصوات المسموعة من القراء هي الصوت الذي تكلم الله به. بل الآثار مستفيضة عنهم بالفرق بين الصوت الذي يتكلم الله به، وبين أصوات العباد.

وكان أئمة السنة يعدون من أنكر تكلمه بصوت من الجهمية، كما قال الإمام أحمد، لما سئل عمن قال: إن الله لا يتكلم بصوت، فقال: هؤلاء جهمية إنما يدورون على التعطيل، وذكر بعض الآثار المروية في أنه سبحانه يتكلم بصوت.

وقد ذكر من صنَّفَ في السنة من ذلك قطعةً، وعلى ذلك ترجم عليه البخاري في صحيحه بقوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ ﴾[1] [سبأ: ٢٣] وقد ذكر البخاري في «كتاب خلق الأفعال» مما يبين به الفرق بين الصوتين آثارًا متعددة. وكانت محنة البخاري مع أصحابه- محمد بن يحيى الذهلي، وغيره- بعد موت أحمد بسنين، ولم يتكلم أحمد في البخاري إلا بالثناء عليه، ومن نقل عن أحمد أنه تكلم في البخاري بسوء فقد افترى عليه.

وقد ذكر الشيخ أبو الحسن محمد بن عبد الملك الكرجي في كتابه الذي سماه «الفصول في الأصول» قال: سمعت الإمام أبا منصور محمد بن أحمد يقول: سمعت أبا حامد الإسفراييني يقول: مذهبي ومذهب الشافعي وفقهاء الأمصار أن القرآن كلام الله غير مخلوق، ومن قال: مخلوق. فهو كافر، والقرآن حمله جبريل مسموعًا من الله، والنبي ﷺ سمعه من جبريل، والصحابة سمعوه من رسول الله ﷺ، وهو الذي نتلوه

---

(١) في كتاب التوحيد من «صحيحه» (٩٧/ ٣٢)، في أثناء أبواب ذكر صفة الكلام لله تعالى، قال: «باب قول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾، ولم يقل: ماذا خلق ربكم؟»، ثم أعقبه بقوله: «باب كلام الرب مع جبريل، ونداء الله الملائكة، وقال معمر: ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ ﴾ أي: يلقى عليك، وتلقاه أنت، أي تأخذه عنهم، ومثله: ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾ ...» ثم أسند بعض الأحاديث.

نحن بألسنتنا، وفيما بين الدَّفتين[١]، وما في صدورنا مسموعًا، ومكتوبًا، ومحفوظًا، وكل حرف منه، كالباء والتاء، كله كلام الله غير مخلوق، ومن قال: مخلوق فهو كافر، عليه لعائن الله والناس أجمعين.

وقد كان طائفة من أهل الحديث والمنتسبين إلى السنة تنازعوا في اللفظ بالقرآن، هل يقال إنه مخلوق؟ ولما حدث الكلام في ذلك أنكرت أئمة السنة، كأحمد بن حنبل وغيره أن يقال: لفظي بالقرآن مخلوق، أو غير مخلوق. وقالوا: من قال: إنه مخلوق فهو جهمي، ومن قال: إنه غير مخلوق فهو مبتدع.

وأما صوت العبد فلم يتنازعوا أنه مخلوق[٢]، فإن المبلغ لكلام غيره بلفظ صاحب الكلام إنما بلّغ غيره، كما يقال: روى الحديث بلفظه. وإنما يبلغه بصوت نفسه، لا بصوت صاحب الكلام.

و(اللفظ) في الأصل مصدر لفظ يلفظ لفظًا، وكذلك التلاوة، والقراءة مصدران، لكن شاع استعمال ذلك في نفس الكلام الملفوظ المقروء المتلو، وهو المراد باللفظ في إطلاقهم، فإذا قيل: لفظي- أو اللفظ- بالقرآن مخلوق، أشعر أن هذا القرآن الذي يقرؤه ويلفظ به مخلوق. وإذا قيل: لفظي غير مخلوق. أشعر أن شيئًا مما يضاف إليه غير مخلوق، وصوته وحركته مخلوقان، لكن كلام الله الذي يقرؤه غير مخلوق. والتلاوة قد يراد بها نفس الكلام الذي يتلى، وقد يراد بها نفس حركة العبد، وقد يراد بها مجموعهما، فإذا أريد بها الكلام نفسه الذي يتلى، فالتلاوة هي المتلو، وإذا أريد بها حركة العبد، فالتلاوة ليست هي المتلو وإذا أريد بها المجموع فهي متناولة للفعل والكلام فلا يطلق عليها أنها المتلو ولا أنها غيره.

---

(١) مثنى دفة، بفتح الدال، قال في «القاموس»: الدَّف بالفتح: الجنب من كل شيء، أو صفحته كالدَّفة. اهـ والمراد هنا: جانبا المصحف وغلافاه.

(٢) والفرق بينهما: أنَّ من قال: لفظي مخلوق، يحتمل أنه يريد الملفوظ به وهو القرآن، وهو غير مخلوق، ويحتمل أن يريد الصوت الملفوظ، فلما أوهم أحدهما منع منه أحمد وغيره؛ لأنه وسيلة للمبتدعة على أهل السنة، وأما من قال: صوتي مخلوق فلا يحتمل ضلالًا فلا بأس به.

ولم يكن أحد من السلف يريد بالتلاوة مجرد قراءة العباد، وبالمتلو مجرد معنى واحد يقوم بذات الباري تعالى، بل الذي كانوا عليه أن القرآن كلام الله، تكلم الله به بحروفه ومعانيه، ليس شيء منه كلامًا لغيره، لا لجبريل ولا لمحمد ولا لغيرهما، بل قد كفَّر الله من جعله قولَ البشر (١)، مع أنه سبحانه أضافه تارة إلى رسول من البشر، وتارة إلى رسول من الملائكة فقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الحاقة: ٤٠-٤٣]، فالرسول هنا محمد ﷺ وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: ١٩-٢٧]، فالرسول هنا جبريل.

وأضافه سبحانه إلى كل منهما باسم رسول؛ لأن ذلك يدل على أنه مبلغ له عن غيره، وأنه رسول فيه لم يحدث هو شيئًا منه، إذ لو كان قد أحدث منه شيئًا لم يكن رسولًا فيما أحدثه، بل كان منشئًا له من تلقاء نفسه، وهو سبحانه يضيفه إلى رسول من الملائكة تارةً، ومن البشر تارةً، فلو كانت الإضافة لكونه أنشأ حروفه لتناقض الخبران، فإن إنشاء أحدهما له يناقض إنشاء الآخر له. وقد كفَّر الله تعالى من قال: إنه قول البشر. فمن قال: إن القرآن -أو شيئًا منه- قول بشر أو ملك فقد كذب.

ومن قال: إنه قول رسول من البشر ومن الملائكة، بلَّغَه عن مرسله، ليس قولًا أنشأه، فقد صدق، ولم يقل أحد من السلف: إن جبريل أحدث ألفاظ، ولا محمدًا ﷺ، ولا إن الله تعالى خَلَقَها في الهواء، أو غيره من المخلوقات، ولا إن جبريل أخذها من اللوح المحفوظ. بل هذه الأقوال هي من أقوال بعض المتأخرين.

---

(١) يعني: قوله تعالى: ﴿ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ إلى قوله: ﴿فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ الآيات.

وقد بُسِطَ الكلام في غير هذا الموضع على تنازع المبتدعين الذين اختلفوا في الكتاب وبين فساد أقوالهم، وأن القول السديد هو قول السلف، وهو الذي يدل عليه النقل الصحيح والعقل الصريح، وإن كان عامة هؤلاء المختلفين في الكتاب، لم يعرفوا القول السديد قول السلف، بل ولا سمعوه، ولا وجدوه في كتاب من الكتب التي يتداولونها؛ لأنهم لا يتداولون الآثار السلفية، ولا معاني الكتاب والسنة، إلا بتحريف بعض المحرفين لها؛ ولهذا إنما يذكر أحدهم أقوالًا مبتدعة: إما قولين، وإما ثلاثة، وإما أربعة، وإما خمسة. والقول الذي كان عليه السلف، ودل عليه الكتاب والسنة لا يذكره؛ لأنه لا يعرفه؛ ولهذا تجد الفاضل من هؤلاء حائرًا مقِرًّا بالحيرة على نفسه، وعلى من سبقه من هؤلاء المختلفين؛ لأنه لم يجد فيما قالوه قولًا صحيحًا.

وكان أول من ابتدع الأقوال الجهمية المحضة النفاة، الذين لا يثبتون الأسماء والصفات، فكانوا يقولون أولًا: إن الله تعالى لا يتكلم، بل خلق كلامًا في غيره وجعل غيره يعبر عنه، وإن قوله تعالى ﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ ﴾ [الشعراء: ١٠] وقول النبي ﷺ: «إن الله ينزل إلى السماء الدنيا كل ليلة إذا بقي ثلث الليل فيقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟»[١] معناه أن ملكًا يقول ذلك عنه، كما يقال: نادى السلطان. أي: أمر مناديًا ينادي عنه، فإذا تلي عليهم ما أخبر الله تعالى به عن نفسه من أنه يقول ويتكلم، قالوا: هذا مجاز، كقول العربي: امتلأ الحوض وقال: قطني[٢].

وقالت[٣]: اتساع بطنه[٤]. ونحو ذلك.

---

(١) أخرجه البخاري (١١٤٥، ٦٣٢١، ٧٤٩٤)، ومسلم (٧٥٨) عن أبي هريرة.

(٢) الرجز من شواهد شروح الألفية وغيرها ولم ينسب لقائلٍ وشطره الثاني: مهلًا رويدًا قد ملأت بطني.

(٣) أي: العرب.

(٤) كذا، ولعلها (انساع بطنه). أي: جرى وسال، قال في «القاموس»: ساع الماء والشراب، يسيعه سيعًا وسيوعًا: جرى واضطرب على وجه الأرض. اهـ

فلما عرف السلف حقيقته، وأنه مضاهٍ لقول المتفلسفة المعطلة الذين يقولون: إن الله تعالى لم يتكلم، وإنما أضافت الرسل إليه الكلام بلسان الحال- كفَّروهم، وبينوا ضلالهم، ومما قالوا لهم: إن المنادي عن غيره - كمنادي السلطان - يقول: أَمَرَ السلطان بكذا، خرج مرسومه بكذا. لا يقول: إني آمركم بكذا، وأنهاكم عن كذا، والله تعالى يقول في تكليمه لموسى ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ﴾ [طه: ١٤]، ويقول تعالى إذا نزل ثلث الليل الغابر: «**من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له؟**»(١) وإذا كان القائل ملكًا قال - كما في الحديث الذي في الصحيحين- «**إذا أحب الله العبد نادى في السماء: يا جبريل إني أحب فلانا فأحبه، فيحبه جبريل، وينادي في السماء: إن الله يحب فلانا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ويوضع له القبول في الأرض**»(٢) فقال جبريل في ندائه عن الله تعالى: «**إن الله يحب فلانا فأحبوه**» وفي نداء الرب يقول: «**من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له**».

فإن قيل: فقد روي أنه يأمر مناديًا فينادي. قيل: هذا ليس في الصحيح، فإن صحَّ أمكن الجمع بين الخبرين بأن ينادي هو ويأمر مناديًا ينادي، أما أن يعارض بهذا النقل النقل الصحيح المستفيض، الذي اتفق أهل العلم بالحديث على صحته، وتلقيه بالقبول، مع أنه صريح في أن الله تعالى هو الذي يقول: «**من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له؟**» فلا يجوز.

وكذلك جهم كان ينكر أسماء الله تعالى، فلا يسميه شيئًا، ولا حيًا، ولا غير ذلك، إلا على سبيل المجاز، قال: لأنه إذا سمي باسم تسمى به المخلوق كان تشبيهًا.

---

(١) تقدم قريبًا.

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٠٩، ٦٠٤٠، ٧٤٨٥)، ومسلم (٢٦٣٧) عن أبي هريرة مرفوعًا.

وكان جهم مُجبرًا[(١)] يقول: إن العبد لا يفعل شيئًا. فلهذا نقل عنه أنه سمى الله قادرًا[(٢)]؛ لأن العبد عنده ليس بقادر.

حقيقة قول المعتزلة في الكلام

ثم إن المعتزلة الذين اتبعوا عمرو بن عبيد[(٣)] على قوله في القدر والوعيد دخلوا في مذهب جهم[(٤)]، فأثبتوا أسماء الله تعالى، ولم يثبتوا صفاته، وقالوا: نقول إن الله متكلم حقيقةً، وقد يذكرون إجماع المسلمين على أن الله متكلم حقيقة؛ لِئَلَّا يضاف إليهم أنهم يقولون: إنه غير متكلم. لكن معنى كونه سبحانه متكلما عندهم أنه خلق الكلام في غيره، فمذهبهم ومذهب الجهمية في المعنى سواء، لكن هؤلاء يقولون هو متكلم حقيقة، وأولئك ينفون أن يكون متكلمًا حقيقة. وحقيقة قول الطائفتين أنه غير متكلم، فإنه لا يُعْقَل متكلمٌ إلا من قام به الكلام، ولا مريدٌ إلا من قامت به الإرادة، ولا محبٌ، ولا راض، ولا مبغضٌ، ولا رحيمٌ، إلا من قامت به الإرادة، والمحبة، والرضا، والبغض، والرحمة.

وقد وافقهم على ذلك كثير ممن انتسب في الفقه إلى أبي حنيفة من المعتزلة[(٥)].

وغيرهم من أئمة المسلمين[(٦)] ليس فيهم من يقول بقول المعتزلة، لا في نفي الصفات، ولا في القدر، ولا المنزلة بين المنزلتين ولا إنفاذ الوعيد.

---

(١) وهو رأس الجبرية القائلين بأن العبد مجبور على أفعاله، ليس له قدرة ولا اختيار.

(٢) أي: أثبت هذا الاسم فقط.

(٣) عمرو بن عبيد بن باب البصري، رأس القدرية في وقته، كان مظهرًا للزهد والعبادة على زندقته وإلحاده في القدر والاعتزال. ت ١٤٤هـ.

(٤) في التعطيل.

(٥) كالمريسي، بشر بن غياث، ت ٢١٨هـ، ومحمد بن شجاع الثلجي، ت ٢٦٦هـ.

(٦) يعني: الأئمة المقتدى بهم في الأمة.

حقيقة المتكلم بالقرآن

ثم تنازع المعتزلة والكلابية في حقيقة (المتكلم) فقالت المعتزلة: المتكلم من فعل الكلام ولو أنه أحدثه في غيره؛ ليقولوا إن الله يخلق الكلام في غيره وهو متكلم به.

وقالت الكلابية: المتكلم من قام به الكلام، وإن لم يكن متكلمًا بمشيئته وقدرته، ولا فعل فعلًا أصلًا. بل جعلوا المتكلم بمنزلة الحي الذي قامت به الحياة، وإن لم تكن حياته بمشيئته ولا قدرته ولا حاصلة بفعل من أفعاله.

وأما السلف وأتباعهم وجمهور العقلاء، فالمتكلم المعروف عندهم من قام به الكلام وتكلم بمشيئته وقدرته. لا يعقل متكلم لم يقم به الكلام، ولا يعقل متكلم بغير مشيئته وقدرته، فكان كل من تينك الطائفتين المبتدعتين أخذت بعض وصف المتكلم، المعتزلة أخذوا أنه فاعل، والكُلابية أخذوا أنه محل الكلام، ثم زعمت المعتزلة أنه يكون فاعلًا للكلام في غيره، وزعموا هم ومن وافقهم من أتباع الكلابية كأبي الحسن(١) وغيره، أن الفاعل لا يقوم به الفعل، وكان هذا مما أنكره السلف وجمهور العقلاء، وقالوا: لا يكون الفاعل إلا من قام به الفعل، وأنه يفرق بين الفاعل والفعل والمفعول، وذكر البخاري في «كتاب خلق أفعال العباد» إجماع العلماء على ذلك(٢). اهـ

---

(١) الأشعري.

(٢) قال أبو عبد الله البخاري في «خلق أفعال العباد» (ص/ ٩٧ - ط: عمرو عبد المنعم): ولم يكن بين أحد من أهل العلم في ذلك اختلاف، إلى زمن مالك، والثوري، وحماد بن زيد، وعلماء الأمصار ثم بعدهم ابن عيينة في أهل الحجاز، ويحيى بن سعيد، وعبد الرحمن بن مهدي في محدثي أهل البصرة، وعبد الله بن إدريس، وحفص بن غياث، وأبو بكر بن عياش، ووكيع، وذووهم، وابن المبارك في متبعيه، ويزيد بن هارون في الواسطيين، إلى عصر من أدركنا من أهل الحرمين مكة والمدينة، والعراقين وأهل الشام ومصر، ومحدثي أهل خراسان منهم محمد بن يوسف في متابيه، وأبو الوليد هشام بن عبد الملك في مجتبيه، وإسماعيل بن أبي إدريس مع أهل المدينة، وأبو مسهر في الشاميين، ونعيم بن حماد مع المصريين، وأحمد بن حنبل مع أهل البصرة، والحميدي من قريش، ومن اتبع الرسول من المكيين، وإسحاق بن إبراهيم وأبو عبيد في أهل اللغة، وهؤلاء المعروفون بالعلم في عصرهم بلا اختلاف منهم أن القرآن كلام الله إلا من شذ فيها، أو أغفل الطريق الواضح، فعمي عليه، فإنه مرده إلى الكتاب والسنة. اهـ

فَصلٌ

الإيمان برؤية المؤمنين لربهم رؤية حقيقية عيانًا بأبصارهم، في عرصات القيامة، وفي الجنة

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ: (وَقَدْ دَخَلَ أَيْضًا فِيمَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الإِيمَانِ بِهِ وَبِكُتُبِهِ وَبِمَلائِكَتِهِ وَبِرُسُلِهِ الإِيمَانُ بِأَنَّ المُؤْمِنِينَ يَرَوْنَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ عِيَانًا بِأَبْصَارِهِمْ كَمَا يَرَوْنَ الشَّمْسَ صَحْوًا لَيْسَ بِهَا سَحَابٌ، وَكَمَا يَرَوْنَ القَمَرَ لَيْلَةَ البَدْرِ لا يُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ يَرَوْنَهُ سُبْحَانَهُ وَهُمْ فِي عَرَصَاتِ القِيَامَةِ، ثُمَّ يَرَوْنَهُ بَعْدَ دُخُولِ الجَنَّةِ؛ كَمَا يَشَاءُ اللهُ تَعَالَى).

الشرح

❁ **ابن باز**: هذا الفصل في رؤية المؤمنين لربهم، تقدم أن المؤمنين بالجملة يؤمنون بكل ما أخبر الله به ورسوله ﷺ من أمر الجنة، والنار، والملائكة، والصحف، والميزان، والحساب، والجزاء، وغير هذا من شؤون الآخرة، كل هذا يؤمن به أهل السنة والجماعة على سبيل العموم، ومن ذلك الإيمان بأن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة، هذا من أخبار يوم القيامة أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة «عيانًا بأبصارهم» عيانًا مصدر عاين يعاين عيانًا، ومعاينة، مثل: قاتل قتالًا ومقاتلة، وحاسب حسابًا ومحاسبة، وجادل جدالًا ومجادلة، فهم يرون ربهم عيانًا -يعني: بالأبصار- رؤية واضحة، ليس فيها شك ولا شبهة، «**كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته، وكما ترون الشمس صحوًا ليس دونها سحاب**» كما أخبر النبي ﷺ بهذا، أما الكفار فلا يرون ذلك، بل يحجبون، كما قال سبحانه: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ﴾ يعني: يوم القيامة ﴿لَّمَحْجُوبُونَ﴾.

والمؤمنون يرونه رؤيتين:

١- رؤية في الموقف، رؤية خاصة بهم دون أهل الموقف.

٢- ثم يرونه كما يشاء الله ﷻ في الجنة، في الأوقات التي يكشف لهم فيها الحجاب عن وجهه الكريم، فلهم في الجنة أوقات معينة يرونه فيها على حسب منازلهم في أوقات متكررة. اهـ

❁ **الهراس**: قوله: «وقد دخل أيضا فيما ذكرناه..» إلخ، تقدم الكلام على رؤية المؤمنين لربهم ﷻ في الجنة، كما دلت على ذلك الآيات والأحاديث الصريحة، فلا حاجة بنا إلى إعادة الكلام فيها. اهـ

❁ **آل الشيخ**: قوله: «**يرونه يوم القيامة عيانًا بأبصارهم**» رؤية حقيقية «**كما يرون الشمس صحوًا ليس دونها سحاب**» وذلك لظهور الباري لكل أحد. «**وكما يرون القمر**» في الدنيا «**ليلة البدر لا يضامون في رؤيته**» كما في الحديث: «**إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته**»[1]. قوله: «**لا تُضَامُون**» بضم التاء وتخفيف الميم. أي: لا يلحقكم ضيم ومشقة في ذلك، وفي رواية: «**لا تَضَامُّون**» أي: لا ينضم بعضكم إلى بعض، كنظر الشيء الخفي. كما أن رؤية القمر ليلة البدر ظاهرة، وذلك لظهور البدر لكل أحد، وهذا تشبيه للرؤية بالرؤية لا تشبيه للمرئي بالمرئي؛ لأن الله تعالى لا مثل له. اهـ

❁ **ابن مانع**: «قوله: «**لا يضامون في رؤيته**» وفي الحديث: «**لا تضامون في رؤيته**» قال في «النهاية»: يروى بالتشديد والتخفيف، فالتشديد معناه: لا ينضم بعضكم إلى بعض، وتزدحمون وقت النظر إليه، ويجوز ضم التاء وفتحها، ومعنى التخفيف: لا ينالكم ضيم في رؤيته، فيراه بعضكم دون بعض، والضيم الظلم.

---

(١) رواه البخاري (٥٥٤)، ومسلم (٦٣٣) من حديث جرير البجلي.

وقد اتفق أهل الحق على أن المؤمنين يرونه يوم القيامة من فوقهم كما قال في «الكافية الشافية»:

ويرونه سبحانه من فوقهم * نظرَ العيانِ كما يُرى القمرانِ
هذا تواترَ عن رسولِ الله لم * ينكرْه إلا فاسدُ الإيمانِ

اهـ

قوله: (يَرَوْنَهُ سُبْحَانَهُ وَهُمْ فِي عَرَصَاتِ القِيَامَةِ ثُمَّ يَرَوْنَهُ بَعْدَ دُخُولِ الجَنَّةِ؛ كَمَا يَشَاءُ اللهُ تَعَالَى).

* **الهراس**: قوله: «يرونه سبحانه وهم في عرصات القيامة» قد يوهم أن هذه الرؤية أيضًا خاصة بالمؤمنين، ولكن الحق أنها عامة لجميع أهل الموقف، حين يجيء الرب لفصل القضاء بينهم[١]، كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾ [البقرة: ٢١٠]، الآية.

* **ابن مانع والهراس**: والعرصات: جمع عرصة، وهي كل موضع واسع لا بناء فيه. اهـ

* قال العلامة ابن القيم[٢]: قد دل القرآن والسنة المتواترة، وإجماع الصحابة وأئمةِ الإسلام، وأهلِ الحديث -عصابة الإسلام، ونُزُل الإيمان، وخاصةِ رسول الله ﷺ- على أن الله ﷻ يُرى يوم القيامة بالأبصار عِيانًا، كما يُرى القمر ليلة البدر صحوًا، وكما ترى الشمس في الظهيرة، فإن كان لما أخبر به الله ورسوله عنه من ذلك حقيقة

(١) تقدّم كلام الشيخ ابن باز وأنّ ذلك خاص بالمؤمنين، فهي من المسائل الخلافية.
(٢) في آخر الباب الخامس والستين من كتاب «حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح» (٢/ ٧١٣-ط: عالم الفوائد) وهو باب عقده لجمع أدلة إثبات رؤية الله يوم القيامة.

-وإنَّ له والله حقَّ الحقيقةِ- فلا يمكن أن يروه إلا مِن فوقهم؛ لاستحالة أن يروه من أسفل منهم، أَو خلفهم، أو أمامهم، أو عن يمينهم، أو عن شمالهم، وإن لم يكن لما أخبر به حقيقةٌ -كما يقوله أفراخ الصابئة، والفلاسفة، والمجوس، والفرعونية- بطل الشرع والقرآن، فإن الذي جاء بهذه الأحاديث هو الذي جاء بالقرآن والشريعة، والذي بلّغها هو الذي بلغ الدين، فلا يجوز أن يجعل الله ورسوله عضين، بحيث يؤمن ببعض معانيه ويكفر ببعضها، فلا يجتمع في قلب العبد بعد الاطلاع على هذه الأحاديث وفهم معناها إنكارُها والشهادةُ بأن محمدًا رسول الله أبدًا، و﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَـٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٤٣].

و المنحرفون في باب رؤية الرب تبارك وتعالى نوعان:

أحدهما: من يزعم أنه يُرى في الدنيا ويحاضر ويسامَر.

والثاني: من يزعم أنه لا يرى في الآخرة أَلْبَتَّة، ولا يكلِّم عبادَه.

وما أخبر الله به ورسوله، وأجمع عليه الصحابة والأئمة يكذبُ الفريقين، وبالله التوفيق. اهـ

فَصلٌ

في الإيمان بما يكون بعد الموت واليوم الآخر

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ: (وَمِنَ الإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الآخِرِ الإِيمَانُ بِكُلِّ مَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ مِمَّا يَكُونُ بَعْدَ المَوْتِ. فَيُؤْمِنُونَ بِفِتْنَةِ القَبْرِ، وَبِعَذَابِ القَبْرِ وَنَعِيمِهِ.

فَأَمَّا الفِتْنَةُ؛ فَإِنَّ النَّاسَ يُمْتَحَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ، فَيُقَالُ لِلرَّجُلِ مَنْ رَبُّكَ؟ وَمَا دِينُكَ؟ وَمَنْ نَبِيُّكَ؟ فَيُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ، فَيَقُولُ المُؤْمِنُ: رَبِّيَ اللهُ، وَالإِسْلامُ دِينِي، وَمُحَمَّدٌ ﷺ نَبِيِّي، وَأَمَّا المُرْتَابُ؛ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ، لا أَدْرِي، سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُهُ، فَيُضْرَبُ بِمِرْزَبَةٍ مِنْ حَدِيدٍ، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا كُلُّ شَيْءٍ؛ إِلا الإِنْسَانَ، وَلَوْ سَمِعَهَا الإِنْسَانُ؛ لَصَعِقَ.

ثُمَّ بَعْدَ هَذِهِ الفِتْنَةِ إِمَّا نَعِيمٌ وَإِمَّا عَذَابٌ، إِلَى أَنْ تَقُومَ القِيَامَةُ الكُبْرَى، فَتُعَادُ الأَرْوَاحُ إِلَى الأَجْسَادِ وَتَقُومُ القِيَامَةُ الَّتِي أَخْبَرَ اللهُ بِهَا فِي كِتَابِهِ، وَعَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ، وَأَجْمَعَ عَلَيْهَا المُسْلِمُونَ، فَيَقُومُ النَّاسُ مِنْ قُبُورِهِمْ لِرَبِّ العَالَمِينَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا، وَتَدْنُو مِنْهُمُ الشَّمْسُ، وَيُلْجِمُهُمُ العَرَقُ).

الشرح

❁ **ابن باز**: من أصول أهل السنة والجماعة: الإيمان بكل ما أخبر الله به ورسوله ﷺ، من أمر الآخرة، والجنة والنار والحساب والجزاء، كل هذا يؤمن به أهل السنة والجماعة.

ومن ذلك الإيمان بعذاب القبر ونعيمه، أهل السنة يؤمنون بذلك، خلافًا لأهل البدع، فيؤمنون بعذاب القبر ونعيمه، وأن الناس يفتنون في قبورهم، فيقال للرجل: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي

الآخرة، ويضل الله الظالمين، كما قال سبحانه: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾، فالمؤمن يقول: ربي الله، والإسلام ديني، ومحمد نبيي عليه الصلاة والسلام، وأما المرتاب الكافر، فيقول: هاه، لا أدري، المنافق والكافر، المنافق الذي أظهر الإسلام وهو كافر، والكافر الصريح، فيقول: ها، لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته. فيضرب بمرزبة من حديد، فيصيح صيحة يسمعها كل شيء، إلا الإنسان، ولو سمعها الإنسان لصعق. اهـ

❁ **الهراس**: قوله: «ومن الإيمان باليوم الآخر..» إلخ، إذا كان الإيمان باليوم الآخر أحد الأركان الستة التي يقوم عليها الإيمان؛ فإن الإيمان به إيمانًا تامًّا كاملًا لا يتحقق إلا إذا آمن العبد بكل ما أخبر به النبي ﷺ من أمور الغيب التي تكون بعد الموت.

والضابط في ذلك أنها أمور ممكنة أخبر بها الصادق صلوات الله عليه وسلامه وآله، وكل ممكن أخبر به الصادق يجب الإيمان بوقوعه كما أخبر؛ فإن هذه الأمور لا تستفاد إلا من خبر الرسول، فأهل السنة والجماعة يؤمنون بذلك كله.

وأما أهل المروق والإلحاد من الفلاسفة والمعتزلة، فينكرون هذه الأمور، من سؤال القبر، ومن نعيم القبر، وعذابه، والصراط، والميزان، وغير ذلك؛ بدعوى أنها لم تثبت بالعقل، والعقل عندهم هو الحاكم الأول الذي لا يجوز الإيمان بشيء إلا عن طريقه، وهم يردون الأحاديث الواردة في هذه الأمور بدعوى أنها أحاديث آحاد لا تقبل في باب الاعتقاد، وأما الآيات، فيؤولونها بما يصرفها عن معانيها. اهـ

❁ **العثيمين**: اليوم الآخر يوم القيامة، ويدخل في الإيمان بكل ما أخبر به النبي ﷺ مما يكون بعد الموت كفتنة القبر وعذابه ونعيمه وغير ذلك، والإيمان به واجب، ومنزلته من الدين أنه أحد أركان الإيمان الستة. اهـ

❁ **آل الشيخ**: قوله: (الإِيمَانُ بِكُلِّ مَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ مِمَّا يَكُونُ بَعْدَ المَوْتِ): هذا هو الأصل الخامس من أركان الإيمان الستة، وهو يعم ويشمل الإيمان بجميع ما يكون بعد الموت، وغير ذلك من أحوال البرزخ وما بعده، فإن هنا ثلاث دور، دار الدنيا، ودار الآخرة، ودار بين الدارين وهي البرزخ والحاجب.

الإيمان بكل ما أخبر به النبي ﷺ مما يكون بعد الموت، ومنه ما يحصل للميت في القبر، وهو مجمع عليه ويجب الإيمان به، والإيمان به من جملة الإيمان باليوم الآخر. اهـ

❁ **السعدي**: وهذا ضابط جامع يدخل فيه الإيمان بالنصوص الواردة في حالة المحتضر، وفي القبر، والقيامة، والجنة والنار، وجميع ما احتوت عليه هذه الأمور من التفاصيل التي صنفت فيها المصنفات المطولة والمختصرة، وكلها داخلة في الإيمان باليوم الآخر. اهـ

قوله: (فَيُؤْمِنُونَ بِفِتْنَةِ القَبْرِ).

❁ **العثيمين**: فتنة القبر سؤال الملكين الميت عن ربه، ودينه، ونبيه، فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت. اهـ

❁ **آل الشيخ**: الفتنة: الاختبار والامتحان، من قولك: فتنت الذهب: إذا عرضته على النار وعرفت جودته من رداءته. فيؤمنون أن المقبور يفتن، ويفتن الميت ولو لم يقبر. اهـ

❁ **الهراس**: والإضافة في قوله: «بفتنة القبر» على معنى (في)؛ أي: بالفتنة التي تكون في القبر.

وأصل الفتنة: وضع الذهب ونحوه على النار؛ لتخليصه من الأوضار والعناصر الغريبة، ثم استعملت في الاختبار والامتحان. اهـ

قوله: (وَبِعَذَابِ القَبْرِ وَنَعِيمِهِ).

❁ **آل الشيخ**: تواترت عن النبي ﷺ الأخبار والأحاديث فيه وثبوته، وهو في الحقيقة روضة من رياض الجنة، لأهل الطاعة، أو حفرة من حفر النار لأهل المعصية، روضة لمن كان على الصراط المستقيم في الدنيا، أو حفرة لمن كان على الشك والريب والزيغ عن الصراط المستقيم والقول الثابت في الحياة الدنيا.

ثم العذاب والنعيم في البرزخ للروح والجسد جميعًا؛ لأنهما اللذان تساعدا على الطاعة أو على المعصية، للروح بالأصالة وللجسد بالتبع، بكيفية الله أعلم بها، فإن الروح قد انفصلت عن الجسد، ولكن لها اتصال به كما يأتي. اهـ

❁ **الهراس**: وأما عذاب القبر ونعيمه، فيدل عليه قوله تعالى في حق آل فرعون: ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ﴾ [غافر: ٤٦]، وقوله سبحانه عن قوم نوح: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا ﴾ [نوح: ٢٥]، وقوله عليه الصلاة والسلام: «**القبر إما روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النار**»[١]. اهـ

❁ **العثيمين**: قول أهل السنة في نعيم القبر وعذابه: أنه حق ثابت؛ لقوله تعالى في آل فرعون: ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾. وقوله في المؤمنين: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾[٢] [فصلت: ٣٠].

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٦٠) من طريق عن عطية، عن أبي سعيد الخدري، بسند ضعيف جدًّا.
وقال أبو عيسى الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه. اهـ
قال الشيخ الألباني: ضعيف جدًّا. اهـ وقال في «فتاوى رابغ»: حديث ضعيف، لكن معناه مأخوذ من أحاديث صحيحة. اهـ انظر: موسوعة الألباني في العقيدة (٩/ ١٦٠)

(٢) قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: قال زيد بن أسلم: يبشرونه عند موته وفي قبره وحين يبعث. رواه ابن أبي حاتم، وهذا قول حسن، وقوله تبارك وتعالى: ﴿ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾، أي: تقول الملائكة للمؤمنين -عند الاحتضار- نحن كنا أولياءكم- أي: قرناءكم- في الحياة الدنيا، نسددكم =

ولقوله ﷺ في الكافر حين يُسأل في قبره فيجيب: «فينادي مناد من السماء أن كذب عبدي فأفرشوه من النار، وافتحوا له بابًا إلى النار». وقوله في المؤمن إذا سئل في قبره فأجاب: «فينادي مناد من السماء أن صدق عبدي فأفرشوه من الجنة، وافتحوا له بابًا من الجنة»(١). والعذاب أو النعيم على الروح فقط، وقد يتصل بالبدن أحيانًا، والعذاب على الكافرين مستمر، أما على المؤمنين فبحسب ذنوبهم والنعيم للمؤمنين خاصة والظاهر استمراره. اهـ

صفة فتنة القبر

قوله: (فَأَمَّا الفِتْنَةُ؛ فَإِنَّ النَّاسَ يُمْتَحَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ).

* **آل الشيخ**: «الناس يفتنون» ويختبرون «في قبورهم» عن أعمالهم في الدنيا، وإن كان الله سبحانه قد علم ما هو كائن من الخلق قبل أن يخلقهم، فيأتيه ملكان عظيمان هائلان فظيعٌ منظرهما، وغليظةٌ أصواتهما، أحدهما اسمه منكر والآخر اسمه نكير، فهما بمنظرٍ ومسمَعٍ لا يقوى على إجابتهما إلا أهل التثبيت.

والسؤال يكون عن مسائل القبر الثلاث، فيثبت بها قوم، ويزاغ بها آخرون. اهـ

=

ونوفقكم ونحفظكم بأمر الله، وكذلك نكون معكم في الآخرة نؤنس منكم الوحشة في القبور، وعند النفخة في الصور، ونؤمّنكم يوم البعث والنشور، ونجاوز بكم الصراط المستقيم، ونوصلكم إلى جنات النعيم. اهـ

(١) أخرجه الإمام أحمد (١٨٥٣٤) وأبو داود (٣٢١٢، ٤٧٥٣، ٤٧٥٣، ٤٧٥٤) وابن ماجه (١٥٤٨، ١٥٤٩) والنسائي (٤/ ٧٨) والحاكم (١/ ٣٧) بسند صحيح عن البراء ابن عازب ﷺ. وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين. ووافقه الذهبي.

* **العثيمين**: فتنة القبر: سؤالُ الملكين الميتَ عن ربه ودينه ونبيه، فيثبّت الله الذين آمنوا بالقول الثابت، فيقول المؤمن: ربي الله، وديني الإسلام، ونبيي محمد. وأما المرتاب أو الكافر فيقول: هاه هاه، لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته.

والفتنة عامة لكل ميت، إلا الشهيد ومن مات مرابطًا في سبيل الله، وكذلك الرسل لا يُسألون؛ لأنهم المسؤول عنهم.

واختلف في غير المكلف الصغير فقيل: يسأل. لعموم الأدلة. وقيل: لا. لعدم تكليفه.

واسم الملكين منكر ونكير، تقدم في غير هذا الموضع أن هذين الاسمين غير ثابتين(١). اهـ

---

(١) أخرجه الترمذي (١٠٧١)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٨٦٤)، وصححه ابن حبان في «صحيحه» (٧٨٠)، والبيهقي في «إثبات عذاب القبر» (٨٩)، والآجري في «الشريعة» (٨٥٨) عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قبر أحدكم -أو الإنسان- أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما: المنكر، وللآخر النكير، فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فهو قائل ما كان يقول، فإن كان مؤمنًا، قال: هو عبد الله ورسوله، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله. فيقولان: إن كنا لنعلم أنك تقول ذلك، ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعًا في سبعين ذراعًا، وينور له فيه، ثم يقال له: نم. فيقول: دعوني أرجع إلى أهلي فأخبرهم، فيقال له: نم كنومة العروس، الذي لا يوقظه إلا أحب أهله إليه حتى يبعثه عز وجل من مضجعه ذلك، وإن كان منافقًا، قال: لا أدري، كنت أسمع الناس يقولون شيئًا، وكنت أقوله. فيقولان: إن كنا لنعلم أنك تقول ذلك، ثم يقال للأرض: التئمي عليه، فتلتئم عليه حتى تختلف فيها أضلاعه، فلا يزال فيها معذبًا حتى يبعثه الله عز وجل من مضجعه ذلك». وإسناده على شرط مسلم، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، وقال الألباني: إسناده حسن، ووافقه الأرناؤوط في تخريج الطحاوية.

❁ آل الشيخ: قوله: (فَيُقَالُ لِلرَّجُلِ مَنْ رَبُّكَ؟ وَمَا دِينُكَ؟ وَمَنْ نَبِيُّكَ؟ فَيُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ، فَيَقُولُ المُؤْمِنُ: رَبِّيَ اللهُ، وَالإِسْلامُ دِينِي، وَمُحَمَّدٌ ﷺ نَبِيِّي).

قال تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾ [إبراهيم: ٢٧] من كان في الدنيا على الثبات والحجة والبرهان، «فيقول المؤمن» الذي كان على ثقة ويقين ثابت في الدنيا: «ربي الله، والإسلام ديني، ومحمد ﷺ نبيي». لأنه كان عاش على الإيمان بذلك؛ ولهذا يقال له في الجواب على هذا عشت... إلخ.

وقوله: (وَأَمَّا المُرْتَابُ؛ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ، لا أَدْرِي، سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُهُ).

وأما المرتاب الذي على الزيغ والميل، فله الزيغ والميل عند هذه الفتنة فالمرتاب الذي هو على ريبٍ وشكٍّ في الدنيا فهو بعكس ذلك عند هذه الفتنة العظيمة، يكون له الريب والشك، يقول «سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته» دينه دين المدينة، وهو ما كان عليه أهل مدينته. يعني: فلولا أنه وجدهم عليه ما دان، ليس معه إيمان واصِلٌ إلى قلبه ومصدقته جوارحه.

وقوله: (فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا كُلُّ شَيْءٍ؛ إِلا الإِنْسَانُ، وَلَوْ سَمِعَهَا الإِنْسَانُ؛ لَصَعِقَ).

يضرب بمرزبة بمطرقة عظيمة من حديد، فيصيح المضروب «صيحة يسمعها كل شيء» من خلق الله إلا الإنسان، «ولو سمعها الإنسان لصعق» لسقط مغشيًّا عليه، أو ميتًا من فظيع تلك الصيحة، وفي الحديث: «لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر»[١]. لكن من رحمة الله، ولطفه، وحكمته في عمارة هذه الدار، أن الإنسان لا يسمع ما لأهل القبور، فلو سمع لما استقام لهم حياة، ولا قر لهم قرار على وجه الأرض. اهـ

---

(١) رواه مسلم (٢٨٦٧).

قوله: (فَيُضْرَبُ بِمِرْزَبَةٍ مِنْ حَدِيدٍ).

* **ابن مانع والهراس**: المرزبة، بالتخفيف: المطرقة الكبيرة، ويقال لها: إِرْزَبَّة بالهمزة والتشديد. اهـ.

* **قال المصنف شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ اللَّهُ[(١)]: وأما الفتنة في القبور فهي الامتحان والاختبار للميت حين يسأله الملكان فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم محمد؟ فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت، فيقول المؤمن: الله ربي، والإسلام ديني، ومحمد نبيي. ويقول: هو محمد رسول الله جاءنا بالبينات والهدى فآمنا به واتبعناه. فينتهرانه انتهارة شديدة - وهي آخر فتنه التي يفتن بها المؤمن - فيقولان له: كما قالا أولًا. وقد تواترت الأحاديث عن النبي ﷺ في هذه الفتنة من حديث البراء بن عازب[(٢)]، وأنس بن مالك[(٣)]، وأبي هريرة[(٤)]، وغيرهم رضي الله عنهم[(٥)].

وهي عامة للمكلفين، إلا النبيين فقد اختلف فيهم.

وكذلك اختلف في غير المكلفين كالصبيان والمجانين. فقيل: لا يفتنون؛ لأن المحنة إنما تكون للمكلفين. وهذا قول القاضي وابن عقيل. وعلى هذا فلا يلقنون بعد الموت. وقيل: يلقنون، ويفتنون أيضًا. وهذا قول أبي حكيم، وأبي الحسن بن عبدوس، ونقله عن أصحابه، وهو مطابق لقول من يقول: إنهم يكلفون يوم القيامة كما هو قول أكثر أهل العلم وأهل السنة من أهل الحديث والكلام، وهو الذي ذكره أبو الحسن الأشعري رحمه الله عن أهل السنة واختاره، وهو مقتضى نصوص الإمام أحمد. اهـ

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٤ / ٢٥٧).

(٢) أخرجه البخاري (١٣٦٩).

(٣) أخرجه البخاري (١٣٧٤).

(٤) أخرجه الترمذي (١٠٧١)، وابن أبي عاصم (٨٦٤)، وابن حبان (٧٨٠) وتقدم سياقه في الحاشية قبلُ.

(٥) منهم علي بن أبي طالب عند الترمذي (٣٣٥٥)، وزيد بن ثابت عند مسلم (٢٨٦٧)، وابن عباس عند البخاري (٢١٨)، وأبو أيوب عند البخاري (١٣٧٥)، وعائشة عند البخاري (١٣٧١)، وأبو سعيد عند أحمد (١٠٦١٧) وغيرهم.

* **وقال شيخ الإسلام** رَحِمَهُ اللَّهُ[(١)]: مذهب سائر المسلمين، بل وسائر أهل الملل إثبات القيامة الكبرى، وقيام الناس من قبورهم، والثواب والعقاب هناك، وإثبات الثواب والعقاب في البرزخ - ما بين الموت إلى يوم القيامة - هذا قول السلف قاطبة وأهل السنة والجماعة، وإنما أنكر ذلك في البرزخ قليل من أهل البدع.

لكن من أهل الكلام من يقول: هذا إنما يكون على البدن فقط، كأنه ليس عنده نفس تفارق البدن، كقول من يقول ذلك من المعتزلة والأشعرية. ومنهم من يقول: بل هو على النفس فقط؛ بناء على أنه ليس في البرزخ عذاب على البدن، ولا نعيم، كما يقول ذلك ابن ميسرة وابن حزم[(٢)].

ومنهم من يقول: بل البدن ينعَّم ويعذَّب بلا حياة فيه، كما قاله طائفة من أهل الحديث، وابنُ الزاغوني يميل إلى هذا في مصنفه في حياة الأنبياء في قبورهم، وقد بسط الكلام على هذا في مواضع.

والمقصود هنا: أن كثيرًا من أهل الكلام ينكر أن يكون للنفس وجود بعد الموت، ولا ثواب ولا عقاب، ويزعمون أنه لم يدل على ذلك القرآن والحديث، كما أن الذين أنكروا عذاب القبر والبرزخ مطلقًا زعموا أنه لم يدل على ذلك القرآن. وهو غلط، بل القرآن قد بيَّن في غير موضع بقاء النفس بعد فراق البدن، وبيَّن النعيم والعذاب في البرزخ، وهو ﷺ في السورة الواحدة يذكر القيامة الكبرى والصغرى، كما في سورة الواقعة فإنه ذكر في أوَّلها القيامة الكبرى، وأن الناس يكونون أزواجًا ثلاثة، كما قال تعالى: ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝٢ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۝٣ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ۝٤ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝٥ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ۝٦ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً﴾ [الواقعة: ١-٧]. ثم إنه في

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٤ / ٢٦٢).

(٢) انظر «المحلى» (١/ ٢١-٢٢)، و«الفصل في الملل والنحل» (٤/ ٦٧-٦٨ ط: أولى)، وانظر كتاب «الروح» لابن القيم (١/ ١٢٣ - ط: عالم الفوائد) ففيه الرد المفصل على ابن حزم.

آخرها ذكر القيامة الصغرى بالموت، وأنهم ثلاثة أصناف بعد الموت فقال: ﴿ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴾ [الواقعة: ٨٣-٩٤] فهذا فيه أن النفس تبلغ الحلقوم، وأنهم لا يمكنهم رجعها، وبين حال المقربين وأصحاب اليمين والمكذبين حينئذ. وفي سورة القيامة: ذكر أيضا القيامتين، فقال: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [القيامة: ١] ثم قال: ﴿وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾ [القيامة: ٢] وهي نفس الإنسان.

وقد قيل: إن النفس تكون لوامة وغير لوامة. وليس كذلك، بل نفس كل إنسان لوامة، فإنه ليس بشر إلا يلوم نفسه ويندم، إمّا في الدنيا، وإمّا في الآخرة، فهذا إثبات النفس.

ثم ذكر معاد البدن فقال: ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ﴿٤﴾ بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ﴿٥﴾ يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [القيامة: ٣-٦]. ووصف حال القيامة إلى قوله: ﴿ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴾ [القيامة: ٢٥].

ثم ذكر الموت فقال: ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ﴾ [القيامة: ٢٦] وهذا إثبات للنفس، وأنها تبلغ التراقي، كما قال هناك: ﴿بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴾ [الواقعة: ٨٣] والتراقي متصلة بالحلقوم... إلخ.

هل يتكلم الميت في قبره؟

وقال أيضًا[(١)]: وأما سؤال السائل هل يتكلم الميت في قبره فجوابه أنه يتكلم، وقد يسمع أيضا من كلمه، كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «إنهم يسمعون قرع نعالهم»[(٢)] وثبت عنه في الصحيح أن الميت يسأل في قبره، فيقال له: «من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فيقول: الله ربي، والإسلام ديني، ومحمد نبيي. ويقال له: ما تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول المؤمن: هو عبد الله ورسوله جاءنا بالبينات والهدى فآمنا به واتبعناه»[(٣)]. وهذا تأويل قوله تعالى ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ [إبراهيم: ٢٧]. وقد صح عن النبي ﷺ أنها نزلت في عذاب القبر[(٤)]، وكذلك يتكلم المنافق فيقول: «هاه هاه، لا أدري سمعت الناس يقولون شيئا فقلته. فيضرب بمرزبة من حديد، فيصيح صيحة يسمعها كل شيء إلا الإنسان»[(٥)]. وثبت عنه في الصحيح أنه قال: «لولا أن لا تدافنوا لسألت الله أن يسمعكم عذاب القبر مثل الذي أسمع»[(٦)]. وثبت عنه في الصحيح «أنه نادى المشركين يوم بدر لما ألقاهم في القليب وقال: ما أنتم بأسمع لما أقول منهم»[(٧)]. والآثار في هذا كثيرة منتشرة، والله أعلم. اهـ

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٤ / ٢٧٣).
(٢) أخرجه مسلم (٢٨٧٠) عن أنس.
(٣) تقدم تخريجه.
(٤) أخرجه البخاري (١٣٦٩، ٤٦٩٩)، ومسلم (٢٨٧١) عن البراء بن عازب.
(٥) تقدم أيضًا.
(٦) أخرجه مسلم (٢٨٦٨) عن أنس.
(٧) أخرجه البخاري (٣٠٦٥، ٣٩٧٦)، ومسلم (٢٨٧٥) عن أنس عن أبي طلحة.

عودة الروح إلى البدن في القبر

* **قال شيخ الإسلام المصنف** رَحِمَهُ اللَّهُ[(١)]: عود الروح إلى بدن الميت في القبر ليس مثل عودها إليه في هذه الحياة الدنيا[(٢)]؛ وإن كان ذاك قد يكون أكمل من بعض الوجوه، كما أن النشأة الأخرى ليست مثل هذه النشأة، وإن كانت أكمل منها، بل كل موطن في هذه الدار وفي البرزخ والقيامة له حكم يخصه؛ ولهذا أخبر النبي ﷺ أن الميت يوسع له في قبره، ويسأل، ونحو ذلك. وإن كان التراب قد لا يتغير فالأرواح تعاد إلى بدن الميت وتفارقه، وهل يسمى ذلك موتًا؟ فيه قولان. قيل يسمى ذلك موتًا. وتأولوا على ذلك قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾ [غافر: ١١] قيل: إن الحياة الأولى في هذه الدار والحياة الثانية في القبر، والموتة الثانية في القبر.

والصحيح أن هذه الآية، كقوله: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨] فالموتة الأولى قبل هذه الحياة، والموتة الثانية بعد هذه الحياة. وقوله تعالى ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ بعد الموت. قال تعالى: ﴿۞ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [طه: ٥٥] وقال: ﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ [الأعراف: ٢٥]. فالروح تتصل بالبدن متى شاء الله تعالى، وتفارقه متى شاء الله تعالى، لا يتوقت ذلك بمرة ولا مرتين والنوم أخو الموت. ولهذا كان النبي ﷺ يقول إذا أوى إلى فراشه: **«باسمك اللهم أموت وأحيا»**. وكان إذا استيقظ يقول: **«الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا، وإليه النشور»**[(٣)] فقد سمى النوم موتًا، والاستيقاظ حياة، وقد قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٤/ ٢٧٤).

(٢) يعني: عودها بعد النوم هذا في الحياة الدنيا، كما في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الزمر: ٤٢].

(٣) أخرجه البخاري (٦٣٢٥، ٧٣٩٥) عن أبي ذر.

ٱلۡأُخۡرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ﴾ [الزمر: ٤٢]، فبيّن أنه يتوفى الأنفس على نوعين: فيتوفاها حين الموت، ويتوفى الأنفس التي لم تمت بالنوم، ثم إذا ناموا فمن مات في منامه أمسك نفسه، ومن لم يمت أرسل نفسه؛ ولهذا كان النبي ﷺ إذا أوى إلى فراشه قال: **«باسمك ربي وضعت جنبي وبك أرفعه، فإن أمسكت نفسي فارحمها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين»**(١).

والنائم يحصل له في منامه لذة وألم، وذلك يحصل للروح والبدن، حتى إنه يحصل له في منامه من يضربه، فيصبح والوجع في بدنه، ويرى في منامه أنه أطعم شيئًا طيبًا، فيصبح وطعمه في فمه، وهذا موجود، فإذا كان النائم يحصل لروحه وبدنه من النعيم والعذاب ما يحس به -والذي إلى جنبه لا يحس به- حتى قد يصيح النائم من شدة الألم أو الفزع الذي يحصل له، ويسمع اليقظان صياحه، وقد يتكلم إما بقرآن، وإما بذكر، وإما بجواب، واليقظان يسمع ذلك، وهو نائمٌ عينه مغمضة، ولو خوطب لم يسمع، فكيف ينكر حال المقبور الذي أخبر الرسول ﷺ أنه يسمع قرع نعالهم؟ وقال: **«ما أنتم أسمع لما أقول منهم»**. والقلب يشبه القبر؛ ولهذا قال ﷺ لما فاتته صلاة العصر يوم الخندق: **«ملأ الله أجوافهم وقبورهم نارا»**(٢) وفي لفظ: **«قلوبهم وقبورهم نارًا»**(٣) وفرق بينهما في قوله: ﴿بُعۡثِرَ مَا فِي ٱلۡقُبُورِ ٩ وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [العاديات: ٩-١٠] وهذا تقريب وتقرير لإمكان ذلك.

ولا يجوز أن يقال: ذلك الذي يجده الميت من النعيم والعذاب مثلما يجده النائم في منامه. بل ذلك النعيم والعذاب أكمل وأبلغ وأتم، وهو نعيم حقيقي، وعذاب حقيقي، ولكن يذكر هذا المثل؛ لبيان إمكان ذلك إذا قال السائل: الميت لا يتحرك في قبره،

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣٢٠، ٧٣٩٣)، ومسلم (٢٧١٤) عن أبي هريرة.

(٢) أخرجه البخاري (٢٩٣١، ٤١١١، ٤٥٣٣، ٦٣٩٦)، ومسلم (٦٢٧) عن علي.

(٣) أخرجه ابن خزيمة (١٣٣٦)، وابن عبد البر في «التمهيد» (٤/ ٢٩٠)، وحسنه الألباني في تعليقه على ابن خزيمة.

والتراب لا يتغير، ونحو ذلك. مع أن هذه المسألة لها بسط يطول، وشرح لا تحتمله هذه الورقة، والله أعلم. وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم. اهـ

* قال شيخ الإسلام المصنف[1]: وإذا قبضت الروح عرج بها إلى الله في أدنى زمان، ثم تعاد إلى البدن فتسأل وهي في البدن. وكذلك ما وصف النبي ﷺ من حال الميت في قبره، وسؤال منكر ونكير له، والأحاديث في ذلك كثيرة.

والناس في مثل هذا على ثلاثة أقوال:

١- منهم من ينكر إقعاد الميت مطلقًا؛ لأنه قد أحاط ببدنه من الحجارة والتراب ما لا يمكن قعوده معه، وقد يكون في صخر يطبق عليه، وقد يوضع على بدنه ما يكشف فيوجد بحاله، ونحو ذلك؛ ولهذا صار بعض الناس إلى أن عذاب القبر إنما هو على الروح فقط، كما يقوله ابن ميسرة وابن حزم، وهذا قول منكر عند عامة أهل السنة والجماعة.

٢- وصار آخرون إلى أن نفس البدن يقعد، على ما فهموه من النصوص.

٣- وصار آخرون يحتجون بالقدرة وبخبر الصادق، ولا ينظرون إلى ما يعلم بالحس والمشاهدة، وقدرة الله حق، وخبر الصادق حق، لكن الشأن في فهمهم. وإذا عرف أن النائم يكون نائما، وتقعد روحه، وتقوم، وتمشي، وتذهب، وتتكلم، وتفعل أفعالًا وأمورًا بباطن بدنه مع روحه، ويحصل لبدنه وروحه بها نعيم وعذاب، مع أن جسده مضطجع، وعينيه مغمضة وفمه مطبق وأعضاءه ساكنة، وقد يتحرك بدنه؛ لقوة الحركة الداخلة، وقد يقوم، ويمشي، ويتكلم، ويصيح؛ لقوة الأمر في باطنه، كان هذا مما يعتبر به أمر الميت في قبره، فإن روحه تقعد،

(١) في «مجموع الفتاوى» (٥/ ٥٢٤).

وتجلس، وتسأل، وتنعم، وتعذب، وتصيح، وذلك متصل ببدنه، مع كونه مضطجعًا في قبره. وقد يقوى الأمر حتى يظهر ذلك في بدنه، وقد يرى خارجًا من قبره والعذاب عليه وملائكة العذاب موكلة به، فيتحرك بدنه ويمشي ويخرج من قبره، وقد سمع غير واحد أصوات المعذبين في قبورهم وقد شوهد من يخرج من قبره وهو معذب، ومن يقعد بدنه أيضًا إذا قوي الأمر، لكن هذا ليس لازمًا في حق كل ميت، كما أن قعود بدن النائم لما يراه ليس لازمًا لكل نائم، بل هو بحسب قوة الأمر. وقد عرف أن أبدانًا كثيرة لا يأكلها التراب، كأبدان الأنبياء، وغير الأنبياء من الصديقين، وشهداء أحد، وغير شهداء أحد، والأخبار بذلك متواترة، لكن المقصود أن ما ذكره النبي ﷺ من إقعاد الميت مطلقًا هو متناول لقعودهم ببواطنهم، وإن كان ظاهر البدن مضطجعًا. اهـ

امتحان غير المكلفين

قال المصنف[(١)]: وإذا مات الطفل فهل يمتحن في قبره ويسأله منكر ونكير؟ فيه قولان في مذهب أحمد وغيره.

أحدهما: أنه لا يمتحن، وأن المحنة إنما تكون على من كلف في الدنيا، قاله طائفة، منهم القاضي أبو يعلى، وابن عقيل.

والثاني: أنهم يمتحنون، ذكره أبو حكيم الهمداني، وأبو الحسن بن عبدوس، ونقله عن أصحاب الشافعي.

وعلى هذا التفصيل تلقين الصغير والمجنون، من قال: إنه يمتحن في القبر لقنه، ومن قال: لا يمتحن لم يلقنه. وقد روى مالك وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه ﷺ صلى

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٤/ ٢٧٧).

على طفل. فقال: «**اللهم قه عذاب القبر وفتنة القبر**»[(١)] وهذا القول موافق لقول من قال: إنهم يمتحنون في الآخرة، وإنهم مكلفون يوم القيامة. كما هو قول أكثر أهل العلم وأهل السنة من أهل الحديث والكلام، وهو الذي ذكره أبو الحسن الأشعري عن أهل السنة، واختاره، وهو مقتضى نصوص الإمام أحمد، والله أعلم[(٢)].

وإذا دخل أطفال المؤمنين الجنة فأرواحهم وأرواح غيرهم من المؤمنين في الجنة وإن كانت درجاتهم متفاضلة، والصغار يتفاضلون بتفاضل آبائهم، وتفاضل أعمالهم - إذا كانت لهم أعمال- فإن إبراهيم ابن النبي ﷺ، ليس هو كغيره.

والأطفال الصغار يثابون على ما يفعلونه من الحسنات وإن كان القلم مرفوعًا عنهم في السيئات، كما ثبت في الصحيح: أن النبي ﷺ رفعت إليه امرأة صبيًّا من محفة فقالت: ألهذا حج؟ قال: «**نعم، ولك أجر**» رواه مسلم في «صحيحه» [(٣)]. وفي السنن أنه قال: «**مروهم بالصلاة لسبع، واضربوهم عليها لعشر، وفرقوا بينهم في المضاجع**»[(٤)] وكانوا يصومون الصغار يوم عاشوراء وغيره فالصبي يثاب على صلاته، وصومه، وحجه، وغير ذلك من أعماله، ويفضل بذلك على من لم يعمل كعمله، وهذا غير ما يفعل به إكراما لأبويه، كما أنه في النعم الدنيوية قد ينتفع بما يكسبه وبما يعطيه أبواه، ويتميز بذلك على من ليس كذلك. وأرواح المؤمنين في الجنة كما جاءت بذلك

---

(١) لو ثبت هذا الحديث لكان فيصلًا في المسألة، لكنه لم يصح، فقد رواه مالك في «الموطأ» (٦١٠) موقوفًا على أبي هريرة، ولفظه: «اللهم أعذه من عذاب القبر»، وليس فيه ذكر فتنة القبر. وقال ابن عبد البر في «الاستذكار»: وعذاب القبر غير فتنة القبر. اهـ وروي مرفوعًا عند البيهقي في «عذاب القبر» (١٦٠)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (١/ ٣٧٤)، والصواب وقفه، وقال شيخ الإسلام في «جامع المسائل» (٣/ ٢٣٨): ثبت عن أبي هريرة وروي مرفوعًا. اهـ

(٢) وقال شيخ المصنف في «جامع المسائل» (٣/ ٢٣٨) القول الثاني: يمتحنون في قبورهم ويلَقَّنون، وهو قول أكثرهم وهو أصح... اهـ

(٣) أخرجه مسلم (١٣٣٦) عن ابن عباس.

(٤) أخرجه أبو داود (٤٩٤)، والترمذي (٤٠٧) من حديث عبد الملك بن الربيع بن سبرة عن أبيه عن جده مرفوعًا، وأخرجه أبو داود (٤٩٥) بسند حسن من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده.

الآثار، وهو كما قال النبي ﷺ: «نَسَمَةُ المؤمن تَعْلَقُ من الجنة»(١) أي: تأكل. ولم يوقت في ذلك وقت قبل يوم القيامة.

والأرواح مخلوقة بلا شك، وهي لا تعدم ولا تفنى، ولكن موتها مفارقة الأبدان، وعند النفخة الثانية تعاد الأرواح إلى الأبدان.

وأهل الجنة الذين يدخلونها على صورة أبيهم آدم ﷺ، طول أحدهم ستون ذراعًا، كما ثبت ذلك في الأحاديث الصحيحة.

وقد قال بعض الناس: إن أطفال الكفار يكونون خدم أهل الجنة. ولا أصل لهذا القول.

وقد ثبت في الصحيحين أن الجنة يبقى فيها فضل عن أهل الدنيا، فينشئ الله لها خلقًا آخر فيسكنهم الجنة، فإذا كان يسكن من ينشئه من الجنة من غير ولد آدم في فضول الجنة، فكيف بمن دخلها من ولد آدم وأسكن في غير فضولها؟ فليسوا أحق بأن يكونوا من أهل الجنة، ممن ينشأ بعد ذلك ويسكن فضولها.

والولدان الذين يطوفون على أهل الجنة خلق من خلق الجنة، ليسوا من أبناء الدنيا، بل أبناء أهل الدنيا إذا دخلوا الجنة كمل خلقهم كأهل الجنة على صورة آدم أبناء ثلاث وثلاثين(٢)، في طول ستين ذراعًا(٣)، كما تقدم.

---

(١) أخرجه الإمام مالك (٥٦٨)، والإمام أحمد (١٥٧٧٦، ١٥٧٧٧، ١٥٧٨٧، ١٥٧٩٢)، واللفظ له، وعبد الرزاق في «تفسيره» (١/ ١٣٩-١٤٠)، وعبد بن حميد في «المنتخب من المسند» (٣٧٦)، والطبراني في «الكبير» (ج١٩/ ١١٩-١٢٣)، وابن ماجة (١٤٤٩)، والبيهقي في «البعث» (٢٢٦)، والنسائي (٢٠٧٣)، وصححه ابن حبان (٤٦٥٧) من حديث كعب بن مالك مرفوعًا، وفي لفظ «نَسَمَةُ المؤمن طائر يَعْلَقُ في شجر الجنة حتى يرجعه الله في جسده يوم يبعثه».

قال ابن الأثير: النَّسَمَة: الروح والنفس. و«يعلق» أي يأكل. اهـ

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٢٧)، ومسلم (٢٨٣٤) عن أبي هريرة.

(٣) أخرجه أحمد والترمذي (٢٥٤٥) من حديث معاذ بن جبل، عن النبي ﷺ قال: «يدخل أهل الجنة الجنة جردًا مردًا مكحلين، أبناء ثلاثين، أو ثلاث وثلاثين»، وصححه الألباني.

وقد روي أن العرض سبعة أذرع[(١)]، والله أعلم. اهـ

وقال أيضًا[(٢)]: أما من ليس مكلفًا- كالصغير والمجنون- فهل يمتحن في قبره ويسأله منكر ونكير؟ على قولين للعلماء.

أحدهما: أنه يمتحن، وهو قول أكثر أهل السنة، ذكره أبو الحسن بن عبدوس عنهم، وذكره أبو حكيم النهرواني، وغيرهما.

والثاني: أنه لا يمتحن في قبره، كما ذكره القاضي أبو يعلى، وابن عقيل وغيرهما. قالوا: لأن المحنة إنما تكون لمن يكلف في الدنيا. ومن قال بالأول: يستدل بما في الموطأ عن أبي هريرة ﷺ أنه ﷺ صلى على صغير لم يعمل خطيئة قط فقال: **«اللهم قه عذاب القبر وفتنة القبر»**[(٣)] وهذا يدل على أنه يفتن.

وأيضا: فهذا مبني على أن أطفال الكفار الذين لم يكلفوا في الدنيا يكلفون في الآخرة كما وردت بذلك أحاديث متعددة، وهو القول الذي حكاه أبو الحسن الأشعري عن أهل السنة والجماعة، فإن المنصوص عن الأئمة- كالإمام أحمد وغيره- التوقف في أطفال المشركين، كما ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه سئل عنهم فقال: **«الله أعلم بما كانوا عاملين»**[(٤)]، وثبت في «صحيح البخاري» من حديث سمرة أن

---

(١) أخرجه أحمد (٧٩٢٠)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٣/ ١١٤)، والطبراني في «الصغير» (٢/ ١٧)، وأبو نعيم في «صفة الجنة» (٢/ ١٠٣)، وابن أبي الدنيا والبيهقي، من طريق علي بن زيد، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «يدخل أهل الجنة الجنة جردًا مردًا بيضًا جعادًا مكَحَّلين، أبناء ثلاث وثلاثين على خلق آدم، ستون ذراعًا في عرض سبع أذرع» وهذا سند ضعيف؛ لضعف علي بن زيد بن جدعان، ومع ذلك حسنه الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٣٩٩) وصحح إسناده أحمد شاكر في تخريج المسند.

(٢) «مجموع الفتاوى» (٤ / ٢٨٠).

(٣) تقدم أنه موقوف.

(٤) أخرجه البخاري (١٣٨٣، ٦٥٩٧)، ومسلم (٢٦٦٠) عن ابن عباس.

منهم من يدخل الجنة(١). وثبت في «صحيح مسلم» أن الغلام الذي قتله الخضر طبع يوم طبع كافرًا(٢)، فإن كان الأطفال وغيرهم فيهم شقي وسعيد، فإذا كان ذلك لامتحانهم في الدنيا لم يمنع امتحانهم في القبور، لكن هذا مبني على أنه لا يشهد لكل معين من أطفال المؤمنين بأنه في الجنة، وإن شهد لهم مطلقًا. ولو شهد لهم مطلقًا فالطفل الذي ولد بين المسلمين قد يكون منافقًا بين مؤمنين، والله أعلم. اهـ

قال الشيخ أيضًا(٣): وأطفال الكفار أصح الأقوال فيهم: الله أعلم بما كانوا عاملين، كما أجاب بذلك النبي ﷺ في الحديث الصحيح(٤).

وطائفة من أهل الحديث وغيرهم قالوا: إنهم كلهم في النار. وذكر أنه من نصوص أحمد، وهو غلط على أحمد.

---

(١) أخرجه البخاري (٧٠٤٧)، ومسلم (٢٢٧٥) مطولًا في حديث الرؤيا، وفيه: **«وأما الرجل الطويل الذي في الروضة فإنه إبراهيم ﷺ، وأما الولدان حوله فكل مولود مات على الفطرة»** قال بعض المسلمين: يا رسول الله، وأولاد المشركين؟ فقال: **«وأولاد المشركين»**.

قلت: ودخولهم مشروط بمن مات على الفطرة، فقد يفتن الصبي فيلقن الكفر والشرك، ويشب على ذلك جازمًا بما يخالف الفطرة، ثم يموت ولم يبلغ، بل ناهز الاحتلام. فالظاهر أنه هذا حكمه حكم والديه، كما في قوله عليه السلام: **«فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه»** فيكون غلامًا كافرًا حكمًا وحقيقةً، بخلاف من لم يدرك شيئًا، كمن مات في المهد وقربه ممن لم يفتن فهؤلاء الله أعلم بما كانوا عاملين، فمن كان على الفطرة وعلم الله منه ذلك فهو في الجنة، ومن علم الله منه الكفر لو بلغ فهو من أهل النار. كما في خبر الغلام الذي قتله الخضر عليه السلام الآتي ذكره في كلام المصنف، وكذا في كل مولود مات في المهد وقريبًا منه، ممن لم يعرب عنه لسانه، والله أعلم بما كانوا عاملين. هذا في أحكام الآخرة، وأما في الدنيا فكل غلام له حكم والديه على ما هو مسطور في باب السبي من كتب الفقه.

(٢) أخرجه مسلم (٢٣٨)، وأخرجه البخاري (٤٧٢٧) بلفظ: **«وأما الغلام فكان كافرًا»**.

(٣) «مجموع الفتاوى» (٤ / ٣٠٣).

(٤) أخرجه البخاري (١٣٨٤، ٦٥٩٨، ٦٦٠٠)، ومسلم (٢٦٥٩) عن أبي هريرة أن النبي ﷺ سئل عن ذراري المشركين، فقال: **«الله أعلم بما كانوا عاملين»**.

وطائفة جزموا بأنهم كلهم في الجنة، واختار ذلك أبو الفرج ابن الجوزي وغيره واحتجوا بحديث فيه رؤيا النبي ﷺ، لما رأى إبراهيم الخليل وعنده أطفال المؤمنين، قيل: يا رسول الله، وأطفال المشركين؟ قال: «**وأطفال المشركين**»(١).

والصواب أن يقال: الله أعلم بما كانوا عاملين. ولا نحكم لمعين منهم بجنة ولا نار، وقد جاء في عدة أحاديث: «**أنهم يوم القيامة في عرصات القيامة يؤمرون وينهون فمن أطاع دخل الجنة ومن عصى دخل النار**»(٢). وهذا هو الذي ذكره أبو الحسن الأشعري عن أهل السنة والجماعة. والتكليف إنما ينقطع بدخول دار الجزاء، وهي الجنة والنار.

وأما عرصات القيامة فيمتحنون فيها كما يمتحنون في البرزخ، فيقال لأحدهم: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [القلم: ٤٢]، الآية.

وقد ثبت في الصحاح من غير وجه حديث تجلي الله لعباده في الموقف إذا قيل: «**ليتبع كل قوم ما كانوا يعبدون. فيتبع المشركون آلهتهم، ويبقى المؤمنون فيتجلى لهم الرب في غير الصورة التي يعرفون، فينكرونه، ثم يتجلى لهم في الصورة التي يعرفونها، فيسجد له المؤمنون، وتبقى ظهور المنافقين كقرون البقر، يريدون السجود فلا يستطيعون، وذكر قوله: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾**(٣) [القلم: ٤٢] الآية».

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه الإمام أحمد (١٦٣٠١)، وإسحاق بن راهويه في «المسند» (٤١)، وابن حبان (٧٣٥٦)، والطبراني في «الكبير» (٨٤١) عن الأسود بن سريع أن النبي ﷺ قال: «**أربعة يحتجون يوم القيامة، رجل أصم لا يسمع، ورجل أحمق ورجل هرم، ورجل مات في الفترة، فيقول: رب ما أتاني من رسول، فيأخذ مواثيقهم ليطيعنه، فيرسل إليهم رسولًا أن ادخلوا النار، فوالذي نفسي بيده لو دخلوها لكانت عليهم بردًا وسلامًا**» ورووه أيضًا عن أبي هريرة بنحوه وزاد: «**ومن لم يدخلها يسحب إليها**» وصححه البيهقي في «الاعتقاد» (١٦٩)، وعبد الحق الإشبيلي في كتاب «العاقبة» (٣١٧)، ورد ذكر الصبي الهالك صغيرًا في حديث معاذ بنحو هذا الحديث، أخرجه الطبراني (٢/ ١٥٨) بسند ضعيف جدًا.

(٣) تقدم تخريجه.

والكلام على هذه الأمور مبسوط في غير هذا الموضع، والله أعلم. اهـ

*** فرع:**

وسئل الشيخ المصنف: عن أطفال المؤمنين، هل يدومون على حالتهم التي ماتوا عليها؟ أم يكبرون ويتزوجون؟ وكذلك البنات هل يتزوجن؟

فأجاب: الحمد لله، إذا دخلوا الجنة دخلوها كما يدخلها الكبار على صورة أبيهم آدم طوله ستون ذراعا في عرض سبعة أذرع، ويتزوجون كما يتزوج الكبار.

ومن مات من النساء ولم يتزوجن فإنها تزوج في الآخرة.

وكذلك من مات من الرجال فإنه يتزوج في الآخرة، والله تعالى أعلم. اهـ(١)

حال العبد في القبر بعد الامتحان

* **آل الشيخ**: قوله: (ثُمَّ بَعْدَ هَذِهِ الفِتْنَةِ إِمَّا نَعِيمٌ وَإِمَّا عَذَابٌ) أي: سؤال الملكين الفتَّانَيْنِ اللذين هما بالمنظر الفظيع، وكذلك انتهارهم المسؤول، «إما نعيم»، وهذا هو نعيم البرزخ لأهل التثبيت، «وإما عذاب» -والعياذ بالله- لغير المثبَّت، فالكافر في جحيم.

والبرزخ: هو الفاصل بين شيئين، فقبر الإنسان هو دار البرزخ بين أهل الدنيا وأهل الآخرة، والعذاب والنعيم فيه لأهله، للأرواح والأجساد جميعًا، فالأحكام في البرزخ للأرواح، والأجسامُ تبعٌ لها، وفي الدنيا للأبدان، والأرواحُ تبعٌ لها، وفي الآخرة لهما جميعًا، واتصال الروح بالجسد له خمس مراتب. اهـ

(١) «مجموع الفتاوى» (٤/ ٣١٠).

تعلق الروح بالبدن

* **قال العلامة ابن القيم** رحمه الله: الروح لها بالبدن خمسة أنواع من التعلق متغايرة الأحكام:

أحدها: تعلقها به في بطن الأم جنينًا.

الثاني: تعلقها به بعد خروجه إلى وجه الأرض.

الثالث: تعلقها به في حال النوم، فلها به تعلق من وجه ومفارقة من وجه.

الرابع: تعلقها به في البرزخ، فإنها وإن فارقته وتجردت عنه فإنها لم تفارقه فراقًا كليًّا، بحيث لا يبقى لها التفات إليه ألبتة. وقد ذكرنا من الأحاديث والآثار ما يدل على ردّها إليه وقت سلام المسلّم، وهذا الرد إعادة خاصة لا توجب حياة البدن قبل يوم القيامة.

والخامس: تعلقها به يوم بعث الأجساد، وهو أكمل أنواع تعلقها بالبدن، ولا نسبة لما قبله من أنواع التعلق إليه، إذ هو تعلق لا يقبل البدن معه موتًا ولا نومًا ولا فسادًا. اهـ(١)

---

* **آل الشيخ**: قوله: (إِلَى أَنْ تَقُومَ القِيَامَةُ الكُبْرَى) أي: هذا النعيم للمُثَبَّت، والجحيم للكافر، يستمر إلى أن تقوم القيامة الكبرى، فإن القيامة قيامتان، صغرى وهي الموت فإنَّ مَن مات فقد قامت قيامته، وكبرى. اهـ

---

(١) كتاب «الروح» (ص/ ٤٣ - ط: الكتب العلمية)، (١/ ١٢٤ - ط: عالم الفوائد).

❁ **السعدي**: قوله: (فيؤمنون بفتنة القبر) إلخ. وهذا الابتلاء والامتحان قد سبقت لكل عبد مقدماته في الدنيا، فأما من كان مؤمنا إيمانًا صحيحًا ثبته الله، ولقنه الجواب الصحيح للملكين، كما قال تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ [إبراهيم: ٢٧]. فذكر: أن تثبيته لهم جزاء لهم على إيمانهم في الدنيا. فالمؤمن يجيب الجواب الصحيح وإن كان عاميًّا أو أعجميًّا. وأما الكافر والمنافق ممن كان في الدنيا غير مؤمن بما جاء به الرسول فإنه يستعجم عليه الجواب، ولو كان من أعلم الناس وأفصحهم، كما قال تعالى: ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

ومن حكمة الله أن نعيم البرزخ وعذابه لا يحس به الإنس والجن بمشاعرهم؛ لأن الله تعالى جعله من الغيب، ولو أظهره لفاتت الحكمة المطلوبة. اهـ.

الجمع بين أخبار توسيع القبر وتضييقه مع بقائه المشاهد على حاله

❁ **العثيمين**: التوفيق بين ما ثبت من توسيع القبر للمؤمن وتضييقه على الكافر، مع أنه لو فتح لوجد بحاله من وجهين:

الأول: أن ما ثبت في الكتاب والسنة وجب تصديقه والإيمان به، سواء أدركته عقولنا وحواسنا أم لا؛ لأنه لا يُعَارَض الشرع بالعقل، لا سيما في الأمور التي لا مجال للعقل فيها.

الثاني: أن أحوال القبر من أمور الآخرة، التي اقتضت حكمة الله أن يحجبها عن حواس الخلق وعقولهم؛ امتحانًا لهم، ولا يجوز أن تقاس بأحوال الدنيا؛ لتباين ما بين الدنيا والآخرة. اهـ.

القيامة الكبرى

قوله: (وَتَقُومُ القِيَامَةُ الَّتِي أَخْبَرَ اللهُ بِهَا فِي كِتَابِهِ، وَعَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ، وَأَجْمَعَ عَلَيْهَا المُسْلِمُونَ).

* **قال الشيخ**: وهذه هي القيامة الكبرى كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المطففين: ٦].

«حفاة» لا نعال لهم، وأين النعال يومئذ؟ «عراة» وأين الثياب يومئذ؟ «غرلًا» غير مختونين، وهذا كما قال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]. «وتدنو منهم الشمس» فتكون قرب ميل، ويزاد في حرارتها، وكلهم تَصْلاه الشمس غير السبعة، ويكون كل إنسان في ظل صدقته، وما أثبتت النصوص أنهم يُظلون وإلا فلا ظل. «ويلجمهم العرق»: يبلغ موضع اللجام من الفرس وهو الفم، وذلك لهول ذلك اليوم وكربه. اهـ

* **العثيمين**: القيامة قيامتان: صغرى كالموت، فكل من مات فقد قامت قيامته، وكبرى وهي المقصودة هنا، وهي قيام الناس بعد البعث للحساب والجزاء. وسميت بذلك لقيام الناس فيها، وقيام العدل، وقيام الأشهاد، ودليل ثبوتها الكتاب والسنة والإجماع.

فمن أدلة الكتاب قوله تعالى: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المطففين: ٤-٦].

ومن أدلة السنة قوله ﷺ: «إنكم تحشرون حفاة عراة غرلًا»[1].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٢٧)، ومسلم (٢٨٥٩) عن عائشة، قالت: قال رسول الله ﷺ: «تحشرون حفاة عراة غرلًا» قالت عائشة: فقلت، يا رسول الله، الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعض؟! فقال: «الأمر أشد من أن يهمهم ذاك».

وأما الإجماع فقد أجمع المسلمون وجميع أهل الأديان السماوية على إثبات يوم القيامة، فمن أنكره، أو شك فيه، فهو كافر.

وللقيامة علامات تسمى الأشراط، كخروج الدجال، ويأجوج ومأجوج، وطلوع الشمس من مغربها، وجعلت لها هذه الأشراط؛ لأنها يوم عظيم وهام، فكان لها تلك المقدمات. اهـ

❁ **الهراس**: قوله: «وتقوم القيامة..» إلخ، يعني: القيامة الكبرى، وهذا الوصف للتخصيص، احترز به عن القيامة الصغرى التي تكون عند الموت، كما في الخبر: «**من مات فقد قامت قيامته**»(١).

وذلك أن الله ﷻ إذا أذن بانقضاء هذه الدنيا أمر إسرافيل ﷺ أن ينفخ في الصور النفخة الأولى، فيصعق كل من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله، وتصبح الأرض صعيدًا جُرُزًا، والجبال كثيبًا مهيلًا، ويحدث كل ما أخبر الله به في كتابه، لا سيما في سورتي التكوير والانفطار، وهذا هو آخر أيام الدنيا.

ثم يأمر الله السماء، فتمطر مطرًا كمنيِّ الرجال أربعين يومًا، فينبت منه الناس في قبورهم من عجب أذنابهم، وكل ابن آدم يبلى إلا عجب الذنب. حتى إذا تم خلقهم وتركيبهم أمر الله إسرافيل بأن ينفخ في الصور النفخة الثانية، فيقوم الناس من الأجداث أحياء، فيقول الكفار والمنافقون حينئذ: ﴿قَالُوا۟ يَـٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ﴾، ويقول المؤمنون: ﴿هَـٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [يس: ٥٢].

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب «الموت» من حديث أنس مرفوعًا بسند ضعفه العراقي في «تخريج الإحياء» (٤/ ٦٤) والألباني في «الضعيفة» (١١٦٦).

ورواه الدولابي في «الكنى» (٢/ ٨٩) موقوفًا من قول المغيرة بسند جيد بلفظ: «إنما قيامة أحدكم موته»

ورواه أبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٣٢٥) عن عمر بن عبد العزيز موقوفًا بلفظ: «من وافته منيته فقد قامت قيامته». وسنده جيد.

انظر: «تبييض الصحيفة» لمحمد عمرو عبد اللطيف رحمه الله (ص/ ١٢٨).

ثم تحشرهم الملائكة إلى الموقف حفاة غير منتعلين، عراة غير مكتسين، غرلًا غير مختتنين، جمع أغرل، وهو الأقلف، والغرلة: القلفة.

وأول من يكتسي يوم القيامة إبراهيم، كما في الحديث(١).

وهناك في الموقف تدنو الشمس من رؤوس الخلائق، ويلجمهم العرق، فمنهم من يبلغ كعبيه، ومنهم من يبلغ ركبتيه، ومنهم من يبلغ ثدييه، ومنهم من يبلغ ترقوته، كل على قدر عمله، ويكون أناس في ظل الله ﷻ.

فإذا اشتد بهم الأمر، وعظم الكرب استشفعوا إلى الله ﷻ بالرسل والأنبياء أن ينقذهم مما هم فيه، وكل رسول يحيلهم على من بعده؛ حتى يأتوا نبينا ﷺ، فيقول: «أنا لها»، ويشفع فيهم، فينصرفون إلى فصل القضاء. اهـ

* **العثيمين**: من الأشياء التي ذكر المؤلف أنها تكون يوم القيامة: دنو الشمس من الخلق بقدر ميل أو ميلين، فيعرق الناس بقدر أعمالهم: منهم من يصل عرقه إلى كعبيه، ومنهم من يلجمه، ومنهم من يكون بين ذلك، ومن الناس من يَسْلَم من الشمس، فيظلهم الله في ظله، يوم لا ظل إلا ظله، مثل الشاب إذا نشأ في طاعة الله، والرجل المعلق قلبه بالمساجد. اهـ

* **ابن باز**: بعد فتنة القبر يبقى الإنسان إمّا في نعيم، وإمّا في عذاب، فالمؤمن في نعيم تنقل روحه إلى الجنة، والكافر تنقل روحه إلى النار، كما قال سبحانه في أهل النار من آل فرعون: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٤٩، ٣٤٤٧، ٤٦٢٥، ٤٦٢٦، ٤٧٤٠)، ومسلم (٢٨٦٠) عن ابن عباس ﷺ قال: خطب رسول الله ﷺ فقال: «يا أيها الناس إنكم محشورون إلى الله حفاة عراة غرلًا ثم قال: ﴿كَمَا بَدَأۡنَآ أَوَّلَ خَلۡقٖ نُّعِيدُهُۥۚ وَعۡدًا عَلَيۡنَآۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾، إلى آخر الآية ثم قال: ألا وإن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم، ألا وإنه يجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول: يا رب أصيحابي. فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك. فأقول، كما قال العبد الصالح: ﴿وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾، فيقال: إن هؤلاء لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم».

ٱلْعَذَابِ ﴾ [غافر: ٤٦] فتقوم القيامة الكبرى، ويقوم الناس من قبورهم حفاة عراة غرلًا، يرد الله إليهم أجسامهم، ويبعثون كما خلقهم، حفاة لا نعال لهم، عراة لا كسوة عليهم، غرلًا غير مختونين، يقومون لرب العالمين ويحاسب الله الخلائق جل وعلا. اهـ

البعث والنشور

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «يقوم ملك بالصور بين السماء والأرض، فينفخ فيه، والصور قرن، فلا يبقى خلق في السموات والأرض إلا مات، إلا من شاء ربك، ثم يكون بين النفختين ما شاء الله أن يكون، فليس من بني آدم أحد إلا في الأرض منه شيء. قال: «فيرسل الله ماء من تحت العرش كمني الرجال، فتنبت لحمانهم وجثمانهم من ذلك الماء كما تنبت الأرض من الثرى»، ثم قرأ عبد الله: ﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴾ [فاطر: ٩]. قال: «ثم يقوم ملك بالصور بين السماء والأرض، فينفخ فيه، فتنطلق كل نفس إلى جسدها، حتى تدخل فيه، ثم يقومون، فيحيون حياة رجل واحد قياما لرب العالمين...» الحديث[١].

وعن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «**بين النفختين أربعون**» قالوا: يا أبا هريرة أربعون يومًا؟ قال: أبيت. قالوا: أربعون سنة؟ قال: أبيت. قالوا: أربعون شهرًا؟ قال: أبيت. «**ويبلى كل شيءٍ من الإنسان إلا عجب ذنبه فيه يركب الخلق**». قال: «**ثم ينزل الله من السماء ماءً فينبتون كما ينبت البقل، ليس من الإنسان شيءٌ إلا يبلى إلا عظمًا واحدًا، وهو عجب الذنب، ومنه يركب الخلق يوم القيامة**»[٢].

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٧٦٣٧)، والحاكم في «مستدركه» (٨٥١٩، ٨٧٧٢)، وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. وصححه البيهقي في «الشعب» (٣٥٥).
(٢) أخرجه البخاري (٤٨١٤، ٤٩٣٥)، ومسلم (٢٩٥٥).

وعن عبد الله بن عمرو في حديث الدجال وفيه: «**ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتًا ورفع ليتًا**[١]، قال: **وأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله**[٢]، قال: **فيصعق، ويصعق الناس ثم يرسل الله** -أو قال: **ينزل الله**- **مطرًا كأنه الطل أو الظل، فتنبت منه أجساد الناس، ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون**».. الحديث[٣].

قوله: «كأنه الطل»، قال ابن الأثير: الطل: الذي ينزل من السماء في الصحو، والطل أيضا: أضعف المطر. وقال القاضي عياض: والأشبه والأصح هنا اللفظة الأولى- يعني: الطل بالطاء المهملة- لقوله في الحديث الآخر: «كمني الرجال»، والطل: المطر الرقيق[٤].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن العاص بن وائل جاء إلى النبي ﷺ بعظم ففتته بيده فقال: يا محمد، يحيى الله هذا بعد ما رَمَّ؟! قال النبي ﷺ: «**نعم، يبعث الله هذا، ثم يميتك ثم يحييك، ثم يدخلك نار جهنم**»[٥].

---

(١) اللِّيت بكسر اللام: صفحة العنق. قاله في «القاموس».

(٢) أي: يطيّن حوض إبله.

(٣) أخرجه مسلم (٢٩٤٠).

(٤) «المشارق» (١/ ٣١٩).

(٥) أخرجه ابن جرير (ج٢٣/ ص٢١)، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والإسماعيلي في «معجمه»، وابن مردويه، والبيهقي في «البعث» وصححه الحافظ الضياء في «المختارة» (٨٢).
انظر «الدر المنثور» للسيوطي، وتفسير ابن كثير (سورة يس آية ٧٨).

نصب الموازين ووزن الأعمال والحساب

قال المصنف رحمه الله: وَتُنْصَبُ المَوَازِينُ، فَيُوزن فيها[1] أَعْمَالُ العِبَادِ، ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝١٠٢ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٢-١٠٣].

وَتُنْشَرُ الدَّوَاوِينُ وَهِيَ صَحَائِفُ الأَعْمَالِ فَآخِذٌ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ، وَآخِذٌ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ أَوْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ، كَمَا قَالَ ﷻ: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ۝١٣ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٣-١٤].

وَيُحَاسِبُ اللهُ الخَلَائِقَ، وَيَخْلُو بِعَبْدِهِ المُؤْمِنِ، فَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ؛ كَمَا وُصِفَ ذَلِكَ فِي الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

وَأَمَّا الكُفَّارُ؛ فَلا يُحَاسَبُونَ مُحَاسَبَةَ مَنْ تُوزَنُ حَسَنَاتُهُ وَسَيِّئَاتُهُ؛ فَإِنَّهُ لا حَسَنَاتِ لَهُمْ، وَلَكِنْ تُعَدَّدُ أَعْمَالُهُمْ، فَتُحْصَى فَيُوقَفُونَ عَلَيْهَا، وَيُقَرَّرون بِهَا، ويجزون بها).

الشرح

❁ **ابن باز**: يحاسب الله الخلائق جل وعلا، وتنصب الموازين، وتوزن فيها أعمال العباد، فمن ثقلت موازينه فهو السعيد، ومن خفت موازينه فهو الهالك، وتنشر الصحف وتوزع بينهم، فآخذ كتابه بيمينه، وآخذ كتابه بشماله، أو من وراء ظهره كما بين في القرآن.

---

(١) في بعض النسخ: «فتنصب الموازين فتوزن بها...».

وأما الكفار فلا يحاسبون محاسبة من توزن حسناته وسيئاته؛ لأنهم ليس لهم حسنات، ولكن تحصى عليهم أعمالهم، ويُقرون بها، ويجزون بها، يعني: يساقون إلى النار، تحصى عليهم أعمالهم، ويعترفون بها ويقرعون بها، ثم يساقون إلى النار كما قال تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾ [الزمر: ٧١]، زمرة بعد زمرة- نسأل الله العافية- بأعمالهم الخبيثة وكفرهم بالله ﷻ.

وأما أهل الجنة فيساقون إلى الجنة مكرمين وفدًا زمرًا، بعد خلاصهم من الموقف، وبعد مرورهم على الصراط، وبعد خلاصهم من العرصة التي يوقفون عليها، يساقون إلى الجنة وفدًا كل يصل إلى منزله، وهو أعلم به من منزله من الدنيا، ويقصدون منازلهم التي أعدها الله لهم بعد انتهائهم من العرصة التي سيأتي ذكرها.

والمقصود أن هذا شأن يوم القيامة، يوم عظيم مقداره خمسون ألف سنة، يوم عسير على الكافرين، يسير على المؤمنين، وفي وسطه تنتهي الناس: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٤]، ينتهون إلى الجنة قبل المقيل، فأهل الجنة في مقيلهم في الجنة، وأهل النار في مقيلهم في النار- نسأل الله العافية- وقد فُرغ من حسابهم، وربك جل وعلا هو الحكم العدل، لا يظلم مثقال ذرة، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠]، ويقول سبحانه: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، ويقول سبحانه: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧-٨]، انظر بعد ذلك كم يكون مثاقيل الذر؟ إذا تصدقت بريال، أو لقمة، أو ثمرة، كم فيها من مثقال ذرة؟ لقمة واحدة تعطيها للفقير، أو تمرة، كم تزن من ذرة؟ فكيف بمن يتصدق بالأموال الجزيلة والطعام الكثير، سوف يجد ذلك إذا أخلص لله وصدق في ذلك، ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧-٨]، ويروى عن ابن عمر أنه تصدق بحبة عنب فقيل له في ذلك، فقال: كم

تزن هذه من مثاقيل الذر[(١)].

المقصود أن الإنسان لا يحتقر الصدقة ولو قلّت حسب طاقته، فقد جاءت امرأة سائلة إلى بيت النبي ﷺ ومعها ابنتان لها، قالت عائشة: فلم تجد في البيت إلا ثلاث تمرات فأخذتها وسلمتها للمرأة السائلة فدفعت المرأة لكل واحدة من ابنتيها تمرة وأخذت الثالثة لتأكلها، فاستطعمتها ابنتاها التمرة الثالثة- صارتا أسرع منها، أكلتا تمرتيهما وطلبتا الثالثة- فشقتها بينهما نصفين، ولم تأكل شيئًا قالت عائشة: فأعجبني شأنها، فلما جاء النبي ﷺ أخبرته بشأنها، فقال: «**إن الله سبحانه قد أوجب لها بها الجنة**»[(٢)]. يعني: بهذه الرحمة، فإنها رحمت ابنتيها وشقت التمرة بينهما ولم تأكل شيئًا، هذا يدل على أن الصدقة- ولو بالقليل- عن إخلاص وصدق، فيه خير كثير، المهم أن تتصدق بما تيسر، قال تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾ [التغابن: ١٦]، وقال: ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، نسأل الله أن يوفق الجميع. اهـ

الميزان

❁ **العثيمين**: من الأشياء التي ذكر المؤلف أنها تكون يوم القيامة: الموازين جمع ميزان يضعها الله لتوزن فيها أعمال العباد ﴿فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٢ وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾. والميزان حقيقي له كفتان، خلافًا للمعتزلة القائلين بأنه العدل لا ميزان حقيقي. وقد ذكر في القرآن مجموعًا وفي السنة مجموعًا ومفردًا، فقيل: إنه ميزان واحد وجمع باعتبار الموزون. وقيل: متعدد بحسب الأمم أو الأفراد، وأفرد باعتبار الجنس. اهـ

---

(١) ورد مثله عن عائشة، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، ذكره ابن عبد البر في «الاستذكار» (١٨٨١)، والقرطبي في تفسير سورة الزلزلة.

(٢) أخرجه البخاري (١٤١٨، ٥٩٩٥)، ومسلم (٢٦٣٠).

❁ **الهراس**: وهناك تنصب الموازين، فتوزن بها أعمال العباد، وهي موازين حقيقية، كل ميزان منها له لسان وكفتان، ويقلب الله أعمال العباد -وهي أعراض- أجساما لها ثقل، فتوضع الحسنات في كفة، والسيئات في كفة، كما قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]. اهـ

الجمع بين وزن الأعمال والعاملين والصحائف

❁ **ابن باز**: الجمع بين النصوص الواردة في وزن الأعمال والعاملين والصحائف أنه لا منافاة بينها، فالجميع يوزن، ولكن الاعتبار في الثقل والخفة، يكون بالعمل لا بذات العامل ولا بالصحيفة. اهـ

❁ **آل الشيخ**: الإيمان بنصب الموازين من الإيمان باليوم الآخر؛ فإن الإيمان باليوم الآخر يشمل أنواعًا منها هذا، ونصوص الكتاب والسنة في ذلك معروفة. **«فتوزن فيها أعمال العباد»** نفس الحسنات والسيئات.

ولا ينافي هذا ما جاء في وزن الصحائف والأبدان، فإن خفتها وثقلها إنما هي بالأعمال، كما قاله ابن كثير.

﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ ولو بحبة واحدة، بأن رجحت حسناته بسيئاته فإنه ناجٍ، ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون. ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ من الموحدين فإنه تحت المشيئة، إن شاء الله عفا عنه، وإن شاء عامله بالعدل. ومن عذبه، ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾، خلود مؤبد للكافرين، أما الموحد فلا يخلد في النار. اهـ

حقيقة الميزان

* قال شيخ الإسلام[(١)]: الميزان هو ما يوزن به الأعمال، وهو غير العدل، كما دل على ذلك الكتاب والسنة، مثل قوله تعالى: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ و﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ وقوله: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾، وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم»[(٢)]. وقال عن ساقي عبد الله بن مسعود: «لهما في الميزان أثقل من أُحد» وفي الترمذي وغيره حديث البطاقة، وصححه الترمذي والحاكم وغيرهما: في الرجل الذي يؤتى به فينشر له تسعة وتسعون سِجِلًّا كل سجل منها مدُّ البصر، فيوضع في كِفَّةٍ، ويؤتى له ببطاقة فيها شهادة أن لا إله إلا الله. قال النبي ﷺ «فطاشت السجلات وثقلت البطاقة»[(٣)]. وهذا وأمثاله مما يبين أن الأعمال توزن بموازين تبين بها رجحان الحسنات على السيئات، وبالعكس فهو ما به تبين العدل، والمقصود بالوزن العدل كموازين الدنيا.

وأما كيفية تلك الموازين فهو بمنزلة كيفية سائر ما أخبرنا به من الغيب. اهـ

(١) في «مجموع الفتاوى» (٤/ ٣٠٢).
(٢) أخرجه البخاري (٦٤٠٦، ٦٦٨٢، ٧٥٦٣)، ومسلم (٢٦٩٤) عن أبي هريرة.
(٣) أخرجه أحمد (٦٩٩٤)، والترمذي (٢٦٣٩)، وابن ماجه (٤٣٠٠)، والطبراني في «الأوسط» (٤٧٢٥)، و«الدعاء» (١٤٨٢)، والبيهقي في «الدعوات الكبير» (٥١)، وصححه ابن حبان (٢٢٥)، والحاكم (٩، ١٩٣٧)، وحسنه الترمذي والإشبيلي والألباني.

قوله: (وتنشر الدواوين وهي صحائف الأعمال فآخذ كتابه بيمينه، وآخذ كتابه بشماله، أومن وراء ظهره).

* **ال الشيخ**: قوله: «وتنشر»: يعني: تُفَلُّ «الدواوين» جمع ديوان، وهي الورقة التي قيدت فيها أعمال العبد -حسناته وسيئاته التي كتبتها الحفظة - كما في الآية: ﴿بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف: ٨٠]. «وهي» هنا «**صحائف الأعمال**» صحائف أعمال العباد وأقوالهم الصادرة منهم، المترتب عليها الثواب والعقاب، للنظر والاطلاع على ما فيها لعاملها، فيقرؤها من كان يقرأ في الدنيا ومن لم يكن يقرأ مسطورة. «**فآخذ كتابه بيمينه**» وهم أهل السعادة. «**وآخذ كتابه بشماله أو من وراء ظهره**» وهم أهل الشقاوة، والعياذ بالله. اهـ

* **الهراس**: ثم تنشر الدواوين، وهي صحائف الأعمال، ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا﴾ [الانشقاق: ٧-٩]، وأما من أوتي كتابه بشماله أو من وراء ظهره(١)، ﴿فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾ [الانشقاق: ١١-١٢]، ويقول:

---

(١) ظاهر كلام الشيخ هراس أن الذي يعطى كتابه وراء ظهره غير الذي يعطاه بشماله؛ لأنه عطفه بـ(أو) التي تقتضي المغايرة. وهو قول له حظ من النظر، وعلق عليه الشيخ إسماعيل الأنصاري فقال: دعوى «أن الذي يؤتى كتابه من وراء ظهره غير الذي يؤتاه بشماله، تنافي ما قرره ابن كثير من تفسيره حيث قال: وأما من أوتي كتابه وراء ظهره، أي: بشماله من وراء ظهره، تُثنى يده إلى ورائه، ويعطى كتابه بها كذلك، ولو أتى المؤلف بالآيات على ترتيبها في المصحف لأصاب ولسلم مما وقع فيه. اهـ

قلت: الذي أشار إليه الهراس ذكره بعض السلف.

قال العلامة السفاريني في «لوامع الأنوار البهية» (٢/ ١٨٢): قال سعيد بن المسيب: الذي يأخذ كتابه بشماله تلوى يده خلف ظهره ثم يعطى كتابه. وقيل: تنزع من صدره إلى خلف ظهره. وقال مجاهد: في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ﴾، قال: تجعل شماله وراء ظهره فيأخذ بها كتابه، يعطى الكافر كتابه بشماله من وراء ظهره بأن تخلع، أو يدخلها من صدره، أو تلوى، ويعطى المؤمن العاصي كتابه بشماله من أمامه، ويعطى المؤمن الطائع كتابه بيمينه من أمامه. وقد جزم الماوردي بأن المشهور أن الفاسق الذي مات على فسقه دون توبة يأخذ كتابه بيمينه، ثم حكى قولًا بالوقوف، قال: ولا قائل بأنه يأخذه بشماله. وقال يوسف بن عمرو من المالكية: اختلف في عصاة الموحدين، فقيل: يأخذون كتبهم بأيمانهم، وقيل
=

﴿يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ﴾ [الحاقة: ٢٥-٢٦]؛ قال تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَٰبُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩].

وأما قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ اقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٣-١٤].

فقد قال الراغب: أي: عمله الذي طار عنه من خير وشر(١).

ولكن الظاهر أن المراد بالطائر هنا نصيبه في هذه الدنيا، وما كتب له فيها من رزق وعمل(٢)، كما في قوله تعالى: ﴿أُولَٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَٰبِ﴾ [الأعراف: ٣٧]، يعني: ما كتب عليهم فيه. اهـ

❁ **قال الشيخ**: قوله: ﴿أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦ﴾ يعني: ما طار له، وما قدّر له ملازمٌ له ملازمةً لا انفكاك له منه بحال، فهو لازم في عنقه، وهو ما قُدِّرَ وكُتِبَ له في الأزل. ﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا﴾ يعني: مفلولًا بمقتضى ذلك، ولا حجة له في ذلك على القدر، فإن الحجة قائمة على العباد: ﴿اقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾،

=

بشمائلهم، وعلى القول بأنهم يأخذونها بأيمانهم قيل: يأخذونها قبل الدخول في النار، فيكون ذلك علامة على عدم خلودهم فيها. وقيل: يأخذونها بعد الخروج منها، والله أعلم. اهـ

قلت: والقول بأن عصاة الموحدين يأخذون كتبهم بأيمانهم هو الأرجح إن شاء الله تعالى؛ لأن الله قسَّم المصطفين من هذه الأمة المسلمة ثلاثة أقسام فقال: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَٰبَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِالْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ ثم بيّن مآلهم في الآخرة بأنهم قسمان: أصحاب اليمين والسابقون، ثم ذكر أصحاب الشمال ووصفهم بوصف الكفار من إنكار البعث والنشور فدل على أن عصاة الموحدين لا يخرجون عن أصحاب اليمين، وهم الآخذون كتبهم بأيمانهم، والله أعلم. اللهم اجعلنا من السابقين أصحاب اليمين.

(١) واختاره الحافظ ابن كثير في تفسيره.

(٢) وهو اختيار أبي عبيدة وابن قتيبة. انظر «زاد المسير» (٥/ ١٥).

وفي الآية الأخرى ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾ [الانشقاق: ٧-١٢]. وينقسم الناس حينئذ إلى قسمين: آخذ كتابه بيمينه، وهم أهل السعادة والنجاة، وآخذ كتابه بشماله ومن وراء ظهره.

فمن أوتي كتابه بيمينه فهو من أصحاب اليمين، ومن أوتي كتابه بشماله فهو من أهل الشقاوة، كما في الآيات ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾ [الانشقاق: ٧-١٢] وكما قال: ﴿فَمَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [الإسراء: ٧١]، وقوله: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ﴾ [الحاقة: ١٩].

والإيمان بنشر الصحائف وأخذ الصحائف بالأيمان أو الشمائل، الإيمان بذلك من جملة الإيمان باليوم الآخر. اهـ

❁ **العثيمين**: نشر الدواوين أي: فتحها وتوزيعها، وهي صحائف الأعمال التي كتبتها الملائكة على الإنسان، قال الله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾. فآخذ كتابه بيمينه وهو المؤمن، وآخذ كتابه بشماله، أو من وراء ظهره؛ لقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾. وفي آية أخرى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ﴾.

والجمع بين هذه والتي قبلها، إما باختلاف الناس، وإما بكون الذي يأخذها بشماله تخلع يده من وراء ظهره. اهـ

قوله: (وَيُحَاسِبُ اللهُ الخَلائِقَ).

* آل الشيخ: الإيمان بالمحاسبة على الأعمال حسناتها وسيئاتها وعددها من جملة الإيمان باليوم الآخر، والحسابُ من أشهر وأهم وأعظم أمور الآخرة، فإن الإيمان باليوم الآخر الذي هو أحد أركان الإيمان يشمل الإيمان بالمحاسبة. اهـ

* الهراس: المراد بتلك المحاسبة تذكيرهم وإنباؤهم بما قدموه من خير وشر، أحصاه الله ونسوه، قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٨]، وفي الحديث الصحيح: «من نوقش الحساب عذب». فقالت عائشة ﵂: يا رسول الله، أوليس الله يقول: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق: ٨]؟ فقال: «**إنما ذلك العرض، ولكن من نوقش الحساب يهلك**»[١]. اهـ

* العثيمين: الحساب: وهو محاسبة الخلائق على أعمالهم، وكيفيته بالنسبة للمؤمن أن الله يخلو به فيقرره بذنوبه ثم يقول: قد سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم، وبالنسبة للكافر أنه يوقف على عمله ويقرر به، ثم ينادى على رؤوس الأشهاد. ﴿هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ١٨]. وأول ما يحاسب عليه العبد من حقوق الله الصلاة، وأول ما يقضى بين الناس في الدماء. ومن الناس من يدخل الجنة بلا حساب، وهم الذين لا يسترقون، ولا يكتوون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون، ومنهم عكّاشة بن محصن. اهـ

* **قال شيخ الإسلام**[٢]: والله سبحانه يحاسب الخلق في ساعة واحدة، لا يشغله حساب هذا عن حساب هذا. اهـ

---

(١) أخرجه البخاري (١٠٣، ٤٦٥٥، ٦١٧١، ٦١٧٢)، ومسلم (٢٨٧٦).

(٢) في «درء تعارض العقل والنقل» (٤/ ١٢٩).

وقال أيضًا(١): والحساب يراد به الموازنة بين الحسنات والسيئات، وهذا يتضمن المناقشة، ويراد به عرض الأعمال على العامل وتعريفه بها؛ ولهذا لما تنازع أهل السنة في الكفار هل يحاسبون أم لا؟ كان فصل الخطاب: إثبات الحساب بمعنى عد الأعمال وإحصائها وعرضها عليهم، لا بمعنى إثبات حسنات نافعة لهم في ثواب يوم القيامة تقابل سيئاتهم. اهـ

قوله: (وَيَخْلُو بِعَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ، فَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ؛ كَمَا وُصِفَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ).

❁ **آل الشيخ**: «**يخلو بعبده المؤمن فيقرره بذنوبه**» وخطاياه، حتى يقر بها ويعرفها، يقول: فعلت في يوم كذا وكذا في مكان كذا وكذا. «**كما وصف ذلك في الكتاب والسنة**» وعلى تفاصيل في الخلوة، فيستر ويغفر لمن يشاء بفضله، ويعذب من يشاء بعدله. ومحاسبة المسلمين تتضمن: وزن حسناتهم وسيئاتهم، وتوقيفهم على سيئاتهم، فصارت المحاسبة تتضمن: تقريرهم ومجازاتهم. والمسلمون بِعَرْضَةِ المجازاة عليها، عدلٌ بالنسبة إلى السيئات، والعفو عنه تجاوزًا. اهـ

❁ **الهراس**: أما قوله: «ويخلو بعبده المؤمن». فقد ورد عن ابن عمر رضي الله عنهما [عن النبي ﷺ]: «**إن الله ﷻ يدني منه عبده المؤمن، فيضع عليه كَنَفَهُ، ويحاسبه فيما بينه وبينه، ويقرره بذنوبه، فيقول: ألم تفعل كذا يوم كذا؟ ألم تفعل كذا يوم كذا؟ حتى إذا قرره بذنوبه، وأيقن أنه قد هلك؛ قال له: سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم**»(٢). اهـ

(١) «درء تعارض العقل والنقل» (٥ / ٢٢٩).

(٢) أخرجه البخاري (٢٤٤١، ٤٦٨٥، ٦٠٧٠، ٧٥١٤)، ومسلم (٢٧٦٨).

قوله: (وَأَمَّا الكُفَّارُ؛ فَلا يُحَاسَبُونَ مُحَاسَبَةَ مَنْ تُوزَنُ حَسَنَاتُهُ وَسِيئَاتُهُ؛ فَإِنَّهُ لا حَسَنَاتِ لَهُمْ، وَلَكِنْ تُعَدُّ أَعْمَالُهُمْ، فَتُحْصَى فَيُوقَفُونَ عَلَيْهَا، وُيقَرَّرون بِهَا).

❁ **آل الشيخ**: «يقررون بها» أنهم فعلوها «ويجزون بها» فلا يُعذَّبُ أحدٌ إلا مقرًّا معترفًا بذنبه، حتى تنطق أبعاضهم بذلك من كمال عدله.

هذه المسألة -المحاسبة للكفار-: من أهل العلم من قال: ليس لهم حسنات يحاسبون عليها. ومنهم من قال: يحاسبون كما يحاسب المسلمون. والإطلاق في الطرفين غلط، لا يصح إطلاق أنهم يحاسبون، ولا يصح إطلاق أنهم لا يحاسبون، فالذي يُثْبِت أنهم يحاسبون ويُطْلِق، يتأول أنهم يحاسبون مثل المسلمين الذين توزن حسناتهم وسيئاتهم واحدةً واحدة، وكذلك إذا قيل: إنهم لا يحاسبون، فإن هذا الإطلاق يشمل أنهم لا تعد أعمالهم ولا تحصى... إلخ، وإن لم يقصده القائل. فالصحيح: قول المصنف المتقدم.

وأما المسلمون فيحاسبون؛ لأن لهم حسنات صحيحة ثابتة، فمن زادت حسناته دخل الجنة، ومن نقصت: إما أن يعفو الربّ ويتجاوز عنه، أو يعذبه على قدر سيئاته. اهـ

❁ **الهراس**: قوله: «فإنه لا حسنات لهم». يعني: الكفار. لقوله تعالى: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ [الفرقان: ٢٣]، وقوله: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَـٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ﴾ [إبراهيم: ١٨]. والصحيح أن أعمال الخير التي يعملها الكافر يجازى بها في الدنيا فقط، حتى إذا جاء يوم القيامة وجد صحيفة حسناته بيضاء، وقيل: يخفف بها عنه من عذاب غير الكفر. اهـ

محاسبة الكفار

* **سئل شيخ الإسلام عن الكفار: هل يحاسبون يوم القيامة أم لا؟**

فأجاب(١): هذه المسألة تنازع فيها المتأخرون من أصحاب أحمد وغيرهم، فممن قال: إنهم لا يحاسبون: أبو بكر عبد العزيز، وأبو الحسن التميمي، والقاضي أبو يعلى، وغيرهم، وممن قال: إنهم يحاسبون: أبو حفص البرمكي من أصحاب أحمد، وأبو سليمان الدمشقي، وأبو طالب المكي(٢).

وفصل الخطاب: أن الحساب يراد به عرض أعمالهم عليهم، وتوبيخهم عليها، ويراد بالحساب موازنة الحسنات بالسيئات.

فإن أريد بالحساب المعنى الأول فلا ريب أنهم يحاسبون بهذا الاعتبار، وإن أريد المعنى الثاني، فإن قصد بذلك أن الكفار تبقى لهم حسنات يستحقون بها الجنة، فهذا خطأ ظاهر.

وإن أريد أنهم يتفاوتون في العقاب، فعقاب من كثرت سيئاته أعظم من عقاب من قلت سيئاته، ومن كان له حسنات خفف عنه العذاب، كما أن أبا طالب أخف عذابًا من أبي لهب، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ﴾ [النحل: ٨٨]، وقال تعالى ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ﴾ [التوبة: ٣٧]، والنار دركات فإذا كان بعض الكفار عذابه أشد عذابًا من بعض -لكثرة سيئاته وقلة حسناته- كان الحساب لبيان مراتب العذاب، لا لأجل دخولهم الجنة. اهـ

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٤/ ٣٠٥).

(٢) من السالمية.

* وقال المصنف رحمه الله(١): الكلام في مسألة محاسبة الكفار هل يحاسبون أم لا؟ هي مسألة لا يكفَّر فيها بالاتفاق، والصحيح أيضًا أن لا يُضَيَّق فيها ولا يهجر، وقد حكي عن أبي الحسن بن بشار أنه قال: لا يصلى خلف من يقول: إنهم يحاسبون.

والصواب الذي عليه الجمهور أنه يصلى خلف الفريقين، بل يكاد الخلاف بينهم يرتفع عند التحقيق، مع أنه قد اختلف فيها أصحاب الإمام أحمد، وإن كان أكثرهم يقولون: لا يحاسبون، واختلف فيها غيرهم من أهل العلم وأهل الكلام.

وذلك أن الحساب قد يراد به الإحاطة بالأعمال، وكتابتها في الصحف، وعرضها على الكفار، وتوبيخهم على ما عملوه، وزيادة العذاب ونقصه بزيادة الكفر ونقصه، فهذا الضرب من الحساب ثابت بالاتفاق.

وقد يراد بالحساب وزن الحسنات بالسيئات؛ ليتبين أيهما أرجح، فالكافر لا حسنات له توزن بسيئاته؛ إذ أعماله كلها حابطة، وإنما توزن لتظهر خفة موازينه، لا ليتبين رجحان حسنات له.

وقد يراد بالحساب أن الله هل هو الذي يكلمهم أم لا؟ فالقرآن والحديث يدلان على أن الله يكلمهم تكليم توبيخ وتقريع وتبكيت، لا تكليم تقريب وتكريم ورحمة، وإن كان من العلماء من أنكر تكليمهم جملة. اهـ

مراتب المعاد

قال العلامة السفاريني(٢): اعلم أن مراتب المعاد: البعث والنشور، ثم المحشر، ثم القيام لرب العالمين، ثم العرض، ثم تطاير الصحف وأخذها باليمين وأخذها بالشمال، ثم السؤال والحساب، ثم الميزان..

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٦/ ٤٨٦).

(٢) في «لوامع الأنوار البهية» (٢/ ١٨٤).

قال علماؤنا كغيرهم: نؤمن بأن الميزان الذي توزن به الحسنات والسيئات حق، قالوا: وله لسان وكفتان توزن به صحائف الأعمال، قال ابن عباس رضي الله عنهما: توزن الحسنات في أحسن صورة، والسيئات في أقبح صورة.

قال العلامة الشيخ مرعي في «بهجته»: الصحيح أن المراد بالميزان الميزان الحقيقي، لا مجرد العدل، خلافًا لبعضهم[١].

وقال القرطبي في «تذكرته»: قال العلماء: إذا انقضى الحساب كان بعده وزن الأعمال؛ لأن الوزن للجزاء، فينبغي أن يكون بعد المحاسبة؛ لتقرير الأعمال، والوزن لإظهار مقاديرها؛ ليكون الجزاء بحسبها، قال الله تعالى: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، وقال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴾ [القارعة: ٦-١١]، والحاصل أن الإيمان بالميزان كأخذ الصحف ثابت بالكتاب والسنة والإجماع، فالكتاب ما ذكرناه، وقوله تعالى ﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم ﴾ [الأعراف: ٩] إلى غير ذلك من الآيات.. وقال عبد الله بن سلام رضي الله عنه: إن ميزان رب العالمين ينصب للجن والإنس، يستقبل به العرش، إحدى كفتيه على الجنة، والأخرى على جهنم، لو وضعت السموات والأرض في إحداهما لوسعتهن، وجبريل آخذ بعموده ينظر إلى لسانه.

قال في «البهجة»: في هذا أن أعمال الجن توزن كما توزن أعمال الإنس، وهو كذلك ارتضاه الأئمة.

قال القرطبي في «تذكرته»: المتقون توضع حسناتهم في الكفة النيرة حتى لا ترتفع، وترفع المظلمة ارتفاع الفارغة الخالية.

---

(١) هم المعتزلة.

قال: وأما الكفار فيوضع كفرهم وأوزارهم في الكفة المظلمة، وإن كانت لهم أعمال بر وضعت في الكفة الأخرى فلا تقاومها؛ إظهارًا بفضل المتقين، وذل الكافرين.

والحق أن الكفار لا يقيم الله لهم وزنًا؛ لقوله تعالى: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٥]، ومن قال: توزن أعمالهم؛ لوروده في ظواهر عموم الآيات والأحاديث، يجيب عن الآية الكريمة بأنه تعالى لا يقيم لهم وزنًا نافعًا، كما في قوله: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣]. أي: كالهباء في عدل نفعه، وحصول فائدته.

والحق أن مؤمني الجن كالإنس في الوزن، وكافرهم ككافرهم.

وأخرج الحاكم وصححه من حديث سلمان الفارسي ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: **«يوضع الميزان يوم القيامة، فلو وزن فيه السموات والأرض لوسعهن، فتقول الملائكة: يا رب لمن يزن هذا؟ فيقول: لمن شئت من خلقي. فتقول الملائكة سبحانك ما عبدناك حق عبادتك»**(١) وأخرجه الإمام عبد الله بن المبارك في «الزهد»، والآجري في «الشريعة» عن سلمان موقوفًا(٢)، وأخرج البزار، والبيهقي في «البعث» عن أنس بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ قال: **«يؤتى بابن آدم يوم القيامة فيوقف بين كفة الميزان، ويوكل به ملك، فإن ثقل ميزانه نادى الملك بصوت يسمع الخلائق: سَعِدَ فلان بن فلان سعادة لا يشقى بعدها أبدًا، وإن خف ميزانه نادى الملك بصوت يسمع الخلائق: ألا شقي فلان شقاوة لا يسعد بعدها أبدا»**(٣)، وذكر الثعلبي وغيره، وابن جرير في

---

(١) أخرجه الحاكم (٤/ ٥٨٦)، وقال: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي وصححه الألباني في «الصحيحة» (٩٤١).

(٢) أخرجه الآجري في «الشريعة» (٨٩٤)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢/ ٦١٩)، وقال: إسناده صحيح وله حكم المرفوع؛ لأنه لا يقال من قبل الرأي. اهـ

(٣) أخرجه البزار (١٣/ ٣٣٠)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ١٨٧)، وضعفه ابن كثير في «تفسيره» (٥/ ٤٩٠)، والهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٣٥٣)، والبوصيري في «إتحاف المهرة» (٨/ ١٦٠)، وقال الألباني في تخريج «شرح الطحاوية» (ص/ ٤١٩)، وضعيف الترغيب والترهيب (٢١٩): موضوع.

تفسيره، وابن أبي الدنيا عن حذيفة ﵁ أنه قال: صاحب الميزان يوم القيامة جبريل ﵇. وقال الحسن: هو ميزان له كفتان ولسان، وهو بيد جبريل ﵇. وأخرج أبو الشيخ بن حيان في تفسيره من طريق الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس ﵄ قال: الميزان له لسان وكفتان. فقد دلت الآثار على أنه ميزان حقيقي ذو كفتين ولسان، كما قال ابن عباس والحسن البصري. وصرح بذلك علماؤنا والأشعريةُ وغيرُهم، وقد بلغت أحاديثه مبلغ التواتر، وانعقد إجماع أهل الحق من المسلمين عليه، وأخرج ابن أبي حاتم، عن ابن عباس ﵄ قال: يحاسب الناس يوم القيامة، فمن كانت حسناته أكثر من سيئاته بواحدة دخل الجنة، ومن كانت سيئاته أكثر من حسناته بواحدة دخل النار.

قال: وإن الميزان يخف بمثقال حبة ويرجح، ومن استوت حسناته وسيئاته كان من أصحاب الأعراف فوقفوا على الصراط... اهـ

الحوض المورود

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَفِي عَرَصَاتِ القِيَامَةِ الحَوْضُ المَوْرُودُ لِلنَّبِيِّ [محمدٍ] ﷺ؛ مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ العَسَلِ، آنِيَتُهُ عَدَدُ نُجُومِ السَّمَاءِ، طُولُهُ شَهْرٌ، وَعَرْضُهُ شَهْرٌ، مَنْ يَشْرَبُ مِنْهُ شَرْبَةً؛ لا يَظْمَأُ بَعْدَهَا أَبَدًا).

الشرح

❁ **آل الشيخ**: قوله: «في عَرَصات القيامة»: العَرَصات: جمع عرْصة، والعرْصة المجتمع فيه سعة وانفساح، ومنه عرصة الدار وهو المتسع الذي حواليها الذي يراد للاجتماع فيه، ومنه قول الشاعر:

فلما حوتها عرصة الدار سلمت ❁ ....(١)

وعرصات القيامة: متسع القيامة، وهي المواضع التي يجتمع فيها الخلق، وهي الأرض كلها، تُمد مد الأديم العُكَاظِيّ(٢).

---

(١) القائل أحمد بن مشرف والبيت بتمامه في ديوانه (ص/ ٢):

فلما حوتها عرصة الدار سلمت ❁❁ سلام حبيب زائر ذي تودد

والعرصة بفتح العين وسكون الراء، وجمعها عرصات بفتح العين والراء.

قال في «القاموس»: العَرْصة: كل بقعة بين الدور واسعة، ليس فيها بناء، جمعها عِراص وعَرَصَات وأعْرَاص. اهـ

(٢) الأديم الجلد، والعكاظي منسوب إلى سوق عكاظ قرب الطائف. قال في «اللسان» و«القاموس»: أديم عكاظي منسوب إلى عكاظ، وهو مما حمل إلى عكاظ فيبيع بها. اهـ

قوله: «**الحوض المورود للنبي ﷺ**»: والحوض الكوثر لنبينا محمد ﷺ، وجاء في الحديث صفته وآنيته والشرب منه، وأهل الشرب. «**ماؤه أشد بياضًا من اللبن**»، وطعمه «**أحلى**» طعمًا «**من العسل**»، و«**آنيته**» التي عليه «**عدد نجوم السماء**»، مسافةُ «**طوله شهر، وعرضه شهر، من يشرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبدًا**». أي: يستمر به رِيُّه أبدًا لا يظمأ حتى يدخل الجنة، فإذا دخل الجنة فَرِيٌّ على رِيٍّ، وأحاديث الحوض معلومة، كثيرة، شهيرة، ثابتة عن النبي ﷺ. فالإيمان بالحوض وصفاته المذكورة من الإيمان باليوم الآخر، كما سبق، فإن الإيمان باليوم الآخر يشمل الإيمان بجميع ما يكون بعد الموت. اهـ

❁ **ابن باز**: هذا بحث الحوض المورود والصراط الموعود، الحوض المورود هذا للنبي ﷺ، وهو الكوثر ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ [الكوثر: ١]. يعني: يصب فيه من الكوثر. وإلا فالكوثر في الجنة، هذا حوض يصب فيه ميزابان من الكوثر، يرد عليه المؤمنون من أتباع محمد ﷺ طوله شهر وعرضه شهر، آنيته عدد نجوم السماء، ماؤه أشد بياضًا من اللبن، وطعمه أحلى من العسل، من يشرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبدًا حتى يدخل الجنة، فالمؤمنون يردونه ويشربون منه، وهم أتباع النبي ﷺ، ويذاد عنه أقوام، فيسأل فيقول: «**يا رب لماذا؟ فيقال: إنهم لم يزالوا مرتدين منذ فارقتهم**». فيمنعون من وروده، ويقول: «**بعدًا بعدًا، لمن بدل بعدي**»(١)، هذا يدل على أن هذا الحوض يختص به المؤمنون الذين ماتوا على اتباع النبي ﷺ وعلى دينه.

أما المرتدون الذين ارتدوا بعد النبي ﷺ، أو في غير ذلك من الأوقات عن دينهم فإنهم لا يَرِدُون عليه الحوض، وهكذا كل كافر لا يرد على الحوض، إنما يرد المؤمنون خاصة من أتباعه عليه الصلاة والسلام.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٦٢٥)، ومسلم (٢٨٦٠) عن ابن عباس مرفوعًا.

وللأنبياء أحواض غير حوضه عليه الصلاة والسلام لكن حوضه أكملها وأتمها، ويذاد عن حوضه من ليس من آله كما تذاد الإبل الغريبة، فلا يرده إلا المؤمنون الصادقون، أما المرتدون فلا حظ لهم فيه. اهـ

❁ **العثيمين**: الحوض المورود للنبي ﷺ في عرصات القيامة أي: مواقفها يرده المؤمنون من أمته، ومن شرب منه لم يظمأ أبدًا، طوله شهر، وعرضه شهر، وآنيته كنجوم السماء، وماؤه أشد بياضًا من اللبن، وأحلى من العسل، وأطيب من رائحة المسك، ولكل نبي حوض يرده المؤمنون من أمته، لكن الحوض الأعظم حوض النبي ﷺ، وقد أنكر المعتزلة وجود الحوض، وقولهم مردود بما تواترت به الأحاديث من إثباته. اهـ

الأحاديث الواردة في الحوض متواترة

❁ **الهراس**: الأحاديث الواردة في ذكر الحوض تبلغ حد التواتر، رواها من الصحابة بضع وثلاثون صحابيًا، فمن أنكره فأخلق به أن يحال بينه وبين وروده يوم العطش الأكبر، وقد ورد في أحاديث: «**إن لكل نبي حوضًا**»(١). ولكن حوض نبينا ﷺ أعظمها، وأحلاها، وأكثرها واردًا، جعلنا الله منهم بفضله وكرمه. اهـ

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٤٣)، والطبراني في «المعجم الكبير» (ج٧/ ص ٢١٢/ ح٦٨٨١)، و«مسند الشاميين» (٢٦٤٧) عن الحسن، عن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: «إن لكل نبي حوضًا ترده أمته، وإنهم ليتباهون أيهم أكثر واردة، وإني لأرجو أن أكون أكثرهم واردة».
وأعله الترمذي فقال: هذا حديث غريب، وقد روى الأشعث بن عبد الملك هذا الحديث عن الحسن عن النبي ﷺ مرسلا، ولم يذكر فيه عن سمرة، وهو أصح. اهـ
والمرسل أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٤٠٤)، والحديث صححه الشيخ الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١٥٨٩).

* قال الشيخ علي بن أبي العز في «شرح الطحاوية»: الأحاديث الواردة في ذكر الحوض تبلغ حد التواتر، رواها من الصحابة بضع وثلاثون صحابيًّا، ولقد استقصى طرقها شيخنا الشيخ عماد الدين ابن كثير- تغمده الله برحمته- في آخر «تاريخه الكبير»[١]، المسمى بـ«البداية والنهاية». فمنها: ما رواه البخاري رَحِمَهُ اللهُ عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: **«إن قدر حوضي كما بين أيلة إلى صنعاء من اليمن، وإن فيه من الأباريق كعدد نجوم السماء»**[٢].

وعنه أيضا، عن النبي ﷺ قال: **«ليردن علي ناس من أصحابي، حتى إذا عرفتهم اختلجوا دوني، فأقول: أصيحابي، فيقول: لا تدري ما أحدثوا بعدك»**. رواه مسلم[٣].

وروى الإمام أحمد عن أنس بن مالك، قال: أغفى رسول الله ﷺ إغفاءة، فرفع رأسه مبتسمًا، إما قال لهم، وإما قالوا له: لم ضحكت؟ فقال رسول الله ﷺ: **«إنه أنزلت علي آنفا سورة»** فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ [الكوثر: ١]. حتى ختمها، ثم قال لهم: **«هل تدرون ما الكوثر؟»** قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: **«هو نهر أعطانيه ربي عز وجل في الجنة، عليه خير كثير، ترد عليه أمتي يوم القيامة، آنيته عدد الكواكب، يختلج العبد منهم، فأقول: يا رب إنه من أمتي، فيقال لي: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك»**.

---

(١) وهو الذيل المعروف بـ«النهاية في الفتن والملاحم»، طبع مفردًا، وانظر: «البداية والنهاية» طبعة دار ابن كثير (١٧/ ٢٣٥-٢٦٥).

قال رَحِمَهُ اللهُ: ذكر ما ورد في الحوض النبوي المحمدي -سقانا الله منه يوم القيامة- من الأحاديث المتواترة المتعددة من الطرق المتضافرة، وإن رغمت أنوف كثير من المبتدعة النافرة المكابرة القائلين بجحوده المنكرين لوجوده، وأخلِق بهم أن يحال بينهم وبين وروده، كما قال بعض السلف: من كذّب بكرامة لم ينلها، ولو اطلع المنكر للحوض على ما سنورده من الأحاديث قبل مقالته لم يقلها.... إلخ.

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٨٠)، ومسلم (٢٣٠٣).

(٣) أخرجه البخاري (٦٥٨٢)، ومسلم (٢٣٠٤).

ورواه مسلم، ولفظه: «هو نهر وعدنيه ربي، عليه خير كثير، هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة»، والباقي مثله[١].

ومعنى ذلك أنه يشخب فيه ميزابان من ذلك الكوثر إلى الحوض، والحوض في العرصات قبل الصراط؛ لأنه يختلج عنه، ويمنع منه أقوام قد ارتدوا على أعقابهم، ومثل هؤلاء لا يجاوزون الصراط[٢].

وروى البخاري ومسلم عن جندب بن عبد الله البجلي ﷺ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أنا فرطكم على الحوض»[٣]. والفرط: الذي يسبق إلى الماء.

وروى البخاري عن سهل بن سعد الأنصاري ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «إني فرطكم على الحوض، مَنْ مَرَّ عليَّ شرب، ومن شرب لم يظمأ أبدًا، لَيَرِدَنَّ عليَّ أقوام أعرفهم ويعرفونني، ثم يحال بيني وبينهم». قال أبو حازم: فسمعني النعمان بن أبي عياش وأنا أحدثهم هذا، فقال: هكذا سمعتَ من سهل؟ فقلت: نعم. فقال: أشهد على أبي سعيد الخدري لسمعته وهو يزيد: «فأقول: إنهم من أمتي فقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك. فأقول: سحقًا سحقًا لمن غير بعدي»[٤]. سحقًا. أي: بعدًا.

والذي يتلخص من الأحاديث الواردة في صفة الحوض: أنه حوض عظيم، ومورد كريم، يمد من شراب الجنة، من نهر الكوثر، الذي هو أشد بياضًا من اللبن، وأبرد من الثلج، وأحلى من العسل، وأطيب ريحًا من المسك، وهو في غاية الاتساع، عرضه وطوله سواء، كل زاوية من زواياه مسيرة شهر.

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ١٠٢)، ومسلم (٤٠٠).

(٢) قاله ابن كثير في «النهاية» (١٧/ ٢٣٣).

(٣) أخرجه البخاري (٦٥٨٩)، ومسلم (٢٢٨٩).

(٤) أخرجه البخاري (٦٥٨٣، ٦٥٨٤، ٧٠٥٠، ٧٠٥١)، ومسلم (٢٢٩٠، ٢٢٩١).

وفي بعض الأحاديث: «أنه كلما شرب منه وهو في زيادة واتساع، وأنه ينبت في حال من المسك والرضراض[(١)] من اللؤلؤ قضبان الذهب، ويثمر ألوان الجواهر»[(٢)]، فسبحان الخالق الذي لا يعجزه شيء. وقد ورد في أحاديث: «إن لكل نبي حوضًا، وإن حوض نبينا ﷺ أعظمها، وأحلاها، وأكثرها واردًا»[(٣)]. جعلنا الله منهم بفضله وكرمه.

قال العلامة أبو عبد الله القرطبي رَحِمَهُ الله في «التذكرة»: واختلف في الميزان والحوض: أيهما يكون قبل الآخر؟ فقيل: الميزان. وقيل: الحوض. قال أبو الحسن القابسي: والصحيح أن الحوض قبل. قال القرطبي: والمعنى يقتضيه، فإن الناس يخرجون عطاشًا من قبورهم، فيقدم قبل الميزان والصراط.

قال أبو حامد الغزالي رَحِمَهُ الله في كتاب «كشف علم الآخرة»: حكى بعض السلف من أهل التصنيف، أن الحوض يورد بعد الصراط، وهو غلط من قائله. قال القرطبي: هو كما قال، ثم قال القرطبي: ولا يخطر ببالك أنه في هذه الأرض، بل في الأرض المبدلة، أرض بيضاء كالفضة، لم يسفك فيها دم، ولم يظلم على ظهرها أحد قط، تظهر لنزول الجبار جَلَّ جَلَالُهُ لفصل القضاء. انتهى. فقاتل الله المنكرين لوجود الحوض، وأخلق بهم أن يحال بينهم وبين وروده يوم العطش الأكبر. اهـ

---

(١) الحال: التراب اللين، والرضراض: ما دقَّ من الحصى.

(٢) أخرجه مطولاً أحمد (٣٧٨٧)، والبزار (١٥٣٤)، والطبراني من حديث ابن مسعود وسنده ضعيف، ضعفه الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٣٦٢)، وأحمد شاكر في «تخريج المسند».

(٣) أخرجه الترمذي (٢٤٤٥) من حديث سمرة بن جندب نحوه، وسنده ضعيف، وأخرجه ابن ماجه (٤٣٠١)، وابن أبي الدنيا في «الأهوال» بسند ضعيف جدًا عن أبي سعيد الخدري، وله شواهد مرسلة ومسندة في أسانيدها مقال يصح الحديث بمجموعها، وصححه ابن كثير في «النهاية» وقال بعد إيراد مرسل الحسن البصري: وهذا مرسل عن الحسن، وهو حسن، صححه يحيى بن سعيد القطان وغيرهم، وقد أفتى شيخنا الحافظ المزي بصحة هذا الحديث بهذه الطرق. اهـ

هل الحوض غير الكوثر

وعن أنس بن مالك قال: أغفى النبي ﷺ إغفاءة، فرفع رأسه متبسما، إما قال لهم، وإما قالوا له: لم ضحكت؟ فقال رسول الله ﷺ: «إنه أنزلت علي آنفا سورة»، فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ [الكوثر: ١] حتى ختمها قال: «هل تدرون ما الكوثر؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «هو نهر أعطانيه ربي ﷻ في الجنة، عليه خير كثير ترد عليه أمتي يوم القيامة، آنيته عدد الكواكب، يختلج العبد منهم فأقول: يا رب، إنه من أمتي، فيقال لي: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك»[(١)].

وعن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «هو مسيرة شهر، ماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك، كيزانه كنجوم السماء، من شرب منه فلا يظمأ أبدًا»[(٢)].

ومن هذين الحديثين يظهر أن الكوثر والحوض شيء واحد، وهو قول طائفة من السلف، وهو ظاهر صنيع البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث قال في كتاب الرقاق: باب في الحوض، وقول الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ [الكوثر: ١] ثم ذكر أحاديث الحوض تسعة عشر حديثًا، ومن حديث أبي بشر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: الكوثر الخير الكثير الذي أعطاه الله إياه، قال أبو بشر: قلت لسعيد: إن أناسًا يزعمون أنه نهر في الجنة؟ فقال سعيد: النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله إياه. اهـ

وقد ذهب إليه جمع من العلماء، منهم الشيخ حافظ الحكمي في «سلم الوصول» حيث قال:

وحوض خير الخلق حق وبهِ * يشرب في الأخرى جميع حزبه

---

(١) أخرجه أحمد (١١٩٩٦)، ومسلم (٤٠٠، ٢٣٠٤)، وأبو داود (٧٨٤، ٤٧٤٧)، والبيهقي في «البعث والنشور» (١١٤)، والبغوي في «شرح السنة» (٥٧٩).

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٧٩)، ومسلم (٢٢٩٢).

ثم قال في «شرحه»(١): وحوض خير الخلق نبينا محمد ﷺ- وهو الكوثر الذي أعطاه ربه ﷻ- حق لا مرية فيه. اهـ

والظاهر من صنيع السفاريني التفريق بين الحوض والكوثر؛ إذ قال في نظمه:

كذا الصراط ثم حوض المصطفى * فيا هَنا لِمَن به نال الشفا

فكن مطيعًا واقْفُ أهل الطاعة * في الحوض والكوثر والشفاعة. اهـ

وهو الذي اختاره الشيخ ابن عثيمين إذ قال رحمه الله: مادة هذا الحوض تأتي من الكوثر، والكوثر نهرٌ أعطاه الله تعالى نبينا محمدًا ﷺ في الجنة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: ١]، يصب منه ميزابان؛ ولهذا تَرِدُهُ الأمَّة كلها وهو باقٍ؛ لأنه يصب عليه هذان الميزابان(٢). اهـ

قلت: وهو الأصح إن شاء الله، وأن الكوثر نهر في الجنة ويصب في الحوض في عرصات يوم القيامة لما صح بسند جيد عند ابن أبي عاصم في كتاب «السنة» (٧٢٢) عن أبي برزة الأسلمي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«ما بين ناحيتي حوضي كما بين أيلة إلى صنعاء مسيرة شهر، عرضه كطوله، فيه ميزابان مثعبان من الجنة من ورق وذهب، أبيض من اللبن، وأحلى من العسل، فيه أباريق عدد نجوم السماء»** ولما روى البخاري في كتاب الرقاق من «صحيحه» باب في الحوض وقول الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: ١] من حديث أنس بن مالك: عن النبي ﷺ قال: **«بينما أنا أسير في الجنة إذا أنا بنهر حافتاه قباب الدر المجوف قلت ما هذا يا جبريل؟ قال هذا الكوثر الذي أعطاك ربك فإذا طينه أو طيبه مسك أذفر»**(٣).

(١) «معارج القبول» (٢/ ٨٧١).

(٢) في «شرح الواسطية» (٢/ ١٥٧) و«شرح السفارينية» (ص/ ٤٨٥ ط البصيرة).

(٣) أخرجه البخاري (٦٢١٠).

قال الحافظ ابن حجر[١]: أشار البخاري إلى أن المراد بالكوثر النهر الذي يصب في الحوض فهو مادة الحوض، كما جاء صريحًا في هذا الحديث. اهـ

قلت: ويؤيده حديث ابن مسعود أنَّ النبي ﷺ قال: «**ويفتح نهر من الكوثر إلى الحوض**» الحديث[٢].

مكان الحوض

قال الحافظ ابن حجر[٣]: وإيراد البخاري لأحاديث الحوض بعد أحاديث الشفاعة وبعد نصب الصراط، إشارة منه إلى أن الورود على الحوض يكون بعد نصب الصراط والمرور عليه، وقد أخرج أحمد والترمذي من حديث النضر بن أنس، عن أنس قال: سألت رسول الله ﷺ أن يشفع لي فقال: «**أنا فاعل**»، فقلت: أين أطلبك؟ قال: «**اطلبني أول ما تطلبني على الصراط**» قلت: فإن لم ألقك؟ قال: «**أنا عند الميزان**»، قلت: فإن لم ألقك؟ قال: «**أنا عند الحوض**». وقال أبو عبد الله القرطبي في «التذكرة»: ذهب صاحب «القوت» وغيرُه إلى أن الحوض يكون بعد الصراط، وذهب آخرون إلى العكس.

والصحيح أن للنبي ﷺ حوضين، أحدهما في الموقف قبل الصراط، والآخر داخل الجنة، وكل منهما يسمى كوثرًا..

قال ابن حجر: وفيه نظر؛ لأن الكوثر نهر داخل الجنة، وماؤه يصب في الحوض، ويطلق على الحوض كوثر؛ لكونه يمد منه، فغاية ما يؤخذ من كلام القرطبي، أن الحوض يكون قبل الصراط، فإن الناس يردون الموقف عطاشًا، فيرِدُ المؤمنون الحوضَ

---

(١) «فتح الباري» (١١/ ٤٦٧).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٣٧٨٧)، والبزار (١٥٣٤)، والطبراني، وقال الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٣٦٢): رواه أحمد والبزار والطبراني في أسانيدهم كلهم عن عثمان بن عمير وهو ضعيف. اهـ وضعفه أحمد شاكر والأرنؤوط في «تخريج المسند».

(٣) «فتح الباري» (١١/ ٤٦٦).

وتتساقط الكفار في النار، بعد أن يقولوا: ربنا عطِشنا، فترفع لهم جهنم كأنها سراب، فيقال: ألا تَرِدُون؟ فيظنونها ماء فيتساقطون فيها. وقد أخرج مسلم من حديث أبي ذر: «أن الحوض يشخب فيه ميزابان من الجنة»(١)، وله شاهد من حديث ثوبان(٢)، وهو حجة على القرطبي لا له؛ لأنه قد تقدم أن الصراط جسر جهنم، وأنه بين الموقف والجنة، وأن المؤمنين يمرون عليه لدخول الجنة، فلو كان الحوض دونه لحالت النار بينه وبين الماء الذي يصب من الكوثر في الحوض، وظاهر الحديث أن الحوض بجانب الجنة؛ لينصب فيه الماء من النهر الذي داخلها وفي حديث ابن مسعود عند أحمد: «ويفتح نهر الكوثر إلى الحوض»(٣). اهـ

قلت: والظاهر من صنيع المصنف شيخ الإسلام هنا أن الحوض قبل الصراط؛ لأنه ذكره قبل الصراط، وذهب إلى هذا الحافظ ابن كثير في «النهاية» حيث قال: إن قال قائل: فهل يكون الحوض قبل الجواز على الصراط، أو بعده؟

قلت: إن ظاهر ما تقدم من الأحاديث يقتضي كونه قبل الصراط؛ لأنه يذاد عنه أقوام يقال عنهم: إنهم لم يزالوا يرتدون على أعقابهم منذ فارقتهم. فإن كان هؤلاء كفارًا فالكافر لا يجاوز الصراط، بل يكب على وجهه في النار قبل أن يجاوزه، وإن كانوا عصاة فهم من المسلمين، فيبعد حجبهم عن الحوض، لا سيما وعليهم سيما الوضوء، وقد قال ﷺ: «أعرفكم غرًّا محجلين من آثار الوضوء». ثم من جاوز لا يكون إلا ناجيًا مسلمًا، فمثل هذا لا يحجب عن الحوض فالأشبه -والله أعلم- أن الحوض قبل الصراط، فأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه عن أنس قال: سألت رسول الله ﷺ أن يشفع لي

---

(١) أخرجه مسلم (٢٣٠٠).

(٢) أخرجه مسلم (٢٣٠١).

(٣) أخرجه أحمد (١/ ٣٩٨-٣٩٩) (٣٧٨٧)، والبزار (١٥٣٤)، والطبراني في «الكبير» (ج٣/ ص٤٠٨/ ح ٩٨٧٦) في حديث طويل عثمان به عمير ضعيف، وضعفه الهيثمي في المجمع، وقال ابن كثير: غريب جدًا. اهـ

يوم القيامة قال: «**أنا فاعل**» قال: فأين أطلبك يوم القيامة يا نبي الله؟ قال: «**اطلبني أول ما تطلبني على الصراط**»، قلت: فإن لم ألقك؟ قال: «**فاطلبني عند الميزان**»، قال: فإن لم ألقك؟ قال: «**فأنا عند الحوض، لا أخطئ هذه الثلاثة المواطن يوم القيامة**».

وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه، والمقصود أن ظاهر هذا الحديث يقتضي أن الحوض بعد الصراط، وكذلك الميزان أيضًا، وهذا لا أعلم به قائلاً، اللهم إلا أن يكون ذلك حوضًا ثانيًا لا يذاد عنه أحد، والله ﷻ أعلم.

وإذا كان الظاهر كونه قبل الصراط، فهل يكون ذلك قبل وضع الكرسي للفصل، أو بعد ذلك؟ هذا مما يحتمل كلًّا من الأمرين، ولم أر في ذلك شيئًا فاصلاً، فالله أعلم أي ذلك يكون.

وقال العلامة أبو عبد الله القرطبي في «التذكرة» أيضًا: واختلف في كون الحوض قبل الميزان. قال أبو الحسن القابسي: والصحيح أن الحوض قبل، قال القرطبي: والمعنى يقتضيه، فإن الناس يخرجون عطاشًا من قبورهم كما تقدم، فيقدم على الميزان والصراط، قال أبو حامد الغزالي في كتاب علم كشف الآخرة: حكى بعض السلف من أهل التصنيف أن الحوض يورد بعد الصراط، وهو غلط من قائله، قال القرطبي: هو كما قال، ثم أورد حديث منع المرتدين على أعقابهم القهقري عنه، ثم قال: وهذا الحديث مع صحته أدل دليل على أن الحوض يكون في الموقف قبل الصراط؛ لأن الصراط من جاز عليه سلم، كما سيأتي.

قلت: وهذا التوجيه قد أسلفناه، ولله الحمد.

قال القرطبي: وقد ظن بعض الناس أن في تحديد الحوض تارة بجرباء وأذرح، وتارة بما بين الكعبة إلى كذا، وتارة بغير ذلك اضطرابًا! قال: وليس الأمر كذلك، فإنه عليه الصلاة والسلام حدث أصحابه مرات متعددة، فخاطب في كل مرة القوم بما يعرفون من الأماكن، وقد جاء في الصحيح تحديده بشهر في شهر، قال: ولا يخطر في بالك

أنه في هذه الأرض، بل في الأرض المبدلة، وهي أرض بيضاء كالفضة، ولم يسفك فيها دم، ولم يظلم على ظهرها أحد قط، تطهر لنزول الجبار ﷻ لفصل القضاء. قال: ورد في الحديث: أن على كل جانب منه واحدًا من الخلفاء الأربعة، فعلى الركن الأول أبو بكر، وعلى الثاني عمر، وعلى الثالث عثمان، وعلى الرابع علي ﷺ.

قلت: وقد رويناه في «الغيلانيات»، ولا يصح إسناده؛ لضعف بعض رجاله. اهـ

الصراط المنصوب على متن جهنم

قوله: (وَالصِّرَاطُ مَنْصُوبٌ عَلَى مَتْنِ جَهَنَّمَ، وَهُوَ الجِسْرُ الَّذِي بَيْنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ).

* **الهراس**: أصل الصراط: الطريق الواسع. قيل: سمي بذلك؛ لأنه يسترط السابلة. أي: يبتلعهم إذا سلكوه، وقد يستعمل في الطريق المعنوي، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

والصراط الأخروي الذي هو الجسر الممدود على ظهر جهنم بين الجنة والنار حق لا ريب فيه؛ لورود خبر الصادق به، ومن استقام على صراط الله الذي هو دينه الحق في الدنيا استقام على هذا الصراط في الآخرة، وقد ورد في وصفه أنه: أدق من الشعرة، وأحد من السيف[1]. اهـ

(١) ورد هذا في كلام بعض الصحابة، كما أخرجه مسلم (١٨٣) في حديث أبي سعيد الخدري الطويل في الرؤية والبعث والشفاعة وفيه: قال أبو سعيد: بلغني أن الجسر أدق من الشعرة وأحد من السيف. اهـ وصح فيما رواه الحاكم (٢/ ٢٧٦) موقوفًا على ابن مسعود: قال: والصراط كحد السيف دحض مزلة. وصح عن سلمان عن النبي ﷺ بلفظ: «ويوضع الصراط مثل حد الموسى». أخرجه الحاكم (٤/ ٥٨٦)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٩٤١)، وأخرجه أحمد (٢٤٨٣٧) من حديث عائشة وفيه: «ولجهنم جسر أدق من الشعر وأحد من السيف ...» وفي إسناده ابن لهيعة ضعيف.

=

❁ قال الشيخ: الإيمان بالصراط، والإيمان بنصبه على متن جهنم من الإيمان باليوم الآخر. والصراط: هو الطريق، وسمي الصراط طريقًا؛ لأنه يُعبر منه إلى الجنة، يَمر على وسط النار حتى ينتهي إلى الجنة، ولا يُمرُّ إلى الجنة إلا منه.

والصراط صراطان: حسي وهو هذا، ومعنوي وهو في الدنيا. والثبات على الحسي حسب الثبات على المعنوي في الدنيا، وجاء في الأحاديث أنه أَدقُّ من الشعر، وأَحَدُّ من السيف، وأَحرُّ من الجمر، وأنه دحض مزلة.

والقوى الحسية لا استطاعة لها على المرور عليه، لا يمر معه إلا بالقوى المعنوية الإيمانية، وهو بحسب الاستقامة على هذا الصراط المعنوي في الدنيا.

والمرور عليه على حسب الأعمال ثباتًا وسقوطًا، وسرعة وإبطاء، واستقامة سواء بسواء؛ ولهذا قال: «على قدر أعمالهم». لا على قدر أجسامهم، كما أن الصراط في الدنيا أحظى الناس به أقواهم إيمانًا لا أجسامًا. اهـ

=

ورواه البيهقي في «الشعب» (٢/ ٢٤٦) عن أنس بأسانيد ضعيفة، ضعفها البيهقي وابن حجر في الفتح (١١/ ٤٥٤)، والسخاوي في «الأجوبة المضيئة» لكن مجموع هذه الطرق وما صح عن سلمان مرفوعًا، وعن أبي سعيد، وابن مسعود يدل على أن لهذا الوصف أصلاً صحيحًا. ولعل هذا الضيق والدقة على غير المتقين الأبرار قال ابن كثير في «النهاية»: وعن سعيد بن أبي هلال قال: بلغنا أن الصراط يوم القيامة -وهو الجسر- يكون على بعض الناس أدق من الشعر، وبعض الناس مثل الوادي الواسع. رواه ابن أبي الدنيا، وهذا الكلام صحيح -إن شاء الله- وقال غيره: بلغني أن الصراط إنما يراه أدق من الشعرة وأحد من السيف الهالك الذي ليس بناجٍ، ويكون على بعض الناس أوسع من القاع والميدان المتسع يمضي كيف شاء. اهـ

قوله: (يَمُرُّ النَّاسُ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَلَمْحِ الْبَصَرِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالْبَرْقِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالرِّيحِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالْفَرَسِ الْجَوَادُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَرُكَّابِ الإِبِلِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْدُو عَدْوًا، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي مَشْيًا، وَمِنْهُمْ مَنْ يَزْحَفُ زَحْفًا، وَمِنْهُمْ مَنْ يُخْطَفُ فَيُلْقَى فِي جَهَنَّمَ؛ فَإِنَّ الْجِسْرَ عَلَيْهِ كَلَالِيبُ تَخْطِفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ).

❁ **العثيمين**: الصراط: وهو الجسر المنصوب على جهنم، أدق من الشعر وأحد من السيف، عليه كلاليب تخطف الناس بأعمالهم، يمرون عليه على قدر أعمالهم كالطرف، وكالبرق، وكالريح، وكأجاويد الخيل والركاب، ومنهم من يخطف فيلقى في النار، فيعذب بقدر عمله. اهـ

❁ **آل الشيخ**: الناس في سرعة المرور على الصراط على أقسام، فأهل السير: هم الذين استقاموا على الطريق المعنوي ولم يتثاقلوا عنه. **«فمنهم من يمر»** عليه **«كلمح البصر، ومنهم من يمر كالبرق الخاطف، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كالفرس الجواد، ومنهم من يمر كركاب الإبل، ومنهم من يعدو عدوًا، ومنهم من يمشي مشيًا، ومنهم من يزحف زحفًا، ومنهم من يخطف»** حتى إن منهم من إذا عبر خُطف خطفًا **«ويلقى في جهنم»**.

فإن **«الجسر»** هو الصراط **«عليه كلاليب تخطف الناس بأعمالهم»** قد حف به كلاليب، هو مثل السير على الصراط المعنوي، وهي شُبهُ الترددِ والتثاقل والسير بالهُوَينا، فكما أن الكلاليب في هذا الصراط المعنوي في الدنيا من الشبهات والشهوات تخطفهم، فتلك الكلاليب تخطف الناس على قدر ما تخطفهم الشبهات والشهوات في تلك الأعمال وبسبب الأعمال، فكما خطفتهم في الدنيا خطفتهم في الآخرة، ومن خُطف سقط في جهنم. اهـ

المرور على الصراط لأهل الإسلام دون الكفار

قوله: (فَمَنْ مَرَّ عَلَى الصِّرَاطِ؛ دَخَلَ الجَنَّةَ).

❁ آل الشيخ: أي: «دخل الجنة» بكل حال، ولا يرد إلى النار أبدًا. والظاهر أن المرور إنما هو لأهل الإسلام، وأن الذي يخطف هو صاحب المعاصي والشبهات والشهوات؛ لأن الكفار لم يدخلوا في هذا الصراط المعنوي في الدنيا. اهـ

❁ ابن باز: الصراط منصوب على متن جهنم، هذا الصراط طريق منصوب على متن جهنم من سقط منه سقط في جهنم، وهذا يرده كل من دخل الجنة، كما قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم: ٧١] فالمؤمنون يردونه وينجون، وغير المؤمنين لا يرده أصلاً، ولا يمر عليه، بل يساق إلى جهنم -نسأل الله العافية- ويرده أناس ويمرون عليه، فمن المؤمنين مَنْ يمر كلمح البصر، ومنهم من يمر كالفرس الجواد، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كأجود الخيل والركاب، تجري بهم أعمالهم، وعلى حسب أعمالهم، ومنهم من يمر عليه حبوًا وزحفًا، يقوم تارة ويسقط أخرى، ومنهم من يخطف ويلقى في جهنم- نسأل الله العافية- كل واحد على حسب الأعمال التي مات عليها، ولا ينجو إلا المؤمنون الصادقون، وما سواهم فإلى النار، نسأل الله العافية.

وبعض الناس يمر ويخدش ويسلم وينجو، وبعضهم يسقط، ويعذب بذنبه، على قدر معاصيه، ثم يخرجه الله من النار إلى الجنة، ولا يخلد في النار إلا الكفار، أما المسلمون العصاة الساقطون فيها فهؤلاء يعذبون تعذيبًا مؤقتًا على حسب معاصيهم، ثم يأذن الله للشفعاء فيشفعون، ومنهم نبينا محمد ﷺ، أعظمهم شفاعة عليه الصلاة والسلام، فيحد الله له حدًّا من هؤلاء العصاء، فيشفع فيهم، فيخرجون من النار، ثم يشفع، ثم يشفع، ثم يشفع، أربع شفاعات، كل شفاعة يحد الله حدًّا فيخرجهم من النار، ويبقى في النار من هذه الأمة من عصاتها قوم لم تشملهم الشفاعة فيخرجهم الله

بعد ذلك بفضل رحمته ﷻ، يخرجهم من النار ويلقون في نهر الحياة- نهر يقال له: نهر الحياة- فينبتون فيه كما تنبت الحبة في حميل السيل، فإذا تم خلقهم أذن لهم في دخول الجنة، وبهذا يعلم المؤمن أن الواجب عليه الحرص على أسباب السلامة، وأن هذه أخطار عظيمة لا من جهة الحوض ولا من جهة الصراط، فالواجب عليه أن يسأل الله حسن الخاتمة، وأن يجتهد في الثبات على الحق والاستقامة عليه والحذر من عقاب الله ﷻ، والحرص على التوبة كلما زلت قدمه بارتكاب ذنب بادر بالتوبة، فإنه ليس بمعصوم، لكن يلزم التوبة كلما حس بتقصير أو ذنب بادر بالتوبة؛ لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٥-١٣٦]، فالمؤمن يحاسب نفسه دائمًا، ويراقب، وينظر، ولا يعجب به، ولا يَمنُّ بعمله، بل يجاهد نفسه لعله ينجو: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٠-٦١]، يقول ابن أبي مليكة: أدركت ثلاثين من أصحاب محمد ﷺ كلهم يخشى النفاق على نفسه، ليس فيهم من يقول إنه على إيمان جبريل وميكائيل[١]. ويقول إبراهيم بن يزيد التيمي: ما عرضت قولي على عملي إلا خشيت أن أكون مكذبًا[٢].

فالواجب الحذر وعدم المن بالعمل والعجب بالعمل، إنما يتقبل الله من المتقين، فالإنسان يجاهد نفسه، ويعرف أنه محل نقص ومحل التقصير، حتى يجتهد ويعرف الحق، ويلزم التوبة حتى يلقى ربه وهو عنه راضٍ. اهـ

---

(١) أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (٥/ ١٣٧)، والخلال في «السنة» (١٠٨٠)، وعلقه البخاري جازمًا في كتاب الإيمان من «صحيحه» ، باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر.

(٢) أخرجه البخاري في «تاريخه» (١/ ٣٣٤)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٩٧٠)، وابن سعد في «الطبقات» (٦/ ٢٨٥)، وعلقه البخاري في كتاب الإيمان من «صحيحه»، باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر.

* قال المصنف[١]: وأما الورود المذكور في قوله تعالى ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ [مريم: ٧١] فقد فسره النبي ﷺ في الحديث الصحيح رواه مسلم في «صحيحه» عن جابر بأنه المرور على الصراط[٢].

والصراط هو الجسر، فلابد من المرور عليه لكل من يدخل الجنة من كان صغيرًا في الدنيا ومن لم يكن. اهـ

* وقال[٣]: ولفظ الورود يحتمل العبور والدخول، وأيضًا فالورود والدخول قد يراد ورود أعلاها.

وقد ثبت في الصحيح أنهم إذا عبروا على الصراط منهم من يمر كالطرف، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كأجاويد الخيل[٤].

وفسر النبي ﷺ الورود بهذا، وهذا عام لجميع الخلق، فلما قالت حفصة: أليس الله يقول: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ [مريم: ٧١] لم تكن هذه معارضة صحيحة لما أخبر به، فبين لها النبي ﷺ بعد أن زجرها أن الله قال ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا ﴾ [مريم: ٧٢] فتلك النجاة هي المعنى الذي أراده بقوله: «**لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة**»[٥]. اهـ

* **وقال أيضًا**[٦]: وأما الورود فهو مرور الناس على الصراط، كما فسره في الحديث الصحيح حديث جابر بن عبد الله، وهذا المرور لا يطلق عليه اسم الدخول الذي يُجزى به العصاة وينفى عن المتقين. اهـ

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٤ / ٢٧٩).
(٢) لم أجده.
(٣) «درء تعارض العقل والنقل» (٥ / ٢٣٠).
(٤) تقدم تخريجه.
(٥) أخرجه مسلم (٢٤٩٦) عن أم مبشر أنها سمعت النبي ﷺ يقول عند حفصة: «**لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد الذين بايعوا تحتها**»، قالت: بلى يا رسول الله. فانتهرها، فقالت حفصة: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾، فقال النبي ﷺ: «قد قال الله عز وجل: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾».
(٦) «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» (١ / ٢٢٩).

القصاص

قوله: (فَإِذَا عَبَرُوا عَلَيْهِ؛ وَقَفُوا عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيُقْتَصُّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ).

❁ **العثيمين**: إذا عبروا الصراط وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار، فيقتص لبعضهم من بعض قصاصًا تزول به الأحقاد والبغضاء؛ ليدخلوا الجنة إخوانًا متصافين. اهـ

❁ **آل الشيخ**: قوله: «قنطرة» الظاهر أنها جسر يقفون عليه «بين الجنة والنار». والسر في الوقوف على هذه القنطرة «ليُقتص لبعضهم من بعض» فإنه لابد من أخذ الحقوق فلا أحد يدخل الجنة أو النار حتى تؤخذ الحقوق التي له، أو التي عليه ويؤديها، فلا يدخلونها من تلك القنطرة حتى يُهذبوا وينقوا.

«فإذا هذبوا ونقوا» من درن الذنوب وأرجاس المعاصي، ويصلحون لمجاورة الرب الكريم في دار الخلد، «أُذن لهم في دخول الجنة» لأن الجنة دار طيبة في جوار الطيب سبحانه، ولا يدخلها إلا طيب، كما قال سبحانه: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣] فالفاء للسببية فلا يدخلها أحد عنده دَرَنٌ: ذنب أو مظلمة. اهـ

قال المصنف(١): وفي الصحيح: «أنه إذا عبر أهل الجنة الصراط وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار، فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هُذِّبُوا ونُقُّوا أذن لهم في دخول الجنة»(٢). فلا يدخلون الجنة إلا بعد التهذيب والتنقية كما قال تعالى: ﴿طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾. اهـ

---

(١) «منهاج السنة النبوية» (٥ / ٣١٤).

(٢) أخرجه البخاري (٢٤٤٠، ٦٥٣٥) عن أبي سعيد بمعناه.

استفتاح الجنة وأول من يدخلها

❁ **آل الشيخ**: قوله: (وَأَوَّلُ مَنْ يَسْتَفْتِحُ بَابَ الْجَنَّةِ مُحَمَّدٌ ﷺ).

يعني: يطلب فتحها ودخولها نبينا «محمد ﷺ»، فلا أحد يطلب ويسأل فتحها ليدخل فيها قبل نبينا محمد ﷺ. اهـ

❁ **الهراس**: قوله: «وأول من يستفتح باب الجنة محمد ﷺ». يعني: أول من يحرك حلقها طالبًا أن يفتح له بابها، كما قال ﷺ: «**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر، وأنا أول من يحرك حلق الجنة، فأدخلها ويدخلها معي فقراء أمتي**»[1]. اهـ

❁ **ابن باز**: يقول المؤلف رحمه الله: أول من يستفتح باب الجنة هو محمد ﷺ نبينا عليه السلام، والله جل وعلا أمر أن لا يفتح بابها لأحد قبله، فهو أول من يستفتح بابها، وأول من يقرع بابها، ويقول له الخازن: أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك. اللهم صل عليه وسلم، وأول من يدخل الجنة من الأمم بعد الأنبياء عليهم السلام أمته، فأفضل الأمم أمة محمد ﷺ، وهي أول من يدخل الجنة. اهـ

قوله: (وَأَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنَ الأُمَمِ أُمَّتُهُ).

❁ **الهراس**: يعني: بعد دخول الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام يكون فقراء هذه الأمة أول الناس دخولًا الجنة. اهـ

---

(١) أخرجه أحمد (٢٥٤٦، ٢٦٩٢)، والدارمي (٤٧)، والترمذي (٣٦١٦) من حديث ابن عباس، وقال الترمذي: حسن غريب. أي: ضعيف وهو كما قال: فيه زمعة بن صالح ضعيف، وضعفه الألباني أيضًا. وقوله: «أنا سيد الناس يوم القيامة ولا فخر، وأول من تنشق عنه الأرض ولا فخر» صحيح له شاهد عن أبي هريرة. أخرجه أحمد (١٠٩٨٥)، وأبو داود (٤٦٧٥) بإسناد حسن، وله شواهد أخرى.

* قال الشيخ: فإنها أول الأمم دخولًا، وإن كانت آخرها وجودًا، كما عرف ذلك من الأحاديث الصحاح، كما في قوله ﷺ: «**نحن الآخرون السابقون يوم القيامة**»[١]، وذلك لأن الله شرع لهذه الأمة أعمالًا لم تشرع لمن قبلهم، تفضلًا عليهم بأن كانوا هم أول الأمم دخولًا الجنة، وليس أنهم أكثر الأمم أعمالًا، ففي هذا فضيلة هذه الأمة كونها آخر الأمم وجودًا وأولها دخولًا الجنة. اهـ

فضل النبي ﷺ وأمته

قال المصنف[٢]: وأفضل أولي العزم محمد ﷺ خاتم النبيين، وإمام المتقين، وسيد ولد آدم، وإمام الأنبياء إذا اجتمعوا، وخطيبهم إذا وفدوا، صاحب المقام المحمود، الذي يغبطه به الأولون والآخرون، وصاحب لواء الحمد، وصاحب الحوض المورود، وشفيع الخلائق يوم القيامة، وصاحب الوسيلة والفضيلة، الذي بعثه بأفضل كتبه، وشرع له أفضل شرائع دينه، وجعل أمته خير أمة أخرجت للناس، وجمع له ولأمته من الفضائل والمحاسن ما فرقه فيمن قبلهم، وهم آخر الأمم خلقًا وأول الأمم بعثًا، كما قال ﷺ في الحديث الصحيح: «**نحن الآخرون السابقون يوم القيامة، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم، فهذا يومهم الذي اختلفوا فيه** - يعني: يوم الجمعة - **فهدانا الله له، الناس لنا تبع فيه، غدًا لليهود وبعد غد للنصارى**»[٣]. وقال ﷺ: «**أنا أول من تنشق عنه الأرض**»[٤]، وقال ﷺ: «**آتي باب الجنة فأستفتح فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: أنا محمد. فيقول: بك أمرت ألّا أفتح لأحد قبلك**»[٥].

---

(١) رواه البخاري (٢٣٨، ٨٧٦، ٩٥٦، ٦٨٨٧، ٧٤٩٥)، ومسلم (٨٥٥).
(٢) «مجموع الفتاوى» (١١/ ١٦٢).
(٣) تقدم.
(٤) تقدم.
(٥) أخرجه مسلم (١٩٧) عن أنس.

وفضائله ﷺ وفضائل أمته كثيرة، ومن حين بعثه الله جعله الله الفارق بين أوليائه وبين أعدائه، فلا يكون وليًا لله إلا من آمن به، وبما جاء به، واتبعه باطنًا وظاهرًا، ومن ادعى محبة الله وولايته وهو لم يتبعه فليس من أولياء الله، بل من خالفه كان من أعداء الله وأولياء الشيطان، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٣١]، قال الحسن البصري رحمه الله: ادعى قوم أنهم يحبون الله فأنزل الله هذه الآية محنة لهم. اهـ

الإيمان بالشفاعة يوم القيامة وشفاعات النبي ﷺ

قال المصنف رحمه الله: (وَلَهُ ﷺ فِي القِيَامَةِ ثَلاثُ شَفَاعَاتٍ:

أَمَّا الشَّفَاعَةُ الأُولَى: فَيَشْفَعُ فِي أَهْلِ المَوْقِفِ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَهُمْ بَعْدَ أَنْ يَتَرَاجَعَ الأَنْبِيَاءُ آدَمُ، وَنُوحٌ، وَإِبْرَاهِيمُ، وَمُوسَى، وَعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَنِ الشَّفَاعَةِ حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَيْهِ.

وَأَمَّا الشَّفَاعَةُ الثَّانِيَةُ: فَيَشْفَعُ فِي أَهْلِ الجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلُوا الجَنَّة، وَهَاتَانِ الشفاعتان خَاصَّتَانِ لَهُ.

وَأَمَّا الشَّفَاعَةُ الثَّالِثَةُ: فَيَشْفَعُ فِيمَنْ اسْتَحَقَّ النَّارَ، وَهَذِهِ الشَّفَاعَةُ لَهُ وَلِسَائِرِ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَغَيْرِهِم، فَيَشْفَعُ فِيمَنْ اسْتَحَقَّ النَّارَ أَنْ لا يَدْخُلَهَا، وَيُشَفَّعُ فِيمَنْ دَخَلَهَا أَنْ يَخْرُجَ مِنْهَا، وَيُخْرِجُ الله مِنَ النَّارِ أَقْوَامًا بِغَيْرِ شَفَاعَةٍ؛ بَل بِفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ، وَيَبْقَى فِي الجَنَّةِ فَضْلٌ عَمَّنْ دَخَلَهَا مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، فَيُنْشِئُ الله لَهَا أَقْوَامًا، فَيُدْخِلُهُمْ الجَنَّةَ.

وَأَصْنَافُ مَا تَضَمَّنَتْهُ الدَّارُ الآخِرَةِ مِنَ الحِسَابِ وَالثَّوَابِ وَالعِقَابِ وَالجَنَّةِ وَالنَّارِ وَتَفَاصِيلِ ذَلِكَ مَذْكُورَةٌ فِي الكُتُبِ المُنَزَّلَةِ مِنَ السَّمَاءِ، وَالآثَارِ مِنَ العِلمِ المَأْثُورِ عَنِ الأَنْبِيَاءِ، وَفِي العِلمِ المَوْرُوثِ عَنْ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ ذَلِكَ مَا يَشْفِي وَيَكْفِي، فَمَنْ ابْتَغَاهُ وَجَدَه).

الشرح

تعريف الشفاعة

❁ **العثيمين**: الشفاعة: وهي التوسط للغير بجلب منفعة، أو دفع مضرة، ولا تكون إلا بإذن الله للشافع، ورضاه عن المشفوع له. اهـ

❁ **آل الشيخ**: اشتقاق الشفاعة من الشفع، خلاف الوتر. والشفع: الاثنان، سمي شفعًا؛ لأن طالب الحاجة يكون اثنين بعد أن كان واحدًا.

❁ **الهراس**: أصل الشفاعة من قولنا: شفع كذا بكذا: إذا ضمه إليه، وسمي الشافع شافعًا؛ لأنه يضم طلبه ورجاءه إلى طلب المشفوع له. اهـ

❁ **السعدي**: ذكر المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا الكلام النفيس المتعلق باليوم الآخر المأخوذ من نصوص الكتاب والسنة، وهو كلام واضح جامع، وأحال على الكتاب والسنة في بقية تفاصيل اليوم الآخر، وقد كتب أهل الإسلام من النصوص الكثيرة من الكتاب والسنة فيما يتعلق باليوم الآخر وبالجنة والنار تفاصيل ذلك شيئًا كثيرًا وتصانيف طوالًا مبسوطة مستقلة، وكل ذلك داخل في الإيمان باليوم الآخر.

واعلم أن أصل الجزاء على الأعمال خيرها وشرها ثابت بالعقل، كما هو ثابت بالسمع، فإن الله نبه العقول إلى ذلك في مواضع كثيرة من الكتاب، وذكرهم ما هو مستقر في العقول الصحيحة، من أنه لا يليق بحكمة الله وحمده أن يترك الناس سدى، وأن يكونوا خلقوا عبثًا لا يؤمرون ولا ينهون، ولا يثابون ولا يعاقبون، وأن العقول الصحيحة تنكر ذلك أشد الإنكار. وكذلك نبههم على ذلك بما أوقعه من أيامه في الدنيا من إثابة الطائعين، وتعجيل بعض ثوابهم، وعقوبة الطاغين وإذاقتهم بعض ما وعدوا به، وهذا شيء مشاهد محسوس متناقل بين الناس بالتواتر الذي لا يقبل الشك، ولا يزال الله يري عباده آياته في الآفاق وفي أنفسهم، ما يتبين به الحق لأولي العقول والألباب. وأما تفاصيل الجزاء ومقاديرها، فلا يدرك إلا بالسمع والنقول الصحيحة عن النبي ﷺ، الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.

ومن الحكمة في محاسبة الخلق على أعمالهم، ووزنها، وظهورها مكتوبة في الصحف مع إحاطة علم الله بذلك؛ ليري عباده كمال حمده، وكمال عدله، وسعة رحمته، وعظمة ملكه؛ ولهذا قيد ملكه ليوم الدين في عدة مواضع من كتابه مع أن ملكه عام مطلق لهذه المعاني وغيرها. اهـ

قوله: (وَلَهُ ﷺ فِي القِيَامَةِ ثَلاثُ شَفَاعَاتٍ).

❁ **ابن باز**: للنبي ﷺ ثلاث شفاعات يوم القيامة:

١- الشفاعة العظمى، في أهل الموقف حتى يقضى بينهم ويحاسبوا، وذلك بعد أن يتراجع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام عنها: آدم، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى بن مريم. إذا اشتد الموقف يفزع الناس إلى آدم عليه السلام فيقولون: يا آدم أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته، وعلمك أسماء كل شيء، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟ أي: من المشقة والشدة. فيقول عليه الصلاة والسلام: لست هناكم، إن ربي غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، ويذكر خطيئته، وهي أكله من الشجرة، وهو قد تاب منها، ولكن من شدة ورع الأنبياء وخوفهم وكمال إيمانهم عليهم الصلاة والسلام، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح، فيأتون نوحًا عليه الصلاة والسلام، فيقولون: أنت أول رسول أرسله الله إلى الأرض -يعني: بعدما وقع الشرك فيهم- وقد سماك الله عبدًا شكورًا، ألا ترى ما قد بلغنا؟ اشفع لنا إلى ربك. فيقول مثل ما قال آدم: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، ويذكر دعوته على أمته، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى إبراهيم عليه الصلاة والسلام، فيأتون إبراهيم فيقولون مثل ذلك، فيقول: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولا يغضب بعده مثله، وذكر كذباته الثلاث التي كذبها في ذات الله، قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصافات: ٨٩]، وقوله: ﴿فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾ [الأنبياء: ٦٣][١]، فيقول: اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى موسى. فيأتون موسى عليه الصلاة والسلام، فيقول مثل قولهم: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده

(١) عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «ثنتين في ذات الله وواحدة في شأن سارة، قال: إنها أخته». أخرجه البخاري (٣٣٥٨)، ومسلم (٢٣٧١).

مثله، وإني قد قتلت نفسًا لم أؤمر بقتلها، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى عيسى عليه الصلاة والسلام. فيأتون عيسى، فيقولون له: اشفع لنا إلى ربك، فيعتذر عيسى، ويقول لهم مثل ما قال من قبله: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، اذهبوا إلى محمد، عبد قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. قال: فيأتوني، فأقول: أنا لها، أنا لها- اللهم صل وسلم عليه- ثم يتقدم إلى ربه، فيسجد تحت العرش بين يدي ربه، ويحمده بمحامد عظيمة يفتحها الله عليه ثم يقال: يا محمد ارفع رأسك، وقل يسمع، وسل تعطه، واشفع تشفّع، فيشفع في أهل الموقف حتى يقضى بينهم (١).

٢- ويشفع في أهل الجنة حتى يدخلوها.

٣- ثم يشفع شفاعة أخرى في أناس دخلوا النار بذنوبهم ومعاصيهم، فيحد الله له حدًّا، فيخرجهم من النار، ثم يشفع، فيحد الله له حدًّا، فيخرجهم من النار، ثم يشفع، فيحد الله له حدًّا، فيخرجهم من النار، ثم يشفع، فيحد له حدًّا، فيخرجهم من النار، أربع مرات، عليه الصلاة والسلام، كما جاء في «الصحيح»(٢).

ويشفع الأنبياء والمؤمنون والأفراط(٣)، مثلما قال المؤلف: تفاصيل يوم القيامة أمر عظيم، ويبقى في النار جملة من الموحدين لم تعمهم الشفاعات من الموحدين الذين دخلوها بذنوبهم، فيخرجهم الله من النار برحمته جل وعلا بغير شفاعة أحد، هم البقية، وقد امتحشوا واحترقوا بالنار، فيلقون في نهر الحياة، فينبتون كما تنبت الحِبَّة في حميل السيل، فإذا تم خلقهم أدخلهم الله الجنة بفضل رحمته ﷻ، ولا يبقى في النار من الموحدين أحد، ما يبقى فيها إلا الكفار الذين كتب الله عليهم الخلود فيها لكفرهم بالله، كما قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧]، وقال في حقهم: ﴿مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء: ٩٧]، وقال

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٤٠)، ومسلم (١٩٤).

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٦٥)، ومسلم (١٩٢) عن أنس.

(٣) هم من مات من أولاد المؤمنين قبل البلوغ.

تعالى في حقهم: ﴿ فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴾ [النبأ: ٣٠]، وقال تعالى في حقهم: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ [المائدة: ٣٧]، نعوذ بالله، وقال في حقهم: ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ ﴾ أي في الدنيا ﴿وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴾ [فاطر: ٣٧]، هذه حالهم، وهذه نهايتهم العذاب السرمدي أبد الآباد، لا تنتهي النار، ولا يخرجون منها، نسأل الله تعالى العافية.

أما تفاصيل يوم القيامة، وما يتعلق بالميزان، وبحال الميزان وبثقله، وتوزيع الصحف، وما يصيبهم من الكرب العظيم، إلى غير ذلك، كل هذا موجود بعضه في القرآن وبعضه في الأحاديث الصحيحة من أراده وجده. اهـ

❁ **آل الشيخ**: والإيمان بالشفاعات من جملة الإيمان باليوم الآخر.

وللنبي ﷺ في القيامة ثلاث شفاعات بالنسبة إلى الشفاعات العمومية، وإلا هناك شفاعات غير ما ذكره المصنف، كشفاعته في عَمِّه؛ لتخفيف العذاب لا إخراجه، فثنتان مختصتان به، وواحدة مشتركة. اهـ

❁ **الهراس**: والشفاعة من الأمور التي ثبتت بالكتاب والسنة، وأحاديثها متواترة، قال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] فنفيُ الشفاعة بلا إذن إثبات للشفاعة من بعد الإذن، قال تعالى عن الملائكة: ﴿ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴾ [النجم: ٢٦]. فبين الله الشفاعة الصحيحة، وهي التي تكون بإذنه، ولمن يرتضي قولَه وعملَه.

الرد على من نفى الشفاعة

وأما ما يتمسك به الخوارج والمعتزلة في نفي الشفاعة من مثل قوله تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴾ [المدثر: ٤٨]، ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ ﴾ [البقرة: ١٢٣]، ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴾ [الشعراء: ١٠٠].. إلخ، فإن الشفاعة المنفية هنا هي الشفاعة في أهل

الشرك، وكذلك الشفاعة الشركية التي يثبتها المشركون لأصنامهم، ويثبتها النصارى للمسيح والرهبان، وهي التي تكون بغير إذن الله ورضاه. اهـ

تفصيل شفاعات النبي ﷺ يوم القيامة

قوله: (أَمَّا الشَّفَاعَةُ الأُولَى: فَيَشْفَعُ فِي أَهْلِ المَوْقِفِ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَهُمْ بَعْدَ أَنْ يَتَرَاجَعَ الأَنْبِيَاءُ آدَمُ، وَنُوحٌ، وَإِبْرَاهِيمُ، وَمُوسَى، وَعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَنِ الشَّفَاعَةِ حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَيْهِ).

❁ **الهراس:** هذه هي الشفاعة العظمى، وهي المقام المحمود الذي يغبطه به النبيون، والذي وعده الله أن يبعثه إياه بقوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾(١) [الإسراء: ٧٩]، يعني: يحمده عليه أهل الموقف جميعًا. وقد أمرنا نبينا ﷺ إذا سمعنا النداء أن نقول بعد الصلاة عليه: **«اللهم رب هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة، آت محمدًا الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقامًا محمودًا الذي وعدته»**(٢). اهـ

❁ **آل الشيخ:** الشفاعة الأولى:

«يشفع» إلى الله **«في أهل الموقف حتى يقضى بينهم»** فيستريحوا من كرب الموقف الذي تقدم من صفته قرب الشمس والعرق... إلخ. **«بعد أن تراجع الأنبياء -آدم، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى ابن مريم- عن الشفاعة»** كلٌّ من هؤلاء يعتذر **«حتى تنتهي إليه»**، فيقول ﷺ: **«أنا لها»**، قال ﷺ: **«فيفتح عليَّ من المحامد ما لا أحسنه**

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٤٠) عن أنس في حديث الشفاعة الطويل، وفي آخره بعد ذكر شفاعته في إخراج عصاة الموحدين من النار، قال في الرابعة: «ثم أشفع فيحد لي حدًا فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة حتى ما يبقى في النار إلا من حبسه القرآن» أي: وجب عليه الخلود، ثم تلا هذه الآية: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩]، قال: وهذا المقام المحمود الذي وعده نبيكم ﷺ.

(٢) أخرجه البخاري (٦١٤، ٤٧١٩)، وأحمد (٣/ ٣٥٤)، وأبو داود (٥٢٩)، وغيرهم من حديث جابر.

الآن، قال: فيقال اسال تعط، واشفع تشفع...»[١] إلخ، وهي التي في الحديث: «وأُعطيتُ الشفاعة»[٢]، وهذه الشفاعة العظمى، وهي المقام المحمود الذي أوتيه ﷺ. يعني: الذي يحمده الأولون والآخرون. يعني: الذي يُغبط به، الذي فيه فضل ومرتبة عليا، فإن هذا المقام ليس لأحد سواه، بل هو مختص به ﷺ.

وقيل: إنه إجلاسه معه على العرش، جاء في الحديث أنه يقعد مع الله تعالى على العرش كما ثبتت به السنة[٣]، ويكون هذا أيضًا من المقام المحمود. والظاهر أنه لا

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه البخاري (٣٣٥، ٤٣٨)، ومسلم (٥٢١)، من حديث جابر.

(٣) يعني ما رواه الإمام أحمد (٣٧٨٧)، والبزار (١٥٣٤)، والطبراني من حديث ابن مسعود، وفيه: فقال رجل من الأنصار يا رسول الله هل وعدك ربك فيها؟ فقال: «ما شاء الله ربي، وما أطمعني فيه، وإني لأقوم المقام المحمود يوم القيامة»، فقال الأنصاري: يا رسول الله وما ذاك المقام المحمود؟ قال: «ذاك إذا جيء بكم حفاة عراة غرلاً، فيكون أول من يكسى إبراهيم عليه السلام، فيقول: اكسوا خليلي فيؤتى بريطتين بيضاوين فيلبسهما ثم يقعده مستقبل العرش، ثم أوتي بكسوتي فألبسها فأقوم عن يمينه مقامًا لا يقومه أحد، فيغبطني فيه الأولون والآخرون...» الحديث، وفي سنده ضعف، وصحَّ عن السلف إثبات ذلك فقد. رواه ابن أبي شيبة في المصنف» (٣١٦٥٢)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٣٦٥)، والخلال في «السنة» (٢٤١، ٢٤٢)، وابن جرير في «تفسيره» (٨/ ١٣٢) موقوفًا على مجاهد، في قوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ قال: يجلسه على العرش، وقال ابن جرير في «تفسيره» (٨/ ١٣٤): ما قاله مجاهد من أن الله يُقْعِد محمدًا على عرشه، قولٌ غير مدفوع صحتُه، لا من جهة خبر ولا نظر. اهـ، ورواه الخلال في «السنة» في باب ذكر المقام المحمود (٢٣٦) عن عبد الله بن سلام، قال: إن محمدًا ﷺ يوم القيامة بين يدي الرب عز وجل على كرسي الرب تبارك وتعالى.

وحديث مجاهد رواه الخلال من طريق محمد بن أحمد بن واصل المقري، ثم قال: فسمعته يقول: من رد حديث مجاهد فهو جهمي، ثم رواه الخلال عن أبي داود السجستاني صاحب السنن ثم قال: وسمعت أبا داود يقول: من أنكر هذا فهو عندنا متهم، ما زال الناس يحدثون بهذا، يريدون مغايظة الجهمية، وذلك أن الجهمية ينكرون أن على العرش شيئًا. ثم رواه من طريق أبي بكر يحيى بن أبي طالب ثم قال: قال أبو بكر من رده فقد رد على الله عز وجل، ومن كذب بفضيلة النبي ﷺ فقد كفر بالله العظيم.

ثم قال: وأخبرني أحمد بن أصرم المزني بهذا الحديث، وقال: من رد هذا فهو متهم على الله ورسوله وهو عندنا كافر، وزعم أن من قال بهذا ثنوي، فقد زعم أن العلماء والتابعين ثنوية، ومن قال بهذا فهو زنديق يقتل.

=

منافاة بين القولين، فيتقدم فيشفع بإذن الرب جل وعلا في أهل الموقف؛ ليحاسبوا، فإن الرب تعالى لا يأتي الخلق في الفصل إلا بعد شفاعته ﷺ. فإن أهل الموقف إذا اشتد بهم الكرب العظيم ينظرون ويتراجعون(١): من هو الذي يشفع لنا عند ربنا؛ ليفرج عنا من كرب هذا الموقف؟ فيذكرون أباهم آدم... إلخ. اهـ

قوله: (وَأَمَّا الشَّفَاعَةُ الثَّانِيَةُ: فَيَشْفَعُ فِي أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلُوا الْجَنَّةَ).

❁ **الهراس**: يعني: أنهم وقد استحقوا دخول الجنة لا يؤذن لهم بدخولها إلا بعد شفاعته. اهـ

❁ **آل الشيخ**: فإن أهل الجنة الذين استوجبوها بسبب الأعمال الصالحة لا يدخلونها إلا بعد استفتاحها، فيشفع لهم أن يدخلوا الجنة، وكذلك أهل الجنة من سائر الأمم. اهـ

=

ثم قال الخلال: قال أبو بكر بن حماد المقرئ: من ذكرت عنده هذه الأحاديث فسكت فهو متهم على الإسلام، فكيف من طعن فيها؟! وقال أبو جعفر الدقيقي: من ردها فهو عندنا جهمي، وحكم من رد هذا أن يتقى. وقال عباس الدوري: لا يردها إلا متهم.

وقال إسحاق بن راهويه: الإيمان بهذا الحديث والتسليم له. وقال إسحاق لأبي علي القوهستاني: من رد هذا الحديث فهو جهمي. وقال عبد الوهاب الوراق للذي رد فضيلة النبي ﷺ يقعده على العرش: فهو متهم على الإسلام. وقال إبراهيم الأصبهاني: هذا الحديث حدث به العلماء منذ ستين ومائة سنة، ولا يرده إلا أهل البدع. قال: وسألت حمدان بن علي عن هذا الحديث، فقال: كتبته منذ خمسين سنة وما رأيت أحدًا يرده إلا أهل البدع، وقال إبراهيم الحربي: حدثنا هارون بن معروف وما ينكر هذا إلا أهل البدع... إلى آخر ما ذكر من العلماء الذين يثبتون هذا الأثر.

(١) أي: يتراجعون الحديث بينهم.

قوله: (وَهَاتَانِ الشفاعتان خَاصَّتَانِ لَهُ).

❁ **الهراس**: يعني: الشفاعة في أهل الموقف، والشفاعة في أهل الجنة أن يدخلوها.

وتنضم إليهما ثالثة، وهي شفاعته في تخفيف العذاب عن بعض المشركين، كما في شفاعته لعمه أبي طالب، فيكون في ضحضاح من نار، كما ورد بذلك الحديث(١). اهـ

❁ **آل الشيخ**: قوله: (**وهاتان الشفاعتان خاصتان له**) الأولى: الشفاعة في محاسبة الخلائق، وهذه الثانية في الذين استحقوا دخول الجنة بفضل الله ورحمته وتوفيقه لهم للأعمال الصالحة في حياتهم، وموتهم على الإيمان. اهـ

قوله: (**وَأَمَّا الشَّفَاعَةُ الثَّالِثَةُ: فَيَشْفَعُ فِيمَنْ اِسْتَحَقَّ النَّارَ، وَهَذِهِ الشَّفَاعَةُ لَهُ وَلِسَائِرِ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَغَيْرِهم فَيَشْفَعُ فِيمَنْ اِسْتَحَقَّ النَّارَ أَنْ لا يَدْخُلَهَا، وَيُشَفَّعُ فِيمَنْ دَخَلَهَا أَنْ يَخْرُجَ مِنْهَا**).

❁ **الهراس**: هذه هي الشفاعة التي ينكرها الخوارج والمعتزلة؛ فإن مذهبهم أن من استحق النار لابد أن يدخلها، ومن دخلها لا يخرج منها لا بشفاعة ولا بغيرها. والأحاديث المستفيضة المتواترة ترد على زعمهم وتبطله. اهـ

❁ **آل الشيخ**: «**وأما الشفاعة الثالثة: فيشفع فيمن استحق النار**» من عصاة الموحدين خاصة، «**وهذه الشفاعة**» هو فيها سيد الشفعاء وأكملهم فيها، وليست مختصة، بل هي «**له ولسائر النبيين والصديقين وغيرهم، فيشفع**» الأنبياء، والرسل،

---

(١) يعني: حديث العباس بن عبد المطلب ﷺ قال للنبي ﷺ: ما أغنيت عن عمك؟ فإنه كان يحوطك ويغضب لك؟ قال: «هو في ضحضاح من نار ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار».
أخرجه البخاري (٣٨٨٣، ٦٢٠٨، ٦٥٧٢)، ومسلم (٢٠٩)، ونحوه من حديث أبي سعيد أخرجه البخاري (٣٨٨٥، ٦٥٦٤)، ومسلم (٢١٠).

والأولياء، والملائكة، والأَفْراط، وغيرهم ممن أذن الله لهم أن يشفعوا كما جاء في النصوص، وهذه هي التي ينكرها المعتزلة.

وأما أهل السنة فإن قولهم فيها هو ما دل عليه الكتاب والسنة، وهو أن أحكامهم في الدنيا حكم المسلمين، إن قام عليهم حَدٌّ أقيم عليهم، وفي الآخرة مُعرَّضون للوعيد ومَخُوْفٌ عليهم، ومع ذلك يؤمنون بالأخبار المتواترة عن النبي ﷺ في الآخرة من الشفاعة للعصاة.

فيشفع ﷺ فيمن استحق النار أن لا يدخلها، ويشفع فيمن دخلها منهم أن يخرج منها قبل أن يُطهَّروا من أوضار الذنوب(١)، فإذا طُهِّروا أُخرجوا، إذا كانوا ماتوا على التوحيد، كما بُيِّنَ في الأحاديث أن من مات على التوحيد غير مشرك فالشفاعة تتناوله، قال ﷺ: «**وإني اختبأت دعوتي شفاعةً لأمتي يوم القيامة، فهي نائلة- إن شاء الله- من لا يشرك بالله شيئًا**»(٢). اهـ

أقسام الشفاعة

* **العثيمين**: تنقسم الشفاعة إلى قسمين خاصة بالنبي ﷺ، وعامة له ولغيره من النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين.

* فالخاصة بالنبي ﷺ ذكر المؤلف منها نوعين: الأول: الشفاعة العظمى، حيث يشفع في أهل الموقف إلى الله؛ ليقضي بينهم بعد أن تطلب الشفاعة من آدم، فنوح، فإبراهيم، فموسى، فعيسى -عليهم الصلاة والسلام- فلا يشفعون حتى تنتهي إلى النبي ﷺ فيشفع، فيقبل الله منه، وهذا من المقام المحمود الذي وعده الله بقوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩].

---

(١) الأوضار: الأوساخ. كما في «لسان العرب».
(٢) رواه البخاري (٦٣٠٤، ٧٤٧٤)، ومسلم (١٩٨، ١٩٩) من حديث أبي هريرة ﷺ.

الثاني: شفاعته في أهل الجنة أن يدخلوها.

* وأما الشفاعة العامة فذكر المؤلف منها نوعين:

الأول: الشفاعة فيمن استحق النار من المؤمنين أن لا يدخلها.

الثاني: الشفاعة فيمن دخلها منهم أن يخرج منها؛

وهذان النوعان ينكرهما المعتزلة والخوارج بناء على قولهم: إن فاعل الكبيرة مخلد في النار فلا تنفعه الشفاعة.

ويخرج الله أقوامًا من النار بغير شفاعة بل بفضله ورحمته، ويبقى في الجنة فضل عمن دخلها من أهل الدنيا فينشئ الله لها أقوامًا فيدخلهم الجنة. اهـ

* **ابن باز**: الشفاعات التي تقع يوم القيامة ست شفاعات معروفة من الأدلة الشرعية منها ثلاث شفاعات تختص بالنبي ﷺ وهي:

الأولى: الشفاعة العظمى في أهل الموقف حتى يقضى بينهم.

الثانية: الشفاعة في أهل الجنة حتى يدخلوها.

الثالثة: شفاعته ﷺ في تخفيف العذاب عن عمه أبي طالب حتى يجعل في ضحضاح من النار، وهذه الشفاعة خاصة بالنبي وبأبي طالب عمه، وأما ما سواه من الكفار فلا شفاعة فيهم؛ لقوله تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨].

الرابعة والخامسة: شفاعته فيمن استحق النار ألا يدخلها، وفيمن دخلها أن يخرج منها.

السادسة: شفاعته في رفع درجات أهل الجنة، وهذه الشفاعة الأخيرة عامة للنبي ﷺ وغيره من الأنبياء والصالحين والملائكة وصغار الموتى من أطفال المسلمين، وكلها خاصة بأهل التوحيد، وأما الكفار فيخلدون في نار جهنم ولا يذوقون فيها الموت كما قال سبحانه تعالى: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا﴾، ونحوها من الآيات. وأما من دخلها من

العصاة الموحدين فإنه لا يخلد فيها بل يخرج منها بعد التطهير والتمحيص، وثبت في «الصحيح» عن النبي ﷺ أن العصاة يموتون فيها، ثم يخرجون منها كالحمم، فينبتون فيها كما ينبت الحب في حميل السيل[1]. اهـ

إثبات الشفاعة لأهل الكبائر والرد على منكريها

* **قال شيخ الإسلام**[2]: الخوارج والمعتزلة على منع الشفاعة لأهل الكبائر؛ إذ منعوا أن يشفع لمن يستحق العذاب، أو أن يخرج من النار من يدخلها، ولم ينفوا الشفاعة لأهل الثواب في زيادة الثواب.

ومذهب سلف الأمة، وأئمتها، وسائر أهل السنة والجماعة: إثبات الشفاعة لأهل الكبائر، والقول بأنه يخرج من النار من في قلبه مثقال ذرة من إيمان.

وأيضًا: فالأحاديث المستفيضة عن النبي ﷺ في الشفاعة، فيها استشفاع أهل الموقف؛ ليقضى بينهم وفيهم المؤمن والكافر وهذا فيه نوع شفاعة للكفار.

وأيضًا: ففي «الصحيح» عن العباس بن عبد المطلب أنه قال: يا رسول الله، هل نفعت أبا طالب بشيء، فإنه كان يحوطك ويغضب لك؟ قال: **«نعم هو في ضحضاح من نار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار»**[3]، وعن عبد الله بن الحارث قال: سمعت العباس يقول: قلت يا رسول الله، إن أبا طالب كان يحوطك وينصرك فهل نفعه ذلك؟ قال: **«نعم، وجدته في غمرات من نار فأخرجته إلى ضحضاح»**[4]. وعن

(١) أخرجه البخاري (٨٠٦، ٦٥٧٣، ٧٤٣٧)، ومسلم (١٨٢) من حديث أبي هريرة.
(٢) «مجموع الفتاوى» (١/ ١١٦).
(٣) أخرجه البخاري (٣٨٨٣، ٦٢٠٨، ٦٥٧٢)، ومسلم (٢٠٩).
(٤) نفس التخريج السابق.

أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ. ذكر عنده عمه أبو طالب فقال: «**لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة، فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه**»[١]. فهذا نص صحيح صريح لشفاعته في بعض الكفار أن يخفف عنه العذاب، بل في أن يجعل أهون أهل النار عذابًا، كما في «الصحيح» أيضًا عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «**أهون أهل النار عذابًا أبو طالب، وهو منتعل بنعلين يغلي منهما دماغه**»[٢]، وعن أبي سعيد الخدري: أن رسول الله ﷺ قال: «**إن أدنى أهل النار عذابًا منتعل بنعلين من نار يغلي دماغه من حرارة نعليه**»[٣]. اهـ

* **وقال المصنف** رحمه الله[٤]: وقد اتفق المسلمون على أنَّ النبي ﷺ أعظم الخلق جاهًا عند الله، لا جاه لمخلوق عند الله أعظم من جاهه، ولا شفاعة أعظم من شفاعته، لكن دعاء الأنبياء وشفاعتهم ليس بمنزلة الإيمان بهم وطاعتهم، فإن الإيمان بهم وطاعتهم توجب سعادة الآخرة والنجاة من العذاب مطلقًا وعامًّا، فكل من مات مؤمنًا بالله ورسوله مطيعًا لله ورسوله كان من أهل السعادة قطعًا، ومن مات كافرًا بما جاء به الرسول كان من أهل النار قطعًا.

وأما الشفاعة والدعاء، فانتفاع العباد به موقوف على شروط وله موانع، فالشفاعة للكفار بالنجاة من النار والاستغفار لهم مع موتهم على الكفر لا تنفعهم ولو كان الشفيع أعظم الشفعاء جاهًا، فلا شفيع أعظم من محمد ﷺ، ثم الخليل إبراهيم، وقد دعا الخليل إبراهيم لأبيه واستغفر له كما قال تعالى عنه: ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴾ [إبراهيم: ٤١]. وقد كان ﷺ أراد أن يستغفر لأبي طالب

---

(١) أخرجه البخاري (٣٨٨٥، ٦٥٦٤).

(٢) أخرجه مسلم (٢١٢).

(٣) أخرجه أحمد (١١١١٥، ١١٧٥٦)، وعبد بن حميد (٨٧٥)، والبزار والحاكم (٨٧٣٤)، وقال: صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه، وقال الذهبي: صحيح على شرط البخاري ومسلم.
وأخرجه البخاري (٦٥٦١، ٦٥٦٢)، ومسلم (٢١٣) من حديث النعمان بن بشير.

(٤) «قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة» (ص/ ٢-١٦-ط: المدخلي).

اقتداء بإبراهيم، وأراد بعض المسلمين أن يستغفر لبعض أقاربه فأنزل الله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ [التوبة: ١١٣] ثم ذكر الله عذر إبراهيم فقال: ﴿ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [التوبة: ١١٤-١١٥].

وثبت في صحيح البخاري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «**يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قترة وغبرة، فيقول له إبراهيم: ألم أقل لك لا تعصني؟ فيقول له أبوه: فاليوم لا أعصيك، فيقول إبراهيم: يا رب أنت وعدتني أن لا تخزني يوم يبعثون، وأي خزي أخزى من أبي الأبعد؟ فيقول الله ﷻ: إني حرّمت الجنة على الكافرين، ثم يقال: انظر ما تحت رجليك فينظر، فإذا هو بذيخ[1] متلطخ فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار**». فهذا لما مات مشركًا لم ينفعه استغفار إبراهيم مع عظم جاهه وقدره، وقد قال تعالى للمؤمنين: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا ۖ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [الممتحنة: ٤-٥] فقد أمر الله تعالى المؤمنين بأن يتأسوا بإبراهيم ومن اتبعه، إلا في قول إبراهيم لأبيه: لأستغفرنّ لك، فإن الله لا يغفر أن يشرك به.

وكذلك سيد الشفعاء محمد ﷺ، ففي «صحيح مسلم» عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «**استأذنت ربي أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي، واستأذنته أن أزور قبرها فأذن لي**». وفي رواية أن النبي ﷺ زار قبر أمه فبكى وأبكى من حوله ثم قال: «**استأذنت ربي أن**

(١) الذيخ: ذكر الضباع.

أستغفر لأمي فلم يأذن لي، واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي، فزوروا القبور فإنها تذكر الموت».

وعن أبي هريرة قال: قام فينا رسول الله ﷺ خطيبًا ذات يوم فذكر الغلول فعظمه وعظم أمره ثم قال: «لا ألفينَّ أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير له رُغاء يقول: يا رسول الله، أغثني. فأقول: لا أملك لك شيئًا، قد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته فرس له حمحمة فيقول: يا رسول الله، أغثني. فأقول: لا أملك لك شيئًا قد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته شاة لها ثغاء، فيقول: يا رسول الله أغثني. فأقول: لا أملك لك شيئًا قد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته رقاع تخفق فيقول يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئًا، قد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته صامت[1] فيقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئًا، قد أبلغتك». أخرجاه في الصحيحين. وزاد مسلم: «لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته نفس لها صياح، فيقول: يا رسول الله، أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئًا، قد أبلغتك»[2]...

وقوله هنا ﷺ لا أملك لك من الله شيئًا، كقول إبراهيم لأبيه: ﴿لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾ [الممتحنة: ٤].

وأما شفاعته ودعاؤه للمؤمنين فهي نافعةٌ في الدنيا والدين باتفاق المسلمين، وكذلك شفاعته للمؤمنين يوم القيامة في زيادة الثواب ورفع الدرجات متفق عليها بين المسلمين. وقد قيل: إن بعض أهل البدعة ينكرها.

وأما شفاعته لأهل الذنوب من أمته فمتفق عليها بين الصحابة والتابعين بإحسان وسائر أئمة المسلمين الأربعة وغيرهم. وأنكرها كثير من أهل البدع من الخوارج

---

(١) هو الذهب والفضة.

(٢) أخرجه البخاري (٣٠٣٧)، ومسلم (١٨٣١).

والمعتزلة والزيدية، وقال هؤلاء: من يدخل النار لا يخرج منها لا بشفاعة ولا غيرها. وعند هؤلاء ما ثَمَّ إلا من يدخل الجنة فلا يدخل النار، ومن يدخل النار فلا يدخل الجنة، ولا يجتمع عندهم في الشخص الواحد ثواب وعقاب.

وأما الصحابة والتابعون لهم بإحسان وسائر الأئمة كالأربعة وغيرهم فيقرّون بما تواترت به الأحاديث الصحيحة عن النبي ﷺ أن الله يخرج من النار قومًا بعد أن يعذبهم الله ما شاء أن يعذبهم، يخرجهم بشفاعة محمد ﷺ، ويخرج آخرين بشفاعة غيره، ويخرج قومًا بلا شفاعة...

ومذهب أهل السنة والجماعة -وهم الصحابة والتابعون لهم بإحسان وسائر أئمة المسلمين الأربعة وغيرهم- أن له ﷺ شفاعات يوم القيامة خاصة وعامة، وأنه يشفع فيمن يأذن الله له أن يشفع فيه من أمته من أهل الكبائر. ولا ينتفع بشفاعته إلا أهل التوحيد المؤمنون دون أهل الشرك، ولو كان المشرك محبًّا له معظمًا له لم تنقذه شفاعته من النار، وإنما ينجيه من النار التوحيد والإيمان به؛ ولهذا لما كان أبو طالب وغيره يحبونه ولم يقروا بالتوحيد الذي جاء به لم يمكن أن يخرجوا من النار بشفاعته ولا بغيرها.

وفي «صحيح البخاري» عن أبي هريرة أنه قال: قلت: يا رسول الله أي الناس أسعد بشفاعتك يوم القيامة؟ فقال: **«أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله خالصًا من قلبه»**[(١)].

وعنه في «صحيح مسلم» قال: قال رسول الله ﷺ: **«لكل نبي دعوة مستجابة، فتعجل كل نبي دعوته، وإني اختبأت دعوتي شفاعة يوم القيامة، فهي نائلة- إن شاء الله تعالى- من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئًا»**[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري (٩٩، ٦٥٧٠).

(٢) أخرجه البخاري (٦٣٠٤، ٧٤٧٤)، ومسلم (١٩٨، ١٩٩) عن أبي هريرة، وأخرجه البخاري (٦٣٠٥)، ومسلم (٢٠٠) عن أنس.

وفي «السنن» عن عوف بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «أتاني آت من عند ربي فخيرني بين أن يدخل نصف أمتي الجنة وبين الشفاعة، فاخترت الشفاعة، وهي لمن مات لا يشرك بالله شيئًا» وفي لفظ قال: «ومن لقي الله لا يشرك به شيئًا فهو في شفاعتي»(١).

وهذا الأصل -وهو التوحيد- هو أصل الدين الذي لا يقبل الله من الأولين والآخرين دينًا غيره، وبه أرسل الله الرسل وأنزل الكتب، كما قال تعالى: ﴿ وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾ [الزخرف: ٤٥] وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ﴾ [النحل: ٣٦]. وقد ذكر الله ﷻ عن كل من الرسل أنه افتتح دعوته بأن قال لقومه: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾. اهـ المقصود.

وقال أيضًا(٢): وهذه الشفاعة التي أثبتها المشركون وأبطلها القرآن رأيت من هؤلاء المتفلسفة نفاة الصفات، كابن سينا، ومن ضاهاهم في بعض الأمور التي يجعلونها علوما مضنونا بها على غير أهلها- قد أثبتوا هذه الشفاعة الشركية، وهذه الوسائط الإفكية، مع أن القرآن العزيز مملوء من ذم أهلها، قال تعالى: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [الزمر: ٤٣-٤٤]، وقال تعالى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ

---

(١) أخرجه أحمد (٢٤٠٢٣، ٢٤٠٤٨)، والطيالسي (١٠٩١)، والترمذي (٢٤٤١)، وابن ماجه (٤٣١٧)، وصححه ابن حبان (٧٢٠٧)، وابن خزيمة في «التوحيد» (٣٨٤-٣٨٧)، والحاكم (٣٦، ٢٢١، ٢٢٥)، وقال: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، والطبراني في «الكبير» (ج١٢/ ص٤٣٩-٤٤٦/ ح١٤٥٥٢، ١٤٥٥٩، ١٤٥٦٠)، والبيهقي في «الدلائل» (٧/ ٨٧)، وسكت عليه. وصححه الألباني.

(٢) «درء تعارض العقل والنقل» (٥ / ١٤٧).

بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [يونس: ١٨]، وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ [الأنعام: ٩٤]، وقال تعالى: ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٨٠]، وقال تعالى ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ [الإسراء: ٥٦-٥٧]، وقال تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ﴾ [سبأ: ٢٢-٢٣]، فنفي أن يكون لغيره معه ملك، أو شريك في الملك، أو مظاهرة له، ولم يثبت من الشفاعة النافعة إلا ما كان بإذنه، وهذه الشفاعة التي يؤمن بها المؤمنون، كشفاعة نبينا محمد ﷺ يوم القيامة، فإنه باتفاق أهل السنة والجماعة له شفاعات في القيامة، حتى يشفع في أهل الكبائر من أمته، كما استفاضت بذلك الأحاديث الصحيحة، كما كان يدعو لهم ويشفع لهم في حياته، وكذلك يشفع غيرُه ممن يأذن الله له في الشفاعة، لكن ليست هي الشفاعة التي يثبتها أصناف المشركين من غير أهل الكتاب، والصابئين، ومن ضاهاهم من أهل الكتاب، كالنصارى، ومن ضاهاهم من هذه الأمة، كالمتفلسفة الملاحدة والإسماعيلية، وكأهل المضنون به(١) وغيرهم، فإنهم جعلوا الشفاعة تنفع بدون دعاء الشافع لله، وبدون إذن الرب له في الشفاعة- كما تقدم- والله تعالى يقول: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] وقال تعالى ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾ [الأنبياء: ٢٨]، وأمثال ذلك في كتاب الله ﷻ. اهـ

---

(١) يعني: الفلاسفة الباطنية، وقد ألف لهم أبو حامد الغزالي كتاب «المضنون به على غير أهله» قال فيه شيخ الإسلام في «النبوات» (ص/ ٣٩٨): صنف الكتب المضنون بها على غير أهلها وهي فلسفة محضة سلك فيها مسلك ابن سينا. اهـ

الإجماع على الشفاعة لعصاة الموحدين

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ[1]: أجمع المسلمون على أن النبي ﷺ يشفع للخلق يوم القيامة، بعد أن يسأله الناس ذلك، وبعد أن يأذن الله له في الشفاعة.

ثم إن أهل السنة والجماعة متفقون على ما اتفق عليه الصحابة -رضوان الله عليهم أجمعين- واستفاضت به السنن، من أنه ﷺ يشفع لأهل الكبائر من أمته، ويشفع أيضًا لعموم الخلق.

فله ﷺ شفاعات يختص بها لا يَشْرَكُهُ فيها أحد، وشفاعات يشركه فيها غيره من الأنبياء والصالحين، لكن ما له فيها أفضل مما لغيره، فإنه ﷺ أفضل الخلق وأكرمهم على ربه ﷻ، وله من الفضائل التي ميزه الله بها على سائر النبيين ما يضيق هذا الموضع عن بسطه، ومن ذلك المقام المحمود الذي يغبطه به الأولون والآخرون.

وأحاديث الشفاعة كثيرة متواترة، منها في الصحيحين أحاديث متعددة، وفي السنن والمسانيد مما يكثر عدده.

وأما الوعيدية من الخوارج والمعتزلة، فزعموا أن الشفاعة إنما هي للمؤمنين خاصة في رفع الدرجات، وبعضهم أنكر الشفاعة مطلقًا. اهـ

إخراج بعض العصاة من النار برحمة الله بغير شفاعة

❁ **آل الشيخ**: قوله: (**وَيُخْرِجُ اللهُ مِنَ النَّارِ أَقْوَامًا بِغَيْرِ شَفَاعَةٍ، بَل بِفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ**) أي: يخرج الله من النار أقوامًا ممن استحق النار من الموحدين بغير شفاعة، بل بفضله ورحمته بمحضِ فضلٍ من الله ورحمته، كما جاءت بذلك النصوص الثابتة عن النبي ﷺ، وذلك لسبق الرحمة الغضب كما في الحديث: «**إن رحمتي سبقت غضبي**»[2]. اهـ

---

(١) «قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة» (ص/ ٢٦٦).

(٢) رواه البخاري (٣١٩٤، ٧٤٠٤، ٧٤٢٢، ٧٥٥٣، ٧٥٥٤)، ومسلم (٢٧٥١) عن أبي هريرة.

سعة الجنة وإنشاء أقوام لها

❁ **آل الشيخ**: قوله: (وَيَبْقَى فِي الجَنَّةِ فَضْلٌ عَمَّنْ دَخَلَهَا مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، فَيُنْشِئُ اللهُ لَهَا أَقْوَامًا، فَيُدْخِلُهُمُ الجَنَّةَ).

أي: ينشئ الله لها أقوامًا لم يعملوا خيرًا قط؛ لأنها وُعِدَت ملأها، فيدخلهم الجنة بفضله ورحمته، كما أن الأولين يدخلون الجنة بفضله ورحمته، أبلغ من أن يعفى عن أناس؛ لأن الجنة وعدت ملأها وليس فيها تضايق كالنار.

والفرق بين هذه وهذه، مِنْ سَبْقِ الرحمة للغضب من إدخال قوم الجنة بغير شفاعة، وأن النار لا تُدخل إلا بذنوب فتمتلئ كما في الحديث، وهذا لِمَا سَبَق من سَبْقِ الرحمةِ الغضبَ، فإن جانب الفضل والرحمة، أغلب من جانب العدل والغضب، وأما النار فلا تمتلئ، بل لا تزال تطلب الزيادة حتى يكمل أهلها فيها، ولا تزال تقول: هل من مزيد؟ حتى يضع رب العزة فيها رجله، فينزوي بعضها إلى بعض، فيصيرون ملأها بضيق، فتقول: قط قط، ولا ينشئ الله لها كما أنشأ للجنة.

تنبيه على وهم في حديث

ولنعرف أنه جاء في حديث أبي هريرة انقلاب على بعض الرواة: «أنه ينشئ للنار من يشاء فيُلقون فيها»، وهذا انقلاب[(١)]، بل صواب الحديث وصحيحه الثابت: «أن

---

(١) وقعت هذه الرواية في «صحيح البخاري» (٧٤٤٩) بلفظ: «... فأما الجنة فإن الله لا يظلم من خلقه أحدًا، وإنه ينشئ للنار من يشاء فيلقون فيها...» الحديث، وهو خطأ انقلب على الراوي. قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» (١٣/ ٤٣٦ - ط: السلفية): قال أبو الحسن القابسي: المعروف في هذا الموضع أنَّ الله ينشئ للجنة خلقًا، وأما النار فيضع فيها قدمه، قال: ولا أعلم في شيء من الأحاديث أنه ينشئ للنار خلقًا إلا هذا. انتهى... وقد قال جماعة من الأئمة إن هذا الموضع مقلوب، وجزم ابن القيم بأنه غلط، واحتج بأن الله تعالى أخبر بأن جهنم تمتلئ من إبليس وأتباعه. وكذا أنكر الرواية شيخنا البلقيني، واحتج بقوله: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩]، ثم قال: وحمله على أحجار تلقى في النار أقرب من حمله على ذي روح يعذب بغير ذنب. انتهى. ويمكن التزام أن يكونوا من ذوي الأرواح، ولكن لا يعذبون، كما في الخزنة. اهـ

الله ينشئ للجنة خلقًا فيسكنهم فضل الجنة»[1]. اهـ

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ[2]: ولا يبقى في النار أحد في قلبه مثقال ذرة من إيمان، بل كلهم يخرجون من النار ويدخلون الجنة، ويبقى في الجنة فضل، فينشئ الله لها خلقًا آخر يدخلهم الجنة كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ. اهـ

علوم الآخرة مفصلة في القرآن والسنة

قوله: (وَأَصْنَافُ مَا تَضَمَّنَتْهُ الدَّارُ الآخِرَةِ مِنَ الحِسَابِ وَالثَّوَابِ وَالعِقَابِ وَالجَنَّةِ وَالنَّارِ وَتَفَاصِيلِ ذَلِكَ مَذْكُورَةٌ فِي الكُتُبِ المُنَزَّلَةِ مِنَ السَّمَاءِ، وَالآثَارِ مِنَ العِلمِ المَأْثُورِ عَنِ الأَنْبِيَاءِ، وَفِي العِلمِ المَوْرُوثِ عَنْ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ ذَلِكَ مَا يَشْفِي وَيَكْفِي، فَمَنْ اِبْتَغَاهُ وَجَدَه).

❁ **قال الشيخ**: يقول: وأصناف ما تضمنته الدار الآخرة ما أُعدّ فيها من الحساب، والثواب والعقاب، والجنة والنار، وتفاصيل ذلك كلها معلومة مذكورة في الكتب المنزلة من السماء، وفي الآثار من العلم المأثور عن الأنبياء. وفي العلم الموروث عن النبي محمد ﷺ، من ذلك ما يشفي ويكفي مما تضمنه الكتاب والسنة، بل في القرآن والسنة أعظم وأكثر مما سواهما من الكتب، بل ما جاء عن النبي ﷺ أشمل مما جاء في الكتب السابقة وأخبار الماضين، فمن ابتغاه تطلَّبه وتتبعه في مظانه فيها وجده مبينًا موضحًا في كتب التفاسير والسنن والصحاح وغيرها من كتب الحديث، فإن في ذلك من التفاصيل شيء كثير.

---

(١) رواه البخاري (٤٨٤٩، ٤٨٥٠، ٧٤٤٩)، ومسلم (٢٨٤٦).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٤/ ٣٠٩).

وكأن المصنف رأى أنه أقلّ في المقام، ولكن المقام لا يتحمل وينبغي أن يُتطلّب، فأحال بقوله: «وتفاصيل ذلك...» إلخ. اهـ

❁ **الهراس**: اعلم أن أصل الجزاء على الأعمال خيرها وشرها ثابت بالعقل، كما هو ثابت بالسمع، وقد نبه الله العقول إلى ذلك في مواضع كثيرة من كتابه، مثل قوله تعالى: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ [المؤمنون: ١١٥]، ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴾ [القيامة: ٣٦]، فإنه لا يليق في حكمة الحكيم أن يترك الناس سدى مهملين، ولا يؤمرون، ولا ينهون، ولا يثابون ولا يعاقبون، كما لا يليق بعدله وحكمته أن يسوي بين المؤمن والكافر، والبر والفاجر، كما قال تعالى: ﴿ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴾ [ص: ٢٨]. فإن العقول الصحيحة تأبى ذلك وتنكره أشد الإنكار، وكذلك نبههم الله على ذلك بما أوقعه من أيامه في الدنيا من إكرام الطائعين، وخذلان الطاغين.

وأما تفاصيل الأجزية ومقاديرها فلا يدرك إلا بالسمع والنقول الصحيحة عن المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله. اهـ

الإيمان بالقدر

قال المصنف رحمه الله: (وَتُؤْمِنُ الفِرْقَةُ النَّاجِيَةُ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ.

وَالإِيمَانُ بِالقَدَرِ عَلَى دَرَجَتَيْنِ، كُلُّ دَرجَةٍ تَتَضَمَّنُ شَيْئَيْنِ.

فَالدَّرَجَةُ الأُولَى: الإِيمَانُ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَى عَلِيمٌ بِالخَلقِ، وَهُمْ عَامِلُونَ بِعِلمِهِ القَدِيمِ الَّذِي هُوَ مَوْصُوفٌ بِهِ أَزَلًا وَأَبَدًا، وَعَلِمَ جَمِيعَ أَحْوَالِهِمْ مِنَ الطَّاعَاتِ وَالمَعَاصِي وَالأَرْزَاقِ وَالآجَالِ، ثُمَّ كَتَبَ اللهُ فِي اللَّوْحِ المَحْفُوظِ مَقَادِيرَ الخَلقِ؛ فَأَوَّلُ مَا خَلَقَ اللهُ القَلَمَ؛ قَالَ لَهُ: اُكْتُبْ، قَالَ: مَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اُكْتُبْ مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ.

فَمَا أَصَابَ الإِنْسَانَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ، جَفَّتِ الأَقْلامُ، وَطُوِيَتِ الصُّحُفُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: ٧٠].

وقال: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: ٢٢].

وَهَذَا التَّقْدِيرُ التَّابِعُ لِعِلمِهِ سُبْحَانَهُ يَكُونُ فِي مَوَاضِعَ جُمْلَةً وَتَفْصِيلًا.

فَقَدْ كَتَبَ فِي اللَّوْحِ المَحْفُوظِ مَا شَاءَ وَإِذَا خَلَقَ جَسَدَ الجَنِينِ قَبْلَ نَفْخِ الرُّوحِ فِيهِ؛ بَعَثَ إِلَيْهِ مَلَكًا، فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، فَيُقَالُ لَهُ اُكْتُبْ رِزْقَهُ، وَأَجَلَهُ، وَعَمَلَهُ، وَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيد، وَنَحْوَ ذَلِكَ، فَهَذَا القَدَرُ قَدْ كَانَ يُنْكِرُهُ غُلَاةُ القَدَرِيَّةِ قَدِيمًا، وَمُنْكِرُوهُ اليَوْمَ قَلِيلٌ.

وَأَمَّا الدَّرَجَةُ الثَّانِيَةُ؛ فَهِيَ مَشِيئَةُ اللهِ النَّافِذَةُ، وَقُدْرَتُهُ الشَّامِلَةُ، وَهُوَ الإِيمَانُ بِأَنَّ مَا شَاءَ اللهُ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، وَأَنَّهُ مَا فِي السموات وَمَا فِي الأَرْضِ مِنْ حَرَكَةٍ وَلا سُكُونٍ؛ إِلا بِمَشِيئَةِ اللهِ سُبْحَانَهُ. لا يَكُونُ فِي مُلكِهِ مَا لا يُرِيدُ.

وَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ مِنَ الْمَوْجُودَاتِ وَالْمَعْدُومَاتِ، فَمَا مِنْ مَخْلُوقٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ إِلاَّ اللهُ خَالِقُهُ سُبْحَانَهُ، لا خَالِقَ غَيْرُهُ، وَلاَ رَبَّ سِوَاه).

الشرح

❁ **ابن باز**: هذا البحث من أنفس البحوث، ومن أجمعها، وهو بحث نفيس عظيم فيما يتعلق بالقدر، وقد بسطه المؤلف وأوضحه، كما بسط ذلك العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ أيضًا في «شفا العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل»، فالمؤلف هنا بين أمر القدر بيانًا شافيًا جيدًا، فمن أصول أهل السنة والجماعة الفرقة الناجية: الإيمان بالقدر خيره وشره، فالفرقة الناجية تؤمن بالقدر خيره وشره من جميع الوجوه، وإيمانها بالقدر على درجتين كل درجة تتضمن شيئين، فالإيمان بالقدر يتضمن أربعة أشياء، ويقال: له أربع مراتب، من استكملها استكمل الإيمان بالقدر:

المرتبة الأولى: العلم، وأنّ الله علم الأشياء كلها.

والثانية: الكتابة.

والثالثة: المشيئة، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن.

والرابعة: الخلق والإيجاد، وأن الله خالق الأشياء كلها، وهو خالق كل شيء ﷻ، ليس له شريك في الخلق والتدبير، فهذه مراتب القدر، أربع مراتب، «علم الله بالأشياء»، فعلمه محيط بكل شيء، قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ [العنكبوت: ٦٢]، وقال: ﴿لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا﴾ [الطلاق: ١٢]، وهذا علمه القديم؛ إذ لم يزل موصوفًا به أزلاً وأبدًا، لا يعزب عن علمه شيء: ﴿وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [يونس: ٦١]، فجميع الحوادث والكائنات في الدنيا

والآخرة كلها معلومة له، لا تخفى عليه خافية جل وعلا، وهي مكتوبة -أيضًا مع العلم- كتابةً، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: ٧٠]، وقال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: ٢٢]، وقال النبي ﷺ: **«كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وعرشه على الماء»**[(١)]، وكتب في اللوح المحفوظ كل شيء، جرى القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة. اهـ

❁ **السعدي**: اعلم أن الإيمان بالقدر أمره عظيم وشأنه مهم جدًّا، وهو أحد أركان الإيمان الستة وقد انحرف فيه طوائف من أهل البدع والضلال، فضلًا عن المنكرين من الملحدين وغيرهم. وقد فصله الشيخ في هذا الفصل بهذا الكلام الجامع النفيس، الذي لا يوجد له نظير في تحقيقه وتفصيله وجمعه وتوضيحه، وهو مجموع من نصوص الكتاب والسنة، ومن العقيدة السلفية الخالصة.

فذكر: أنه لا يتم الإيمان بالقدر إلا بتحقيق هذه الأمور الأربعة التي يفتقر كل منها إلى البقية، وقد ارتبط بعضها ببعض ارتباطًا وثيقًا، لا ينفصم إلا بالانحراف إلى الأقوال المنحرفة.

وذلك: أنه ثبتت نصوص الكتاب والسنة بإحاطة علم الله بجميع الموجودات السابقة والحاضرة والمستقبلة من أعيان وأوصاف وأفعال للمكلفين وغيرهم.

وثبتت النصوص أيضا: أن الله أثبت علمه بالكائنات والموجودات دقيقها وجليلها باللوحِ المحفوظ في نصوصٍ لا يمكن إحصاؤها.

وثبتت النصوص أيضا: أن مشيئة الله عامة وإرادته القدرية شاملة لا يخرج عنها حادث صغير ولا كبير، ولا عين، ولا فعل، ولا وصف، وأنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

والنصوص على شمول قدرة الله ومشيئته لكل حادث لا تحصى. اهـ

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٥٣) عن عبد الله بن عمرو.

❁ **آل الشيخ**: قوله: (**وَتُؤْمِنُ الفِرْقَةُ النَّاجِيَةُ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ بِالقَدَرِ**). أي: تؤمن الفرقة الناجية- من النار، والناجية من بين الفرق أهلُ السنة والجماعة -بالقدر، وهذا آخر أصول الإيمان الستة المتقدم ذكرها في أول هذه العقيدة المختصرة، وتقدم لك ما يتعلق بالخمسة الأُوَلِ، وهذا الفصل مما يتعلق بالسادس وهو القدر، والمصنف رَحِمَهُ اللَّهُ ذكر الأصول الستة، وما بعد ذلك شرحٌ، منه ما هو ببسط ومنها دون ذلك، فالذي تكلم فيه ووقع فيه النزاع وكثر بين أهل السنة والمبتدعين أطال فيها، والتي لم يتنازع فيها ذكر منها كالإشارة. ولم يقل: «فصل: ومن أصول أهل السنة، الإيمان بقدرة الله، والإيمان بكتب الله، والإيمان برسل الله». وذلك لأن المبتدعة لم يكن لهم كلام فيه ولا نزاع، إنما ذكر الذي فيه النـزاع القدر مسألة الإيمان به، فإن القدرية النفاةَ والمجبرةَ، انحرفوا عن الصراط المستقيم فاحتيج لبعض التطويل في ذلك.

والقدر: من التقدير وهو التهيئة. اهـ

منزلة الإيمان بالقدر من الدين

❁ **العثيمين**: الإيمان بالقضاء والقدر واجب، ومنزلته من الدين أنه أحد أركان الإيمان الستة؛ لقول النبي ﷺ: «**الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**»(١).

ومعنى الإيمان بالقضاء والقدر: أن تؤمن بأن كل ما في الكون من موجودات ومعدومات عامة وخاصة، فإنه بمشيئة الله وخلقه، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك. اهـ

---

(١) أخرجه مسلم (٨) عن ابن عمر عن عمر رضي الله عنهما.

❁ آل الشيخ: قوله: (خَيْرِهِ وَشَرِّهِ) كما جاء في بعض ألفاظ الحديث، قدر مقادير الخلائق بما يلائم الخلق من أمور دينهم ودنياهم، جميع ما كان في الأديان والأبدان، والخير والشر، والصحة والمرض، ونحو ذلك، فهو بقضاء الله وقدره، فما من خير في الأديان والأبدان، فهو بقضاء الله وقدره، وما من شر في الأديان والأبدان فهو بقضاء الله وقدره. اهـ

مراتبُ القدَرِ

قوله: (وَالإِيمَانُ بِالقَدَرِ عَلَى دَرَجَتَيْنِ، كُلُّ دَرَجَةٍ تَتَضَمَّنُ شَيْئَيْنِ.

فَالدَّرَجَةُ الأُولَى: الإِيمَانُ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَى عَلِيمٌ بِالخَلقِ، وَهُمْ عَامِلُونَ بِعِلمِهِ القَدِيمِ الَّذِي هُوَ مَوْصُوفٌ بِهِ أَزَلًا وَأَبَدًا، وَعَلِمَ جَمِيعَ أَحْوَالِهِمْ مِنَ الطَّاعَاتِ وَالمَعَاصِي وَالأَرْزَاقِ وَالآجَالِ، ثُمَّ كَتَبَ اللهُ فِي اللَّوْحِ المَحْفُوظِ مَقَادِيرَ الخَلقِ).

❁ آل الشيخ: كل درجة واحدة منهما تتضمن شيئين، فمن آمن بها كلها حقيقة فقد آمن بالقدر، ومن كفر بها أو ببعضها فقد كفر بالقدر.

فالدرجة الأولى: الإيمان بأن الله تعالى علم ما الخلق عاملون من خير وشر، جارين عليه من خير أو شر، عَلِمَه بعِلْمِه القديم الذي هو موصوف به أزلًا، وعلم جميع أحوالهم من الطاعات والمعاصي، والأرزاق سعتها وضيقها، والآجال طول الأعمار وقصرها، والأجسام صحتها وسقمها، وكذا وكذا، إلى ما لا يحصى، والآثار، وجميع تفاصيل ما هو صائر منهم، عَلِمه بعلْمِه القديم، فعَلِم تفاصيل ما هو صادر منهم، وما هو جار منهم، وما هم صائرون إليه.

وهذا الشيء الأول من هذه الدرجة الأولى: الإيمان بعلم الله الأشياء، أنه علمها في الأزل علمًا تفصيليًّا.

والشيء الثاني من الدرجة الأولى: الإيمان بالكتابة، أنه كتب ما هو عالم، ورسم أن الخلق عاملوه، ويأتي الشيئان، فتجتمع حقيقة الإيمان بالقدر في هذه الأربعة، فصار الإيمان بالقدر في الحقيقة ينتظم الإيمان بأربعة أشياء. اهـ

* **الهراس**: الدرجة الأولى تتضمن:

أولًا: الإيمان بعلمه القديم المحيط بجميع الأشياء، وأنه تعالى علم بهذا العلم القديم الموصوف به أزلًا وأبدًا كلَّ ما سيعمله الخلق فيما لا يزال، وعلم به جميع أحوالهم من الطاعات، والمعاصي، والأرزاق، والآجال.

فكل ما يوجد من أعيان وأوصاف، ويقع من أفعال وأحداث، فهو مطابق لما علمه الله ﷻ أزلًا.

ثانيًا: أنَّ الله كتب ذلك كله وسجله في اللوح المحفوظ. اهـ

درجات الإيمان بالقضاء والقدر

* **العثيمين**: للإيمان بالقدر درجتان كل درجة تتضمن شيئين: فالدرجة الأولى تتضمن العلم والكتابة، ودليلها قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: ٧٠].

فالعلم أن تؤمن بعلم الله المحيط بكل شيء جملة وتفصيلًا.

والكتابة هي أن تؤمن بأن الله كتب مقادير كل شيء في اللوح المحفوظ بحسب علمه وهي أنواع.

النوع الأول: الكتابة في اللوح المحفوظ قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، ودليلها قوله ﷺ: «**إن الله لما خلق القلم قال له: اكتب، قال: رب وماذا**

أكتب؟ قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة»[(١)].

النوع الثاني: الكتابة العمرية، وهي ما يكتبه الملك الموكل بالأرحام على الجنين في بطن أمه إذا تم له أربعة أشهر، فيؤمر الملك بكتب، رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أم سعيد. ودليله حديث ابن مسعود ﵁ الثابت في الصحيحين، وهذه الدرجة ينكرها غلاة القدرية قديمًا.

وأما الدرجة الثانية فتتضمن شيئين: المشيئة، والخلق. ودليل المشيئة قوله تعالى: ﴿وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾. ودليل الخلق قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾.

فأما المشيئة فهي أن تؤمن بمشيئة الله العامة، وأن ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، سواء في ذلك أفعاله أو أفعال الخلق، كما قال تعالى في أفعاله: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا﴾. وقال في أفعال خلقه: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾.

وأما الخلق فهو أن تؤمن أن الله خالق كل شيء، سواء من فعله أو أفعال عباده.

دليل الخلق في فعله قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾.

ودليل الخلق في أفعال العباد قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾.

ووجه كونه خالقًا لأفعال العباد: أن فعل العبد لا يصدر إلا عن إرادة وقدرة، وخالق إرادة العبد وقدرته هو الله. اهـ

---

(١) أخرجه أحمد (٢٢٧٠٧)، وأبو داود (٤٧٠٠)، والترمذي (٢١٥٥، ٣٣١٩)، والبزار (٢٦٨٧)، والطيالسي (٥٧٨)، وابن أبي شيبة في المصنف (٣٧٠٧٢)، والبيهقي في «الكبرى» (٢٠٦٦٤)، والطبراني في «مسند الشاميين» (٥٨، ٥٩، ١٩٤٩) بإسناد حسن من حديث عبادة بن الصامت. وقال الترمذي: حسن غريب.

مراتب القدر

❁ **ابن باز**: مراتب القدر أربع، وإن شئت سميتها أشياء بدلًا من مراتب، كما سماها المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ:

الأولى: علم الله بجميع الأشياء، وعلمه بجميع أفعال العباد من طاعة ومعصية، وغير ذلك فهو سبحانه موصوف بالعلم أزلًا وأبدًا، لا يغيب عن علمه شيء، كما قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾.

الثانية: كتابته لجميع الأشياء، فجميع ما كان وما سيكون كله مكتوب لديه، كما قال تعالى: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾، وقال: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ﴾ الآية.

الثالثة: مشيئة الله النافذة في كل شيء وقدرته على كل شيء، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، كما قال تعالى: ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ﴾، ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾.

الرابعة: الإيمان بأن الله خالق الأشياء وموجدها، فلا خالق غيره، ولا رب سواه، كما قال: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾، وقال: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾، والمراد بالعالمين جميع المخلوقات، قال تعالى: ﴿قَالَ فِرۡعَوۡنُ وَمَا رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٣ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾. اهـ

أولية خلق القلم

قوله: (فَأَوَّلُ مَا خَلَقَ اللهُ القَلَمَ قَالَ لَهُ: اُكْتُبْ، قَالَ: مَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اُكْتُبْ مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ).

❁ **آل الشيخ**: هذا من جملة الأحاديث المثبتة للقدر، وأول ما خلق الله القلم بالنسبة إلى هذا الكون المشاهد، وإلا فالعرش موجود مخلوق قبله، كما في الأحاديث. اهـ

❁ **الهراس**: فما علم الله كونه ووقوعه من مقادير الخلائق وأصناف الموجودات وما يتبع ذلك من الأحوال، والأوصاف، والأفعال ودقيق الأمور وجليلها، قد أمر القلم بكتابته، كما قال ﷺ: «**قدر الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء**»(١).

وكما قال في الحديث الذي ذكره المؤلف: «**أَوَّلَ ما خلق الله القلم قال له: اكتب. قال: وما أكتب؟ قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة**»(٢).

و (أولَ) هنا بالنصب على الظرفية، والعامل فيه (قال) أي: قال له ذلك أولَ ما خلقه، وقد روي بالرفع على أنه مبتدأ، وخبره (القلم)؛ ولهذا اختلف العلماء في العرش والقلم أيهما خلق أولًا؟

وحكى العلامة ابن القيم في ذلك قولين، واختار أن العرش مخلوق قبل القلم، قال في (النونية):

والنـاس مختلفـون في القلـم الـذي ❁ كُـتِبَ القـضاء بـه مـن الـديانِ

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٥٣) عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كتب الله مقادير الخلائق ...» الحديث.

(٢) تقدم تخريجه قريبًا.

هل كان قبل العرش أو هو بعده؟ * قولان عند أبي العلا الهمداني
والحقُّ أن العرشَ قبلُ لأنه * وقت الكتابة كان ذا أركان
وكتابة القلم الشريف تعقبت * إيجاده من غير فصل زمانِ(١)

وإذا كان القلم قد جرى بكل ما هو كائن إلى يوم القيامة، بكل ما يقع من كائنات وأحداث؛ فهو مطابق لما كتب فيه، فما أصاب الإنسان لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، كما جاء في حديث ابن عباس رضي الله عنهما وغيره(٢). اهـ

* **قال المصنف**(٣): والله سبحانه قدر وكتب مقادير الخلائق قبل أن يخلقهم كما ثبت في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو، عن النبي ﷺ أنه قال: «**قدر الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء**»(٤). وفي البخاري عن عمران بن حصين، عن النبي ﷺ قال: «**كان الله ولم يكن شيء قبله، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء وخلق السموات والأرض**» وفي رواية: «**ثم خلق السموات والأرض**»(٥). فقد قدر سبحانه ما يريد أن يخلقه من هذا العالم، حين كان عرشه على الماء إلى يوم القيامة كما في «السنن» عن النبي ﷺ أنه قال: «**أول ما خلق الله القلم فقال: اكتب. فقال: ما أكتب؟ فقال: اكتب ما يكون إلى**

---

(١) أي: تعقَّبت إيجاد القلم هذا على أنَّ كلمة «أولُ» منصوبة على الظرفية.

(٢) يعني: قوله: كنت خلف النبي ﷺ يومًا، فقال: «**يا غلام، إني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام، وجفت الصحف**». رواه أحمد (٢٦٦٩)، والترمذي (٢٥١٦)، وأبو يعلى (٢٥٥٦)، واللفظ لهما، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وهو كما قال.

(٣) «مجموع الفتاوى» (١٦ / ١٣٦).

(٤) تقدم أن عند مسلم (٢٦٥٣).

(٥) أخرجه البخاري (٣١٩١، ٧٤١٨).

يوم القيامة»[١]. وأحاديث تقديره سبحانه وكتابته لما يريد أن يخلقه كثيرة جدًّا. روى ابن أبي حاتم عن الضحاك، أنه سئل عن قوله: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩] فقال: قال ابن عباس: إن الله قدر المقادير بقدرته، ودبر الأمور بحكمته، وعلم ما العباد صائرون إليه، وما هو خالق وكائن من خلقه، فخلق الله لذلك جنة ونارًا، فجعل الجنة لأوليائه، وعرفهم، وأحبهم، وتولاهم، ووفَّقهم، وعصمهم، وترك أهل النار استحوذ عليهم إبليس، وأضلهم، وأزلهم، فخلق لكل شيء ما يشاكله في خلقه ما يصلحه من رزقه في بر أو في بحر، فجعل للبعير خلقًا لا يصلح شيء من خلقه على غيره من الدواب، وكذلك كل دابة خلق الله له منها ما يشاكلها في خلقها، فخلقه مؤتلف لما خلقه له غير مختلف. قال ابن أبي حاتم: ثنا أبي، ثنا يحيى بن زكريا بن مهران القزاز، نا حبان بن عبيد الله، قال: سألت الضحاك عن هذه الآية ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩] قال الضحاك: قال ابن عباس فذكره.

وقال: حدثنا أبو سعيد الأشج، ثنا طلحة بن سنان، عن عاصم، عن الحسن قال: من كذب بالقدر فقد كذب بالحق، خلق الله خلقًا، وأجّل أجلًا، وقدَّر رزقًا، وقدر مصيبة، وقدر بلاء، وقدر عافية، فمن كفر بالقدر فقد كفر بالقرآن.

وقال: حدثنا الحسن بن عرفة، ثنا مروان بن شجاع الجزري، عن عبد الملك بن جريج، عن عطاء بن أبي رباح قال: أتيت ابن عباس وهو ينزع من زمزم وقد ابتلت أسافل ثيابه، فقلت له: قد تُكُلِّمَ في القدر. فقال: أوقد فعلوها؟ قلت: نعم. قال: فوالله ما نزلت هذه الآية إلا فيهم: ﴿ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٨-٤٩] أولئك شرار هذه الأمة، فلا تعودوا مرضاهم، ولا تصلوا على موتاهم، إن رأيت أحدًا منهم فقأت عينيه بأصبعي هاتين.

---

(١) تقدم قريبًا.

* **وقال أيضًا**: حدثنا علي بن الحسين بن الجنيد، حدثنا سهل الخياط، ثنا أبو صالح الحداني، نا حبان بن عبيد الله، قال: سألت الضحاك عن قوله: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ [الحديد: ٢٢]. قال: قال ابن عباس: إن الله خلق العرش فاستوى عليه، ثم خلق القلم فأمره ليجري بإذنه، وعظمُ القلم كقدر ما بين السماء والأرض، فقال القلم: بما يا رب أجري؟ فقال. **«بما أنا خالق وكائن في خلقي من قطر، أو نبات، أو نفس، أو أثر يعني به العمل، أو رزق، أو أجل»**. فجرى القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة. فأثبته الله في الكتاب المكنون عنده تحت العرش. اهـ

* **قال الشيخ**: قوله: (**فَمَا أَصَابَ الإِنْسَانُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ، جَفَّتِ الأَقْلامُ، وَطُوِيَتِ الصُّحُفُ**).

أي: فما أصاب الإنسان مما علم الله وكتبه لم يكن ليخطئه، ولو اجتمع أهل السموات والأرض، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، هذا نتيجة وحقيقة الإيمان بالقدر. جفت الأقلام التي كتبت بها المقادير، وطُويت الصحف على ما كتب فيها، فلا تغيير ولا تبديل.

وقوله: (كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: ٧٠]، وقال: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: ٢٢]).

أي: قبل أن نبرأ الأرض، وقيل: الأنفس. وقيل: المصيبة، والحقيقة: أنه يعود إليها كلها، والصحيح أنه عام في كل شيء، ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾. فهذان شيئان تتضمنهما هذه الدرجة. اهـ

الإجمال والتفصيل في القدر

قوله: (وَهَذَا التَّقْدِيرُ التَّابِعُ لِعِلْمِهِ سُبْحَانَهُ يَكُونُ فِي مَوَاضِعَ جُمْلَةً وَتَفْصِيلًا).

❁ **آل الشيخ**: قوله: «وهذا التقدير» أي: قَدَر الكتابة التي هي الثاني من أنواع القدر «**التابع لعلمه سبحانه**»، فإن الكتابة تابعة لعلمه سبحانه، «**يكون في مواضع جملةً**»: يعني: أنه أقسام وأنواع، بعضها جملة، وبعضها تفصيل لبعض، منها ما هو كتابته جملة، ومنها ما كتابته تفصيلًا، ولكن ما بعد الجملة يكون تابعًا للجملة. اهـ

❁ **ابن باز**: القدر له تفصيل، فالقدر السابق قدر قد حصل منه قدر مفصّل، وهو التقدير للجنين في بطن أمه، والتقدير الذي يكون في ليلة القدر، والتقدير الذي وقع حين خلق آدم ومسح الله ذريته من ظهره، وهذا تقدير مفصل، التقدير العمري، والتقدير السنوي في ليلة القدر، والتقدير اليومي، كلها تفاصيل للقدر السابق، لا يخرج جنين ولا غيره عمّا كتب له في القدر السابق؛ ولهذا لما قال الصحابة: يا رسول الله، إذا كانت مقاعدنا من الجنة والنار معلومة، وكل شيء مقدّر، ففيم العمل؟ قال: «**اعملوا فكل ميسّر لما خلق له، أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة**»، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ۝٤ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾[1] [الليل: ٤-١٠].

هذا بحث عظيم ينبغي حفظه وضبطه؛ لأن به تخالف جميع فرق البدع والضلالة، بهذا الاعتقاد تخالف القدرية النفاة، والمجبرة، جميعهم تخالفهم، وتعتقد اعتقاد النبي ﷺ والصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم. اهـ

---

(١) أخرجه البخاري (٤٩٤٩)، ومسلم (٢٦٤٧) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

قوله: (فَقَدْ كَتَبَ فِي اللَّوْحِ المَحْفُوظِ مَا شَاءَ وَإِذَا خَلَقَ جَسَدَ الجَنِينِ قَبْلَ نَفْخِ الرُّوحِ فِيهِ؛ بَعَثَ إِلَيْهِ مَلَكًا، فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، فَيُقَالُ لَهُ اُكْتُبْ رِزْقَهُ، وَأَجَلَهُ، وَعَمَلَهُ، وَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيد وَنَحْوَ ذَلِكَ).

* آل الشيخ: أي: فَقَدْ كَتَبَ فِي اللَّوْحِ المَحْفُوظِ مَا شَاءَ، وهذا الكتاب الأول، ليس فيه تغيير أبدًا، ألا ترى أنه قال: ﴿وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [الرعد: ٣٩] هذا هو الجملة، ومن هذه الجملة تفاصيل، منها عند تخليق الجنين، وجاء أنه يقال لملك الأرحام: ارجع فانظر إلى قصة هذه النطفة. هذا نوع من أنواع التفصيل من الجملة الأولى، وهو راجع إليها.

ومنه ما يكون في ليلة القدر، وكذلك الذي في خبر ابن عباس ينظر الله فيه كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة... إلخ[1]، فهذا كله تفصيل من القدر. اهـ

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (ج١٠/ ص٢٦٠، ح١٠٦٠٥) بسند حسن عن بكير بن شهاب، عن سعيد بن جبير، عن بن عباس قال: لوددت أن عندي رجلًا من أهل القدر فوجأت رأسه. قالوا: ولم ذاك؟ قال: لأن الله خلق لوحًا محفوظًا من درة بيضاء، دفتاه ياقوتة حمراء، قلمه نور، وكتابه نور، وعرضه ما بين السماء والأرض، ينظر فيه كل يوم ستين وثلاثمائة نظرة، يخلق بكل نظرة، ويحيي ويميت، ويعز ويذل، ويفعل ما يشاء».

ورواه بنحوه الحاكم في المستدرك (٣٧٧١)، واللالكائي في «أصول السنة» (١٢٢٥) والطبري (٢٣/ ٤٠) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (١٠٠٤) وأبو الشيخ في «العظمة» (٥٢) ومحمد بن عثمان بن أبي شيبة في «كتاب العرش» من طريق أخرى موقوفًا بلفظ: «إن مما خلق الله لوحًا محفوظًا من درة بيضاء، دفتاه من ياقوته حمراء، قلمه نور، وكتابه نور، ينظر فيه كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة أو مرة، ففي كل مرة منها يخلق ويرزق، ويحيي ويميت، ويعز ويذل، ويفعل ما يشاء، فذلك قوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ﴾».. وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الهيثمي: رواه الطبراني من طريقين ورجال هذه ثقات. اهـ

وقد روي مرفوعًا لكنه لا يصح، قال الشيخ الألباني في «تخريج شرح الطحاوية»: رواه الطبراني في «المعجم الكبير»، وفيه زياد بن عبد الله -وهو البكائي- عن ليث -وهو ابن أبي سليم- وكلاهما ضعيف. وقد رواه الطبراني من طريق أخرى نحوه، عن ابن عباس موقوفًا عليه، وإسناده يحتمل التحسين، فإن رجاله كلهم ثقات غير بكير بن شهاب، وهو الكوفي قال فيه أبو حاتم: شيخ. وذكره ابن حبان في الثقات. اهـ

قلت: وأثر ابن عباس له حكم الرفع؛ لأنه لا يقال بالرأي.

❁ **الهراس**: وهذا التقدير التابع للعلم القديم تارة يكون جملة؛ كما في اللوح المحفوظ؛ فإن فيه مقادير كل شيء، ويكون في مواضع تفصيلًا يخص كل فرد، كما في الكلمات الأربع التي يؤمر الملك بكتابتها عند نفخ الروح في الجنين، يكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أم سعيد. اهـ

فهذا تقدير خاص.

قال المصنف[(١)]: والتقدير والكتابة تكون تفصيلًا بعد جملة، فالله تعالى لما قدَّر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، لم يظهر ذلك التقدير للملائكة، ولما خلق آدم قبل أن ينفخ فيه الروح أظهر لهم ما قدّره، كما يظهر لهم ذلك من كل مولود، كما في الصحيح، عن ابن مسعود، عن النبي ﷺ أنه قال: «**يجمع خلق أحدكم في بطن أمه أربعين يومًا نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الله إليه الملك، فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات، بكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد**» وفي طريق آخر وفي رواية «**ثم يبعث إليه الملك فيؤمر بأربع كلمات فيقال: اكتب رزقه، وعمله، وأجله، وشقي أو سعيد، ثم ينفخ فيه الروح**»[(٢)].

فأخبر ﷺ في هذا الحديث الصحيح: أن الملك يؤمر بكتابة رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد، بعد خلق جسد ابن آدم، وقبل نفخ الروح فيه. فكان ما كتبه الله من نبوة محمد ﷺ الذي هو سيد ولد آدم بعد خلق جسد آدم وقبل نفخ الروح فيه من هذا الجنس، كما في الحديث الآخر الذي في المسند وغيره عن العرباض بن سارية، عن النبي ﷺ قال: «**إني عند الله مكتوب خاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته**»[(٣)] وهذا وأمثاله من وجود الأعيان في الصحف. اهـ

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١٢ / ٣٨٧).

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٠٨، ٣٣٣٢، ٦٥٩٤، ٧٤٥٤)، ومسلم (٢٦٤٣).

(٣) أخرجه أحمد (١٧١٥٠، ١٧١٦٣)، والبزار (٤١٩٩)، والطبراني في «تفسيره» (٢٠٧١، ٢٠٧٣)، والحاكم (٤١٧٥)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (١/ ٨٣)، و«الشعب» (١٣٢٢)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٨٩، ٩٠)، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد.

❁ **قال الشيخ**: قوله: (**فَهَذَا القَدَرُ قَدْ كَانَ يُنْكِرُهُ غُلَاةُ القَدَرِيَّةِ قَدِيمًا وَمُنْكِرُوهُ اليَوْمَ قَلِيلٌ**). يعني الكتابة قد كان ينكره غلاة القدرية قديمًا- يعني: الذين خرجوا في زمن الصحابة، كمعبد الجهني، وعمرو بن عبيد، وأتباعهما- يقولون: لا قدر. يعني: أن الأمر أُنُف -مستأنف-. وقال الإمام الشافعي: ناظروهم بالعلم، فإن أقروا به خُصِمُوا، وإن جحدوه كفروا. يعني: أن كفرهم من هذه الناحية أشهر، فإنهم إن جحدوا العلم فقد جحدوا سابق علم الله. ويقول الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: القدر: قدرة الله. واستحسنه ابن عقيل. ومراده أن هذه جملة هامة عظيمة في هذا الباب، وفي ضمنها بطلان ما سلكوه من إنكار أن الله على كل شيءٍ قدير. ومراد أحمد - رحمة الله عليه- يعني: من آمن بالقدرة فإنها حجة على القدر، ومن أنكر قدرة الله على الأشياء فقد أنكر قدر الله. يعني: فمن أنكر القدر فقد أنكر قدرة الله. يعني: وأي شيء يستنكر مِنْ كَتْب الله تعالى إذا كان قد علمه فما المانع من الكتابة؟! وحديث: «**إن الأمر أنف**»(١) يعني: يستأنف الله ما يقضيه إذا أراده. يعني: يجد له قدرًا، يعني وأن لا قدر سابق. «**يتقفرون العلم**»: يعني يخوضون فيها لم يسبقهم إليه أحد، وفي رواية: «**يفقرون**» يعني: يتكلفون؛ لكونهم بحثوا فيها لم يتعبد الخلق العلم بها، بل تعبدوا بالسكوت عنها.

---

(١) رواه مسلم (٨) وغيره عن يحيى بن يعمر قال: كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهني، فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميري حاجين، أو معتمرين، فقلنا: لو لقينا أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر، فوفِّق لنا عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه داخلًا المسجد، فاكتنفته أنا وصاحبي، أحدنا عن يمينه، والآخر عن شماله، فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إليَّ، فقلت: أبا عبد الرحمن ، إنه قد ظهر قِبَلَنا أناس يقرؤون القرآن، ويتقفرون العلم، وذكر من شأنهم، وأنهم يزعمون أن لا قدر، وأن الأمر أُنُفٌ، فقال: إذا لقيت أولئك فأخبرهم: أني بريء منهم، وأنهم برآء مني، والذي يحلف به عبد الله بن عمر، لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبًا فأنفقه، ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر، ثم قال: حدثني أبي عمر بن الخطاب..ثم ذكر حديث جبريل الطويل، وفيه: فأخبرني عن الإيمان؟ قال: «**أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**».

قوله: (وَمُنْكِرُوهُ اليَوْمَ قَلِيلٌ) أي: في زمن الشيخ ومن يليه، فالذين في زمن المصنف نفاة لا ينكرون هذا، بل ينكرون غيره من أنواع القدر، أو المُجْبِرَةُ، وهم أكثر من النافية. اهـ

❁ **الهراس**: وهذا التقدير السابق على وجود الأشياء قد كان ينكره غلاة القدرية قديمًا، مثل معبد الجهني، وغيلان الدمشقي، وكانوا يقولون: إن الأمر أنف.

ومنكر هذه الدرجة من القدر كافر؛ لأنه أنكر معلوما من الدين بالضرورة، وقد ثبت بالكتاب والسنة والإجماع. اهـ

مجمل مذهب السلف في القدر

* **قال المصنف**(١): مذهب أهل السنة والجماعة في هذا الباب وغيره ما دل عليه الكتاب والسنة وكان عليه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، وهو أن الله خالق كل شيء وربه ومليكه، وقد دخل في ذلك جميع الأعيان القائمة بأنفسها وصفاتها القائمة بها من أفعال العباد وغير أفعال العباد، وأنه سبحانه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، فلا يكون في الوجود شيء إلا بمشيئته وقدرته لا يمتنع عليه شيء شاءه، بل هو قادر على كل شيء، ولا يشاء شيئًا إلا وهو قادر عليه، وأنه سبحانه يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، وقد دخل في ذلك أفعال العباد وغيرها، وقد قدر الله مقادير الخلائق قبل أن يخلقهم، قدر آجالهم، وأرزاقهم، وأعمالهم، وكتب ذلك، وكتب ما يصيرون إليه من سعادة وشقاوة.

فهم يؤمنون بخلقه لكل شيء وقدرته على كل شيء ومشيئته لكل ما كان وعلمه بالأشياء قبل أن تكون، وتقديره لها وكتابته إياها قبل أن تكون.

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٨/ ٤٤٩).

المخالفون في القدر

وغلاة القدرية ينكرون علمه المتقدم وكتابته السابقة، ويزعمون أنه أمر ونهي، وهو لا يعلم من يطيعه ممن يعصيه، بل الأمر أنف: أي مستأنف.

وهذا القول أول ما حدث في الإسلام بعد انقراض عصر الخلفاء الراشدين، وبعد إمارة معاوية بن أبي سفيان، في زمن الفتنة التي كانت بين ابن الزبير وبين بني أمية، في أواخر عصر عبد الله بن عمر، وعبد الله بن عباس، وغيرهما من الصحابة، وكان أول من ظهر عنه ذلك بالبصرة معبد الجهني، فلما بلغ الصحابة قول هؤلاء تبرؤوا منهم وأنكروا مقالتهم، كما قال عبد الله بن عمر -لما أخبر عنهم-: إذا لقيت أولئك فأخبرهم، أني بريء منهم[(١)]. وأنهم برآء مني. وكذلك كلام ابن عباس، وجابر بن عبد الله، وواثلة بن الأسقع، وغيرهم من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وسائر أئمة المسلمين فيهم كثير، حتى قال فيهم الأئمة كمالك والشافعي وأحمد بن حنبل وغيرهم: إن المنكرين لعلم الله المتقدم يكفرون.

ثم كثر خوض الناس في القدر، فصار جمهورهم يقر بالعلم المتقدم والكتاب السابق، لكن ينكرون عموم مشيئة الله، وعموم خلقه وقدرته[(٢)]، ويظنون أنه لا معنى لمشيئته إلا أمره، فما شاءه فقد أمر به، وما لم يشأه لم يأمر به. فلزمهم أن يقولوا: إنه قد يشاء ما لا يكون، ويكون ما لا يشاء. وأنكروا أن يكون الله تعالى خالقًا لأفعال العباد، أو قادرا عليها، أو أن يخص بعض عباده من النعم بما يقتضي إيمانهم به وطاعتهم له.

وزعموا أن نعمته - التي يمكن بها الإيمان والعمل الصالح - على الكفار كأبي لهب، وأبي جهل، مثل نعمته بذلك على أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، بمنزلة رجل

---

(١) تقدم تخريجه وأنه في صحيح مسلم (٨).
(٢) وهذه مقالة المعتزلة وأصلهم الذي يسمونه «العدل».

دفع لأولاده مالًا فقسمه بينهم بالسوية، لكن هؤلاء أحدثوا أعمالهم الصالحة، وهؤلاء أحدثوا أعمالهم الفاسدة، من غير نعمة خص الله بها المؤمنين وهذا قول باطل. وقد قال تعالى: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الحجرات: ١٧]، وقال تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ [الحجرات: ٧]. وقد أمرنا الله أن نقول في صلاتنا: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٦-٧]. وقال أهل الجنة: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣] وقال الخليل، صلوات الله وسلامه عليه: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ [البقرة: ١٢٨]. وقال: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ [إبراهيم: ٤٠]. وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾ [السجدة: ٢٤]، وقال: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾ [القصص: ٤١] ونصوص الكتاب والسنة وسلف الأمة المبينة لهذه الأصول كثيرة، مع ما في ذلك من الدلائل العقلية الكثيرة على ذلك. اهـ

أصناف المنازعين في القدر

* **قال المصنف أيضًا**[1]: وإنما نازع في ذلك غلاة القدرية وظنوا أن تقدم العلم يمنع الأمر والنهي، وصاروا فريقين:

١- فريق أقروا بالأمر والنهي، والثواب والعقاب، وأنكروا أن يتقدم بذلك قضاء وقدر وكتاب، وهؤلاء نبغوا في أواخر عصر الصحابة، فلما سمع الصحابة بدعَهم تبرؤوا منهم كما تبرؤوا منهم، ورد عليهم عبد الله بن عمر، وعبد الله بن عباس، وجابر بن عبد الله، وواثلة بن الأسقع، وغيرهم، وقد

(١) «مجموع الفتاوى» (٨/ ٢٨٨).

نص الأئمة، كمالك، والشافعي، وأحمد على كفر هؤلاء الذين ينكرون علم الله القديم.

٢- والفريق الثاني: من يقر بتقدم علم الله وكتابه، لكن يزعم أن ذلك يغني عن الأمر والنهي والعمل، وأنه لا يحتاج إلى العمل، بل من قضي له بالسعادة دخل الجنة بلا عمل أصلًا، ومن قضي عليه بالشقاوة شقي بلا عمل، فهؤلاء ليسوا طائفة معدودة من طوائف أهل المقالات، وإنما يقوله كثير من جهال الناس.

وهؤلاء أكفر من أولئك وأضل سبيلًا، ومضمون قول هؤلاء تعطيل الأمر والنهي، والحلال والحرام، والوعد والوعيد، وهؤلاء أكفر من اليهود والنصارى بكثير.

وأما جمهور القدرية فهم يقرون بالعلم والكتاب المتقدم، لكن ينكرون أن الله خلق أفعال العباد وإرادة الكائنات.

وتعارضهم القدرية المجبرة الذين يقولون ليس للعبد قدرة ولا إرادة حقيقية، ولا هو فاعل حقيقة، وكل هؤلاء مبتدعة ضلال.

وشر من هؤلاء من يجعل خلق الأفعال وإرادة الله الكائنات مانعةً من الأمر والنهي، كالمشركين الذين قالوا: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٤٨] فهؤلاء أكفر من اليهود والنصارى، ومضمون قولهم تعطيل جميع ما جاءت به الرسل كلهم من الأمر والنهي. اهـ

أقسام القدر التفصيلية

* **ابن باز**: أقسام القدر أربعة:

الأول: التقدير العام، وهو تقدير الرب لجميع الأشياء بمعنى: علمه بها، وكتابته لها، ومشيئته، وخلقه لما كان منها. ويدل على هذا النوع دلائل كثيرة منها قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَابٍ﴾ الآية، وقوله: ﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾، وقوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا﴾ الآية، وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾، وقوله: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾. وفي «صحيح مسلم» عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي ﷺ قال: «**إن الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماء والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء**»[(١)].

القسم الثاني: تقدير عمري، وهو تقدير كل ما يجري على العبد في حياته إلى نهاية أجله، وكتابة شقاوته وسعادته، وقد دل عليه حديث ابن مسعود المخرج في الصحيحين مرفوعًا: «**إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا نطفة، ثم علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الله الملك فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات: بكتابة رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد...**» الحديث[(٢)].

الثالث: التقدير السنوي، وذلك يكون في ليلة القدر، ويدل عليه قوله ﷻ: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾، وقوله: ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾، قيل: يكتب في هذه الليلة ما يحدث في السنة من موت، وعز، وذل، وغير ذلك. روي هذا عن ابن عمر، ومجاهد، وأبي مالك، والضحاك، وغير واحد من السلف.

---

(١) تقدم.
(٢) تقدم.

الرابع: التقدير اليومي، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾، ولأثر عن ابن عباس: إن لله لوحًا محفوظًا من درة بيضاء، دفتاه من ياقوتة حمراء، قلمه نور، وكتابه نور، وعرضه ما بين السماء والأرض، ينظر فيه كل يوم كذا وكذا نظرة، يخلق في كل نظرة، ويحيي ويميت، ويعز ويذل ما يشاء. أخرجه ابن جرير، وفي إسناده أبو حمزة الثُّمالي، وهو ضعيف، ورمي بالرفض، فلا يعتمد عليه(١). وأخرج ابن جرير عن منيب بن عبد الله الأزدي، عن أبيه، وابن أبي حاتم عن أبي الدرداء، عن النبي ﷺ وتفسير: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾: قال: «من شأنه أن يغفر ذنبًا، ويفرج كربًا، ويرفع قومًا، ويضع آخرين». علقه البخاري عن أبي الدرداء موقوفًا(٢). اهـ

المشيئة والقدرة

قوله: (وَأَمَّا الدَّرَجَةُ الثَّانِيَةُ فَهِيَ مَشِيئَةُ اللهِ النَّافِذَةُ، وَقُدْرَتُهُ الشَّامِلَةُ، وَهُوَ الإِيمَانُ بِأَنَّ مَا شَاءَ اللهُ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، وَأَنَّهُ مَا فِي السموات وَمَا فِي الأَرْضِ مِنْ حَرَكَةٍ وَلا سُكُونٍ؛ إِلا بِمَشِيئَةِ اللهِ سُبْحَانَهُ).

❁ **آل الشيخ**: تقدم أن الإيمان بالقدر على درجتين، وتقدمت الدرجة الأولى، وأنها تتضمن شيئين، وأن أحدهما: أن الله عَلِم... إلخ، والثاني: أنه كتب ما علمه في اللوح

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه مرفوعًا ابن ماجه (٢٠٢)، والبزار (٤١٠٠)، وابن حبان (٦٨٩)، والطبراني في «الكبير» وفي «الأوسط» (٣١٤٠)، و«مسند الشاميين» (٢٢٠٢)، والبيهقي في «الشعب» (١٠٦٦)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٣٠١)، وفي «الآحاد» (٢٣١٦)، وقال البوصيري في «زوائد ابن ماجه» (١/ ٢٨): هذا إسناد حسن. اهـ وحسَّنه الألباني في «صحيح ابن ماجة» (١٩٨)، و«ظلال الجنة» (٣٠١).
والمعلق الموقوف ذكره البخاري في تفسير سورة الرحمن من صحيحه.
قال ابن الجوزي في «العلل المتناهية» (١/ ٤٢): قال الدارقطني: وقد روي موقوفًا وهو الصواب. اهـ

المحفوظ... إلخ. وهذه الدرجة الثانية، وهي تتضمن شيئين: الأول الإيمان بالإرادة والمشيئة، والثاني: الإيمان بخلق الله الكائنات بقدرته ﷻ.

قوله: «**فهو مشيئة الله النافذة، وقدرته الشاملة، و**» حقيقة ذلك وإيضاحه: «**هو الإيمان بأن ما شاء الله كان**»، ولا يريد شيئًا إلا يكون بكل حال، «**وما لم يشأ لم يكن**». وهذه كلمة المسلمين: ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن. ومقتضى أن ما شاء الله كان أن ما لم يشأ لا يكون. «**وأنه ما في السموات وما في الأرض من حركة ولا سكون إلا بمشيئة الله سبحانه، لا يكون في ملكه ما لا يريد**» فما من شيء واقع إلا وقد شاءه الله ولابد، وما لم يشأ فلا يكون أبدًا، ولا يكون شيء طاعة أو معصية إلا الله شاءه. «**وأنه سبحانه على كل شيء قدير من الموجودات والمعدومات**» التي لم تفعل والممكن وجوده. أما المستحيلات فليست شيئًا حتى تشمل بالعلم والقدرة[1].

«**فما من مخلوق في الأرض ولا في السماء إلا الله خالقه سبحانه**» وموجده، هذا من مضمون: ما شاء الله كان. «**لا خالق غيره، ولا ربّ سواه**» فشاء ما في الكون وأوجده بقدرته ومشيئته، فصار ما في الكون بهذين الشيئين.

فصار الإيمان بالقدر ينتظم أربعة أشياء:

الأول: الإيمان بعلم الله القديم.

الثاني: الإيمان بأن ما علمه كتبه في السابق.

الثالث: الإيمان بأن ما شاء الله كان.

(١) وعلى هذا لا يقال: هل يقدر الله على إيجاد المستحيل؛ لأن المستحيل ليس شيئًا حتى يدخل في المعلومات والمقدورات، وهذا هو الجواب الصحيح، وليس كقول بعضهم: إنه لا يقدر على ذلك. أو قول بعضهم: إنه قادر عليه، كابن حزم حيث قال في «المحلى» (١/ ٣٣): وقدرته عز وجل وقوته حق لا يعجز عن شيء ولا عن كل ما يسأل عنه السائل من محال أو غيره مما لا يكون أبدًا. اهـ

الرابع: الإيمان بأن ما من موجود إلا الله موجده، وأن اللهَ كوّن ما في الوجود: أجزاءَه، وأفعالَه، وصفاتِه. فما من موجود من الموجودات إلا وهو مشمول بهذه الأربعة: الإيمان بعلمه تعالى السابق، والإيمان بأن الله كتب في الأزل ما عَلِمه كائنًا، والإيمان بمشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة، والإيمان بأنه ما من موجود إلا وهو موجده. اهـ

❁ **الهراس**: قوله: «وأما الدرجة الثانية من القدر..» إلخ، فهي تتضمن شيئين أيضا:

أولهما: الإيمان بعموم مشيئته تعالى، وأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه لا يقع في ملكه ما لا يريد، وأن أفعال العباد من الطاعات والمعاصي واقعة بتلك المشيئة العامة التي لا يخرج عنها كائن، سواء كان مما يحبه الله ويرضاه أم لا.

وثانيهما: الإيمان بأن جميع الأشياء واقعة بقدرة الله تعالى، وأنها مخلوقة له، لا خالق لها سواه، لا فرق في ذلك بين أفعال العباد وغيرها، كما قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات: ٩٦]. اهـ

❁ **ابن باز**: الدرجة الثانية تشتمل على شيئين أيضًا: المشيئة، والخلق والإيجاد. فمشيئة الله نافذة، ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وهو الخالق لكل شيء جل وعلا، كما قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [الإنسان: ٣٠]، وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الرعد: ١٦]، فهو سبحانه علم الأشياء وكتبها، وهو الخالق لها، ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن. اهـ

الفرق بين المشيئة والإرادة

❁ **ابن باز**: المشيئة بمعنى الإرادة الكونية. يعني أن مشيئته نافذة لا يردها شيء، ما شاء الله كان، من موت، أو حياة، أو عز قوم، أو ذل قوم، أو زوال ملك، أو ثبات ملك، أو ولادة أو عدمها، كل ذلك نافذ ما شاء الله، كما قال تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [التكوير: ٢٨-٢٩]، ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ﴾ [الأنعام: ١١٢]، ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟﴾ [البقرة: ٢٥٣]، إلى غير ذلك.

والإرادة قسمان:

١- إرادة كونية: كالمشيئة النافذة، التي لا يردها راد، مثل المشيئة، كما في قوله تعالى: ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾ [الأنعام: ١٢٥]، وقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴾ [المائدة: ١]، فهذه إرادة كونية نافذة كالمشيئة لا راد لها.

٢- أما الإرادة الشرعية: التي بمعنى المحبة والرضا فهذه تقع، وقد لا تقع، وهي مثل قوله تعالى: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ ﴾ [النساء: ٢٦-٢٧]، فهذه إرادة شرعية قد تقع، وقد لا تقع، يريد الله أن يهدي الناس جميعًا، يريد أن يتوب عليهم، لكن إرادة شرعية، أكثر الخلق ما تيب عليهم، أكثرهم يموت على الكفر.

فالإرادة الشرعية قد تقع وقد لا تقع، فالله أراد شرعًا للإنسان أن يقبل الحق، ويتبع الرسل، وأن يطيع الله، ثم منهم من أطاع ومنهم من عصى، فمن أطاعه فله الجنة، ومن عصاه فله النار، كما قال جل وعلا: ﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ [النساء: ١٣-١٤]، كلهم موعودون، فمن أطاع باختياره وإرادته فله الجنة، ومن عصاه فله النار.

هذه الإرادة الشرعية، أما الكونية فلا يخالفها أحد، ما أراد الله أنه يقع كونًا فإنه يقع، من هلاك قوم وعزهم، أو موت فلان، أو حياته، أو زوال ملك فلان، أو بقائه، أو غير ذلك، فالإرادة الكونية مثل المشيئة مرادها نافذ. اهـ

* **ابن مانع**: الإرادة نوعان: إحداهما: الإرادة الكونية المستلزمة لوقوع المراد التي يقال فيها: ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن. والثانية: الإرادة الدينية الشرعية، وهذه لا تستلزم وقوع المراد إلا أن يتعلق بها النوع الأول من الإرادة. وفي أوائل فتح المجيد بحث مفيد في الفرق بين الإرادتين فليراجعه طالب التحقيق. اهـ

* **قال شيخ الإسلام**(١): الإرادة نوعان:

١- نوع بمعنى المشيئة لما خلق، فهذا متناول لكل حادث دون ما لا يحدث.

٢- ونوع بمعنى المحبة لما أمر به، فهذا إنما يتعلق بالطاعات.

وإذا كان كذلك، فما وقع من المعاصي فهو مراد بالمعنى الأول فإنه ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، فكل ما وقع فقد شاء كونَه. والزجرُ عنها مراد بالمعنى الثاني، فإنه يحب النهي عن المنكر، ويرضاه، ويثيب فاعله، بخلاف المنكر نفسه فإنه لا يحبه، ولا يرضاه، ولا يثيب فاعله.

ثم الزجر إنما يكون عما لم يقع، والعقوبة تكون على ما وقع، فإذا وقعت سرقة بالقضاء والقدر، وقد أمر الله سبحانه بإقامة الحد فيها، فإقامة الحد مأمور به، يحبه ويرضاه ويريده إرادة أمر، لا إرادة خلق، فإن أعان عليه كان قد أراده خلقًا، وكان حينئذ إقامة الحد مرادة شرعًا وقدرًا، خلقًا وأمرًا، قد شاءها وأحبها، وإن لم يقع كان ما وقع من المعصية قد شاءه خلقًا ولم يرده ولم يحبه شرعًا. ويذكر أن رجلًا سرق، فقال لعمر: سرقت بقضاء الله وقدره. فقال له: وأنا أقطع يدك بقضاء الله وقدره.

وهكذا يقال لمن تعدى حدود الله، وأعان العباد على عقوبته الشرعية، كما يعين المسلمين على جهاد الكفار: إن الجميع واقع بقضاء الله وقدره، لكن ما أمر به يحبه، ويرضاه، ويريده شرعًا ودينًا، كما شاءه خلقًا وكونًا، بخلاف ما نهى عنه. اهـ

---

(١) «منهاج السنة النبوية» (٣/ ٢٣٤).

الفرق بين الأمور الشرعية والأمور الكونية

قال المصنف رحمه الله[١]: الإرادة، والإذن، والكتاب، والحكم، والقضاء، والتحريم، وغيرها، كالأمر والبعث والإرسال، ينقسم في كتاب الله إلى نوعين:

أحدهما: ما يتعلق بالأمور الدينية التي يحبها الله تعالى ويرضاها، ويثيب أصحابها، ويدخلهم الجنة، وينصرهم في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وينصر بها العباد من أوليائه المتقين، وحزبه المفلحين وعباده الصالحين.

والثاني: ما يتعلق بالحوادث الكونية، التي قدّرها الله وقضاها، مما يشترك فيها المؤمن والكافر، والبر والفاجر، وأهل الجنة وأهل النار، وأولياء الله وأعداؤه، وأهل طاعته الذين يحبهم ويحبونه، ويصلي عليهم هو وملائكته، وأهل معصيته الذين يبغضهم ويمقتهم، ويلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون.

فمن نظر إليها من هذا الوجه شهد الحقيقة الكونية الوجودية، فرأى الأشياء كلها مخلوقة لله مدبرة بمشيئته، مقهورة بحكمته، فما شاء الله كان وإن لم يشأ الناس، وما لم يشأ لم يكن وإن شاء الناس، لا معقب لحكمه، ولا راد لأمره، ورأى أنه سبحانه رب كل شيء ومليكه، له الخلق والأمر، وكل ما سواه مربوب له مدبر مقهور، لا يملك لنفسه ضرًّا ولا نفعًا، ولا موتًا ولا حياةً، ولا نشورًا، بل هو عبد فقير إلى الله تعالى من جميع الجهات، والله غني عنه، كما أنه الغني عن جميع المخلوقات، وهذا الشهود في نفسه حق، لكن طائفة قصرت عنه -وهم القدرية المجوسية[٢]- وطائفة وقفت عنده، وهم القدرية المشركية[٣].

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٨/ ٥٨).

(٢) هم المعتزلة نفاة القدر.

(٣) هم الجبرية الذين يحتجون بالقدر على فعل المعاصي، كحال المشركين الذين قالوا: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٤٨] الآية.

أما الأولون: فهم الذين زعموا أن في المخلوقات ما لا تتعلق به قدرة الله ومشيئته وخلقه، كأفعال العباد، وغلاتهم أنكروا علمه القديم وكتابه السابق، وهؤلاء هم أول من حَدَثَ من القدرية في هذه الأمة، فرد عليهم الصحابة وسلف الأمة وتبرؤوا منهم.

وأما الطائفة الثانية فهم شر منهم، وهم طوائف من أهل السلوك، والإرادة، والتأله، والتصوف، والفقر، ونحوهم، يشهدون هذه الحقيقة، ورأوا أن الله خالق المخلوقات كلها، فهو خالق أفعال العباد، ومريد جميع الكائنات، ولم يميزوا بعد ذلك بين إيمان وكفر، ولا عرفان ولا نكر، ولا حق ولا باطل، ولا مهتدٍ ولا ضال، ولا راشد ولا غوي، ولا نبي ولا متنبئ، ولا ولي لله ولا عدو، ولا مرضي لله ولا مسخوط، ولا محبوب لله ولا ممقوت، ولا بين العدل والظلم، ولا بين البِر والعقوق، ولا بين أعمال أهل الجنة وأعمال أهل النار، ولا بين الأبرار والفجار، حيث شهدوا ما تجتمع فيه الكائنات من القضاء السابق، والمشيئة النافذة، والقدرة الشاملة، والخلق العام، فشهدوا المشتَرَك بين المخلوقات وعَمُوا عن الفارق بينهما، وصاروا ممن يخاطَب بقوله تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [القلم: ٣٥-٣٦]، وبقوله تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾ [ص: ٢٨]، وبقوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [الجاثية: ٢١]، ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟﴾ [الأعراف: ١٣٧].

ومنه قول النبي ﷺ: «أعوذ بكلمات الله التامات، التي لا يتجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق، وذرأ، وبرأ، ومن شر ما ينزل من السماء، وما يعرج فيها، ومن شر ما ذرأ في الأرض، وما يخرج منها، ومن شر فتن الليل والنهار، ومن شر كل طارق، إلا طارقا يطرق بخير، يا رحمن»[١]، فالكلمات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر ليست هي أمره ونهيه الشرعيين، فإن الفجار عصوا أمره ونهيه، بل هي التي بها يكوِّن الكائنات.

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٤١٩)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٦٣٧)، وسنده صحيح.

وأما الكلمات الدينية المتضمنة لأمره ونهيه الشرعيين فمثل الكتب الإلهية: التوراة، والإنجيل، والزبور، والقرآن، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَاۗ﴾ [التوبة: ٤٠]، وقال ﷺ: «**واستحللتم فروجهن بكلمة الله**»[١].

وأما قوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًاۚ﴾ [الأنعام: ١١٥] فإنه يعم النوعين.. إلخ.

فصل في تقدير أهل الجنة وأهل النار

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: هذا المعنى مشهور عن النبي ﷺ من وجوه متعددة، مثل ما في «موطأ مالك» و«سنن أبي داود» والنسائي وغيره عن مسلم بن يسار، وفي لفظ عن نعيم بن ربيعة أن عمر بن الخطاب سئل عن هذه الآية: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢] الآية فقال عمر عن رسول الله ﷺ، وفي لفظ سمعت رسول الله ﷺ سئل عنها، فقال رسول الله ﷺ: «**إن الله خلق آدم، ثم مسح ظهره بيمينه، فاستخرج منه ذرية، فقال: خلقت هؤلاء للجنة، وبعمل أهل الجنة يعملون، ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال: خلقت هؤلاء للنار، وبعمل أهل النار يعملون**» فقال رجل: يا رسول الله فَفِيْمَ العمل؟ فقال رسول الله ﷺ: «**إن الله إذا خلق الرجل للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخله به الجنة، وإذا خلق الرجل للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخله به النار**»[٣].

---

(١) أخرجه مسلم (١٢١٨) من حديث جابر في خطبة النبي ﷺ بعرفة.

(٢) «مجموع الفتاوى» (٨/ ٦٥).

(٣) أخرجه مالك (١٥٩٣)، وأحمد (٣١١)، وأبو داود (٤٧٠٣)، والترمذي (٣٠٧٥) وقال: هذا حديث حسن، والبزار (١١١٢٦)، والحاكم (٧٤)، وقال: صحيح على شرطهما ولم يخرجاه. وقال الذهبي: فيه إرسال. ورواه الحاكم من طريق مالك (٣٢٥٦) وقال: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.
=

وفي حديث الحكم بن سنان، عن ثابت، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ «**إن الله قبض قبضة فقال: إلى الجنة برحمتي وقبض قبضة فقال: إلى النار ولا أبالي**»(١) وهذا الحديث ونحوه فيه فصلان:

أحدهما: القدر السابق، وهو أن الله سبحانه عَلِمَ أهلَ الجنة من أهل النار من قبل أن يعملوا الأعمال، وهذا حق يجب الإيمان به، بل قد نص الأئمة- كمالك، والشافعي، وأحمد- أن من جحد هذا فقد كفر، بل يجب الإيمان أن الله علم ما سيكون كله، قبل أن يكون، ويجب الإيمان بما أخبر به من أنه كتب ذلك وأخبر به قبل أن يكون، كما في «صحيح مسلم» عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء**»(٢)، وفي «صحيح البخاري» وغيره عن عمران بن حصين عن النبي ﷺ أنه قال: «**كان الله**

=

ورواه الحاكم (٤٠٠١) من طريق مالك أيضًا وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

والإرسال الذي أشار إليه الذهبي آنفًا قد حكاه الترمذي فقال: هذا حديث حسن، ومسلم بن يسار لم يسمع من عمر. وقد ذكر بعضهم في الإسناد بين مسلم وبين عمر رجلاً. اهـ

وعلق عليه الحافظ عبد الحق الإشبيلي في «الأحكام الكبرى» (٤/ ١٠٨) مصححًا للحديث: الرجل المذكور بين مسلم وعمر هو نعيم بن ربيعة، ذكر ذلك أبو جعفر الطحاوي، ووصل الحديث، قال أبو جعفر: فجاز لنا إدخال هذا الحديث في الأحاديث المتصلة. اهـ

(١) أخرجه أبو يعلى (٣٤٢٢، ٣٤٥٣)، وصححه ابن خزيمة في «التوحيد» (١٠٨)، وفيه ضعف، قال الهيثمي في «المجمع» (٧/ ١٨٦): فيه الحكم بن سنان الباهلي، قال أبو حاتم: عنده وهم كثير وليس بالقوي، ومحله الصدق، كتب حديثه، وضعفه الجمهور. اهـ

وله شاهد أخرجه الإمام أحمد (١٧٥٦٤، ٢٠٦٦٨)، بسند صحيح على شرط مسلم، عن أبي نضرة قال: عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله تبارك وتعالى قبض قبضة بيمينه فقال: هذه لهذه ولا أبالي، وقبض قبضة أخرى -يعني: بيده الأخرى- فقال: هذه لهذه ولا أبالي**»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٧٨٤).

(٢) تقدم تخريجه.

ولا شيء غيره، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء، وخلق السموات والأرض» -وفي لفظ- «ثم خلق السموات والأرض»(١).

وفي «المسند» عن العرباض بن سارية، عن النبي ﷺ أنه قال: «إني عند الله مكتوب خاتم النبيين، وإن آدم لمنجدل في طينته، وسأنبئكم بأول ذلك: دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى، ورؤيا أمي، رأت حين ولدتني أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام»(٢).

وفي حديث ميسرة الفجر: قلت: يا رسول الله، متى كتبتَ نبيًّا؟ وفي لفظ: متى كنتَ نبيًّا؟ قال: «وآدم بين الروح والجسد»(٣).

وفي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله ﷺ- وهو الصادق المصدوق -: «إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يومًا نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث إليه الملك، فيؤمر بأربع كلمات، فيقال: اكتب رزقه وعمله وأجله، وشقي أو سعيد، ثم ينفخ فيه الروح - قال: فوالذي نفسي بيده -أو قال: فوالذي لا إله غيره - إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخل النار»(٤).

وفي الصحيحين عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ ببقيع الغرقد في جنازة. فقال: «ما منكم أحد إلا قد كتب مقعده من النار ومقعده من الجنة». فقالوا: يا رسول الله، أفلا نتكل على الكتاب وندع العمل؟ قال: «اعملوا فكل ميسر لما خلق له أما من كان من أهل السعادة فسييسر لعمل أهل السعادة وأما من كان من أهل الشقاوة فسييسر لعمل أهل الشقاوة» ثم قرأ قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ

---

(١) تقدم تخريجه.
(٢) تقدم تخريجه.
(٣) أخرجه أحمد (٢٠٥٩٦)، والطبراني في «الكبير» (ج١٥/ ص ٢٨/ ح١٧٢٢٠) وله شواهد عن ابن عباس وأبي هريرة.
(٤) تقدم.

بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴾ [الليل: ٥-١٠]»(١).

وفي الصحيح أيضًا: أنه قيل له: يا رسول الله، أعُلِمَ أهلُ الجنة من أهل النار؟ فقال: «نعم». فقيل له: ففيم العمل؟ قال: «**اعملوا فكل ميسر لما خلق له**»(٢).

فبيّن النبي ﷺ أن الله علم أهل الجنة من أهل النار، وأنه كتب ذلك، ونهاهم أن يتَّكِلوا على هذا الكتاب ويدَعُوا العمل، كما يفعله الملحدون. وقال: «**كل ميسر لما خلق له وإن أهل السعادة ميسرون لعمل أهل السعادة وأهل الشقاوة ميسرون لعمل أهل الشقاوة**» وهذا من أحسن ما يكون من البيان، وذلك أن الله ﷻ يعلم الأمور على ما هي عليه، وهو قد جعل للأشياء أسبابًا تكون بها، فيعلم أنها تكون بتلك الأسباب، كما يعلم أن هذا يولد له بأن يطأ امرأة فيحبلها، فلو قال هذا: إذا علم الله أنه يولد لي فلا حاجة إلى الوطء. كان أحمق؛ لأن الله علم أن سيكون بما يقدره من الوطء، وكذلك إذا علم أن هذا ينبت له الزرع بما يسقيه من الماء ويبذره من الحب، فلو قال: إذا علم أن سيكون فلا حاجة إلى البذر. كان جاهلًا ضالًّا؛ لأن الله علم أن سيكون بذلك، وكذلك إذا علم الله أن هذا يشبع بالأكل، وهذا يروى بالشرب، وهذا يموت بالقتل، فلابد من الأسباب التي علم الله أن هذه الأمور تكون بها.

وكذلك إذا علم أن هذا يكون سعيدًا في الآخرة، وهذا شقيًّا في الآخرة، قلنا ذلك؛ لأنه يعمل بعمل الأشقياء، فالله علم أنه يشقى بهذا العمل، فلو قيل: هو شَقِيَ وإن لم يعمل. كان باطلًا؛ لأن الله لا يدخل النار أحدًا إلا بذنبه، كما قال تعالى: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٥] فأقسم أنه يملؤها من إبليس وأتباعه، ومن اتبع إبليس، فقد عصى الله تعالى، ولا يعاقب الله العبد على ما علم أنه يعمله حتى يعمله؛

(١) أخرجه البخاري (٤٩٤٦، ٤٩٤٩، ٦٦٠٥، ٧٥٥٢)، ومسلم (٢٦٤٧).
(٢) أخرجه مسلم (٢٦٤٨) من حديث جابر.

ولهذا لما سئل النبي ﷺ عن أطفال المشركين. قال: «الله أعلم بما كانوا عاملين»[١] يعني: أن الله يعلم ما يعملون لو بلغوا، وقد روي: «أنهم في القيامة يبعث إليهم رسول فمن أطاعه دخل الجنة ومن عصاه دخل النار»[٢] فيظهر ما علمه فيهم من الطاعة والمعصية.

وكذلك الجنة خلقها الله لأهل الإيمان به وطاعته، فمن قُدِّر أن يكون منهم يسره للإيمان والطاعة.

فمن قال: أنا أدخل الجنة، سواء كنت مؤمنًا أو كافرًا، إذا علم أني من أهلها. كان مفتريًا على الله في ذلك، فإن الله إنما علم أنه يدخلها بالإيمان، فإذا لم يكن معه إيمان لم يكن هذا هو الذي علم الله أنه يدخل الجنة، بل من لم يكن مؤمنًا، بل كافرًا، فإن الله يعلم أنه من أهل النار لا من أهل الجنة؛ ولهذا أمر الناس بالدعاء والاستعانة بالله وغير ذلك من الأسباب. ومن قال: أنا لا أدعو ولا أسأل، اتكالًا على القدر. كان مخطئا أيضا؛ لأن الله جعل الدعاء والسؤال من الأسباب التي ينال بها مغفرته، ورحمته، وهداه، ونصره، ورزقه.

وإذا قدر للعبد خيرًا يناله بالدعاء لم يحصل بدون الدعاء، وما قدره الله، وعلمه من أحوال العباد وعواقبهم، فإنما قدره الله بأسباب يسوق المقادير إلى المواقيت، فليس في الدنيا والآخرة شيء إلا بسبب والله خالق الأسباب والمسبَّبات.

ولهذا قال بعضهم: الالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد، ومحو الأسباب أن تكون أسبابًا نقصٌ في العقل، والإعراض عن الأسباب بالكلية قدح في الشرع. ومجرد الأسباب لا يوجب حصول المسبب، فإن المطر إذا نزل وبذر الحب لم يكن ذلك كافيًا في حصول النبات، بل لابد من ريح مربية بإذن الله، ولابد من صرف الانتفاء عنه، فلابد من تمام الشروط وزوال الموانع، وكل ذلك بقضاء الله وقدره، وكذلك الولد لا يولد

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

بمجرد إنزال الماء في الفرج، بل كم من أنزل ولم يولد له، بل لابد من أن الله شاء خلقه، فتحبل المرأة وتربيه في الرحم، وسائر ما يتم به خلقه من الشروط وزوال الموانع.

وكذلك أمر الآخرة ليس بمجرد العمل ينال الإنسان السعادة، بل هي سبب؛ ولهذا قال النبي ﷺ: «**إنه لن يدخل أحدكم الجنة بعمله**» قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «**ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل**»(١)، وقد قال: ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٣٢] فهذه باء السبب أي: بسبب أعمالكم. والذي نفاه النبي ﷺ باء المقابلة كما يقال: اشتريت هذا بهذا. أي: ليس العمل عوضًا وثمنًا كافيًا في دخول الجنة، بل لابد من عفو الله وفضله ورحمته، فبعفوه يمحو السيئات وبرحمته يأتي بالخيرات وبفضله يضاعف البركات.

وفي هذا الموضع ضل طائفتان من الناس:

١- فريق آمنوا بالقدر، وظنوا أن ذلك كاف في حصول المقصود، فأعرضوا عن الأسباب الشرعية والأعمال الصالحة، وهؤلاء يؤول بهم الأمر إلى أن يكفروا بكتب الله، ورسله، ودينه.

٢- وفريق أخذوا يطلبون الجزاء من الله، كما يطلبه الأجير من المستأجر، متكلين على حولهم وقوتهم وعملهم، وكما يطلبه المماليك. وهؤلاء جهال ضلال، فإن الله لم يأمر العباد بما أمرهم به حاجة إليه، ولا نهاهم عما نهاهم عنه بخلا به؛ ولكن أمرهم بما فيه صلاحهم، ونهاهم عما فيه فسادهم، وهو سبحانه كما قال: «**يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني**»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (٥٦٧٣، ٦٤٦٣)، ومسلم (٢٨١٦)، عن أبي هريرة، وأخرجاه عن عائشة أيضًا البخاري (٦٤٦٧)، ومسلم (٢٨١٨).

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٧٧) عن أبي ذر مرفوعًا.

فالملك إذا أمر مملوكيه بأمر أمرهم لحاجته إليهم، وهم فعلوه بقوتهم التي لم يخلقها لهم، فيطالبون بجزاء ذلك، والله تعالى غني عن العالمين، فإن أحسنوا أحسنوا لأنفسهم وإن أساؤوا فلها، لهم ما كسبوا وعليهم ما اكتسبوا ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [فصلت: ٤٦]، وفي الحديث الصحيح عن الله تعالى أنه قال: «يا عبادي، إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا، يا عبادي، إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعًا ولا أبالي، فاستغفروني أغفر لكم، يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته، فاستهدوني أهدكم، يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته، فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي، إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني، يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئًا، يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئا، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم اجتمعوا في صعيد واحد، فسألوني، فأعطيت كل إنسان منهم مسألته، ما نقص ذلك في ملكي شيئًا، إلا كما ينقص البحر أن يغمس فيه المخيط غمسة واحدة، يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيرًا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه»[١].

وهو سبحانه مع غناه عن العالمين خلقهم، وأرسل إليهم رسولًا يبين لهم ما يسعدهم وما يشقيهم، ثم إنه هدى عباده المؤمنين لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه، فمنَّ عليهم بالإيمان والعمل الصالح، فخلقه بفضله، وإرساله الرسول بفضله، وهدايته لهم بفضله، وجميع ما ينالون به الخيرات من قواهم وغير قواهم هي بفضله، فكذلك الثواب والجزاء هو بفضله، وإن كان أوجب ذلك على نفسه كما حرم على نفسه الظلم ووعد بذلك، كما قال: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾ [الأنعام: ٥٤] وقال تعالى:

---

(١) تقدم قريبًا.

﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧]. فهو واقع لا محالة، واجب بحكم إيجابه ووعده؛ لأن الخلق لا يوجبون على الله شيئًا، أو يحرمون عليه شيئًا، بل هم أعجز من ذلك وأقل من ذلك، وكل نعمة منه فضل، وكل نقمة منه عدل، كما في الحديث المتقدم «**إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيرًا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه**».

وفي الحديث الصحيح «**سيد الاستغفار أن يقول العبد: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعتن أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك عليَّ، وأبوء بذنبي، فاغفر لي، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، من قالها إذا أصبح موقنًا بها فمات من ليلته دخل الجنة**»(١)، فقوله «**أبوء لك بنعمتك عليَّ، وأبوء بذنبي**» اعتراف بإنعام الرب وذنب العبد، كما قال بعض السلف: إني أصبح بين نعمة تنزل من الله عليَّ، وبين ذنب يصعد مني إلى الله، فأريد أن أحدث للنعمة شكرًا، وللذنب استغفارًا.

فمن أعرض عن الأمر والنهي والوعد والوعيد ناظرًا إلى القدر فقد ضل، ومن طلب القيام بالأمر والنهي معرضًا عن القدر فقد ضل، بل المؤمن كما قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] فنعبده اتباعًا للأمر، ونستعينه إيمانًا بالقدر وفي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجزن، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت لكان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان**»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣٠٦، ٦٣٢٣) من حديث شداد بن أوس.

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٦٤) عن أبي هريرة ﷺ وترجم عليه النووي: باب في الأمر بالقوة وترك العجز، والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله.

فأمره النبي ﷺ بشيئين:

١- أن يحرص على ما ينفعه، وهو امتثال الأمر، وهو العبادة، وهو طاعة الله ورسوله ﷺ.

٢- وأن يستعين بالله، وهو يتضمن الإيمان بالقدر، أنه لا حول ولا قوة إلا بالله، وأنه ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن.

فمن ظن أنه يطيع الله بلا معونته كما يزعم القدرية المجوسية(١) فقد جحد قدرة الله التامة، ومشيئته النافذة، وخلقه لكل شيء.

ومن ظن أنه إذا أعين على ما يريد، ويسر له ذلك كان محمودًا، سواء وافق الأمر الشرعي، أو خالفه فقد جحد دين الله، وكذّب بكتبه ورسله، ووعده ووعيده، واستحق من غضبه وعقابه أعظم ما يستحقه الأول.

فإن العبد قد يريد ما يرضاه الله ويحبه، ويأمر به، ويقرب إليه، وقد يريد ما يبغضه الله، ويكرهه، ويسخطه، وينهى عنه، ويعذب صاحبه، فكل من هذين قد يسر له ذلك، كما قال النبي ﷺ: «كل ميسر لما خلق له، أما من كان من أهل السعادة فسييسر لعمل أهل السعادة، وأما من كان من أهل الشقاوة فسييسر لعمل أهل الشقاوة»، وقد قال تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ [الإسراء: ١٨-٢٠]، وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ﴾ [الفجر: ١٥-١٦]، بين سبحانه أنه ليس كل من ابتلاه في الدنيا يكون قد أهانه، بل هو يبتلي عبده بالسراء والضراء، فالمؤمن يكون صبارًا

(١) وهم المعتزلة.

شكورًا، فيكون هذا وهذا خيرًا له، كما في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا يقضي الله للمؤمن قضاء إلا كان خيرا له، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له**»[(١)].

والمنافق هلوع جزوع، كما قال تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴾ إلى قوله ﴿جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ﴾ [المعارج: ١٩-٣٥].

ولما كان العبد ميسرًا لما لا ينفعه -بل يضره- من معصية الله، والبطر، والطغيان، وقد يقصد عبادة الله وطاعته والعمل الصالح، فلا يتأتى له ذلك، أمر في كل صلاة بأن يقول: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة: ٥]، وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: «**يقول الله ﷻ: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، نصفها لي، ونصفها لعبدي، ولعبدي ما سأل فإذا قال: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ قال: حمدني عبدي. فإذا قال: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ قال: أثنى علي عبدي. فإذا قال: ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ قال: مجدني عبدي. فإذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ قال: هذه الآية بيني وبين عبدي، ولعبدي ما سأل. فإذا قال: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ قال: فهؤلاء لعبدي، ولعبدي ما سأل**»[(٢)].

وقال بعض السلف: أنزل الله ﷻ مائة كتاب وأربعة كتب جمع علمها في الكتب الأربعة: التوراة، والإنجيل، والزبور، والفرقان. وجمع الأربعة في القرآن، وعلم القرآن في المفصل، وعلم المفصل في الفاتحة، وعلم الفاتحة في قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة: ٥].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٩٩) عن صهيب الرومي.

(٢) أخرجه مسلم (٣٩٥) عن أبي هريرة.

فكل عمل يعمله العبد ولا يكون طاعة لله وعبادة وعملًا صالحًا فهو باطل، فإن الدنيا ملعونة ملعون ما فيها، إلا ما كان لله، وإن نال بذلك العمل رئاسة ومالًا فغاية المترئس أن يكون كفرعون وغاية المتمول أن يكون كقارون.

وقد ذكر الله في سورة القصص من قصة فرعون وقارون ما فيه عبرة لأولي الألباب.

وكل عمل لا يعين اللهُ العبدَ عليه فإنه لا يكون ولا ينفع، فما لا يكون به لا يكون، وما لا يكون له لا ينفع ولا يدوم، فلذلك أمر العبد أن يقول: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة: ٥].

أحوال العبد مع الشرع والقدر

والعبد له في المقدور حالان: حال قبل القدر، وحال بعده. فعليه قبل المقدور أن يستعين بالله ويتوكل عليه ويدعوه، فإذا قدر المقدور بغير فعله فعليه أن يصبر عليه أو يرضى به، وإن كان بفعله -وهو نعمة- حمد الله على ذلك، وإن كان ذنبًا استغفر إليه من ذلك.

وله في المأمور حالان: حال قبل الفعل، وهو العزم على الامتثال والاستعانة بالله على ذلك، وحال بعد الفعل، وهو الاستغفار من التقصير وشكر الله على ما أنعم به من الخير، وقال تعالى: ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ ﴾ [غافر: ٥٥] أمره أن يصبر على المصائب المقدرة، ويستغفر من الذنب، وإن كان استغفار كل عبد بحسبه، فإن حسنات الأبرار سيئات المقربين، وقال تعالى: ﴿ وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ [آل عمران: ١٨٦] وقال يوسف: ﴿ إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [يوسف: ٩٠]، فذكر الصبر على المصائب والتقوى بترك المعائب، وقال النبي ﷺ: «**احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجزن، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل**

الشيطان»(١)، فأمره إذا أصابته المصائب أن ينظر إلى القدر، ولا يتحسر على الماضي، بل يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه، فالنظر إلى القدر عند المصائب، والاستغفار عند المعائب، قال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ﴾ [الحديد: ٢٢-٢٣]، وقال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ﴾ [التغابن: ١١] قال علقمة: وغيره هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم. والله ﷻ أعلم. اهـ

(١) تقدم.

الجمع بين القدر والشرع

قال المصنف: (وَمَعَ ذَلِك فَقَدْ أَمَرَ الْعِبَادَ بِطَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رُسُلِهِ، وَنَهَاهُمْ عَنْ مَعْصِيَتِهِ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ وَالْمُحْسِنِينَ وَالْمُقْسِطِينَ، وَيَرْضَى عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، وَلا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ، وَلاَ يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ، وَلاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ، وَلاَ يَرْضَى لِعِبَادِهُ الْكُفْرَ، وَلاَ يُحِبُّ الْفَسَادَ.

وَالعِبَادُ فَاعِلُونَ حَقِيقَةً، وَاللهُ خَالِقُ أَفْعَالِهِم، وَالعَبْدُ هُوَ المُؤْمِنُ، وَالكَافِرُ، وَالبَرُّ، وَالفَاجِرُ، وَالمُصَلِّي، وَالصَّائِمُ.

وَلِلعِبَادِ قُدْرَةٌ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، وَلَهُمْ إِرَادَةٌ، وَاللهُ خَالِقُهُمْ وَخَالِقُ قُدْرَتِهِمْ وَإِرَادَتِهِمْ؛ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٨-٢٩].

وَهَذِهِ الدَّرَجَةُ مِنَ القَدَرِ يُكَذِّبُ بِهَا عَامَّةُ القَدَرِيَّةِ الَّذِينَ سَمَّاهُمُ النَّبِيُّ ﷺ «مَجُوسَ هَذِهِ الأُمَّةِ»(١).

---

(١) حديث صحيح ورد عن جماعة من الصحابة، منهم جابر، وابن عمر، وحذيفة، وابن عباس، وأبو هريرة، وسهل بن سعد، وعائشة ﷺ، من طرق يشد بعضها بعضًا، وأصحها حديث جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «إن مجوس هذه الأمة المكذبون بأقدار الله تعالى، إن مرضوا فلا تعودوهم، وإن لقيتموهم فلا تسلموا عليهم، وإن ماتوا فلا تصلوا عليهم» أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (٣٢٨)، والبيهقي في «القدر» (٤١٥) وقال: ولهذا الحديث شواهد عن ابن عمر وأبي هريرة وفيها ذكرناه كفاية. اهـ وحسنه الألباني.

وبعده في الصحة حديث ابن عمر أخرجه الإمام أحمد (٥٥٨٤)، وأبو داود (٤٦٩١)، والحاكم (١/ ٨٥)، والبيهقي في «السنن» (١٠/ ٢٠٣)، وفي «القدر» (٤٠٧-٤٠٩) وسكت عنه، من حديث ابن عمر عن النبي ﷺ قال: «القدرية مجوس هذه الأمة، إن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم».

وحسنه الشيخ الألباني، وله شواهد من حديث حذيفة عند أحمد (٢٣٤٥٦)، وأبي داود (٤٦٩٢)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٣٢٩)، واللالكائي في «شرح أصول السنة» (١١٥٥)، والبيهقي في «القدر» (٤١٢-٤١٤) وسكت عنه أبو داود والبيهقي.

وَيَغْلُو فِيهَا قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الإِثْبَاتِ حَتَّى سَلَبُوا العَبْدَ قُدْرَتَهُ وَاخْتِيَارَهُ، وَيُخْرِجُونَ عَنْ أَفْعَالِ اللهِ وَأَحْكَامِهِ حِكَمَهَا وَمَصَالِحَهَا).

الشرح

❁ **الهراس**: يجب الإيمان بالأمر الشرعي، وأن الله تعالى كلف العباد، فأمرهم بطاعته وطاعة رسله، ونهاهم عن معصيته.

ولا منافاة أصلًا بين ما ثبت من عموم مشيئته سبحانه لجميع الأشياء، وبين تكليفه العباد بما شاء من أمر ونهي؛ فإن تلك المشيئة لا تنافي حرية العبد واختياره للفعل؛ ولهذا جمع الله بين المشيئتين بقوله: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٨-٢٩]، كما أنه لا تلازم بين تلك المشيئة وبين الأمر الشرعي المتعلق بما يحبه الله ويرضاه، فقد يشاء الله ما لا يحبه، ويحب ما لا يشاء كونه:

فالأول: كمشيئته وجود إبليس وجنوده.

والثاني: كمحبة إيمان الكفار، وطاعات الفجار، وعدل الظالمين، وتوبة الفاسقين، ولو شاء ذلك لوجد كله؛ فإنه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن. اهـ

❁ **آل الشيخ**: قوله: (**وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ أَمَرَ الْعِبَادَ بِطَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رُسُلِهِ، وَنَهَاهُمْ عَنْ مَعْصِيَتِه**) يعني: ومع ما تقرر لك من الأصل العظيم -وهو الإيمان بالقدر، وأنه أحد أركان الإيمان الستة، وما اشتملت عليه الأشياء الأربعة السابقة- يأتي بعد ذلك عدم منافاة القدر للشرع، وأنهما أخوان مصطحبان، لا ينافي أحدهما الآخر، وأنه ما ضاق به صدرٌ إلا المبتدعة، نظروا بعين واحدة وأغضوا عينًا، أخذوا جانبًا من النصوص وتركوا جانبًا، وهدى الله أهل السنة والجماعة فنظروا بالعينين جميعًا، وآمنوا بالشرع والقدر جميعًا.

فقد أمر العباد بطاعته وطاعة رسله، ونهاهم عن معصيته ومعصية رسله، فوجب الإيمان بشرعه وقدره جميعًا، بأن يؤمن أن هذا شرعه، ويمتثله، ويفعله، فإذا امتثل صار من أهل السعادة، والقدر لا حجة فيه، وهو تام وماض، ولا راد له، وسبق أن لا يكون الخلق على طريق واحد، بل أن يكون الخلق متفاوتين، كما قال: ﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [الذاريات: ٤٩] كجنة ونار؛ لتسكنا، وهو اللائق بجلاله، وسواه ليس بكمال.

ولا منافاة بين الشرع والقدر، فإنها ضاقت أعطان القدرية ولم تتسع للشرع والقدر جميعًا.

فالقدرية النفاة من المعتزلة وغيرهم أثبتوا الحكمة والشرع، وغلوا فيهما ونفوا القدر أو بعضه، وقالوا: إن الأمر والنهي بيد الإنسان، فإنها زعمت أنها إذا أثبتت القدر صارت معطلة للشرع.

وقابلها طائفة القدرية الجبرية، فغلبت جانب القدر، وغلت فيه، وعطلت جانب الشرع، وقالوا: إن العبد مجبور لا فعل له، وإنما هو كالأشجار في مهب الريح... إلخ.

وأهل السنة قالوا: له فعل صحيح واختيار صحيح، ويحمد على فعل الخير، ويذم ويعاقب على فعل الشر.

فهدى الله أهل الحق أهل السنة والجماعة، فآمنوا بالشرع والقدر وقالوا: ما في الكون كله خلق لله، فالأفعال فعل للمخلوق، خلقٌ للربّ، فأفعالهم نسبتها إلى الله نسبة خلق وإيجاد، ونسبتها إلى العبد نسبة فعل.

فالشرع والقدر متلازمان ولا حجة في القدر على الشرع، بل قد ركز الله في عقول العباد معرفة النافع من الضار، وأحدهم يعرف الضار ويجتنبه، والنافع فيأتيه. اهـ

❁ **العثيمين**: لا يجوز الاعتماد على القضاء السابق وترك العمل؛ لأن الصحابة رضي الله عنهم قالوا: يا رسول الله، أفلا نتكل على الكتاب الأول وندع العمل؟ فقال رسول الله ﷺ:

«اعملوا فكل ميسر لما خلق له، أما أهل السعادة فيسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة»، وتلا قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾[١]. اهـ.

وقال الشيخ المصنف رحمه الله[٢]: مذهب أهل السنة والجماعة أن الله تعالى خالق كل شيء وربه ومليكه، لا رب غيره ولا خالق سواه، ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وهو على كل شيء قدير، وبكل شيء عليم، والعبد مأمور بطاعة الله وطاعة رسوله، منهي عن معصية الله ومعصية رسوله، فإن أطاع كان ذلك نعمة، وإن عصى كان مستحقًا للذم والعقاب، وكان لله عليه الحجة البالغة، ولا حجة لأحد على الله تعالى، وكل ذلك كائن بقضاء الله، وقدره، ومشيئته، وقدرته، لكن يحب الطاعة، ويأمر بها، ويثيب أهلها على فعلها، ويكرمهم، ويبغض المعصية، وينهى عنها، ويعاقب أهلها، ويهينهم. وما يصيب العبد من النعم فالله أنعم بها عليه، وما يصيبه من الشر فبذنوبه ومعاصيه، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠]، وقال تعالى: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾ [النساء: ٧٩] أي: ما أصابك من خصب ونصر وهدى فالله أنعم به عليك، وما أصابك من حزن وذل وشر فبذنوبك وخطاياك، وكل الأشياء كائنة بمشيئة الله وقدرته وخلقه، فلابد أن يؤمن العبد بقضاء الله وقدره، وأن يوقن العبد بشرع الله وأمره.

فمن نظر إلى الحقيقة القدرية وأعرض عن الأمر والنهي والوعد والوعيد كان مشابهًا للمشركين، ومن نظر إلى الأمر والنهي، وكذب بالقضاء والقدر كان مشابهًا للمجوسيين، ومن آمن بهذا وبهذا، فإذا أحسن حمد الله تعالى، وإذا أساء استغفر الله تعالى، وعلم أن ذلك بقضاء الله وقدره- فهو من المؤمنين، فإن آدم عليه السلام لما أذنب تاب

(١) تقدم تخريجه.
(٢) «مجموع الفتاوى» (٨ / ٦٣).

فاجتباه ربه وهداه، وإبليس أصر واحتج، فلعنه الله وأقصاه، فمن تاب كان آدميًا، ومن أصر واحتج بالقدر كان إبليسيًّا، فالسعداء يتبعون أباهم، والأشقياء يتبعون عدوهم إبليس. فنسأل الله أن يهدينا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، آمين يا رب العالمين. اهـ

قوله: (وَهُوَ سُبْحَانَهُ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ وَالْمُحْسِنِينَ وَالْمُقْسِطِينَ، وَيَرْضَى عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، وَلا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ، وَلاَ يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ، وَلاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ، وَلاَ يَرْضَى لِعِبَادِهُ الْكُفْرَ، وَلاَ يُحِبُّ الْفَسَادَ).

❁ **آل الشيخ**: فرق بين المحبة والإرادة، لا كما زعمه المبتدعة الذين يقولون: ما شاءه فقد أحبه، بل يريد ﷻ أشياء لا يحبها، وقد أراد كُفْرَ إبليس وكُفْرَ الكفار[١]، ومع ذلك لا يحبه؛ لكونه ظلمًا وفسادًا، فهو سبحانه لا يحب الكافرين، ومع ذلك أفعالهم بقدرته وقضائه، يحبه قدرًا، ولا يحبه شرعًا[٢]، فإنه يحب ذلك لا يحب المفعول، يحب القضاء والقدر في أهل الشقاء، وما يترتب عليه مبغوض له، فعلمه وقضاؤه كله جميل، والله يحب كل جميل. اهـ

❁ **ابن مانع**: اعلم أن الذي عليه الأئمة المحققون، ودل عليه الكتاب والسنة أن المشيئة والمحبة ليستا واحدًا، ولا هما متلازمتان، بل قد يشاء ما لا يحبه، ويحب ما لا يشاء كونه. فالأول كمشيئته وجود إبليس وجنوده، ومشيئته العامة لجميع ما في الكون مع بغضه لبعضه. والثاني كمحبته لإيمان الكفار، وطاعات الفجار، وعدل الظالمين، وتوبة الفاسقين، ولو شاء ذلك لوجد كله، فإنه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن. اهـ

---

(١) أي: أراده إرادة كونية بمعنى المشيئة.

(٢) الظاهر من كلام العلامة آل الشيخ أنه يفرِّق بين المحبة، ويجعلها كالإرادة قدرية وشرعية، والله أعلم.

أفعال العباد حقيقة وهي مخلوقة لله تعالى

قوله: (وَالعِبَادُ فَاعِلُونَ حَقِيقَةً، وَاللهُ خَالِقُ أَفْعَالِهِم وَالعَبْدُ هُوَ المُؤْمِنُ، وَالكَافِرُ، وَالبَرُّ، وَالفَاجِرُ، وَالمُصَلِّي، وَالصَّائِمُ).

❁ **ابن باز**: العباد لهم أفعال هم لها فاعلون -أي: لهم أفعال حقيقة منسوبة لهم- فالعبد هو المصلي، والصائم، وهو الحاج، وهو الزاني والسارق، وهو البائع والمشتري، وهو الناكح والمطلِّق، إلى غير ذلك، لهم أفعال، والله خالقهم وخالق أفعالهم، كما قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات: ٩٦]، وهو سبحانه يحب المتقين، والمحسنين، والمقسطين، ولا يرضى عن القوم الفاسقين، ولا يحب الكافرين، ولا يرضى لعباده الكفر، ولا يحب الفساد، فيحب الخير وأهله، ويكره الشر وأهله، ويحب الإيمان والتقوى ويكره الفساد، والكفر، والضلال، وكل عبد ميسر لما خلق له. لمّا سأل الصحابة النبي ﷺ: إن كانت الأمور مقدرة ومكتوبة ففيم العمل؟ قال: «**اعملوا فكل ميسر لما خلق له، أمّا أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة**»(١). اهـ

❁ **آل الشيخ**: إذا عرف ما تقدم من القدر والإيمان به، وعرف أن الله أمر بطاعته وطاعة رسله، وأنه لا تعارض بين القدر والشرع، وأن أهل السنة آمنوا بهما جميعًا، فاعلم أن العباد لهم أفعال حقيقية تقول: صلَّى زيد، زنى زيد. وَاللهُ خَالِقُ أَفْعَالِهِم، فهي منه خلق وإيجاد، ففرق بين الخلق والفعل.

فأفعال العباد لها نسبتان: نسبة فعل وعمل، ونسبة خلق وإيجاد. فنسبة الخلق لله ونسبة الفعل إليهم، خلافًا للأشاعرة، فعندهم القول بالكسب(٢).

---

(١) تقدم.

(٢) قال ابن القيم رحمه الله في «شفاء العليل» (ص/ ١٢١): «لفظ الكسب تطبقه القدرية على معنى، والجبرية على معنى، وأهل السنة والحديث على معنى.

=

وَالعَبْدُ هُوَ المُؤْمِنُ، وَالكَافِرُ، وَالبَرُّ، وَالفَاجِرُ، وَالمُصَلِّي، وَالصَّائِمُ، وإن كان مدبَّرًا، بل هو حقيقة إذا صلى فهو المصلي، وإذا قتل، فهل القاتل غير مَنْ فَعَل القتل؟! فالفعل

=

فكسب القدرية هو: وقوع الفعل عندهم بإيجاد العبد وإحداثه ومشيئته، من غير أن يكون الله شاءه أو أوجده.

وكسب الجبرية: لفظ لا معنى له، ولا حاصل تحته، وقد اختلفت عباراتهم فيه، وضربوا له الأمثال وأطالوا فيه المقال، فقال القاضي: الكسب ما وجدوا عليه قدرة محدثة. وقيل: إنه المتعلق بالقادر على غير جهة الحدوث. وقيل: إنه المقدور بالقدرة الحادثة. قالوا: ولسنا نريد بقولنا: ما وجدوا عليه قدرة محدثة، أنها قدرة على وجوده، فإن القادر على وجوده هو الله وحده، وإنما نعني بذلك أن للكسب تعلقًا بالقدرة الحادثة، لا من باب الحدوث والوجود. وقال الإسفرائيني: حقيقة الخلق من الخالق وقوعه بقدرته من حيث صح انفراده به، وحقيقة الفعل وقوعه بقدرته، وحقيقة الكسب من المكتسب وقوعه بقدرته مع انفراده به، ويختص القديم تعالى بالخلق، ويشترك القديم والمحدَث في الفعل، ويختص المحدث بالكسب. قلت: مراده أن إطلاق لفظ الخلق لا يجوز إلا على الله وحده، وإطلاق لفظ الكسب يختص بالمحدَث، وإطلاق لفظ الفعل يصح على الرب سبحانه والعبد. وقال أيضًا: كل فعل يقع على التعاون كان كسبًا من المستعين. قلت: يريد أن الخالق يستقل بالخلق والإيجاد، والكاسب إنما يقع منه الفعل على وجهه المعاونة والمشاركة منه ومن غيره، لا يمكنه أن يستقل بإيجاد شيء ألبتة، وقال آخرون: قدرة المكتسب تتعلق بمقدوره على وجه ما، وقدرة الخالق تتعلق به من جميع الوجوه.

وقال الأشعري وابن الباقلاني: الواقع بالقدرة الحادثة هو كون الفعل كسبًا دون كونه موجودًا أو محدثًا، فكونه كسبًا وصف للوجود، بمثابة كونه معلومًا.

ولخص بعض متأخريهم هذه العبارات بأن قال: الكسب عبارة عن الاقتران العادي بين القدرة المحدثة والفعل، فإن الله سبحانه أجرى العادة بخلق الفعل عند قدرة العبد وإرادته لا بهما، فهذا الاقتران هو الكسب؛ ولهذا قال كثير من العقلاء: إن هذا من محالات الكلام، وإنه شقيق أحوال أبي هاشم، وطفرة النظام، والمعنى القائم بالنفس الذي يسميه القائلون به كلامًا، وشيء من ذلك غير معقول ولا متصور.

والذي استقر عليه قول الأشعري: أن القدرة الحادثة لا تؤثر في مقدورها، ولم يقع المقدور ولا صفة من صفاته، بل المقدور بجميع صفاته واقع بالقدرة القديمة، ولا تأثير للقدرة الحادثة فيه، وتابعه على ذلك عامة أصحابه، والقاضي أبو بكر يوافقه مرة، ومرة يقول: القدرة الحادثة لا تؤثر في إثبات الذات وأحداثها، ولكنها تقتضي صفة للمقدور زائدة على ذاته تكون حالًا له، ثم تارة يقول: تلك الصفة التي هي من أثر القدرة الحادثة مقدورة لله تعالى، ولم يمتنع من إثبات هذا المقدور بين قادرين على هذا الوجه.

وقد اضطربت آراء أتباع الأشعري في الكسب اضطرابًا عظيمًا واختلفت عباراتهم فيه اختلافًا كثيرًا. اهـ

إنما يضاف إلى من باشره، كما تقول: قام زيد، كَفَر زيد، قعد زيد. هذا هو المعروف في لغة العرب التي نزل بها القرآن، فما صدر من المخلوق فهو فعل له، ليس فعلًا لرب العالمين. اهـ

❁ **الهراس**: وكذلك لا منافاة بين عموم خلقه تعالى لجميع الأشياء، وبين كون العبد فاعلا لفعله؛ فالعبد هو الذي يوصف بفعله، فهو المؤمن والكافر، والبر والفاجر، والمصلي والصائم، والله خالقه، وخالق فعله؛ لأنه هو الذي خلق فيه القدرة والإرادة اللتين بهما يفعل. اهـ

❁ **ابن مانع**: قوله: (وَلِلعِبَادِ قُدْرَةٌ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، وَلَهُمْ إِرَادَةٌ) أي: فليس بمجبر على أعماله؛ لأنه يعملها بإرادته واختياره، فيثاب على الطاعة، ويستحق العقاب على المعصية، وما أحسن قول ابن عدوان ناظم هذه العقيدة، حيث قال:

وللعبد يا ذا قدرة وإرادة * على العمل افهم فهم غير مبلد
فيفعل يا ذا باختيار وقدرة * وليس بمجبور ولا بمضهد

اهـ.

❁ **آل الشيخ**: قوله: (وَلِلعِبَادِ قُدْرَةٌ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، وَلَهُمْ إِرَادَةٌ) أي: لهم تصور واختيار وفعل.

وقوله: (وَاللهُ خَالِقُهُمْ وَخَالِقُ قُدْرَتِهِمْ وَإِرَادَتِهِمْ؛ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٨-٢٩]).

كما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦]، فهي لرب العالمين خلق وإيجاد وتكوين، وللمخلوق فعل وتصور، فهي قضاء الله وقدره، وهي للعبد فعل، فجانب الخلق إلى الله، وجانب الفعل إلى من صدر منه وباشره، كما تقدم، وكما يأتي.

ومما يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٨-٢٩]، دل على أن للعبد مشيئة حقيقية، ودل على أن له استقامة، ودل على أن العبد لا يملكها استقلالًا، فوجود وتصور المشيئة من العبد لا يكون إلا بمشيئة الله، فإرادته تابعة لإرادة الله، ومشيئته تابعة لمشيئة الله. اهـ

❁ **العثيمين**: للعبد مشيئة وقدرة لقوله تعالى: ﴿فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾. وقوله: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾. فأثبت الله للعبد مشيئة واستطاعة- وهي القدرة- إلا أنهما تابعتان لمشيئة الله تعالى؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾. اهـ

❁ **السعدي**: ثبتت النصوص: أن العباد مختارون غير مجبورين على أفعالهم، وأن أعمالهم خيرها وشرها واقعة بمشيئتهم وقدرتهم التي خلقها الله لهم، وخالق السبب التام خالق للمسبَّب، وبهذا ينحل عن العبد الإشكال، ويتسع قلبه للجمع بين إثبات عموم مشيئة الله وقدرته، وشمولها لأفعال العباد، مع وقوعها شرعًا وحسًّا وعقلًا باختيارهم.

فمتى جمع العبد المراتب الأربع[(١)]، وآمن بها إيمانا صحيحًا كان هو المؤمن بالقدر حقًّا الذي يعلم أن الله بكل شيء عليم، وعلمه بالحوادث قد أودعه في اللوح المحفوظ، والحوادث كلها تجري على ما علمه الله وكتبه، وتقع بأسباب ربطها العزيز الحكيم بمسبباتها، والأسباب والمسبَّبات من قضاء الله وقدره؛ ولهذا لما قال النبي ﷺ لأصحابه: «**ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من الجنة أو النار**». فقالوا: يا رسول الله، أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل؟ فقال: «**اعملوا فكل ميسر لما خلق له؛ أما أهل السعادة فيسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فيسرون لعمل أهل الشقاوة**». ثم قرأ ﷺ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل: ٥-١٠]. متفق عليه[(٢)].

---

(١) يعني: مراتب القدر المتقدم ذكرها، وهي العلم، والكتابة، والمشيئة، والخلق.

(٢) تقدم.

وتوضيح ذلك: أن العبد إذا صلى، وصام، وعمل الخير، أو عمل شيئًا من المعاصي، كان هو الفاعل لذلك العمل الصالح، وذلك العمل السيء، وفعله المذكور بلا ريب واقع باختياره وهو يحس ضرورة أنه غير مجبور على الفعل أو الترك، وأنه لو شاء لم يفعل، وكما أن هذا هو الواقع فهو الذي نص الله عليه في كتابه ونص عليه رسوله؛ حيث أضاف الأعمال صالحها وسيئها إلى العباد، وأخبر أنهم الفاعلون لها، وأنهم ممدوحون عليها إن كانت صالحة، ومثابون عليها ومذمومون إن كانت سيئة، ومعاقبون عليها. فقد تبين بلا ريب، واتضح أنها واقعة منهم وباختيارهم، وأنهم إن شاؤوا فعلوا، وإن شاؤوا تركوا، وأن هذا الأمر ثابت عقلًا وحسًّا وشرعًا ومشاهدة.

ومع ذلك فإذا أردت أن تعرف أنها- وإن كانت كذلك- واقعة منهم، واعترض معترض فقال: كيف تكون داخلة في القدر، وكيف تشملها المشيئة؟ فيقال: بأي شيء وقعت هذه الأعمال الصادرة من العباد خيرها وشرها؟ فيقال: فهي بقدرتهم وإرادتهم. وهذا يعترف به كل أحد. ويقال أيضًا: ومن خلق قدرتهم، ومشيئتهم، وإرادتهم؟

فالجواب الذي يعترف به كل أحد: أن الله هو الذي خلق قدرتهم وإرادتهم، وهو الذي خلق ما به تقع الأفعال، هو الخالق للأفعال. فهذا هو الذي يحل الإشكال، ويتمكن العبد أن يعقل بقلبه اجتماع القدر والقضاء والاختيار.

ومع ذلك فهو تعالى أمد المؤمنين بأسباب وألطاف وإعانات متنوعة، وصرف عنهم الموانع، كما قال ﷺ: «**وأما من كان من أهل السعادة فييسر لعمل أهل السعادة**».

وكذلك خذل الفاسقين ووكلهم إلى أنفسهم ولم يعنهم؛ لأنهم لم يؤمنوا به ويتوكلوا عليه، فولاهم ما تولوه لأنفسهم.

ولما ضاق تحقيق هذا المقام على قلوب كثير من الخلق انحرفت هنا طائفتان من الناس:

١- طائفة يقال لهم: الجبرية، غلوا في إثبات القدر، وتوهموا أن العبد ليس له فعل حقيقة، وأنه لا يمكن أن يثبت للعبد عموم المشيئة ويثبت للعبد اختيارًا.

٢- والطائفة الأخرى القدرية، قابلتهم فشهدت وقوع أفعالهم بقدرتهم واختيارهم، وتوهموا أنه لا يمكن مع ذلك أن تدخل في قضاء الله وقدره.

فلم تتسع قلوب الجبرية والقدرية للجمع بين الأمرين، فرد كل منهما قسمًا كبيرًا من نصوص الكتاب والسنة المؤيَّدة بالعقل الصحيح.

وهدى الله أهل السنة والجماعة فآمنوا بجميع الكتاب والسنة، وآمنوا بقضائه وقدره وشمولها لكل موجود، وبشرعه وأمره، وأن العباد فاعلون حقيقة مختارون؛ فإيمانهم بعموم القدر يوجب لهم الاستعانة التامة بربهم؛ لعلمهم أنه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وأن له في عباده المؤمنين إلطافًا وتيسيرًا، لا ينال إلا بقوة الإيمان والتوكل، وأوجب لهم إيمانهم بالشرع، والأمر والنهي، والأسباب، وأنها مرتبطة بمسبَّباتها شرعًا وقدرًا، الجِدَّ والاجتهادَ في فعل الأسباب النافعة الدينية والدنيوية، وبذلك تعرف أن الإيمان الصحيح سبب لكل خير. اهـ

أفعال العباد خلق لله تعالى

* **قال المصنف**(١): ومما اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها -مع إيمانهم بالقضاء والقدر، وأن الله خالق كل شيء، وأنه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه يضل من يشاء، ويهدي من يشاء- أن العباد لهم مشيئة وقدرة، يفعلون بمشيئتهم وقدرتهم ما أقدرهم الله عليه، مع قولهم: إن العباد لا يشاؤون إلا أن يشاء الله، كما قال الله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [المدثر: ٥٤-٥٦] الآية. وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الإنسان: ٢٩-٣٠]، وقال: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٧-٢٩]. والقرآن قد

(١) «مجموع الفتاوى» (٨/ ٤٥٩).

أخبر بأن العباد يؤمنون ويكفرون، ويفعلون ويعملون ويكسبون، ويطيعون ويعصون، ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة، ويحجون ويعتمرون، ويقتلون ويزنون ويسرقون، ويصدقون ويكذبون، ويأكلون ويشربون، ويقاتلون ويحاربون، فلم يكن من السلف والأئمة من يقول: إن العبد ليس بفاعل ولا مختار، ولا مريد ولا قادر. ولا قال أحد منهم: إنه فاعل مجازًا، بل من تكلم منهم بلفظ الحقيقة والمجاز متفقون على أن العبد فاعل حقيقة، والله تعالى خالق ذاته وصفاته وأفعاله.

وأول من ظهر عنه إنكار ذلك هو الجهم بن صفوان وأتباعه، فحكي عنهم أنهم قالوا: إن العبد مجبور وأنه لا فعل له أصلًا، وليس بقادر أصلًا، وكان الجهم غاليًا في تعطيل الصفات، فكان ينفي أن يسمى الله تعالى ، فلا يسمى شيئًا، ولا حيًّا، ولا عالمًا، ولا سميعًا، ولا بصيرًا، إلا على وجه المجاز، وحكي عنه أنه كان يسمي الله تعالى قادرًا؛ لأن العبد عنده ليس بقادر، فلا تشتبه بهذا الاسم على قوله.

وكان هو وأتباعه ينكرون أن يكون لله حكمة في خلقه وأمره، وأن يكون له رحمة. ويقولون: إنما فعل بمحض مشيئةٍ لا رحمة معها، وحكي عنه أنه كان ينكر أن يكون الله أرحم الراحمين، وأنه كان يخرج إلى الجَذْمَى[1] فينظر إليهم ويقول: أرحم الراحمين يفعل مثل هذا بهؤلاء؟! وكان يقول: العباد مجبورون على أفعالهم ليس لهم فعل ولا اختيار.

وكان ظهور جهم ومقالته في تعطيل الصفات، وفي الجبر والإرجاء في أواخر دولة بني أمية، بعد حدوث القدرية، والمعتزلة، وغيرهم، فإن القدرية حدثوا قبل ذلك في أواخر عصر الصحابة، فلما حدثت مقالته المقابِلة لمقالة القدرية، أنكرها السلف والأئمة، كما أنكروا قول القدرية من المعتزلة وغيرهم، وبدّعوا الطائفتين، حتى في لفظ (الجبر) أنكروا على من قال: جبر. وعلى من قال: لم يجبر. والآثار بذلك معروفة عن

(١) أي: مرضى الجذام، قال في «المنجد»: الجذام: داء كالبرص يسبب تساقط اللحم والأعضاء، وسمي بذلك؛ لتجذّم الأصابع وتقطعها. اهـ

الأوزاعي، وسفيان الثوري، وعبد الرحمن بن مهدي، وأحمد بن حنبل، وغيرهم من سلف الأمة وأئمتها؛ كما ذكر طرفًا من ذلك أبو بكر الخلال في كتاب «السنة»، هو وغيره ممن يجمع أقوال السلف، وقال الأوزاعي، والزبيدي، وغيرهما: ليس في الكتاب والسنة لفظ: (جبر)، وإنما في السنة لفظ (جبل) كما في الصحيح أن النبي ﷺ قال لأشج عبد القيس: «إن فيك لخلقين يحبهما الله: الحلم، والأناة». فقال: أخلقين تخلقت بهما؟ أم خلقين جبلت عليهما؟ فقال: «بل خلقين جبلت عليهما». فقال: الحمد لله الذي جبلني على ما يحب[1]، فقال الأوزاعي والزبيدي وغيرهما من السلف: لفظ (الجبل) جاءت به السنة، فيقال جبل الله فلانًا على كذا؛ وأما لفظ (الجبر) فلم يرد. وأنكر الأوزاعي، والزبيدي، والثوري، وأحمد بن حنبل، وغيرهم لفظ (الجبر) في النفي والإثبات. وذلك لأن لفظ (الجبر) مجمل فإنه يقال: جبر الأب ابنته على النكاح، وجبر الحاكم الرجل على بيع ماله؛ لوفاء دينه، ومعنى: ذلك أكرهه، ليس معناه أنه جعله مريدًا لذلك مختارًا محبًّا له راضيًا به، قالوا: ومن قال: إنّ الله جبر العباد بهذا المعنى -الإكراه- فهو مبطل، فإنّ الله أعلى وأجل قدرًا من أن يجبر أحدًا، وإنما يجبر غيرَه العاجزُ عن أن يجعله مريدًا للفعل، مختارًا له، محبًّا له، راضيًا به، والله سبحانه قادر على ذلك، فهو الذي جعل المريد للفعل المحب له الراضي به مريدًا له، محبًّا له راضيًا به، فكيف يقال: أجبره وأكرهه، كما يجبر المخلوقُ المخلوقَ؟ مثلما يجبر السلطان، والحاكم، والأب، وغيرهم من يجبرون، إما بحق وإما بباطل، وإجبارهم هو إكراههم لغيرهم على الفعل، والإكراه قد يكون إكراهًا بحق، وقد يكون إكراهًا بباطل، والله تعالى قادر على إحداث إرادة للعبد ولاختياره وجعله فاعلًا بقدرته ومشيئته، فهو أعلى وأقدر من أن يجبر غيره ويكرهه

(١) أخرجه أحمد (١٧٨٢٨)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٥٨٤)، وابن أبي شيبة (١٢/ ٢٠٢)، وأبو داود (٥٢٢٥)، والنسائي في «الكبرى» (٧٧٤٦، ٨٣٠٦)، وابن حبان (٧٢٠٣)، وأبو يعلى (٦٨٤٨، ٦٨٥٠)، والبيهقي في «الكبرى» (٧/ ١٠٢)، و«الدلائل» (٥/ ٣٢٧-٣٢٨)، و«الشعب» (٧٣٣٢، ٨٠٥٣، ٨٥٦٠)، وسنده صحيح.

على أمر شاءه منه، بل إذا شاء جعله فاعلًا له بمشيئته كما أنه قادر على أن يجعله فاعلًا للشيء مع كراهته له، فيكون مريدًا له حتى يفعله مع بغضه له، كما قد يشرب المريض الدواء مع كراهته له، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [الرعد: ١٥]، وقال: ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [آل عمران: ٨٣]. فكل ما يقع من العباد بإرادتهم ومشيئتهم فهو الذي جعلهم فاعلين له بمشيئتهم، سواء كانوا مع ذلك فعلوه طوعًا، أو كانوا كارهين له فعلوه كرها، وهو سبحانه لا يكرههم على ما لا يريدوه كما يكره المخلوق المخلوق، حيث يكرهه على أمر وإن لم يرده، وليس هو قادرًا أن يجعله مريدًا له، فاعلا له لا مع الكراهة ولا مع عدمها؛ فلهذا يقال للعبد: إنه جبر غيره على الفعل، والله أعلى وأجل وأقدر من أن يقال بأنه جبر بهذا المعنى.

وأما السلف والأئمة كما أنهم متفقون على الإيمان بالقدر، وأنه ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه خالق كل شيء من أفعال العباد وغيرها، وهم متفقون على إثبات أمره ونهيه، ووعده ووعيده، وأنه لا حجة لأحد على الله في ترك مأمور ولا فعل محظور، فهم أيضًا متفقون على أن الله حكيم رحيم، وأنه أحكم الحاكمين وأرحم الراحمين، وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «الله أرحم بعباده من الوالدة بولدها»[(١)]، وقد أخبر عن حكمته في خلقه وأمره مما أخبر به في كتابه وسنة رسوله، والجهم بن صفوان ومن اتبعه ينكرون حكمته ورحمته، ويقولون: ليس في أفعاله وأوامره «لام كي»، لا يفعل شيئًا لشيء، ولا يأمر بشرع شيء لشيء، وكثير من المثبتين للقدر من أهل الكلام[(٢)] ومن وافقهم، سلكوا مسلك جهم في كثير من مسائل هذا الباب، وإن خالفوه في بعض ذلك، إما نزاعًا لفظيًّا، وإما نزاعًا لا يعقل[(٣)]، وإما نزاعًا معنويًّا... اهـ

---

(١) أخرجه البخاري (٥٩٩٩) بمعناه.

(٢) يعني: الأشاعرة.

(٣) يعني القول بالكسب.

قوله: (وَهَذِهِ الدَّرَجَةُ مِنَ القَدَرِ يُكَذِّبُ بِهَا عَامَّةُ القَدَرِيَّةِ الَّذِينَ سَمَّاهُمُ النَّبِيُّ ﷺ مَجُوسَ هَذِهِ الأُمَّةِ).

❁ **ابن مانع**: أي: لأنهم أثبتوا خالقًا لما اعتقدوا شرًّا غير الله. قال في «التدمرية»(١): إن من الناس من جعل بعض الموجودات خلقًا لغير الله، كالقدرية وغيرهم، لكن هؤلاء يقرون بأن الله خالق العباد وخالق قدرتهم، وإن قالوا: إنهم خلقوا أفعالهم. وقال في «النونية»:

فالنـــاس كلهـــم أقـــروا أنـــه ❁ هـــو وحـــده الخـــلاق لـــيس اثنـــان

إلا المجـــوسَ فـــإنهم قـــالوا بـــأن ❁ الـــشرَّ خالقُـــه إلـــهٌ ثـــانِ

❁ **العثيمين**: مجوس هذه الأمة القدرية، الذين يقولون: إن العبد مستقل بفعله. سموا بذلك؛ لأنهم يشبهون المجوس القائلين بأن للعالم خالقين: النور يخلق الخير، والظلمة تخلق الشر. وكذلك القدرية قالوا: إن للحوادث خالقين: فالحوادث التي من فعل العبد يخلقها العبد، والتي من فعل الله يخلقها الله. اهـ.

❁ **آل الشيخ**: هَذِهِ الدَّرَجَةُ مِنَ القَدَرِ يكذب بها عامة القدرية. أي: النفاة من المعتزلة وغيرهم، الذين سماهم النبي ﷺ مجوس هذه الأمة(٢)، وإنما سموا مجوس هذه الأمة؛ لمضارعة مذهبهم لمذهب المجوس؛ لإخراج المجوس بعض مخلوقات الله عن الله، فإن المجوس هم القائلون بالأصلين: النور، والظلمة. وأن النور خلق الخير، وأن الظلمة خلقت الشر، فهؤلاء ضارعوهم، أخرجوا أفعال العباد عن أن تكون مخلوقة لله، ورأوا أن العبد هو الذي يفعل الطاعات والمعاصي ويخلقها، والذي ألجأهم - زعمًا منهم- لإثبات الشرع، غلوٌّ منهم في أفعال العباد. قالوا: لو كانت خلقًا لله لكان ذلك للعبد ظلمًا، ويريدون الباء في قوله تعالى: ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ باء العوض، وهؤلاء

---

(١) انظر «التدمرية» في «مجموع الفتاوى» (٣/ ٩٨).

(٢) حديث صحيح ورد عن جماعة من الصحابة وتقدم تخريجه.

مشبهة الأفعال، وضعوا أوضاعًا جعلوا الخالق فيها مثل المخلوق، والباء للسبب كما في الحديث: «**لا يدخل أحدكم الجنة بعمله**» الحديث[(١)]. اهـ

❁ **ابن باز**: الدرجة الأولى وهي علم الله، قد كان ينكرها غلاة القدرية قديمًا، ثم رجعوا عن ذلك، ومنكروها اليوم قليل، كما ذكر المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ، فعلم الله الأشياء وكتابته لها، وأما الدرجة الثانية، كونه خلق الأشياء، وكون مشيئته نافذة، يكذِّب به عامة القدرية وغيرهم، وقد سماهم النبي ﷺ: «**مجوس هذه الأمة**» المجوس هم الذين يقولون: إن للعالم خالقين: النور وهو خالق الخير، والظلمة وهو خالق الشر. وهؤلاء من جنس الذين أشركوا العباد في الأفعال وقالوا: إن العباد يخلقون أفعالهم، وأنها ليست مقدرة عليهم، بل هم الذين يفعلونها، والله ليس خالقًا لها، وهذا من جهلهم وضلالهم، وهم المعتزلة والقدرية النفاة، وهم بهذا قد كذّبوا الله ورسوله، وصاروا بهذا كافرين. اهـ

قوله: (**وَيَغْلُو فِيهَا قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الإِثْبَاتِ حَتَّى سَلَبُوا العَبْدَ قُدْرَتَهُ وَاخْتِيَارَهُ**).

❁ **آل الشيخ**: قالوا: لا قدرة له، ولا اختيار، فهذا مسلك الجبرية، ومنهم الجهمية ومِنْ مَسْلك المنتسبين إلى أبي الحسن الأشعري، وإن كان قد رجع عما كان قد قال به أوّلًا، والمنتسبون ليسوا على ما كان عليه، فإنه صرح أنه على مذهب أهل السنة.

(**وَيُخْرِجُونَ عَنْ أَفْعَالِ الله وَأَحْكَامِهِ حِكَمَهَا وَمَصَالِحَهَا**) فينفون الحكمة. والخلاصة: أن القدرية النافية أثبتوا الفعل للعبد ولم يثبتوا أنها خلق لله، وقابلهم المجبرة في ذلك، فالكل منهم رد النصوص من الكتاب والسنة.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٦٧٣، ٦٤٦٣)، ومسلم (٢٨١٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لن ينجي أحدًا منكم عمله**» قالوا: ولا أنت يا رسول الله قال: «**ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة سددوا**».

وهدى الله أهل السنة، فآمنوا بالشرع والقدر جميعًا، ووفَّقوا بين النصوص. اهـ

❁ **ابن باز**: ومن القدرية، المجبرةُ -وهم الجهمية وأشباههم- الذين يقولون: إن العبد مجبور، ليس له فعل ولا له اختيار، فهو مجبور، وهؤلاء أيضًا ضالون، وهم الجهمية، نفاة الصفات، جمعوا مع القول بنفي الصفات القولَ بالجبر، وأن العبد مجبور ليس له فعل ولا اختيار، وهؤلاء كلهم طوائف ضالة، الجهمية، والمعتزلة، والقدرية النفاة، ومنهم الشيعة الإمامية؛ لأنهم معتزلة نفاة للقدر. اهـ

❁ **العثيمين**: هذه الدرجة- وهي المشيئة والخلق- ضل فيها طائفتان:

الأولى: القدرية، حيث زعموا أن العبد مستقل بإرادته وقدرته، ليس لله في فعله مشيئة ولا خلق.

الثانية: الجبرية، حيث زعموا أن العبد مجبور على فعله، ليس له فيه إرادة ولا قدرة.

الرد على الطائفتين

والرد على الطائفة الأولى القدرية بقوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾. وقوله: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾.

والرد على الطائفة الثانية الجبرية بقوله تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾. ﴿فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾. فأثبت للإنسان مشيئة وقدرة.

قوله: (**ويخرجون عن أفعال الله وأحكامه حكمها ومصالحها**).

الجبرية يخرجون عن أحكام الله، حِكَمَها ومصالحها، وجه ذلك أن الجبرية لا يفرقون بين فعل العبد اختيارًا وفعله بدون اختيار، كلاهما عندهم مجبر عليه كما سبق وإذا كان كذلك صار ثوابه على الطاعة، وعقابه على المعصية لا حكمة له؛ إذ الفعل جاء بدون اختياره، وما كان كذلك فإن صاحبه لا يمدح عليه فيستحق الثواب، ولا يذم عليه فيستحق العقاب. اهـ

* **الهراس**: ضل في القدر طائفتان، كما تقدم:

الطائفة الأولى: القدرية نفاة القدر، الذين هم مجوس هذه الأمة،؛ كما ورد ذلك في بعض الأحاديث مرفوعًا وموقوفًا، وهؤلاء ضلوا بالتفريط وإنكار القدر، وزعموا أنه لا يمكن الجمع بين ما هو ثابت بالضرورة من اختيار العبد في فعله ومسؤوليته عنه، وبين ما دلت عليه النصوص من عموم خلقه تعالى ومشيئته؛ لأن ذلك العموم في زعمهم إبطال لمسؤولية العبد عن فعله، وهدم للتكاليف، فرجحوا جانب الأمر والنهي، وخصصوا النصوص الدالة على عموم الخلق والمشيئة بما عدا أفعال العباد، وأثبتوا أن العبد خالق لفعله بقدرته وإرادته، فأثبتوا خالقين غير الله؛ ولهذا سموا مجوس هذه الأمة؛ لأن المجوس يزعمون أن الشيطان يخلق الشر والأشياء المؤذية، فجعلوه خالقًا مع الله، فكذلك هؤلاء جعلوا العباد خالقين مع الله.

والطائفة الثانية: يقال لها: الجبرية، وهؤلاء غلوا في إثبات القدر، حتى أنكروا أن يكون للعبد فعل حقيقة، بل هو في زعمهم لا حرية له، ولا اختيار، ولا فعل، كالريشة في مهب الرياح، وإنما تسند الأفعال إليه مجازًا، فيقال: صلى، وصام، وقتل، وسرق. كما يقال: طلعت الشمس، وجرت الريح، ونزل المطر، فاتهموا ربهم بالظلم وتكليف العباد بما لا قدرة لهم عليه، ومجازاتهم على ما ليس من فعلهم، واتهموه بالعبث في تكليف العباد، وأبطلوا الحكمة من الأمر والنهي، ألا ساء ما يحكمون. اهـ

أصناف الطوائف المخالفة في القدر

* قال المصنف في «التدمرية»[1]: من المعلوم أنه يجب الإيمان بخلق الله وأمره، بقضائه وشرعه. وأهل الضلال الخائضون في القدر انقسموا إلى ثلاث فرق: مجوسية، ومشركية، وإبليسية.

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٣/ ١١١وما بعدها)، و«التدمرية» (ص/ ٢٠٧ وما بعدها - ط: السعدي).

فالمجوسية: الذين كذبوا بقدر الله، وإن آمنوا بأمره ونهيه، فغلاتهم أنكروا العلم والكتاب، ومقتصدوهم أنكروا عموم مشيئته وخلقه وقدرته، وهؤلاء هم المعتزلة ومن وافقهم.

والفرقة الثانية: المشركية الذين أقروا بالقضاء والقدر، وأنكروا الأمر والنهي، قال تعالى: ﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ ﴾ [الأنعام: ١٤٨]، فمن احتج على تعطيل الأمر والنهي بالقدر فهو من هؤلاء، وهذا قد كثر فيمن يدعي الحقيقة من المتصوفة.

والفرقة الثالثة: وهم الإبليسية الذين أقروا بالأمرين، لكن جعلوا هذا تناقضًا من الرب ﷻ وطعنوا في حكمته وعدله، كما يذكر ذلك عن مثل إبليس مقدمهم، كما نقله أهل المقالات، ونقل عن أهل الكتاب(١).

والمقصود أن هذا مما تقوَّله أهل الضلال، وأما أهل الهدى والفلاح، فيؤمنون بهذا وهذا، ويؤمنون بأن الله خالق كل شيء، وربه، ومليكه، وما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وهو على كل شيء قدير، وأحاط بكل شيء علمًا، وكل شيء أحصاه في إمام(٢) مبين.

ويتضمن إثبات هذا الأصل من إثبات علم الله، وقدرته، ومشيئته، ووحدانيته، وربوبيته، وأنه خالق كل شيء، وربه، ومليكه- ما هو من أصول الإيمان.

ومع هذا لا ينكرون ما خلقه الله من الأسباب التي يخلق بها المسبَّبات، كما قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ [الأعراف: ٥٧]، وقال تعالى: ﴿ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ ﴾ [المائدة: ١٦]، وقال تعالى: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ﴾ [البقرة: ٢٦]، فأخبر أنه

---

(١) يعني: المناظرة بين إبليس والملائكة في اعتراضه على التكليف، ذكرها الشهرستاني في «الملل والنحل» (١/ ٩-١٣)، وإنها مذكورة في كتب أهل الكتاب، لكن المصنف ردها في «الفتاوى» (٨/ ١١٤) وقال: ليس لها إسناد يعتمد عليه. اهـ

(٢) أي: في كتاب كما في بعض النسخ.

يفعل بالأسباب، ومن قال: إنه يفعل عندها لا بها[١] فقد خالف ما جاء به القرآن، وأنكر ما خلقه الله من القوى والطبائع، وهو شبيه بإنكار ما خلقه الله من القوى التي في الحيوان، التي يفعل الحيوان بها مثل قدرة العبد، كما أن من جعلها هي المبدعة لذلك[٢] فقد أشرك بالله، وأضاف فعله إلى غيره، وذلك أنه ما من سبب من الأسباب إلا وهو مفتقر إلى سبب آخر في حصول مسبَّبه، ولابد له من مانع يمنع مقتضاه إذا لم يدفعه الله عنه، فليس في الوجود شيء واحد يستقل بفعل شيء إذا شاء إلا الله وحده، قال تعالى: ﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [الذاريات: ٤٩] أي: فتعلمون أن خالق الأزواج واحد...

والمقصود هنا: أنه لابد من الإيمان بالقدر؛ فإن الإيمان بالقدر من تمام التوحيد، كما قال ابن عباس: هو نظام التوحيد.

فمن وحد الله وآمن بالقدر تم توحيده، ومن وحد الله وكذب بالقدر نقض تكذيبُه توحيدَه[٣].

ولابد من الإيمان بالشرع، وهو الإيمان بالأمر والنهي، والوعد والوعيد، كما بعث الله بذلك رسله وأنزل كتبه، والإنسان مضطر إلى شرع في حياته الدنيا، فإنه لابد له من حركة يجلب بها منفعته، وحركة يدفع بها مضرته، والشرع هو الذي يميز بين الأفعال التي تنفعه والأفعال التي تضره، وهو عدل الله في خلقه، ونوره بين عباده، فلا يمكن للآدميين أن يعيشوا بلا شرع يميزون به بين ما يفعلونه ويتركونه.

وليس المراد بالشرع مجرد العدل بين الناس في معاملاتهم، بل الإنسان المنفرد لابد له من فعل وترك، فإن الإنسان همام حارث، كما قال النبي ﷺ: «أصدق الأسماء حارث

---

(١) هذا قول متكلمي الأشاعرة.

(٢) هذا قول المعتزلة.

(٣) في بعض النسخ: نقض توحيده.

وهمام»[١] وهو معنى قولهم متحرك بالإرادات. فإذا كان له إرادة فهو متحرك بها، ولابد أن يعرف ما يريده هل هو نافع له أو ضار؟ وهل يصلحه أو يفسده؟ وهذا قد يعرف بعضه الناس بفطرتهم كما يعرفون انتفاعهم بالأكل والشرب، وكما يعرفون ما يعرفون من العلوم الضرورية بفطرتهم، وبعضهم يعرفونه بالاستدلال، كالذي يهتدون به بعقولهم، وبعضه لا يعرفونه إلا بتعريف الرسل وبيانهم لهم وهدايتهم لهم...

فقد تبين بضرورةِ العقلِ فسادُ قول من ينظر إلى القدر، ويعرض عن الأمر والنهي، والمؤمن مأمور بأن يفعل المأمور، ويترك المحظور، ويصبر على المقدور، كما قال تعالى: ﴿وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا﴾ [آل عمران: ١٢٠]، وقال في قصة يوسف: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٠] فالتقوى فعل ما أمر الله به، وترك ما نهى الله عنه؛ ولهذا قال الله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ﴾ [غافر: ٥٥] فأمره مع الاستغفار بالصبر؛ فإن العباد لابد لهم من الاستغفار، أولهم وآخرهم، قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح: **«يا أيها الناس، توبوا إلى ربكم فوالذي نفسي بيده إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة»**[٢]. وقال: **«إنه ليغان على قلبي، وإني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم مائة مرة»**[٣]، وكان يقول: **«اللهم اغفر لي خطيئتي، وجهلي، وإسرافي في أمري، وما أنت أعلم به مني؛ اللهم اغفر لي خطئي وعمدي، وهزلي وجدي وكل ذلك عندي، اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، وما أنت أعلم به مني، أنت المقدم وأنت المؤخر»**[٤]. وقد ذكر عن

---

(١) أخرجه أحمد (١٩٠٣٢)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٨١٤)، وأبو داود (٤٩٥٠)، والنسائي في «الصغرى» (٦/ ٢١٨)، و«الكبرى» (٤٤٠٦)، وأبو يعلى (٧١٦٩، ٧١٧٠، ٧١٧١)، والطبراني في «الكبير» (ج٢٢/ ح٩٤٩)، والبيهقي في «السنن» (٦/ ٣٣٠)، (٩/ ٣٠٦)، والآداب (٤٦٩).

(٢) أخرجه البخاري (٦٣٠٧) عن أبي هريرة.

(٣) أخرجه مسلم (٢٧٠٢) عن الأغر المزني.

(٤) أخرجه البخاري (٦٣٩٨)، ومسلم (٢٧١٩) عن أبي موسى.

آدم أبي البشر أنه استغفر ربه وتاب إليه، فاجتباه ربه فتاب عليه وهداه. وعن إبليس أبي الجن -لعنه الله- أنه أصرَّ، متعلقًا بالقدر فلعنه وأقصاه، فمن أذنب وتاب وندم فقد أشبه أباه، ومن أشبه أباه فما ظلم، قال الله تعالى: ﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًۢا﴾ [الأحزاب: ٧٢-٧٣]. ولهذا قرن الله سبحانه بين التوحيد والاستغفار في غير آية، كما قال تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ﴾ [محمد: ١٩]، وقال تعالى: ﴿فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ﴾ [فصلت: ٦]، وقال تعالى: ﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [هود: ١-٣] وفي الحديث الذي رواه ابن أبي عاصم وغيره: «**يقول الشيطان: أهلكت الناس بالذنوب، وأهلكوني بلا إله إلا الله والاستغفار، فلما رأيت ذلك بثثت فيهم الأهواء، فهم يذنبون ولا يتوبون؛ لأنهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا**»(١)، وقد ذكر سبحانه عن ذي النون أنه نادى في الظلمات: ﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ قال تعالى: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٨] قال النبي ﷺ: «**دعوة أخي ذي النون، ما دعا بها مكروب إلا فرج الله كربه**»(٢) وجماع ذلك أنه لابد له في الأمر من أصلين ولابد له في القدر من أصلين.

---

(١) أخرجه بمعناه ابن أبي عاصم في «السنة» (٧)، وأبو يعلى في «المسند» (١٣٦)، وفي «المعجم» (٢٩١) بسند شديد الضعف فيه كذاب.

قال البوصيري في «إتحاف الخيرة»: رواه أبو يعلى الموصلي، وابن أبي عاصم بسند ضعيف. اهـ، وقال الألباني في «الضعيفة» (٥٥٦٠): وهذا إسناد موضوع. اهـ

(٢) أخرجه أحمد (١٤٦٢)، وأبو يعلى (٧٧٢)، والترمذي (٣٥٠٥)، والنسائي في «الكبرى» (١٠٤٩٢)، والطبراني في «الدعاء» (١٢٤)، والبزار (١١٦٣، ١١٨٦)، والبيهقي في «الشعب» (٩٧٤٤)، و«الدعوات» (١٨٧)، والحاكم (١٨٦٢، ١٨٦٣، ٤١٢١)، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وصححه الألباني.

ففي الأمر عليه الاجتهاد في الامتثال علمًا وعملًا، فلا يزال يجتهد في العلم بما أمر الله به والعمل بذلك، ثم عليه أن يستغفر ويتوب من تفريطه في المأمور وتعديه الحدود؛ ولهذا كان من المشروع أن يختم جميع الأعمال بالاستغفار، فكان النبي ﷺ إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثًا، وقد قال الله تعالى: ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران: ١٧]، فقاموا بالليل، وختموه بالاستغفار، وآخر سورة نزلت قول الله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر: ١-٣]، وفي الصحيح أنه كان ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: «**سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي**»(١) يتأول القرآن.

وأما في القدر فعليه أن يستعين بالله في فعل ما أمر به، ويتوكل عليه، ويدعوه، ويرغب إليه، ويستعيذ به، ويكون مفتقرًا إليه في طلب الخير وترك الشر، وعليه أن يصبر على المقدور، ويعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وإذا آذاه الناس علم أن ذلك مقدر عليه، ومن هذا الباب احتجاج آدم وموسى لما قال: «**يا آدم أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته، لماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة؟ فقال له آدم: أنت موسى الذي اصطفاك الله بكلامه، فبكم وجدت مكتوبًا علي من قبل أن أخلق: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ [طه: ١٢١] قال: بكذا وكذا. فحج آدم موسى**»(٢) وذلك أن موسى لم يكن عتبه لآدم لأجل الذنب، فإن آدم قد كان تاب منه، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له، ولكن لأجل المصيبة التي لحقتهم من ذلك(٣). وهم مأمورون أن ينظروا إلى القدر في المصائب، وأن يستغفروا من المعائب، كما قال تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [غافر: ٥٥] فمن راعى الأمر

---

(١) أخرجه البخاري (٨١٧، ٤٩٦٨)، ومسلم (٤٨٤) عن عائشة.

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٠٩، ٤٧٣٦، ٤٧٣٨، ٦٦١٤، ٧٥١٥)، ومسلم (٢٦٥٢) عن أبي هريرة مرفوعًا.

(٣) فلذلك احتج آدم بالقدر؛ لأن المصائب تقابل بالتسليم للقدر.

والقدر كما ذكر، كان عابدًا لله، مطيعًا له مستعينًا به متوكلًا عليه، من الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين، والشهداء، والصالحين، وحسن أولئك رفيقًا.

وقد جمع الله سبحانه بين هذين الأصلين في مواضع، كقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، وقوله: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ١٢٣]، وقوله: ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [الشورى: ١٠]، وقوله: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ ۚ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: ٣-٤] فالعبادة لله، والاستعانة به، وكان النبي ﷺ يقول عند الأضحية: «اللهم منك ولك»(١). فما لم يكن بالله لا يكون؛ فإنه لا حول ولا قوة إلا بالله، وما لم يكن بالله فلا ينفع ولا يدوم. اهـ

خلاصة مذهب السلف في القدر

* **الهراس**: وخلاصة مذهب أهل السنة والجماعة في القدر وأفعال العباد:

ما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة، من أن الله سبحانه هو الخالق لكل شيء، من الأعيان والأوصاف والأفعال وغيرها.

وأن مشيئته تعالى عامة شاملة لجميع الكائنات، فلا يقع منها شيء إلا بتلك المشيئة.

وأن خلقه سبحانه الأشياء بمشيئته إنما يكون وَفْقًا لما عَلِمَهُ منها بعلمه القديم، ولما كتبه وقدره في اللوح المحفوظ.

---

(١) أخرجه أحمد (١٥٠٢٢)، وأبو داود (٢٧٩٥)، وابن ماجه (٣١٢١)، والدارمي (١٩٤٦)، والبيهقي (٩/ ٢٨٧)، والطحاوي (٤/ ١٧٧)، وصححه ابن خزيمة (٢٨٩٩)، والحاكم (١/ ٤٦٧)، على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

وأن للعباد قدرة وإرادة تقع بها أفعالهم، وأنهم الفاعلون حقيقة لهذه الأفعال بمحض اختيارهم، وأنهم لهذا يستحقون عليها الجزاء: إما بالمدح والمثوبة، وإما بالذم والعقوبة، وأن نسبة هذه الأفعال إلى العباد فعلًا لا ينافي نسبتها إلى الله إيجادًا وخلقًا؛ لأنه هو الخالق لجميع الأسباب التي وقعت بها. اهـ

فوائد الإيمان بالقضاء والقدر

* **السعدي**: من فوائد الإيمان بالقضاء والقدر:

١- أنه يوجب للعبد سكون القلب، وطمأنينته، وقوته وشجاعته؛ لعلمه أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأنه يسلي العبد عن المصائب، ويوجب له الصبر والتسليم والقناعة بما رزق الله، قال تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التغابن: ١١]، قال بعض السلف[١]: هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله، فيرضى ويسلم.

٢- ومن فوائده: أنه يوجب للعبد شهود منة الله عليه، فيما يمن به عليه من فعل الخيرات وأنواع الطاعات، لا يعجب بنفسه، ولا يُدِلُّ بعمله؛ لعلمه أن الله تعالى هو الذي تفضل عليه بالتوفيق والإعانة، وصرف الموانع والعوائق، وأنه لو وكَلَه إلى نفسه لضعف وعجز عن العمل، وعن الثبات عليه.

كما أنه سبب لشكر نعم الله، فما ينعم عليه من نعم الدين والدنيا، فإنه يعلم أنه ما بالعبد من نعمة إلا من الله، وأن الله هو الدافع لكل مكروه ونقمة. اهـ

---

(١) رواه ابن جرير (٢٨/ ١٢٣) عن علقمة.

هل في القدر تغيير وتبديل

سئل المصنف رحمه الله[(١)]: عن قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًاۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥۖ﴾ [الأنعام: ٢]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِي كِتَٰبٍۚ﴾ [فاطر: ١١]، وقوله تعالى: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الرعد: ٣٩]، والإثبات في اللوح المحفوظ، والكتاب الذي جاء في الصحيح «أن الله تعالى كتب كتابا فهو عنده على عرشه»[(٢)] الحديث. وقد جاء: «جف القلم»[(٣)] فما معنى ذلك في المحو والإثبات؟. وهل شرع في الدعاء أن يقول: اللهم إن كنت كتبتني كذا فامحني واكتبني كذا، فإنك قلت: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُۖ﴾ وهل صح أن عمر كان يدعو بمثل هذا؟ وهل الصحيح عندكم أن العمر يزيد بصلة الرحم كما جاء في الحديث؟ أفتونا مأجورين.

فأجاب رحمه الله:

الحمد لله رب العالمين، أما قوله سبحانه: ﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًاۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥۖ﴾ فالأجل الأول هو أجل كل عبد الذي ينقضي به عمره، والأجل المسمى عنده هو أجل القيامة العامة؛ ولهذا قال: ﴿مُّسَمًّى عِندَهُۥۖ﴾ فإن وقت الساعة لا يعلمه ملك مقرب، ولا نبي مرسل، كما قال: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَاۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّيۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَۚ﴾ [الأعراف: ١٨٧]. بخلاف ما إذا قال: مسمى، كقوله: ﴿إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [البقرة: ٢٨٢] إذ لم يقيد بأنه مسمى عنده فقد يعرفه العباد.

وأما أجل الموت فهذا تعرفه الملائكة الذين يكتبون رزق العبد، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد، كما قال في الصحيحين عن ابن مسعود قال: حدثنا رسول الله ﷺ

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١٤ / ٤٨٨).

(٢) أخرجه البخاري (٧٥٥٣) عن أبي هريرة.

(٣) أخرجه البخاري (٥٠٧٦) عن أبي هريرة.

-وهو الصادق المصدوق-: «إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث إليه الملك فيؤمر بأربع كلمات، فيقال: اكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد، ثم ينفخ فيه الروح»(١) فهذا الأجل الذي هو أجل الموت قد يُعْلِمَه الله لمن شاء من عباده، وأما أجل القيامة المسمى عنده فلا يعلمه إلا هو.

وأما قوله: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ﴾ [فاطر: ١١] فقد قيل: إن المراد الجنس. أي: ما يعمر من عمر إنسان، ولا ينقص من عمر إنسان، ثم التعمير والتقصير يراد به شيئان:

أحدهما: أن هذا يطول عمره، وهذا يقصر عمره، فيكون تقصيره نقصًا له بالنسبة إلى غيره، كما أن المعمَّر يطول عمره، وهذا يقصر عمره، فيكون تقصيره نقصًا له بالنسبة إلى غيره، كما أن التعمير زيادة بالنسبة إلى آخر.

وقد يراد بالنقص النقص من العمر المكتوب، كما يراد بالزيادة الزيادة في العمر المكتوب.

وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «من سره أن يبسط له في رزقه، وينسأ له في أثره فليصل رحمه»(٢) وقد قال بعض الناس: إن المراد به البركة في العمر، بأن يعمل في الزمن القصير ما لا يعمله غيره إلا في الكثير، قالوا: لأن الرزق والأجل مقدران مكتوبان. فيقال لهؤلاء: تلك البركة- وهي الزيادة في العمل والنفع- هي أيضًا مقدرة مكتوبة، وتتناول لجميع الأشياء.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري (٢٠٦٧، ٥٩٨٦)، ومسلم (٢٥٥٧) عن أنس، وأخرجه البخاري (٥٩٨٥) عن أبي هريرة.

والجواب المحقق: إن الله يكتب للعبد أجلا في صحف الملائكة، فإذا وصل رحمه زاد في ذلك المكتوب، وإن عمل ما يوجب النقص نقص من ذلك المكتوب. ونظير هذا ما في الترمذي وغيره، عن النبي ﷺ: «أن آدم لما طلب من الله أن يريه صورة الأنبياء من ذريته، فأراه إياهم، فرأى فيهم رجلًا له بصيص[١]، فقال من هذا يا رب؟ فقال ابنك داود، قال: فكم عمره؟ قال أربعون سنة، قال: وكم عمري؟ قال: ألف سنة. قال: فقد وهبت له من عمري ستين سنة، فكتب عليه كتاب وشهدت عليه الملائكة، فلما حضرته الوفاة قال: قد بقي من عمري ستون سنة. قالوا: وهبتها لابنك داود، فأنكر ذلك، فأخرجوا الكتاب». قال النبي ﷺ: «فنسي آدم فنسيت ذريته، وجحد آدم فجحدت ذريته»[٢]، وروي أنه كمل لآدم عمره، ولداود عمره. فهذا داود كان عمره المكتوب أربعين سنة، ثم جعله ستين، وهذا معنى ما روي عن عمر أنه قال: اللهم إن كنت كتبتني شقيًا فامحني واكتبني سعيدًا، فإنك تمحو ما تشاء وتثبت[٣]. والله سبحانه عالم بما كان، وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف كان يكون، فهو يعلم ما كتبه له، وما يزيده إياه بعد ذلك، والملائكة لا علم لهم إلا ما علمهم الله، والله يعلم الأشياء قبل كونها وبعد كونها؛ فلهذا قال العلماء: إن المحو والإثبات في صحف الملائكة، وأما علم الله سبحانه فلا يختلف، ولا يبدو له ما لم يكن عالما به، فلا محو فيه ولا إثبات[٤].

---

(١) في الرواية: «وبيص» وهو اللمعان.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٣٧٦)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٢١٨)، والبيهقي في «الكبرى» (١٠/ ١٤٧)، وأبو يعلى (٦٥٨٠) من حديث أبي هريرة، وصححه ابن حبان (٦١٦٧)، والحاكم (٢١٤، ٤١٣٢)، والألباني.

(٣) أخرجه الطبري (٢٠٤٧٨-٢٠٤٨١)، وعبد بن حميد، وابن المنذر، كما في «الدر المنثور»، والدولابي في «الكنى» (١/ ١٥٥)، وجاء نحوه عن ابن مسعود أخرجه الطبري (٢٠٤٨٢، ٢٠٤٨٤)، وابن المنذر، والطبراني، كما في «الدر المنثور».

(٤) قال ابن جرير في «تفسيره» (١٦/ ٤٨٠ - ط: شاكر): وقال آخرون: معنى ذلك: أنّ الله يمحو ما يشاء، ويثبت من كتاب سوى أم الكتاب الذي لا يغيَّر منه شيء، ثم روى (٢٠٤٧٣-٢٠٤٧٥) عن ابن عباس =

وأما اللوح المحفوظ فهل فيه محو وإثبات؟ على قولين، والله ﷻ أعلم. اهـ

* وقال أيضًا[١]: قاعدة علم الله السابق يحيط بالأشياء على ما هي عليه في نفس الأمر، فلا محو فيه، ولا تغيير، ولا إثبات، ولا نقص، ولا زيادة، وأما اللوح المحفوظ الذي لا يطلع عليه غيره، فهل فيه محو وإثبات؟ على قولين. وأما الصحف التي بأيدي الملائكة كما في الصحيحين من قوله ﷺ: «فيؤمر بكتب رزقه، وعمله، وأجله، وشقي أو سعيد»[٢] فهل يصل فيها المحو والإثبات، فإنه قد يقدر له من العمر مدة لم يعمل شيئًا يزيد به على ذلك مما علمهم الله أن يفعله، مثل أن يصل رحمه ففي الصحيحين: «من سره أن يبسط له في رزقه، وينسأ له في أثره فليصل رحمه»[٣]. أو غير ذلك من الأسباب، كما روى الترمذي: «إن الله أرى آدم ابنه داود فأعجبه، فسأل عن عمره فقال: أربعين سنة. فوهبه آدم من عمره ستين سنة، وكتب عليه بذلك كتابًا، ثم بعد ذلك أنكر ونسى، فجحد فجحدت ذريته»[٤] فقد علم أن الله قدر له أربعين سنة بلا سبب، وعلم أنه يحصل له ستون بسبب هبة أبيه له، وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾ [فاطر: ٣٧] فيكون المراد طول الأعمار وقصرها. اهـ

=

وعكرمة في هذه الآية: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: ٣٩]، قالا: كتابان، كتاب يمحو منه ما يشاء، ويثبت، وعنده أم الكتاب. وقال آخرون: بل معنى ذلك يمحو الله كل ما شاء، ويثبت كل ما أراد... إلخ، ثم ذكر قول عمر وابن مسعود المذكور آنفًا.

(١) «مختصر الفتاوي المصرية» لابن تيمية (ص/ ٢٤٩-ط: دار التقوى).

(٢) تقدم.

(٣) تقدم.

(٤) تقدم.

فَصلٌ

في الإيمان وأنه قول واعتقاد وعمل يزيد وينقص

قال المصنف رحمه الله: (وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ: أَنَّ الدِّينَ وَالإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ، قَوْلُ القَلْبِ وَاللِّسَانِ، وَعَمَلُ القَلْبِ وَاللِّسَانِ وَالجَوَارِحِ.

وَأَنَّ الإِيمَانَ يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ، وَيَنْقُصُ بِالمَعْصِيَةِ، وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ لا يُكَفِّرُونَ أَهْلَ القِبْلَةِ بِمُطْلَقِ المَعَاصِي وَالكَبَائِرِ، كَمَا يَفْعَلُهُ الخَوَارِجُ، بَل الأُخُوَّةُ الإِيمَانِيَّةُ ثَابِتَةٌ مَعَ المَعَاصِي، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ فِي آيَةِ القِصَاصِ: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ١٧٨]، وَقَالَ: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۝٩ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ٩-١٠].

وَلا يَسْلُبُونَ الفَاسِقَ المِلِّيَّ الإِسْلامَ بِالكُلِّيَّةِ، وَلا يُخَلِّدُونَهُ فِي النَّارِ -كَمَا تَقُولُه المُعْتَزِلَةُ- بَل الفَاسِقُ يَدْخُلُ فِي اسْمِ الإِيمَانِ؛ كَمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ [النساء: ٩٢]، وَقَدْ لا يَدْخُلُ فِي اسْمِ الإِيمَانِ المُطْلَقِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ [الأنفال: ٢]، وَقَوْلِهِ ﷺ: «لا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلا يَشْرَبُ الخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلا يَنْتَهِبُ نُهْبَةً ذَاتَ شَرَفٍ يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ»(١).

(١) أخرجه البخاري (٢٤٧٥، ٥٥٧٨)، ومسلم (٥٧) من حديث أبي هريرة مرفوعًا. والنهبة بضم النون وسكون الهاء أخذ الشيء واغتنامه عيانًا وقهرًا.

وَيَقُولُون: هُوَ مُؤْمِنٌ نَاقِصُ الإِيمَانِ، أَوْ مُؤْمِنٌ بِإِيمَانِهِ فَاسِقٌ بِكَبِيرَتِهِ، فَلا يُعْطَى الاسْمَ المُطْلَقَ، وَلا يُسْلَبُ مُطْلَقَ الاسْمِ).

الشرح

❁ **ابن باز:** هذا بحث عظيم من عقائد أهل السنة والجماعة، أنّ الإيمان قول وعمل: قول القلب واللسان، وعمل بالقلب والجوارح. هذا الذي عليه أهل السنة والجماعة؛ خلافًا للمرجئة والمعتزلة والخوارج أيضًا، لكن الخوارج يوافقون على هذا الحد، لكن عندهم الإيمان لا يزيد ولا ينقص، وهكذا المعتزلة عندهم لا يزيد ولا ينقص، بل إما يوجد كله أو يذهب كله؛ ولهذا كفروا العاصي، وخلدوه في النار، والمعتزلة وافقتهم على ذلك في حكم الآخرة، وجعلوا العاصي مخلدًا في النار.

والمرجئة أخرجوا العمل من الإيمان، وقالوا: إنه قول فقط، أو تصديق فقط، أو التصديق والقول. وكل الطوائف المذكورة كلها غالطة وضالة عن السبيل، والصواب الذي عليه أهل السنة والجماعة: أنه قول وعمل: قول بالقلب واللسان، وعمل القلب والجوارح. فالمحبة لله، والخوف منه، والإخلاص له، عمل قلبي، والتصديق بالقول عمل قلبي، والتسبيح والتهليل والذكر عمل جارحي، والصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد، من عمل الجوارح، هكذا أهل السنة عندهم أن الإيمان قول وعمل، يزيد بالطاعات، وينقص بالمعاصي.

قوله: (قول وعمل) يدخل فيه الخوارج والمعتزلة.

وقوله: (يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية) إخراج للمعتزلة والخوارج والرد عليهم، وإخراج المرجئة بقوله: (قول وعمل).

فالواجب على المؤمن أن يعتقد هذه العقيدة ويعمل بمقتضاها. اهـ

* **العثيمين**: الإيمان لغة: التصديق. واصطلاحًا: قول القلب واللسان، وعمل القلب والجوارح.

فقول القلب: تصديقه وإقراره، وعمل القلب: إرادته وتوكله، ونحو ذلك من حركاته.

وقول اللسان: نطقه. وعمل الجوارح: الفعل والترك.

والدليل على أن الإيمان يشمل ذلك كله قول النبي ﷺ: «**الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته**»[(١)].. الخ. وهذا قول القلب. وقوله ﷺ: «**الإيمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان**»[(٢)]. فقول: لا إله إلا الله قول اللسان، وإماطة الأذى عن الطريق عمل الجوارح، والحياء عمل القلب. اهـ

* **قال المصنف**[(٣)]: ومعلوم أن الإيمان هو الإقرار، لا مجرد التصديق. والإقرار ضمن قول القلب الذي هو التصديق، وعمل القلب- الذي هو الانقياد - تصديق الرسول فيما أخبر، والانقياد له فيما أمر، كما أن الإقرار بالله هو الاعتراف به والعبادة له، فالنفاق يقع كثيرًا في حق الرسول، وهو أكثر ما ذكره الله في القرآن من نفاق المنافقين في حياته والكفر، هو عدم الإيمان سواء كان معه تكذيب، أو استكبار، أو إباء، أو إعراض، فمن لم يحصل في قلبه التصديق والانقياد فهو كافر. اهـ

* **الهراس**: قوله: (**وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ: أَنَّ الدِّينَ وَالإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ، قَوْلُ القَلْبِ وَاللِّسَانِ، وَعَمَلُ القَلْبِ وَاللِّسَانِ وَالجَوَارِحِ**).

---

(١) أخرجه مسلم (٨) عن عمر بن الخطاب.

(٢) أخرجه البخاري (٩)، ومسلم (٣٥) واللفظ له عن أبي هريرة، وعند البخاري: «**وستون شعبة**».

(٣) «مجموع الفتاوى» (٧/ ٦٣٨).

سبق أن ذكرنا في مسألة الأسماء والأحكام أن أهل السنة والجماعة يعتقدون أن الإيمان قول باللسان، واعتقاد بالجنان، وعمل بالأركان، وأن هذه الثلاثة داخلة في مسمى الإيمان المطلق.

فالإيمان المطلق يدخل فيه جميع الدين: ظاهره وباطنه، أصوله وفروعه. فلا يستحق اسم الإيمان المطلق إلا من جمع ذلك كله ولم ينقص منه شيئا. اهـ

زيادة الإيمان ونقصانه

❁ **العثيمين**: قوله: (وَأَنَّ الإِيمَانَ يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ، وَيَنْقُصُ بِالمَعْصِيَةِ).

الإيمان يزيد وينقص؛ لقوله تعالى: ﴿لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾. وقول النبي ﷺ في النساء: «ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن»(١). وسبب زيادته الطاعة، وهي امتثال أمر الله، واجتناب نهيه، وسبب نقصه معصية الله بالخروج عن طاعته. اهـ

❁ **آل الشيخ**: قوله: (يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ وَيَنْقُصُ بِالمَعْصِيَةِ) أي: يزيد بفعل الطاعات وينقص بفعل المعاصي. وزيادته ونقصانه تارة من جهة الشرع، وتارة من جهة العمل، وتارة لا من هذا، ولا من هذا.

فالأول: إذا شُرِّع شيء صار من الإيمان وزاد بذلك وقت التشريع، فالذين ماتوا من المسلمين في أول الهجرة آمنوا بالإيمان جميعه، والذي نزل بعد ذلك زيادة في الإيمان.

والثاني من جهة العامل والعمل: إذا زاد خصلة من خصال الإيمان زاد إيمانه، وإذا عصى نقص إيمانه.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٤، ١٤٦٢)، ومسلم (٧٩، ٨٠) عن أبي سعيد.

والثالث: المرأة إذا حاضت، وقد سئل النبي ﷺ عن ذلك فقال: «**أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم؟**» قلن: بلى، قال: «**فذلك من نقصان دينها**»(١)، ولا تأثم عليه، فهذا نقصان من الإيمان الواجب، ومع ذلك هو نقص ولا تأثم، وتارة نقصانه بالمعاصي، كما تقدم.

ويتبعض، ويتجزأ، وهذا هو الذي عليه أهل السنة، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية.

وهذا الحد مختص بقول أهل السنة والجماعة، وخالف في ذلك المرجئة والجهمية، والمعتزلة والخوارج.

فالمرجئة والجهمية(٢) يقولون: هو تصديق فقط، أو قول فقط، أو هما معًا، وأنه لا يزيد ولا ينقص، ولا يتبعض، ولا يتجزأ، ولا يدخلون أعمال الجوارح في مسمى الإيمان، فإيمان جبريل وفرعون سواء.

والنصوص من الكتاب والسنة ظاهرة أنه منه، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْۚ﴾ [البقرة: ١٤٣] يعني: صلاتكم لبيت المقدس. اهـ

❁ **الهراس**: ولما كانت الأعمال والأقوال داخلة في مسمى الإيمان، كان الإيمان قابلا للزيادة والنقص، فهو يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، كما هو صريح الأدلة من الكتاب والسنة، وكما هو ظاهر مشاهد من تفاوت المؤمنين في عقائدهم، وأعمال قلوبهم، وأعمال جوارحهم.

ومن الأدلة على زيادة الإيمان ونقصه أن الله قسم المؤمنين ثلاث طبقات، فقال سبحانه: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَاۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ﴾ [فاطر: ٣٢].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٤، ١٤٦٢)، ومسلم (٧٩، ٨٠) عن أبي سعيد.

(٢) على اختلاف طوائفهم.

فالسابقون بالخيرات هم الذين أدوا الواجبات والمستحبات، وتركوا المحرمات والمكروهات، وهؤلاء هم المقربون.

والمقتصدون هم الذين اقتصروا على أداء الواجبات وترك المحرمات.

والظالمون لأنفسهم هم الذين اجترؤوا على بعض المحرمات، وقصروا ببعض الواجبات مع بقاء أصل الإيمان معهم.

ومن وجوه زيادته ونقصه كذلك أن المؤمنين متفاوتون في علوم الإيمان، فمنهم من وصل إليه من تفاصيله وعقائده خير كثير، فازداد به إيمانه، وتم يقينه، ومنهم من هو دون ذلك، حتى يبلغ الحال ببعضهم ألا يكون معه إلا إيمان إجمالي لم يتيسر له من التفاصيل شيء، وهو مع ذلك مؤمن(١).

وكذلك هم متفاوتون في كثير من أعمال القلوب والجوارح، وكثرة الطاعات وقلتها.

وأما من ذهب إلى أن الإيمان مجرد التصديق بالقلب، وأنه غير قابل للزيادة أو النقص، كما يروى عن أبي حنيفة وغيره، فهو محجوج بما ذكرنا من الأدلة، قال ﷺ: **«الإيمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها: قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق»**(٢). اهـ

* **وقال شيخ الإسلام المصنف**(٣): الإيمان وإن كان يتضمن التصديق فليس هو مجرد التصديق، وإنما هو الإقرار والطمأنينة، وذلك لأن التصديق إنما يعرض للخبر فقط، فأما الأمر فليس فيه تصديق من حيث هو أمر، وكلام الله خبر وأمر، فالخبر يستوجب تصديق المخبر، والأمر يستوجب الانقياد له والاستسلام، وهو عمل في القلب، جماعه الخضوع والانقياد للأمر وإن لم يفعل المأمور به.

---

(١) كحال المؤمنين الأوائل، الذين ماتوا في أوائل البعثة النبوية، فإنهم ماتوا على إيمان مجمل للبعث والدين.
(٢) تقدم أنه متفق عليه.
(٣) «الصارم المسلول على شاتم الرسول» (ص/ ٥١٩-ط: محي الدين).

فإذا قوبل الخبر بالتصديق والأمر بالانقياد فقد حصل أصل الإيمان في القلب، وهو الطمأنينة والإقرار، فإن اشتقاقه من الأمن الذي هو القرار والطمأنينة، وذلك إنما يحصل إذا استقر في القلب التصديق والانقياد.

وإذا كان كذلك فالسب إهانة واستخفاف، والانقياد للأمر إكرام وإعزاز، ومحال أن يهين القلب من قد انقاد له وخضع واستسلم، أو يستخف به، فإذا حصل في القلب استخفاف واستهانة امتنع أن يكون فيه انقياد أو استسلام، فلا يكون فيه إيمان، وهذا هو بعينه كفر إبليس فإنه سمع أمر الله له، فلم يكذب رسولا، ولكن لم ينقد للأمر ولم يخضع له، واستكبر عن الطاعة، فصار كافرا. وهذا موضع زاغ فيه خلق من الخلف تخيل لهم أن الإيمان ليس في الأصل إلا التصديق، ثم يرون مثل إبليس وفرعون، ممن لم يصدر عنه تكذيب، أو صدر عنه تكذيب باللسان لا بالقلب وكفره من أغلظ الكفر، فيتحيرون.

ولو أنهم هدوا لما هدي إليه السلف الصالح لعلموا أن الإيمان قول وعمل -أعني في الأصل قولًا في القلب وعملًا في القلب- فإن الإيمان بحسب كلام الله ورسالته يتضمن أخباره وأوامره، فيصدق القلب أخباره تصديقًا يوجب حالًا في القلب بحسب المصدق به، والتصديق هو من نوع العلم والقول، وينقاد لأمره ويستسلم، وهذا الانقياد والاستسلام هو نوع من الإرادة والعمل، ولا يكون مؤمنًا إلا بمجموع الأمرين، فمتى ترك الانقياد كان مستكبرًا فصار من الكافرين، وإذا كان مصدقًا فالكفر أعم من التكذيب، يكون تكذيبًا وجهلًا، ويكون استكبارًا وظلمًا؛ ولهذا لم يوصف إبليس إلا بالكفر والاستكبار دون التكذيب.

ولهذا كان كفر من يعلم -مثل اليهود، ونحوهم- من جنس كفر إبليس، وكان كفر من يجهل -مثل النصارى، ونحوهم- ضلالًا وهو الجهل، ألا ترى أن نفرًا من اليهود جاؤوا إلى النبي ﷺ وسألوه عن أشياء، فأخبرهم، فقالوا: نشهد أنك نبي. ولم يتعبوه، وكذلك هرقل وغيره، فلم ينفعهم هذا العلم وهذا التصديق؟ ألا ترى أن من صدق الرسول بأن ما جاء به هو رسالة الله، وقد تضمنت خبرًا وأمرًا، فإنه يحتاج إلى

مقام ثان، وهو تصديقه خبر الله، وانقياده لأمر الله؟ فإذا قال: «أشهد أن لا إله إلا الله» فهذه الشهادة تتضمن تصديق خبره، والانقياد لأمره، فإذا قال: «وأشهد أن محمدًا رسول الله» تضمنت تصديق الرسول فيما جاء به من عند الله، فبمجموع هاتين الشهادتين يتم الإقرار، فلما كان التصديق لابد منه في كلا الشهادتين وهو الذي يتلقى الرسالة بالقبول، ظن من ظن أنه أصل لجميع الإيمان، وغفل عن أن الأصل الآخر لابد منه، وهو الانقياد، وإلا فقد يصدق الرسول ظاهرًا وباطنًا ثم يمتنع من الانقياد للأمر، إذ غايته في تصديق الرسول أن يكون بمنزلة من سمع الرسالة من الله ﷻ كإبليس، وهذا مما يبين لك أن الاستهزاء بالله وبرسوله ينافي الانقياد له؛ لأنه قد بلغ عن الله أنه أمر بطاعته فصار الانقياد له من تصديقه في خبره، فمن لم ينقد لأمره فهو إما مكذب له، أو ممتنع عن الانقياد لربه، وكلاهما كفر صريح، ومن استخف به واستهزأ بقلبه امتنع أن يكون منقادًا لأمره، فإن الانقياد إجلال وإكرام والاستخفاف إهانة وإذلال، وهذان ضدان، فمتى حصل في القلب أحدهما انتفى الآخر، فعلم أن الاستخفاف والاستهانة به ينافي الإيمان منافاة الضد للضد.

والعبد إذا فعل الذنب مع اعتقاد أن الله حرمه عليه، واعتقاد انقياده لله فيما حرمه وأوجبه، فهذا ليس بكافر، فأما إن اعتقد أن الله لم يحرمه، أو أنه حرمه لكن امتنع من قبول هذا التحريم، وأبى أن يذعن لله وينقاد، فهو إما جاحد أو معاند؛ ولهذا قالوا: من عصى مستكبرا كإبليس كفر بالاتفاق، ومن عصى مشتهيًا لم يكفر عند أهل السنة والجماعة، وإنما يكفره الخوارج، فإن العاصي المستكبر، وإن كان مصدقًا بأن الله ربه، فإن معاندته له ومحادته تنافي هذا التصديق.

وبيان هذا أن من فعل المحارم مستحلًّا لها فهو كافر بالاتفاق، فإنه ما آمن بالقرآن من استحل محارمه، وكذلك لو استحلها بغير فعل، والاستحلال اعتقاد أن الله لم يحرمها، وتارة بعدم اعتقاد أن الله حرمها، وهذا يكون لخلل في الإيمان بالربوبية، أو لخلل في الإيمان بالرسالة، ويكون جحدًا محضًا غير مبني على مقدمة، وتارة يعلم أن الله

حرمها، ويعلم أن الرسول إنما حرم ما حرمه الله، ثم يمتنع عن التزام هذا التحريم، ويعاند المحرم، فهذا أشد كفرًا ممن قَبْلَه، وقد يكون هذا مع علمه أن من لم يلتزم هذا التحريم عاقبه الله وعذبه، ثم إن هذا الامتناع والإباء إما لخلل في اعتقاد حكمة الآمر وقدرته، فيعود هذا إلى عدم التصديق بصفة من صفاته، وقد يكون- مع العلم بجميع ما يصدق به- تمردًا أو إتباعًا لغرض النفس، وحقيقته كفر هذا؛ لأنه يعترف لله ورسوله بكل ما أخبر به، ويصدق بكل ما يصدق به المؤمنون، لكنه يكره ذلك ويبغضه ويسخطه؛ لعدم موافقته لمراده ومشتهاه، ويقول: أنا لا أقر بذلك، ولا ألتزمه، وأبغض هذا الحق، وأنفر عنه. فهذا نوع غير النوع الأول، وتكفير هذا معلوم بالاضطرار من دين الإسلام، والقرآن مملوء من تكفير مثل هذا النوع، بل عقوبته أشد، وفي مثله قيل: «**أشد الناس عذابًا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه**»، وهو إبليس ومن سلك سبيله.

وبهذا يظهر الفرق بين العاصي، فإنه يعتقد وجوب ذلك الفعل عليه، ويحب أنه يفعله، لكن الشهوة والنفرة منعته من الموافقة، فقد أتى من الإيمان بالتصديق والخضوع والانقياد، وذلك قول وعمل، لكن لم يكمل العمل. اهـ

الإيمان عند المعتزلة والخوارج

* **قال الشيخ**: والمعتزلة والخوارج يقولون: لا يزيد ولا ينقص، ولا يتبعض ولا يتجزأ، فمن أتى بمعصية يكفر ويخرج من الإيمان، وهم يجعلون العفو ذنبًا، والذنب كفرًا.

* المعتزلة والخوارج يوافقون المرجئة والجهمية في أنه لا يزيد ولا ينقص، وبنوا عليه أصلًا، وهو أنه إذا زال زال بالكلية، وإذا وجد وجد بالتمام، ويوافقون أهل السنة والجماعة في أنه قول وعمل، ويخالفون أهل السنة في أنه يتبعض ويتجزأ.

* وأهل السنة يقولون: إنه يزيد من ناحية الصلاح والتصديق -من ناحية العمل وما في القلوب- فالتصديق الذي في قلب أبي بكر ليس مثل غيره.

وكذلك النقصان من ناحية المعاصي نظير البصر(١)، زيدٌ مثلًا يعرف فلانًا من نصف كيلو، وعمرو، ويُميِّز أنه رجل لا امرأة، وخالد يرى الشخص، لكن لا يميز أرجل أو امرأة.

وأدلة الزيادة والنقصان في القرآن معلومة، والسنة كذلك، منها: «**ما رأيت من ناقصات عقل ودين**»(٢).

فالإيمان يكسب القلب لينًا؛ لأجل كمال حياته فيزيد، والمعصية تُظلِم بالقلب فيقسو فينقص الإيمان، وفي الآية: ﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣]. اهـ

قوله: (**وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ لا يُكَفِّرُونَ أَهْلَ القِبْلَةِ بِمُطْلَقِ المَعَاصِي وَالكَبَائِرِ؛ كَمَا يَفْعَلُهُ الخَوَارِجُ؛ بَل الأُخُوَّةُ الإِيمَانِيَّةُ ثَابِتَةٌ مَعَ المَعَاصِي، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ﴾** [البقرة: ١٧٨]، **وَقَالَ: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۝٩ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾** [الحجرات: ٩-١٠]).

* **آل الشيخ**: فأهل السنة مع القول بهذا الحد للإيمان لا يكفرون أهل القبلة بمطلق المعاصي والكبائر. يعني: كونه تصدر منه معصية- أو معاصٍ- فليس كافرًا بذلك.

فعند أهل السنة: أن من خصال الإيمان ما يزول كله بزوالها، كأركان الإسلام والإيمان.

---

(١) أي: اختلاف ما في القلوب والبصائر، يختلف كاختلاف بصر العين من حيث القوة والضعف.

(٢) أخرجه البخاري (٣٠٤، ١٤٦٢)، ومسلم (٧٩، ٨٠).

ومنها ما يزول كماله الواجب، كفعل بعض المعاصي والكبائر التي لا توصل إلى الكفر.

ومنها ما يزول كماله المندوب بترك مندوبات الإيمان.

فالأعمال مع الإيمان بمنزلة الشجرة إذا زال الأصل زالت الشجرة، وكذا الإيمان، فإن قطع شيء من أوراقها وأغصانها كانت ناقصة، فهي بعد ذهاب الورق شجرة، وبعد ذهاب الأغصان شجرة، لكن كاملة وناقصة، فأهل السنة لا يكفرون أهل القبلة بمطلق المعاصي والكبائر، كما يفعله الخوارج؛ بناءً على أصلهم السابق أن الإيمان لا يتبعض ولا يتجزأ، فبزوال خصلة منه يزول كله، فيخرج من ربقة الإيمان، فيكفرونه بمطلق المعصية أو الكبيرة. اهـ

❁ **الهراس**: ومع أن الإيمان المطلق مركب من الأقوال والأعمال والاعتقادات، فهي ليست كلها بدرجة واحدة، بل العقائد أصل في الإيمان، فمن أنكر شيئًا مما يجب اعتقاده في الله، أو ملائكته، أو كتبه، أو رسله، أو اليوم الآخر، أو مما هو معلوم من الدين بالضرورة، كوجوب الصلاة، والزكاة، وحرمة الزنا والقتل.. إلخ، فهو كافر، قد خرج من الإيمان بهذا الإنكار. اهـ

❁ **آل الشيخ**: قوله: (بَل الأُخُوَّةُ الإِيمَانِيَّةُ ثَابِتَةٌ مَعَ المَعَاصِي) أي: مع وجود المعاصي منهم، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ١٧٨] سماه أخاه مع وجود القتل، وجعل الأخوَّة الإيمانية بينهما.

(وَقَالَ: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٩ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ٩-١٠].

أي: وكذلك سماهم إخوة لهم مع وجود التقاتل، فدل على أن الأخوة الإيمانية ثابتة مع وجود المعاصي، فظهر بهاتين الآيتين وأمثالها ضلال الخوارج وأمثالهم.

ومن جملة ما استدل به الخوارج قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ الآية وأشباهها.

والرد على الخوارج من غير ما تقدم: أنه كان في زمن النبي ﷺ مَن صدر منه معاص، من الزنا، والسرقة، والسكر، وغير ذلك، وثبتت لهم أحكام الإسلام من توريثهم، ومن دَفْنهم مع المسلمين، ومن الصلاة عليهم، وغير ذلك، ولم يكونوا كفارًا.

وهذا من أعظم الضلال تكفير عصاة الموحدين، وأن الإيمان لا يقبل التبعض والتجزؤ. اهـ

* **العثيمين**: الكبيرة: كل ذنب قرن بعقوبة خاصة، كالزنا، والسرقة، وعقوق الوالدين، والغش، ومحبة السوء للمسلمين، وغير ذلك. وحكم فاعلها من حيث الاسم أنه مؤمن ناقص الإيمان، أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، وليس خارجًا من الإيمان؛ لقوله تعالى في القاتل عمدًا: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾. فجعل الله المقتول أخًا للقاتل، ولو كان خارجًا من الإيمان ما كان المقتول أخًا له، ولقوله تعالى في الطائفتين المقتتلتين: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾. فجعل الله الطائفتين المقتتلتين مع فعلهما الكبيرة إخوة للطائفة الثالثة المصلحة بينهما.

حكم فاعل الكبيرة

وحكم فاعل الكبيرة من حيث الجزاء أنه مستحق للجزاء المرتب عليها ولا يخلد في النار، وأمره إلى الله إن شاء عذبه بما يستحق، وإن شاء غفر له؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾.

الذي خالف أهل السنة في فاعل الكبيرة ثلاث طوائف:

١- المرجئة: قالوا: إن فاعل الكبيرة مؤمن كامل الإيمان، ولا عقاب عليه.

٢- الخوارج: قالوا: إنه كافر مخلد في النار.

٣- المعتزلة: قالوا: لا مؤمن، ولا كافر، في منزلة بين منزلتين، وهو مخلد في النار. اهـ

قوله: (وَلا يَسْلُبُونَ الفَاسِقَ المِلِّيَّ الإِسْلامَ بِالكُلِّيَّةِ، وَلا يُخَلِّدُونَهُ فِي النَّارِ كَمَا تَقُولُ المُعْتَزِلَةُ).

❁ **ابن مانع**: الفاسق الملي أي: الذي على ملة الإسلام، ولم يرتكب من الذنوب ما يوجب كفره كعبادة غير الله، وإنكار ما علم مجيئه من الدين بالضرورة، وغير ذلك، مما هو معلوم في نواقض الإسلام وموجبات الردة، أعاذنا الله منها. اهـ

❁ **آل الشيخ**: الفاسق الملي الذي من أهل ملتنا، وهو فاسق لا يسلب اسم الإيمان بالكلية ويقال: ليس بمؤمن، كما تقوله المعتزلة، فالمعتزلة يقولون -بأصل الخوارج-: إنهم خرجوا من الملة. تتفق مع الخوارج في خروجه من الإيمان، ولكن الخوارج يقولون: يخرج من الإسلام والإيمان، ويدخل في الكفران. والمعتزلة يقولون: يخرج من الإيمان ويقفون، يقولون: هو في منزلة بين المنزلتين، لا مؤمن ولا كافر، وردوا بذلك نصوص الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم.

وأهل السنة بخلاف القولين: -القول بخروجه من الإيمان والوقوف، والقول بدخوله في الكفر- بريئون من مقالة الطائفتين، ويقولون: إنه تحت المشيئة كما في الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]، فعصاة الموحدين تحت المشيئة، إن شاء الرب عذبهم على قدر جرائمهم وطهرهم منها، وإن شاء تجاوز وعفا، وسمح عنهم، وأدخلهم برحمته الجنة.

قوله: (وَلا يُخَلِّدُونَهُ فِي النَّارِ، كَمَا تَقُولُ الْمُعْتَزِلَةُ) أي: أهل السنة لا يقولون بخلوده في النار، كما تقوله المعتزلة والخوارج، فالمعتزلة متفقون مع الخوارج في حكمه في الآخرة أنه مخلد في النار.

وهذه المسألة يقال لها: مسألة أسماء الدين وأحكامه. وحد الإيمان سبق لك ما هو حدُّه عند أهل السنة وعند الخوارج والمرجئة، وتقدم أن الأخوة تبقى معهم ولو على المعاصي.

وقوله: (بَل الفَاسِقُ يَدْخُلُ فِي اِسْمِ الإِيمَانِ؛ كَمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ [النساء: ٩٢]) أي: الفاسق الملي، الذي يجاهر بالمعاصي ويكابر بها، يحكم عليه بالفسق، ويتغلظ بحسبها، ومن تكرر منه حبس عليها، يدخل في اسم الإيمان لا كما يقوله هؤلاء، ولا هؤلاء، كما في قوله: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ ووجه دلالتها أنه لو أعتق رقبة فاسقة ذات معاص أجزأت بإجماع أهل العلم، فصار داخلًا في هذه الآية، وهو قوله: ﴿مُّؤْمِنَةٍ﴾.

قوله: (وَقَدْ لا يَدْخُلُ فِي اِسْمِ الإِيمَانِ الْمُطْلَقِ). أي: الفاسق الملي لا يدخل في اسم الإيمان المطلق؛ لعصيانه، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [الأنفال: ٢]، فإن الفاسق الملي لا يَجِلُ قلبُه، وليس ممن إذا تليت عليه الآيات زادته إيمانًا على الحقيقة، فما دخل في الإيمان الذي يستحق أن يثنى عليه ويمدح به، إنما يثنى على من أتى بالإيمان الكامل، فالفاسق ما دخل في هذا، إذ لو كان ممن إذا ذكر الله وجلت قلوبهم لما دخل في المعاصي. ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ﴾ أي: القرآنية السمعية ﴿زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ فلم يدخل في هذا، فإنه ليس بمؤمن الإيمان المطلق. فالفاسق لا يخرج من الإيمان بالكلية، وإن خرج من الإيمان المُثْنَى به لا يخرج عن الثاني وهو مطلق الإيمان، والمُثْنَى به هنا هو الواجب، فإيمانه ناقص؛ إذ لو كان مؤمنًا الإيمان الواجب لزجره عنها، فإنه لم يباشرها إلا عن نقص إيمانه. اهـ

❁ **العثيمين**: الفاسق لا يدخل في اسم الإيمان المطلق- أي: الكامل- كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾. وإنما يدخل في مطلق الإيمان- أي: في أقل ما يقع عليه الاسم- كما في قوله تعالى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ فالمؤمن هنا يشمل الفاسق وغيره. اهـ.

❁ **آل الشيخ**: قوله: **(وَقَوْلِهِ ﷺ: «لا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلا يَشْرَبُ الخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلا يَنْتَهِبُ نُهْبَةً ذَاتَ شَرَفٍ يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ»[(١)])**.

فهذا الحديث فيه نفي الإيمان عن أهل الكبائر. وقول بعض السلف: إن الإيمان يخرج كالظلة فوقه، المراد به: خرج ما يستحق به الثناء عليه. اهـ

❁ **ابن باز**: من عقيدة أهل السنة والجماعة أنهم لا يسلبون الفاسق الملي المنتسب لملة الإسلام اسمَ الإيمان بالكلية، ولا يخلدونه في النار، فسلب الإيمان كالخوارج، ولا يخلدونه في النار كالمعتزلة، بل الفاسق يدخل في اسم الإيمان المطلق، مثل ما في قوله تعالى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ [النساء: ٩٢]، ومثل قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [البقرة: ٢٧٨]، يدخل في خطاب ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾، أما في مقام المدح والثناء، فلا يدخل في قوله جل وعلا: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢]، ولا يدخل في قوله ﷺ: **«لا يزني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن»**، **«ليس منا من ضرب الخدود، أو شق الجيوب، أو دعا بدعوى الجاهلية»[(٢)]**، «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن...» إلخ، لأنه ناقص الإيمان، قوله: «وهو مؤمن». يعني: الإيمان الكامل،

---

(١) أخرجه البخاري (٢٣٤٣، ٥٢٥٦، ٦٣٩٠، ٦٤٢٥)، ومسلم (٥٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (١٢٩٤، ١٢٩٧)، ومسلم (١٠٣) عن ابن مسعود.

فالمؤمنون الكمَّل يخرج منهم الفسقة، ووصف الإيمان -وهو المسلم الذي يخاطب به الإيمان- يدخل فيه الفاسق، يدخل في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾، وفي قوله: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾ [آل عمران: ١٩]، وفي قوله: «المسلم أخو المسلم»(١) يدخل في هذا الفاسق وغير الفاسق، لكن إذا جاء الإيمان مطلقًا مع المدح لم يدخل فيه الفاسق، ومع الإطلاق يدخل الفاسق، كما مرَّ، مثل قوله: ﴿فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ﴾ [البقرة: ١٧٨]، سمَّاه أخًا وهو قاتل، وقال: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ﴾ [الحجرات: ١٠]، وقد بغى بعضهم على بعض، ومع ذلك سمَّاهم إخوة.

والخلاصة: أن الفاسق يدخل في الإيمان المطلق، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾، ﴿فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖ﴾، وأشباه ذلك، ولا يدخل في الإيمان الكامل الذي مدح أهله مثل ما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾ [الأنفال: ٢-٣]، وقول النبي ﷺ: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن...» إلخ الحديث؛ لأن فسقه بالمعصية أزال عنه كمال الإيمان، فيسمى مسلمًا، ويسمى مؤمنًا ناقص الإيمان، أو يسمى مؤمنًا بإيمانه فاسقًا بكبيرته، فلا يعطى الاسم المطلق (مؤمن)، ولا يسلب مطلق الاسم، فلا يقال: مؤمن كامل الإيمان، ولا يقال: ليس بمؤمن إلا بهذا القصد، بنية أنه ليس بمؤمن كامل، وبهذا يرد على المعتزلة والخوارج، ويصير المؤمن على عقيدة أهل السنة والجماعة في هذا الباب العظيم الذي ضلّت فيه أفهام وزلت فيه أقدام، والله المستعان. اهـ

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٤٢)، ومسلم (٢٥٨٠).

❁ **آل الشيخ**: وقوله: (**وَنَقُولُ: هُوَ مُؤْمِنٌ نَاقِصُ الإِيمَانِ، أَوْ مُؤْمِنٌ بِإِيمَانِهِ فَاسِقٌ بِكَبِيرَتِهِ، فَلا يُعْطَى الاسْمَ المُطْلَقَ، وَلا يُسْلَبُ مُطْلَقَ الاسْمِ**) أي: كأن قائلًا قال: إذا كان الفاسق قد يدخل في اسم الإيمان المطلق، وقد لا يدخل في اسم الإيمان المطلق، فهل تقولون: إنه مؤمن، أو تقولون: إنه كافر؟

فنقول: لا نقول: إن العاصي كافر. ولا نقول: إنه مؤمن ويُطْلَق. بل يقيد، فنقول: هو مؤمن في الحكم وإثبات أصل الإيمان له، ناقص الإيمان؛ لنقصه بعض واجبات الإيمان، فلا يستحق أن يثنى عليه به، لا نفي لأصل الإيمان عنه، كأن قائلًا قال: إذا كان الفاسق قد يدخل في اسم الإيمان المطلق، وقد لا يدخل في اسم الإيمان المطلق، فهل تقولون: إنه مؤمن، أو تقولون: إنه كافر؟

فنقول: لا نقول: إن العاصي كافر. ولا نقول: إنه مؤمن ويُطْلَق. بل يقيد، فنقول: هو مؤمن في الحكم وإثبات أصل الإيمان له، ناقص الإيمان؛ لنقصه بعض واجبات الإيمان، فلا يستحق أن يثنى عليه به، لا نفي لأصل الإيمان عنه. ولعل قائلًا أن يقول: كيف يدخل الفاسق في الآيات في اسم الإيمان المطلق، وقد لا يدخل في اسم الإيمان المطلق؟

فيقال: إن آية ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ على وجه إثبات الإيمان له، لا على وجه المدح والكمال. وعدم دخوله في آية ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾؛ لأنها على وجه المدح والكمال كما تقدم.

والضابط: أنه إذا ذكرت الآيات التي فيها الأحكام، فالمطلق يدخل فيها. اهـ

❁ **الهراس**: الفاسق الملي الذي يرتكب بعض الكبائر مع اعتقاده حرمتها، فأهل السنة والجماعة لا يسلبون عنه اسم الإيمان بالكلية، ولا يخلدونه في النار، كما تقول المعتزلة والخوارج، بل هو عندهم مؤمن ناقص الإيمان، قد نقص من إيمانه بقدر معصيته، أو هو مؤمن فاسق، لا يعطونه اسم الإيمان المطلق، ولا يسلبونه مطلق الإيمان.

وأدلة الكتاب والسنة دالة على ما ذكره المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ من ثبوت مطلق الإيمان مع المعصية، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ [الممتحنة: ١]. فناداهم باسم الإيمان، مع وجود المعصية، وهي موالاة الكفار منهم.. إلخ.

فائدة: الإيمان والإسلام الشرعيان متلازمان في الوجود، فلا يوجد أحدهما بدون الآخر، بل كلما وجد إيمان صحيح معتد به، وجد معه إسلام، وكذلك العكس؛ ولهذا قد يستغنى بذكر أحدهما عن الآخر؛ لأن أحدهما إذا أفرد بالذكر؛ دخل فيه الآخر، وأما إذا ذكرا معًا مقترنين أريد بالإيمان التصديق والاعتقاد، وأريد بالإسلام الانقياد الظاهري من الإقرار باللسان وعمل الجوارح.

ولكن هذا بالنسبة إلى مطلق الإيمان، أما الإيمان المطلق؛ فهو أخص مطلقًا من الإسلام، وقد يوجد الإسلام بدونه، كما في قوله تعالى: ﴿۞ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾ [الحجرات: ١٤]. فأخبر بإسلامهم مع نفي الإيمان عنهم.

وفي حديث جبريل ذكر المراتب الثلاث: الإسلام، والإيمان، والإحسان، فدل على أن كلًّا منها أخص مما قبله. اهـ

خاتمة

❁ **السعدي**: قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولا يسلبون الفاسق المِلِّي اسم الإيمان بالكلية ولا يخلدونه في النار...» الخ. وهذا تحقيق مذهب السلف الذي باينوا فيه الخوارج المارقين الذين يسلبون العصاة اسم الإيمان ويخلدونهم، وباينوا فيه المعتزلة الذين وافقوا الخوارج في المعنى وخالفوهم في اللفظ.

وأما الكتاب والسنة فإنهما دلّا من وجوه كثيرة، على أن العبد يكون فيه خير وشر، وإيمان وخصال كفر أو نفاق، لا تخرجه عن الإيمان بالكلية، وأن الإيمان المطلق إنما يتناول الإيمان الممدوح الكامل في مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الأنفال: ٢-٣] ونحو ذلك من النصوص. وأما مطلق الإيمان الذي يدخل فيه الإيمان الكامل والإيمان الناقص؛ فإنه قد ثبت في الكتاب والسنة إطلاقه على العصاة من المؤمنين، وأجمع على ذلك سلف الأمة وأئمتها، قال تعالى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ [النساء: ٩٢]. ومن المعلوم دخول أي مؤمن كان، وكذلك قوله تعالى: ﴿فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ١٠] فسماهم إخوة بعد وجود الاقتتال.

ويقال أيضا في توضيح ذلك: إن الإيمان الممدوح الذي يؤتى به في سياق الثناء على أهله إنما يتناول الإيمان الكامل والإيمان الذي يقال لصاحبه: إنه من المؤمنين يدخل فيه هذا وهذا.

ويقال أيضًا: الإيمان الذي يمنع صاحبه من التجزئ على الزنا، وشرب الخمر، والسرقة، ونحوها من الفواحش، هو الإيمان الكامل، والإيمان الذي لا يمنع من ذلك هو الناقص.

وهذا وجه الحديث الذي ذكره المصنف «لا يزني الزاني...» إلى أخره.

ويقال أيضا: الإيمان الذي يمنع دخول النار هو الإيمان الكامل، والإيمان الذي يمنع من الخلود فيها يكون ناقصًا.

وقد تواترت الأحاديث بخروج من في قلبه حبة خردل من إيمان[١].

ويقال أيضًا: الأحكام الأصولية والفروعية تدور مع عللها وأسبابها، وإذا وجد في العبد أسباب متعارضة عَمِلَ كل سبب في مسبَّبِهِ، فالطاعات سبب لدخول الجنة، والثواب والمعاصي سبب لدخول النار والعقاب، فأعملْ كل واحد في مقتضاه. ولكن لما كانت رحمة الله قد سبقت غضبه، وفضله على العباد قد غمرهم وتنوع عليهم من كل وجه، كان أقل القليل من الإيمان له الأثر المستقر الذي يضمحل ضده من كل وجه، وإن كان معه شيء من الإيمان فإن مآله إلى الخلود في دار النعيم. اهـ

تنازع الناس في اسم الإيمان والمؤمن

* قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتاب «الإيمان الأوسط»[٢] ما ملخصه: تنازع الناس في اسم المؤمن والإيمان نزاعًا كثيرًا، منه لفظي، وكثير منه معنوي، فإن أئمة الفقهاء لم ينازعوا في شيء مما ذكرناه من الأحكام، وإن كان بعضهم أعلم بالدين وأقوم به من بعض، ولكن تنازعوا في الأسماء كتنازعهم في الإيمان هل يزيد وينقص؟ وهل يستثنى فيه أم لا؟ وهل الأعمال من الإيمان أم لا؟ وهل الفاسق الملي مؤمن كامل الإيمان أم لا؟

والمأثور عن الصحابة وأئمة التابعين وجمهور السلف، وهو مذهب أهل الحديث، وهو المنسوب إلى أهل السنة: أن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص- يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية- وأنه يجوز الاستثناء فيه، كما قال عمير بن حبيب الخطمي[٣] وغيره

---

(١) انظر: «صحيح البخاري» (١٥٨١)، وصحيح مسلم (٥٠).

(٢) (ص/ ٣٦٦ وما بعدها - ط: الزهراني).

(٣) كان من أهل بيعة الرضوان.

من الصحابة: الإيمان يزيد وينقص. فقيل له: وما زيادته ونقصانه؟ فقال: إذا ذكرنا الله وحمدناه وسبحناه فتلك زيادته، وإذا غفلنا ونسينا وضيعنا فذلك نقصانه(١). فهذه الألفاظ المأثورة عن جمهورهم(٢). وربما قال بعضهم وكثير من المتأخرين: قول، وعمل، ونية. وربما قال آخر: قول، وعمل، ونية، واتباع السنة. وربما قال: قول باللسان، واعتقاد بالجنان، وعمل بالأركان. أي: بالجوارح. وروى بعضهم هذا مرفوعًا إلى النبي ﷺ في النسخة المنسوبة إلى أبي الصلت الهروي، عن علي بن أبي موسى الرضا، وذلك من الموضوعات على النبي ﷺ باتفاق أهل العلم بحديثه(٣).

وليس بين هذه العبارات اختلاف معنوي، ولكن القول المطلق والعمل المطلق في كلام السلف يتناول قول القلب واللسان، وعمل القلب والجوارح. فقول اللسان بدون اعتقاد القلب هو قول المنافقين، وهذا لا يسمى قولًا إلا بالتقييد. كقوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [الفتح: ١١]، وكذلك عمل الجوارح بدون أعمال القلوب هي من أعمال المنافقين التي لا يتقبلها الله.

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «الإيمان» (١٤)، وفي «المصنف» (٣٠٣٢٧) أو (٣٠٩٦٣)، والبيهقي في «الشعب» (٥٥)، والخلال في «السنة» (١١٤١، ١٥٨٢)، وابن أبي زمين في «السنة» (١٤٠)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٤٦٩٢)، وابن الأعرابي في «المعجم» (٤٢٣)، وابن بطة في «الإبانة الكبرى» (١١٢٥).

(٢) جاءت آثار كثيرة عن الصحابة، عن عمر، وأبي الدرداء، وابن عباس، وأبي هريرة، ومعاذ، وحذيفة، وغيرهم انظرها في «السنة» للخلال (٤/ ٤٧، ٥/ ٤٨-٥٠)، و«السنة» لابن أبي زمنين (ص/ ١٧٦-١٧٧)، وابن بطة في «الإبانة الكبرى» (٢/ ٨٤٣-٨٤٦)، وحكاه البيهقي في «الاعتقاد» (١/ ١٨٠) عن الخلفاء الراشدين وجماعات من الصحابة والتابعين وفقهاء الأمصار.

(٣) أخرجه ابن ماجه (٦٥)، والبيهقي في «الشعب» (١٧)، وفي «الاعتقاد» (١/ ١٨٠)، والعقيلي في «الضعفاء» (٤٠٦)، وأبو نعيم في «أخبار أصبهان» (١/ ١٣٨)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (١٠/ ٣٤٣)، (١١/ ٤٧)، وابن الجوزي في «الموضوعات» (١/ ١٢٨)، وضعفه العقيلي والبوصيري، وقال الألباني: موضوع، لكن الظاهر من صنيع البيهقي في «الشعب» (١/ ١٠٨) تصحيحه.

فقول السلف يتضمن القول والعمل، الباطن والظاهر، لكن لما كان بعض الناس قد لا يفهم دخول النية في ذلك قال بعضهم: ونية.

ثم بيَّن آخرون أن مطلق القول والعمل والنية لا يكون مقبولًا إلا بموافقة السنة، وهذا حق أيضًا، فإن أولئك قالوا: قول وعمل؛ ليبينوا اشتماله على الجنس، ولم يكن مقصودهم ذكر صفات الأقوال والأعمال. وكذلك قول من قال: اعتقاد بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالجوارح. جعل القول والعمل اسمًا لما يظهر، فاحتاج أن يضم إلى ذلك اعتقاد القلب، ولابد أن يدخل في قوله: اعتقاد القلب أعمال القلب المقارنة لتصديقه، مثل حب الله، وخشية الله، والتوكل على الله، ونحو ذلك، فإن دخول أعمال القلب في الإيمان أولى من دخول أعمال الجوارح باتفاق الطوائف كلها.

وكان بعض الفقهاء من أتباع التابعين لم يوافقوا في إطلاق النقصان عليه؛ لأنهم وجدوا ذكر الزيادة في القرآن، ولم يجدوا ذكر النقص، وهذا إحدى الروايتين عن مالك، والرواية الأخرى عنه -وهو المشهور عند أصحابه كقول سائرهم-: إنه يزيد وينقص.

وبعضهم عدل عن لفظ الزيادة والنقصان إلى لفظ التفاضل، فقال أقول: الإيمان يتفاضل ويتفاوت. ويروى هذا عن ابن المبارك، وكان مقصوده الإعراض عن لفظ وقع فيه النزاع إلى معنى لا ريب في ثبوته.

المرجئة

وأنكر حماد بن أبي سليمان ومن اتبعه تفاضل الإيمان ودخول الأعمال فيه والاستثناء فيه؛ وهؤلاء من مرجئة الفقهاء.

وأما إبراهيم النخعي - إمام أهل الكوفة شيخ حماد بن أبي سليمان – وأمثاله، ومن قبله من أصحاب ابن مسعود- كعلقمة، والأسود- فكانوا من أشد الناس مخالفة للمرجئة، وكانوا يستثنون في الإيمان، لكن حماد بن أبي سليمان خالف سلفه، واتبعه من اتبعه، ودخل في هذا طوائف من أهل الكوفة ومن بعدهم.

ثم إن السلف والأئمة اشتد إنكارهم على هؤلاء، وتبديعهم، وتغليظ القول فيهم، ولم أعلم أحدًا منهم نطق بتكفيرهم، بل هم متفقون على أنهم لا يكفرون في ذلك؛ وقد نص أحمد وغيره من الأئمة على عدم تكفير هؤلاء المرجئة.

ومن نقل عن أحمد أو غيره من الأئمة تكفيرًا لهؤلاء، أو جعل هؤلاء من أهل البدع المتنازع في تكفيرهم، فقد غلط غلطًا عظيمًا، والمحفوظ عن أحمد وأمثاله من الأئمة، إنما هو تكفير الجهمية المشبهة وأمثال هؤلاء.

ولم يكفر أحمد الخوارج، ولا القدرية إذا أقروا بالعلم، وأنكروا خلق الأفعال وعموم المشيئة، لكن حكي عنه في تكفيرهم روايتان.

وأما المرجئة فلا يختلف قوله في عدم تكفيرهم، مع أن أحمد لم يكفر أعيان الجهمية ولا كل من قال: إنه جهمي كفره، ولا كل من وافق الجهمية في بعض بدعهم، بل صلى خلف الجهمية الذين دعوا إلى قولهم، وامتحنوا الناس وعاقبوا من لم يوافقهم بالعقوبات الغليظة، لم يكفرهم أحمد وأمثاله، بل كان يعتقد إيمانهم وإمامتهم، ويدعو لهم، ويرى الائتمام بهم في الصلوات خلفهم، والحج، والغزو معهم، والمنع من الخروج عليهم، ما يراه لأمثالهم من الأئمة.

وينكر ما أحدثوا من القول الباطل الذي هو كفر عظيم، وإن لم يعلموا هم أنه كفر، وكان ينكره، ويجاهدهم على رده بحسب الإمكان، فيجمع بين طاعة الله ورسوله في إظهار السنة والدين، وإنكار بدع الجهمية الملحدين، وبين رعاية حقوق المؤمنين من الأئمة والأمة، وإن كانوا جهالًا مبتدعين، وظلمة فاسقين.

وهؤلاء المعروفون -مثل حماد بن أبي سليمان، وأبي حنيفة، وغيرهما من فقهاء الكوفة- كانوا يجعلون قول اللسان، واعتقاد القلب من الإيمان- وهو قول أبي محمد بن كلاب وأمثاله- لم يختلف قولهم في ذلك، ولا نقل عنهم أنهم قالوا: الإيمان مجرد تصديق القلب. لكن هذا القول حكوه عن الجهم بن صفوان، ذكروا أنه قال: الإيمان مجرد

معرفة القلب وإن لم يقر بلسانه، واشتد نكيرهم لذلك، حتى أطلق وكيع بن الجراح، وأحمد بن حنبل، وغيرهما كفر من قال ذلك، فإنه من أقوال الجهمية، وقالوا: إن فرعون، وإبليس، وأبا طالب، واليهود، وأمثالهم عرفوا بقلوبهم، وجحدوا بألسنتهم، فقد كانوا مؤمنين؟! وذكروا قول الله: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤]، وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٦]، وقوله: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَـٰكِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣]، وقالوا: إبليس لم يكذب خبرًا ولم يجحد، فإن الله أمره بلا رسول، ولكن عصى واستكبر، وكان كافرًا من غير تكذيب في الباطن، وتحقيق هذا مبسوط في غير هذا الموضع.

وحدث بعد هؤلاء قول الكرامية: إن الإيمان قول اللسان دون تصديق القلب. مع قولهم: إن مثل هذا يعذب في الآخرة، ويخلد في النار.

وقال أبو عبد الله الصالحي[(١)]: إن الإيمان مجرد تصديق القلب ومعرفته، لكن له لوازم، فإذا ذهبت دلَّ ذلك على عدم تصديق القلب، وإن كل قول أو عمل ظاهر دلَّ الشرع على أنه كفر كان ذلك؛ لأنه دليل على عدم تصديق القلب ومعرفته، وليس الكفر إلا تلك الخصلة الواحدة، وليس الإيمان إلا مجرد التصديق الذي في القلب والمعرفة، وهذا أشهر قولي أبي الحسن الأشعري، وعليه أصحابه، كالقاضي أبي بكر، وأبي المعالي، وأمثالهما؛ ولهذا عدهم أهل المقالات من المرجئة.

والقول الآخر عنه[(٢)] كقول السلف وأهل الحديث: أن الإيمان قول وعمل. وهو اختيار طائفة من أصحابه، ومع هذا فهو وجمهور أصحابه على قول أهل الحديث في الاستثناء في الإيمان.

---

(١) صالح بن عمر الصالحي صاحب فرقة الصالحية من غلاة المرجئة، ذكر عنه الشهرستاني في «الملل» (ص/ ١٤٤)، والبغدادي في «الفرق» (ص/ ١٩٥) شنائع في تعريف الإيمان!!.

(٢) أي: عن الأشعري.

والإيمان المطلق عنده، ما يحصل به الموافاة، والاستثناء عنده يعود إلى ذلك، لا إلى الكمال والنقصان والحال. وقد منع أن يطلق القول بأن الإيمان مخلوق، أو غير مخلوق، وصنف في ذلك مصنفا معروفًا عند أهل السنة في كتاب «المقالات»، وقال: إنه يقول بقولهم.

وقد ذهب طائفة من متأخري أصحاب أبي حنيفة -كأبي منصور الماتريدي، وأمثاله- إلى نظير هذا القول في الأصل، وقالوا: إن الإيمان هو ما في القلب، وأن القول الظاهر شرط لثبوت أحكام الدنيا، لكن هؤلاء يقولون بالاستثناء ونحو ذلك كما عرف من أصلهم.

وأصل نزاع هذه الفرق في الإيمان -من الخوارج، والمرجئة، والمعتزلة، والجهمية، وغيرهم- أنهم جعلوا الإيمان شيئًا واحدًا، إذا زال بعضه زال جميعه، وإذا ثبت بعضه ثبت جميعه، فلم يقولوا بذهاب بعضه وبقاء بعضه، كما قال النبي ﷺ: «**يخرج من النار من كان في قلبه مثقال حبة من الإيمان**»[1].

ثم قالت الخوارج والمعتزلة: الطاعات كلها من الإيمان، فإذا ذهب بعضها ذهب بعض الإيمان فذهب سائره، فحكموا بأن صاحب الكبيرة ليس معه شيء من الإيمان.

وقالت المرجئة والجهمية: ليس الإيمان إلا شيئًا واحدًا لا يتبعض، إما مجرد تصديق القلب، كقول الجهمية، أو تصديق القلب واللسان، كقول المرجئة.

قالوا: لأنا إذا أدخلنا فيه الأعمال صارت جزءا منه، فإذا ذهبت ذهب بعضه، فيلزم إخراج ذي الكبيرة من الإيمان، وهو قول المعتزلة، والخوارج، لكن قد يكون له لوازم ودلائل، فيستدل بعدمها على عدمه.

---

(١) أخرجه البخاري (١٥٨١)، ومسلم (٥٠).

وكان كل من الطائفتين بعد السلف والجماعة وأهل الحديث متناقضين، حيث قالوا[1]: الإيمان قول وعمل، وقالوا: مع ذلك لا يزول بزوال بعض الأعمال. حتى إن ابن الخطيب[2] وأمثاله جعلوا الشافعي متناقضًا في ذلك، فإن الشافعي كان من أئمة السنة، وله في الرد على المرجئة كلام مشهور، وقد ذكر في كتاب الطهارة من «الأم» إجماع الصحابة والتابعين وتابعيهم على قول أهل السنة، فلما صنف ابن الخطيب تصنيفًا فيه، وهو يقول في الإيمان بقول جهم والصالحي استشكل قول الشافعي، ورآه متناقضًا...إلخ.

(١) يعني: السلف.

(٢) هو أبو عبد الله فخر الدين الرازي.

فَصلٌ

موقف أهل السنة والجماعة من الصحابة رضي الله عنهم

قال المصنف رحمه الله: (وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ: سَلامَةُ قُلُوبِهِمْ وَأَلسِنَتِهِمْ لأَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، كَمَا وَصَفَهُمْ اللهُ بِهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

وَطَاعَةُ النَّبِيِّ ﷺ فِي قَوْلِهِ: «لا تَسُبُّوا أَصْحَابِي؛ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلا نَصِيفَهُ»[(١)].

وَيَقْبَلُونَ مَا جَاءَ بِهِ الكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَالإِجْمَاعُ مِنْ فَضَائِلِهِمْ وَمَرَاتِبِهِمْ.

وَيُفَضِّلُونَ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الفَتْحِ -وَهُوَ صُلحُ الحُدَيْبِيَّةِ- وَقَاتَلَ عَلَى مَنْ أَنْفَقَ مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلَ.

وَيُقَدِّمُونَ المُهَاجِرِينَ عَلَى الأَنْصَارِ.

وَيُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللهَ قَالَ لأَهْلِ بَدْرٍ وَكَانُوا ثَلاثَمِائَةٍ وَبِضْعَةَ عَشَرَ: «اِعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ»[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤١) عن أبي سعيد الخدري مرفوعًا، وأخرجه مسلم (٢٥٤٠) عن أبي هريرة.

(٢) أخرجه البخاري (٣٠٠٧، ٣٠٨١، ٣٩٨٣، ٤٢٧٤، ٤٨٩٠، ٦٢٥٩، ٦٩٣٩)، ومسلم (٢٤٩٤) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه مرفوعًا، وسيأتي بقصته إن شاء الله.

وَبِأَنَّهُ «لا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ»(١)؛ كَمَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ؛ بَل لَقَدْ رضِيَ عنهم وَرَضُوا عَنْهُ وَكَانُوا أَكْثَرَ مِنْ أَلْفٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ(٢)).

الشرح

❁ ابن باز: هذا الفصل من أفضل فصول الكتاب، ومن أهم فصول هذا الكتاب «العقيدة الواسطية» في شأن الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم، فيه الرد على الرافضة، والرد على النواصب، وفيه بيان فضلهم ومنزلتهم رضي الله عنهم وأرضاهم، وهو فصل عظيم أجاد فيه المؤلف وأحسن بعبارات واضحة بيّنة.

فمن عقيدة أهل السنة والجماعة سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله ﷺ، فقلوبهم سالمة، يحبونهم ويترضون عنهم؛ لأن حبهم دين، فأهل السنة والجماعة يحبونهم في الله، وقلوبهم سالمة نحوهم، بل مملوءة بحبهم، وألسنتهم سالمة، فلا يسبونهم ولا يعيبونهم، بل يترضون عنهم، ويدعون لهم، طاعةً لله، قال الله جل وعلا: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠]، ويحفظون فيهم وصية رسول الله ﷺ حيث قال: «**لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أُحد ذهبًا ما بلغ مُد أحدهم ولا نصيفه**»، فأهل السنة والجماعة هذه صفتهم، قلوبهم وألسنتهم سالمة لأصحاب رسول الله ﷺ، فهم ﷺ زبدة الأمة بعد الأنبياء عليهم السلام، لا كان ولا يكون مثلهم رضي الله عنهم وأرضاهم. اهـ

---

(١) سيأتي تخريجه إن شاء الله.

(٢) صح الحديث في ذلك عن البراء بن عازب عند البخاري (٣٥٧٧، ٤١٥٠، ٤١٥١)، وعن جابر بن عبد الله عند البخاري (٣٥٧٦، ٤١٥٢، ٤١٥٣، ٤١٥٤)، ومسلم (١٨٥٦)، وعن عبد الله بن أبي أوفى عند البخاري (٤١٥٥)، ومسلم (١٨٥٧).

* **الهراس**: يقول المؤلف: إن من أصول أهل السنة والجماعة التي فارقوا بها من عداهم من أهل الزيغ والضلال أنهم لا يزرون بأحد من أصحاب رسول الله ﷺ، ولا يطعنون عليه، ولا يحملون له حقدًا ولا بغضًا ولا احتقارًا، فقلوبهم وألسنتهم من ذلك كله براء، ولا يقولون فيهم إلا ما حكاه الله عنهم بقوله: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [الحشر: ١٠]... الآية. فهذا الدعاء الصادر ممن جاء بعدهم ممن اتبعوهم بإحسان يدل على كمال محبتهم لأصحاب رسول الله ﷺ، وثنائهم عليهم، وهم أهل لذلك الحب والتكريم؛ لفضلهم، وسبقهم، وعظيم سابقتهم، واختصاصهم بالرسول ﷺ، ولإحسانهم إلى جميع الأمة؛ لأنهم هم المبلغون لهم جميع ما جاء به نبيهم ﷺ، فما وصل لأحد علم ولا خبر إلا بواسطتهم، وهم يوقرونهم أيضا طاعة للنبي ﷺ؛ حيث نهى عن سبهم والغض منهم، وبين أن العمل القليل من أحد أصحابه يفضل العمل الكثير من غيرهم، وذلك لكمال إخلاصهم، وصادق إيمانهم. اهـ

* **آل الشيخ**: وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ سلامةُ قلوبهم وطهارتُها لأصحابِ رسول الله ﷺ، سلامة قلوبهم من الغل، والحقد، والبغض، والعداوة، واعتقاد السوء في الصحابة. وسلامة ألسنتهم لأصحاب رسول الله ﷺ، فألسنتهم سالمة من أن تتلوث بالطعن والوقيعة في أعراض أصحاب رسول الله ﷺ، بل هم أحب طائفة إليهم. يعني: خلافًا للروافض الذين قلوبهم مفعمة[١] من بغض أصحاب رسول الله ﷺ وعداوتهم، وألسنتهم مسلقة في سب أصحاب رسول الله ﷺ، فمن مذهب الروافض تكفير أصحاب رسول الله ﷺ إلا بضعة عشر، فمذهبهم في أصحاب رسول الله ﷺ أشنع مذهب وأفظعه؛ ولهذا صاروا أشر من اليهود والنصارى في هذا الباب، فإنهم لو سئلوا مَنْ شَرُّكم؟ لقالوا: أصحاب محمد ﷺ، واليهود لو سئلوا: من خيركم؟ لقالوا: أصحاب موسى، والنصارى لو سئلوا من خيركم؟ لقالوا: أصحاب عيسى.

---

(١) أي: ممتلئة. فعُمَ الإناء -ككرُم- أي: امتلأ، وأفعَمَ الإناءَ: ملأه. قاله في «القاموس».

وذهب بعض أهل العلم إلى تكفير الروافض(١)، واستدل بقوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]. هذا التكفير في بدعة التفضيل من دون بدعة التخوين(٢)، وأيضًا هناك شيء آخر، وهو عبادة الأوثان، والعياذ بالله. اهـ

❁ **العثيمين**: الصحابي من اجتمع بالنبي ﷺ، أو رآه- ولو لحظة- مؤمنًا به، ومات على ذلك. وموقف أهل السنة من الصحابة محبتهم، والثناء عليهم بما يستحقون، وسلامة قلوبهم من البغضاء والحقد عليهم، وسلامة ألسنتهم من قول ما فيه نقص أو شتم للصحابة، كما وصفهم الله بقوله: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾.
وقال النبي ﷺ: «**لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أُحد ذهبًا ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه**»(٣). اهـ

---

(١) وهو قول للإمام مالك وطائفة من العلماء. انظر «تفسير القرطبي» (١٦/ ٢٧٦-٢٩٨)، و«تفسير ابن كثير» (٧/ ٣٦٢)، قال ابن كثير: ومن هذه الآية انتزع الإمام مالك رحمه الله في رواية عنه بتكفير الروافض الذين يبغضون الصحابة؛ لأنهم يغيظونهم، ومن غاضه الصحابة فهو كافر لهذه الآية، ووافقه طائفة من العلماء على ذلك. اهـ

(٢) أي قولهم بأنَّ جبريل عليه السلام أرسل بالنبوة لعليّ بن أبي طالب، لكنه خان الأمانة فجعلها لمحمد ﷺ! وهذا القول كفر بإجماع العلماء.

(٣) تقدم تخريجه من الصحيحين. والمُد -كما في «القاموس» وشرحه-: بالضم: مكيال وهو رطلان عند أهل العراق، أو رطل وثلث عند أهل الحجاز، وقيل: هو ربع صاع، أو ملء كفي الإنسان المعتدل إذا ملأهما ومدَّ يده بهما، وهو قدر مُد النبي ﷺ، والصاع: أربعة أمداد، وفي حديث فضل الصحابة: «ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه»، وإنما قدره به؛ لأنه أقل ما كانوا يتصدقون به في العادة، وجمع المد: أمداد ومددة -كعنبة- ومداد. اهـ

قال القرطبي (١٧/ ٢٩٧): قال أبو عبيد: معناه: لم يدرك مد أحدهم إذا تصدق به، ولا نصف المد. فالنصيف هو النصف هنا، وكذلك يقال للعُشر: عَشير، وللخمس: خَميس... إلخ.

* **قال شيخ الإسلام المصنف**[١]: الأصحاب: جمع صاحب: والصاحب اسم فاعل من صَحِبَه يَصْبَحُهُ، وذلك يقع على قليل الصحابة[٢] وكثيرها؛ لأنه يقال: صحبته ساعة، وصحبته شهرًا، وصحبته سنةً، قال الله تعالى: ﴿وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ﴾ [النساء: ٣٦] قد قيل: هو الرفيق في السفر، وقيل: هو الزوجة. ومعلوم أن صحبة الرفيق وصحبة الزوجة قد تكون ساعة فما فوقها، وقد أوصى الله به إحسانًا ما دام صاحبا، وفي الحديث عن النبي ﷺ: «**خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه، وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره**»[٣]، وقد دخل في ذلك قليل الصحبة وكثيرها، وقليل الجوار وكثيره.

وكذلك قال الإمام أحمد وغيره: «كل من صحب النبي ﷺ سنة، أو شهرًا، أو يومًا، أو رآه مؤمنًا به، فهو من أصحابه له من الصحبة بقدر ذلك».

فإن قيل: فلم نهى خالدًا عن أن يسب أصحابه إذا كان من أصحابه أيضا؟ وقال: «**لو أن أحدكم أنفق مثل أُحد ذهبًا ما بلغ مُدّ أحدهم ولا نصيفه**».

قلنا: لأن عبد الرحمن بن عوف ونظراءه هم من السابقين الأولين، الذين صحبوه في وقتٍ كان خالد وأمثاله يعادونه فيه، وأنفقوا أموالهم قبل الفتح وقاتلوا، وهم أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد الفتح وقاتلوا، وكلًّا وعد الله الحسنى، فقد انفردوا من

---

(١) «الصارم المسلول» (ص/ ٥٧٧-ط: دار ابن حزم).

(٢) الصحابة اسم فاعل، ومصدر صَحِب يصحب صَحابةً بفتح الصاد وكسرها وصُحبة بضم الصاد، وهم: أصحاب وأصاحيب وصحبان وصِحاب وصَحابة وصِحابة وصَحْب. قاله في «القاموس».

(٣) أخرجه أحمد (٦٥٦٦)، وعبد بن حميد (٣٤٢)، والدارمي (٢/ ٢١٥)، والبخاري في «الأدب المفرد» (١١٥)، وسعيد بن منصور في «السنن» (٢٣٨٨)، والترمذي (١٩٤٤)، والطحاوي في «المشكل» (٢٨٠١)، والبيهقي في «الشعب» (٩٥٤١، ٩٥٤٢)، وصححه ابن خزيمة (٢٥٣٩)، وابن حبان (٥١٨، ٥١٩)، والحاكم (٢/ ٤٤٣)، (٢/ ١٠١)، و(٤/ ١٦٤)، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاصي مرفوعًا.

الصحبة بما لم يشركهم فيه خالد ونظراؤه ممن أسلم بعد الفتح الذي هو صلح الحديبية وقاتل، فنهى أن يسب أولئك الذين صحبوه قبله، ومن لم يصحبه قط نسبته إلى من صحبه كنسبة خالد إلى السابقين وأبعد.

وقوله: «لا تسبوا أصحابي» خطاب لكل أحد أن يسب من انفرد عنه بصحبته عليه الصلاة والسلام، وهذا كقوله عليه الصلاة والسلام في حديث آخر: «أيها الناس إني أتيتكم فقلت: إني رسول الله إليكم، فقلتم: كذبت، وقال أبو بكر: صدقت. فهل أنتم تاركو لي صاحبي؟ فهل أنتم تاركو لي صاحبي» أو كما قال، بأبي هو وأمي ﷺ. قال ذلك لما غامر[1] بعض الصحابة أبا بكر، وذاك الرجل من فضلاء أصحابه[2] ولكن امتاز أبو بكر عنه بصحبته وانفرد بها عنه. اهـ

---

(١) غامر: أي خاصم.

(٢) هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه، كما في حديث أبي الدرداء في «صحيح البخاري» (٣٦٦١، ٤٦٤٠)، وفيه أنه كانت بين أبي بكر وعمر محاورة، فأغضب أبو بكر عمرَ، فانصرف مغضبًا، فأتبعه أبو بكر يسأله أن يستغفر له، فلم يفعل حتى أغلق بابه في وجهه، فأقبل أبو بكر إلى رسول الله ﷺ، آخذًا بطرف ثوبه حتى أبدى عن ركبته، فقال النبي ﷺ: «أمّا صاحبكم فقد غامر» فسلم وقال: إني كان بيني وبين ابن الخطاب شيء فأسرعت إليه، ثم ندمت فسألته أن يغفر لي، فأبى عليَّ، فأقبلت إليك، فقال: «يغفر الله لك يا أبا بكر» ثلاثًا. ثم إنّ عمر ندم فأتى منزل أبي بكر فسأل أثَمّ أبو بكر؟ فقالوا: لا، فأتى إلى النبي ﷺ حتى سلم وجلس، وغضب رسول الله ﷺ، وجعل وجهه يتمعر حتى أشفق أبو بكر -يعني: على عمر- فجثا على ركبتيه فقال: يا رسول الله، والله أنا كنت أظلم مرتين. فقال النبي ﷺ: «إن الله بعثني إليكم فقلتم كذبت، وقال أبو بكر صدق، وواساني بنفسه وماله، فهل أنتم تاركو لي صاحبي، فهل أنتم تاركو لي صاحبي» فما أوذي بعدها.

قوله: (كَمَا وَصَفَهُمْ اللهُ بِهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾).

❁ **السعدي**: وهذا الدعاء الصادر ممن اتبع المهاجرين والأنصار بإحسان يدل على كمال محبتهم لأصحاب رسول الله، وثنائهم عليهم؛ لأن من دعا في أمر من الأمور فهو ساع في تحقيقه، مجتهد في تكميله، متضرع لربه أن يتم ذلك له، وأولى من دخل في هذا الدعاء الصحابة الذين سبقوا إلى الإيمان وحققوه، وحصل لهم من براهينه وطرقه ما لم يحصل لغيرهم. ونفي الغل من جميع الوجوه يقتضي تمام المحبة لهم، فهم يحبون الصحابة؛ لفضلهم، وسبقهم، واختصاصهم بالرسول، ولإحسانهم إلى جميع الأمة؛ لأنهم هم المبلغون لهم جميع ما جاء به نبيهم، فما وصل لأحد علم ولا خير إلا على أيديهم وبواسطتهم. اهـ.

❁ **آل الشيخ**: قوله: «كَمَا وَصَفَهُمْ اللهُ بِهِ» يعني: أهل السنة والجماعة. بسلامة قلوبهم، في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ يعني: من بعد المهاجرين والأنصار. فمن بعد البعثة المسلمون على ثلاث طبقات: مهاجرين، وأنصار، وتابعين إلى يوم القيامة. فمن صفة الطبقة الثالثة: أنهم ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ فإن الآية الأولى في المهاجرين: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحشر: ٨]، والآية بعدها في الأنصار: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩]، فأثنى الله على من جاء بعد المهاجرين والأنصار بقوله: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ [الحشر: ١٠]. فهذا وصف أهل السنة، وهذه مقالتهم، يدعون للصحابة بالمغفرة كما يسألونها لأنفسهم، فمدحهم الله بهذه المقالة، وهي باقية في أهل السنة إلى يوم القيامة، والرافضة ليسوا كذلك، بل يقعون فيهم أشد الوقيعة، بل يكفرونهم إلا النفر القليل؛ ولهذا استدل مالك بالآية على منعهم الفيء.

ثم وصفهم بقوله: ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ والغل في قلوب الروافض، حتى صاروا- في هذا الباب- يظهر منهم عند ذكر الصحابة من الأقوال والأعمال مضحكات، من شدة الغيظ في قلوبهم. وبهذا ينبغي لولاة الأمور أن لا يجعلوا لهم رفادة ولا شيئًا أبدًا، اللهم إلا أن يزول رفضهم أولًا، بما يُظهِرون أولًا، فيُعْطون. اهـ

قوله: (وَطَاعَةُ النَّبِيِّ ﷺ فِي قَوْلِهِ[1]: «لا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلا نَصِيفَهُ»).

❁ **السعدي**: فعلى الأمة أن يطيعوا النبي ﷺ في كل أمر، وخصوصًا في هذا الأمر الخاص، وأن يوقروا أصحابه، ويحترموهم، ويعتقدوا أن العمل القليل منهم يفضل العمل الكثير من غيرهم، كما في هذا الحديث، وهذا من أعظم براهين فضلهم على غيرهم.

وذكر الله ورسوله للصحابة فضائل كثيرة على الأمة الإيمان بها، وأن يدينوا الله بها ويحبوا الصحابة لأجلها. اهـ

❁ **آل الشيخ**: قَوْله: «لا تَسُبُّوا أَصْحَابِي» الخطاب مع خالد بن الوليد رضي الله عنه وأصحابه في قصة بني جذيمة، لما قتلوا مَن قتلوا -ظنًّا منهم أنهم لم يسلموا- أنكر عليه عبدُ الرحمن بن عوف رضي الله عنه قتلَه لهم، فسبه خالد، فقال النبي ﷺ: «لا تسبوا أصحابي» يعني: عبد الرحمن بن عوف. مع أن خالدًا وأصحابه من الصحابة، لكن عبد الرحمن أسبق صحبة، فما الظن فيمن بعده في الزمن والفضل؟! لو أنفق مثل جبل أُحدٍ ذهبًا ما بلغ مدَّ أحدهم من البر ونحوه ينفقه، «ولا نصيفه» لغة في النصف، وذلك أن تفاوت

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤١) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعًا، وتقدم.

الأعمال إنما هو بالنسبة إلى ما في القلوب، لما فيها من صريح الإيمان والصدق ما لا يكون لمن بعدهم.

فلأجل الآية، ولأجل طاعة النبي ﷺ في هذا الحديث، الذي فيه أعظم تغاير بين الصحابة ومن بعدهم، كان مسلك أهل السنة في الصحابة هو ما تقدم. اهـ

* **قال شيخ الإسلام ابن تيمية**(١): قوله ﷺ: **«لا تسبوا أصحابي»** خطاب لكل أحد أن يسب من انفرد عنه بصحبته عليه الصلاة والسلام. وإن كان سبب الحديث سب خالد بن الوليد رضي الله عنه عبدَ الرحمن بن عوف، فإن من لم يصحبه قط نسبته إلى من صحبه قط كنسبة خالد إلى السابقين وأبعد. اهـ

تفاوت الصحابة في الرتب والفضائل

قوله: (وَيَقْبَلُونَ مَا جَاءَ بِهِ الكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَالإِجْمَاعُ مِنْ فَضَائِلِهِمْ وَمَرَاتِبِهِمْ).

* **العثيمين**: تختلف مراتب الصحابة؛ لقوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾.

وسبب اختلاف مراتبهم قوة الإيمان، والعلم والعمل الصالح، والسبق إلى الإسلام.

وأفضلهم جنسًا المهاجرون، ثم الأنصار؛ لأن الله قدم المهاجرين عليهم، فقال تعالى: ﴿لَّقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ﴾، ولأنهم جمعوا بين الهجرة من ديارهم وأموالهم والنصرة. اهـ

(١) «الصارم المسلول» (ص/ ٥٠٩- ٥١٠).

❁ آل الشيخ: وفضائل الصحابة جمة، جاءت نصوص عامة لجميعهم، وجاءت نصوص خاصة، منها ما هو تفضيل لهم عمومًا، ومنها خصوص طائفة على طائفة بالتفضيل، مثل المهاجرين فضلوا على الأنصار، وأهل بدر، وأهل بيعة الرضوان، ومنها ما هو تفضيل أشخاص على أشخاص، وأهل السنة يقبلون ذلك كله ويعرفون لكل واحد من الصحابة فضله. اهـ

تفضيل السابقين على التابعين

قوله: (وَيُفَضِّلُونَ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الفَتْحِ -وَهُوَ صُلحُ الحُدَيْبِيَّةِ- وَقَاتَلَ عَلَى مَنْ أَنفَقَ مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلَ).

❁ الهراس: لورود النص القرآني بذلك، قال تعالى في سورة الحديد: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الحديد: ١٠]. وأما تفسير الفتح بصلح الحديبية، فذلك هو المشهور، وقد صح أن سورة الفتح نزلت عَقِيبه.

وسمي هذا الصلح فتحًا؛ لما ترتب عليه من نتائج بعيدة المدى في عزة الإسلام، وقوته، وانتشاره، ودخول الناس فيه. اهـ

سبب تسمية صلح الحديبية فتحًا

❁ السعدي: وقيل لصلح الحديبية: فتح؛ لما ترتب عليه من المصالح والخير الكثير، ودخول الكثير في الإسلام؛ ولهذا كان من أسلم قبل ذلك، وأنفق، وقاتل أفضل ممن فعل ذلك بعده؛ لما حصل لهم من السبق في الإسلام وقت ضعف المسلمين، وكثرة الأعداء، ووجود الموانع الكثيرة والمصاعب الكثيرة في طريق الإسلام. اهـ

❁ **آل الشيخ**: الفتح هو صلح الحديبية، سماه الله فتحًا، فإن الناس دخلوا في الدين، وكانوا في غزوة بيعة الرضوان ألفًا وأربعمائة، وبعدها كانوا نحوًا من عشرة آلاف، فإن الصحابة لما اجتمعوا بالكفار، وبينوا لهم، وقاتلوا كانوا أفضل ممن أنفق من بعده وقاتل.

فمن كان قبل صلح الحديبية من الصحابة بادروا، ولم يبالوا بكثرة الأعداء، فأنفقوا وقاتلوا مع الشدة والقلة، وبذلوا المهج والنفس والنفيس، ومَنْ بعدهم أنفقوا وقاتلوا، ولكن مع الكثرة والقوة، فبهذا كانوا أفضل. فالأولون في ضيق العيش، وشدة العدون وقلة النصرة. فهذا جنس المراتب، فجنس من أنفق من قبل الفتح وقاتل أفضل وأرفع على من أنفق من بعده وقاتل؛ لقوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ﴾ فهؤلاء أفضل، ومنهم السابقون، وإنما كانوا أفضل؛ لأنهم كانوا سابقين؛ ولأنهم اختاروا الإسلام وقت القلة والشدة، ففرق بين من دخل في حال الضيق والشدة، ممن دخل وقد كثر الناصر والداخل في الدين، فإن النبي ﷺ حين صالح أهل الحديبية ليأمن الناسُ، فدخل بذلك خلق كثير؛ ولهذا كان ما بين صلح الحديبية وبين فتح مكة سنتان، وفي الحديبية عددهم ألف وزيادة، وفي فتح مكة عشرة آلاف. اهـ

تفضيل المهاجرين على الأنصار إجمالًا

قوله: (وَيُقَدِّمُونَ الْمُهَاجِرِينَ عَلَى الأَنْصَارِ).

❁ **السعدي والهراس**: وهذا لأن المهاجرين جمعوا الوصفين: النصرة والهجرة؛ ولهذا كان الخلفاء الراشدون وبقية العشرة من المهاجرين، وقد قدم الله المهاجرين على الأنصار في سورة التوبة والحشر(١).

وهذا التفضيل للجملة على الجملة، لا لكل فرد من هؤلاء على كل فرد من الآخرين. اهـ

❁ **الهراس**: وقد روي عن أبي بكر أنه قال في خطبته يوم السقيفة: نحن المهاجرون، وأول الناس إسلاما، أسلمنا قبلكم، وقُدِّمنا في القرآن عليكم، فنحن الأمراء، وأنتم الوزراء(٢). اهـ

---

(١) قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، وقال: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٧]، وقال: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٨-٩].

(٢) هذا الأثر صحيح في المعنى، أما من حيث الرواية ففيه ثلاث جمل بعضها صحيح ثابت، وبعضها لا. أما الثابت فقوله: نحن الأمراء وأنتم الوزراء. فقد أخرجه البخاري (٣٦٦٨) من حديث عائشة.

وقوله: نحن المهاجرون أول الناس إسلامًا. أخرجه البيهقي في «الكبرى» (١١٧٠٣) من حديث موسى بن عقبة، وعروة بن الزبير مرسلًا.

وأما قوله: قُدمنا في القرآن عليكم، فلم أجد لها ذكرًا في كتب الرواية، وإنما ذكرها ابن قتيبة في «عيون الأخبار» (٢/ ٢٣٢) معلقة بلا سند.

❁ **قال الشيخ**: أهل السنة يرون أن الكل له فضيلة وخير، ولكن يرون أن المهاجرين أفضل؛ لأن الله قدم المهاجرين على الأنصار في مواطن الثناء عليهم في عدة آيات - والله لا يقدم إلا الأفضل - كما في سورة الحشر: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ﴾ [الحشر: ٨-٩].وإنما قدموا المهاجرين؛ لأجل النصوص، فالمهاجرون أقدم في الفضيلة لكون الله قدمهم، فالتقديم يفيد التفضيل كما تقدم، والحكمة في ذلك أنهم باشروا من الشدائد ما لم يباشره الأنصار، ولكونهم فارقوا مألوفاتهم من المساكن والأوطان والأموال والعشائر وغير ذلك، كله نصرة لله ورسوله، وبعضهم فارق والديه، كما في قصة سعد، وقصتها معروفة. والأنصار آووا المسلمين، ونصروهم بالمال والأبدان، ولكن في أوطانهم وعشائرهم فكانوا في الفضل دون المهاجرين، فبهذا يعرف سبب تفضيلهم وسبقهم أيضًا، رضي الله عن الكل وأرضاهم. اهـ

تفضيل أهل بدر

قوله: (وَيُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللهَ قَالَ لأَهْلِ بَدْرٍ وَكَانُوا ثَلاثَمِائَةٍ وَبِضْعَةَ عَشَرَ: «اِعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ»(١)).

* **العثيمين**: أهل بدر هم الذين قاتلوا في غزوة بدر من المسلمين، وعددهم ثلاثمائة وبضعة عشر رجلًا، والفضيلة التي حصلت لهم أن الله اطلع عليهم وقال: «**اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم**». ومعناه: أن ما يحصل منهم من المعاصي يغفره الله بسبب الحسنة الكبيرة التي نالوها في غزوة بدر، ويتضمن هذا بشارة بأنه لن يرتد أحد منهم عن الإسلام. اهـ

* **آل الشيخ**: وبدر: ماء معروف، غير بعيد من المدينة، وجرت فيه الوقعة الشهيرة، وهو المذكور في الآية الكريمة: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٣]، وكان الذين شهدوها من الصحابة ثلاثمائة وبضعة عشر.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٠٧، ٣٠٨١، ٣٩٨٣، ٤٢٧٤، ٧٨٩٠، ٦٢٥٩، ٦٩٣٩)، ومسلم (٢٤٩٤) عن علي بن أبي طالب ﷺ قال: بعثني رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد بن الأسود قال: «**انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ، فإن بها ظعينة ومعها كتاب فخذوه منها**»، فانطلقنا تعادى بنا خيلنا، حتى انتهينا إلى الروضة، فإذا نحن بالظعينة، فقلنا: أخرجي الكتاب. فقالت: ما معي من كتاب. فقلنا: لتخرجن الكتاب أو لنلقين الثياب، فأخرجته من عقاصها، فأتينا به رسول الله ﷺ فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلتعة إلى أناس من المشركين من أهل مكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «**يا حاطب ما هذا؟!**» قال: يا رسول الله لا تعجل عليَّ، إني كنتُ امرأً ملصقًا في قريش، ولم أكن من أنفسها، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون بها أهليهم وأموالهم، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ عندهم يدًا يحمون بها قرابتي، وما فعلت كفرًا ولا ارتدادًا ولا رضًا بالكفر بعد الإسلام. فقال رسول الله ﷺ: «**لقد صدقكم**». قال عمر: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق، قال: «**إنه قد شهد بدرًا، وما يدريك لعل الله أن يكون قد اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم**».

وقوله: «اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم» يعني: فيؤمنون بأن النبي ﷺ قال ذلك، وبأنهم ممتازون بهذه الفضيلة على غيرهم من الصحابة، فهي رتبة عالية؛ لشهودهم هذا المشهد الكبير، الذي فرَّق فيه بين الحق والباطل.

لكن لابد من معرفة معنى ذلك، فليس معناه عند أهل العلم أنه مرخص لهم في الكفر والمعاصي، لكن من ثواب الله لأهل بدر أن المعاصي المتجددة إذا وقعت من أحدهم فإنه يوفق للتوبة، وكذلك توفيقه للحسنات، كله من ثواب الله، فهذا معنى التكفير في باقي العمر بعد ذلك. فلا تظن أن الواحد من البدريين مأذون له في المعاصي، بل إيمانهم أعظم من غيرهم، وعصيان من انقطع إلى الله أعظم؛ لامتيازه بالمعرفة، والشكر في حقه آكد، لكن مغفرة ذلك من أجل ما جرى على أيديهم من النفع، أي وما عملتم من عملٍ لا يصل إلى الكفر مغفورٌ لكم، والكفر لو قدر وجوده من بدري حبط عمله[1]، وهم متفاوتون في الأجر، فلِعُمَر من سنامه ما ليس لغيره. اهـ

فضيلة أهل بيعة الرضوان

قوله: (وَبِأَنَّهُ لا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ، كَمَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ[2]).

❁ **الهراس**: قوله: (وبأنه لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة..) إلخ، فلإخباره ﷺ بذلك؛ ولقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ..﴾ الآية فهذا الرضا مانع من إرادة تعذيبهم، ومستلزم لإكرامهم ومثوبتهم. اهـ

(١) لكن الله عصمهم من ذلك.

(٢) أخرجه الإمام أحمد (١٤٧٧٨)، وأبو داود (٤٦٥٥)، والترمذي (٣٨٦٠)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١١٥٠٧)، وصححه ابن حبان (٤٨٠٢) من حديث جابر، عن النبي ﷺ أنه قال: «لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة». وقال أبو عيسى الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.
وأخرجه مسلم (٢٤٩٥) بلفظ: أن عبدًا لحاطب بن أبي بلتعة جاء رسول الله ﷺ يشكو حاطبًا فقال: يا رسول الله، ليدخلن حاطب النار، فقال رسول الله ﷺ: «كذبت لا يدخلها؛ فإنه شهد بدرًا والحديبية».

❁ **آل الشيخ**: أهل السنة والجماعة يؤمنون بأنه لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة وذلك سنة ست، فلما صَدَّ المشركون النبي ﷺ عن البيت وهم هذا العدد، أخذ النبي ﷺ عليهم أن لا يفروا، فبايعوه تلك البيعة، فرضي الله عنهم، كما أخبر به النبي ﷺ في قوله: «**لا يدخل النار أحدٌ بايع تحت الشجرة**»، وهؤلاء هم أهل بيعة الرضوان. أما قوله سبحانه: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ [مريم: ٧١] فالمراد المرور على الصراط، فإنه منصوب على متن جهنم، وجميع الخلق يعبرون عليه، فالورود أعم من الدخول، فالدخول أخص، فلا يلزم من الورود الدخول. اهـ

قوله: (بَل لَقَدْ رضي الله عنهم وَرَضُوا عَنْهُ، وَكَانُوا أَكْثَرَ مِنْ أَلفٍ وَأَرْبَعمِائَة).

❁ **السعدي**: أي: في قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ وكان عددهم يتراوح ما بين ألف أو أربعمائة أو خمسمائة.

فأهل بدر وأهل بيعة الرضوان يُشهَد لهم بالجنة، والنجاة من النار، على وجه أخص من الشهادة بذلك لجميع الصحابة في قوله: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ كما أنه أخص من هؤلاء الأشخاص الذين شهد لهم ﷺ بالجنة. اهـ

❁ **آل الشيخ**: كل منهم قد رضي الله عنه، وغير خافٍ أن الرضا درجة فوق المغفرة كما قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾ [الفتح: ١٨] المعروفة في صلح الحديبية، فإن النبي ﷺ في سنة ست خرج قاصدًا مكة في ذي القعدة معتمرًا، ولما بلغه أن قريشًا يريدون أن يصدوه عن العمرة، عزم على أن من قاتله أن النبي ﷺ يقاتلهم، فبايعهم تحت الشجرة على ألا يفروا إذا لقوا قريشًا في مكة، فصالحهم النبي ﷺ أن يعتمر من القابلة.

المقصود أنهم بايعوه تحت الشجرة، وكانوا أكثر من ألف وأربعمائة، فيؤمن أهل السنة أن الله رضي عنهم.

فهؤلاء هم أهل بيعة الرضوان، لهم مزية على من لم يحصل له ذلك، هذه فضيلة عمومية لأهل بيعة الرضوان، كما أن موقعة بدر عمومية لأهل بدر على غيرهم، وكذلك فضيلة المهاجرين على من ليسوا مهاجرين كذلك، ومنها باعتبار تفضيل العشرة، فهي خاصة لهم بالنسبة إلى غيرهم وعامتهم. وفي الصحابة من له فضائل خاصة به، كأبي بكر، وعمر وغيرهم، وكذلك الملازمون له في الصحبة، وهذا غالب فيهم ليس في كل فرد منهم، بل من اجتمع بالرسول ﷺ ولو لحظة وهو مؤمن به فإنه من الصحابة. اهـ

* **العثيمين**: أهل بيعة الرضوان هم: الذين بايعوا النبي ﷺ عام الحديبية على قتال قريش، وألا يفروا حتى الموت.

وسببها ما أشيع من أن عثمان قتلته قريش، حين أرسله النبي ﷺ إليهم للمفاوضة.

وسميت بيعة الرضوان؛ لأن الله رضي عنهم بها، وعددهم نحو ألف وأربعمائة.

والفضيلة التي حصلت لهم هي:

١- رضا الله عنهم؛ لقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾.

٢- سلامتهم من دخول النار؛ لأن النبي ﷺ أخبر أنه لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة. اهـ

* قال الشيخ المصنف رحمه الله في وصف الصحابة رضي الله عنهم(١): وهؤلاء هم الذين أثنى الله عليهم هو ورسوله، ورضي عنهم، ووعدهم الحسنى، كما قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠]،

---

(١) «منهاج السنة النبوية» (٢/ ١٧ وما بعدها).

وقال تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾ [الفتح: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ ۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ مَعَكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنكُمْ ۚ ﴾ [الأنفال: ٧٢-٧٥]، وقال: ﴿ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ ﴾ [الحديد: ١٠]، وقال تعالى: ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحشر: ٨-١٠].

وهذه الآيات تتضمن الثناء على المهاجرين والأنصار، وعلى الذين جاؤوا من بعدهم الذين يستغفرون لهم، ويسألون الله أن لا يجعل في قلوبهم غلًّا لهم، وتتضمن أن هؤلاء الأصناف هم المستحقون للفيء.

ولا ريب أن الرافضة خارجون من الأصناف الثلاثة، فإنهم لم يستغفروا للسابقين الأولين، وفي قلوبهم غل عليهم، ففي الآيات الثناء على الصحابة وعلى أهل السنة الذين يتولونهم، وإخراج الرافضة من ذلك، وهذا نقيض مذهب الرافضة.

وقد روى ابن بطة وغيره من حديث أبي بدر قال: حدثنا عبد الله بن زيد، عن طلحة بن مصرف، عن مصعب بن سعد، عن سعد بن أبي وقاص قال: الناس على ثلاث منازل، فمضت منزلتان وبقيت واحدة، فأحسن ما أنتم عليه كائنون أن تكونوا بهذه المنزلة التي بقيت، ثم قرأ: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ [الحشر: ٨] هؤلاء المهاجرون وهذه منزلة قد مضت، ثم قرأ: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾، ثم قال: هؤلاء الأنصار وهذه منزلة قد مضت. ثم قرأ: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾، فقد مضت هاتان وبقيت هذه المنزلة، فأحسن ما أنتم عليه كائنون أن تكونوا بهذه المنزلة التي بقيت أن تستغفروا الله لهم.

وروى أيضا بإسناده عن مالك بن أنس أنه قال: من سب السلف فليس له في الفيء نصيب؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ﴾ الآية[(١)].

وهذا معروف من مالك وغير مالك من أهل العلم، كأبي عبيد القاسم بن سلام[(٢)]، وكذلك ذكره أبو حكيم النهرواني من أصحاب أحمد، وغيره من الفقهاء.

وروى أيضا عن الحسن بن عمارة، عن الحكم، عن مقسم، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أمر الله بالاستغفار لأصحاب النبي ﷺ وهو يعلم أنهم يقتتلون.

---

(١) قال في الإبانة لابن بطة (ص/ ٩): قال مالك بن أنس: الذي يشتم أصحاب رسول الله ﷺ ليس له سهم. أو قال: نصيب في الإسلام. وقد أورد ابن تيمية الأثر الأول مختصرًا في «الصارم المسلول» (ص/ ٧٤ - محيي الدين عبد الحميد).

(٢) والحميدي عبد الله بن الزبير في كتاب «السنة» له، وهو مطبوع في ذيل «المسند» للحميدي.

وقال عروة: قالت لي عائشة ﵂: يا ابن أختي أُمِروا أن يستغفروا لأصحاب محمد ﷺ فسبوهم[١]!

وفي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه**»[٢].

وفي «صحيح مسلم» عن أبي هريرة ﵁ أن النبي ﷺ قال: «**لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه**»[٣].

وفي «صحيح مسلم» أيضًا، عن جابر بن عبد الله قال: قيل لعائشة: إن ناسًا يتناولون أصحاب رسول الله ﷺ حتى أبا بكر، وعمر. فقالت: وما تعجبون من هذا؟ انقطع عنهم العمل فأحب الله أن لا يقطع عنهم الأجر[٤].

وروى ابن بطة بالإسناد الصحيح عن عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي، حدثنا معاوية، حدثنا رجاء، عن مجاهد، عن ابن عباس﵄، قال: لا تسبوا أصحاب محمد، فإن الله قد أمر بالاستغفار لهم وهو يعلم أنهم سيقتتلون[٥].

ومن طريق أحمد، عن عبد الرحمن بن مهدي، وطريق غيره عن وكيع وأبي نعيم، ثلاثتهم عن الثوري، عن نسير بن ذعلوق: سمعت عبد الله بن عمر يقول: لا تسبوا

(١) أخرجه مسلم (٣٠٢٢).

(٢) تقدم.

(٣) تقدم.

(٤) هذا الحديث من زيادات رزين كما في «جامع الأصول» (٦٣٦٦)، وليس في «صحيح مسلم». ولعل الشيخ ذهب وهله إلى حديث عروة قال: قالت لي عائشة: يا ابن أختي أُمروا أن يستغفروا لأصحاب النبي ﷺ فسبوهم!. أخرجه مسلم (٣٠٢٢).

(٥) أخرجه الإمام أحمد في «فضائل الصحابة» (١٨، ١٧٤١)، وأورد ابن تيمية هذا الأثر في «الصارم المسلول» (ص٥٧٤): عن مجاهد، عن ابن عباس قال: لا تسبوا أصحاب محمد، فإن الله قد أمر بالاستغفار لهم وقد علم أنهم سيقتتلون. رواه الإمام أحمد.

أصحاب محمد، فلمقام أحدهم ساعة -يعني: مع رسول الله ﷺ- خير من عمل أحدكم أربعين سنة. وفي رواية وكيع: خير من عبادة أحدكم عمره(١).

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ [الفتح: ١٨-٢١].

والذين بايعوه تحت الشجرة بالحديبية عند جبل التنعيم(٢) كانوا أكثر من ألف وأربعمائة، بايعوه لما صده المشركون عن العمرة، ثم صالح المشركين صلح الحديبية المعروف، وذلك سنة ست من الهجرة في ذي القعدة، ثم رجع بهم إلى المدينة، وغزا بهم خيبر، ففتحها الله عليهم في أول سنة سبع، وقسمها بينهم، ومنع الأعراب المتخلفين

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في «فضائل الصحابة» (١٥، ٢٠، ١٧٢٩، ١٧٣٦)، وذكره ابن تيمية في «الصارم المسلول» (ص ٥٨٠)، فقال: «وإلى هذا أشار ابن عمر، قال نسير بن ذعلوق: سمعت ابن عمر رضي الله عنهما يقول: لا تسبوا أصحاب محمد، فإن مقام أحدهم خير من عملكم كله. رواه اللالكائي».

(٢) كذا، ولعلها: الغميم. فقد روى أحمد (٣/ ٤٢٠، ٤٨٦)، وأبو داود (٣/ ١٠١) عن مجمع بن جارية الأنصاري قال: شهدنا الحديبية مع رسول الله ﷺ، فلما انصرفنا عنها إذ الناس يهزون الأباعر، فقال بعض الناس لبعض: ما للناس؟ قالوا: أوحي إلى رسول الله ﷺ، فخرجنا مع الناس نوجف فوجدنا النبي ﷺ واقفًا على راحلته عند كراع الغميم، فلما اجتمع الناس قرأ عليهم: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ [الفتح: ١] فقال رجل: يا رسول الله، أفتح هو؟ قال: «نعم، والذي نفسي بيده إنه لفتح...» الحديث.

وفي «المسند» (٣/ ١٢٢) عن أنس قال: لما كان يوم الحديبية هبط على رسول الله ﷺ وأصحابه ثمانون رجلا من أهل مكة، في السلاح، من قبل جبل التنعيم، فدعا عليهم فأخذوا، ونزلت هذه الآية: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ قال: يعني: جبل التنعيم من مكة. قال في «تاج العروس»: التنعيم على ثلاثة أميال أو أربعة من مكة المشرفة، وهو أقرب أطراف الحل إلى البيت الشريف، سمي به لأن على يمينه جبل نعيم كزبير، وعلى يساره جبل ناعم، والوادي اسمه نعمان بالفتح. وانظر «معجم البلدان»، مادة «التنعيم» و«معجم ما استعجم».

عن الحديبية من ذلك، كما قال الله تعالى: ﴿ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الفتح: ١٥].

وقد أخبر سبحانه أنه رضي عنهم، وأنه علم ما في قلوبهم، وأنه أثابهم فتحًا قريبًا.

وهؤلاء هم أعيان من بايع أبا بكر وعمر وعثمان بعد موت النبي ﷺ، لم يكن في المسلمين من يتقدم عليهم، بل كان المسلمون كلهم يعرفون فضلهم عليهم؛ لأن الله تعالى بين فضلهم في القرآن بقوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَـٰتَلَ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَـٰتَلُوا۟ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [الحديد: ١٠]، ففضل المنفقين المقاتلين قبل الفتح، والمراد بالفتح هنا صلح الحديبية؛ ولهذا سئل النبي ﷺ: أوفتح هو؟ فقال «نعم»[(١)].

وأهل العلم يعلمون أن فيه[(٢)] أنزل الله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴾ [الفتح: ١-٣]، فقال بعض المسلمين: يا رسول الله، هذا لك فما لنا يا رسول الله؟ فأنزل الله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَـٰنًا مَّعَ إِيمَـٰنِهِمْ ﴾ [الفتح: ٤].

وهذه الآية نص في تفضيل المنفقين المقاتلين قبل الفتح على المنفقين المقاتلين بعده؛ ولهذا ذهب جمهور العلماء إلى أن السابقين في قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ﴾ [التوبة: ١٠٠] هم هؤلاء الذين أنفقوا من قبل الفتح وقاتلوا، وأهل بيعة الرضوان كلهم منهم، وكانوا أكثر من ألف وأربعمائة.

---

(١) تقدّم في حديث مجمع بن جارية الأنصاري ﵁، وفي «صحيح البخاري» (٣٥٧٧، ٤١٥٠) عن أبي إسحاق، عن البراء بن عازب قال: تعدون أنتم الفتح فتح مكة، وقد كان فتح مكة فتحًا، ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية... إلخ.

(٢) في بعض النسخ: «وقد اتفق الناس على أن فيه نزل».

وقد ذهب بعضهم إلى أن السابقين الأولين هم من صلى إلى القبلتين، وهذا ضعيف، فإن الصلاة إلى القبلة المنسوخة ليس بمجرده فضيلة؛ ولأن النسخ ليس من فعلهم الذي يفضلون به؛ ولأن التفضيل بالصلاة إلى القبلتين لم يدل عليه دليل شرعي، كما دل على التفضيل بالسبق إلى الإنفاق والجهاد والمبايعة تحت الشجرة، ولكن فيه سبق الذين أدركوا ذلك على من لم يدركه، كما أن الذين أسلموا قبل أن تفرض الصلوات الخمس، هم سابقون على من تأخر إسلامه عنهم، والذين أسلموا قبل أن تجعل صلاة الحضر أربع ركعات هم سابقون على من تأخر إسلامه عنهم، والذين أسلموا قبل أن يؤذن في الجهاد، أو قبل أن يفرض، هم سابقون على من أسلم بعدهم، والذين أسلموا قبل أن يفرض صيام شهر رمضان، هم سابقون على من أسلم بعدهم، والذين أسلموا قبل أن يفرض الحج، هم سابقون على من تأخر عنهم، والذين أسلموا قبل تحريم الخمر هم سابقون على من أسلم بعدهم، والذين أسلموا قبل تحريم الربا كذلك، فشرائع الإسلام من الإيجاب والتحريم كانت تنزل شيئًا فشيئًا، وكل من أسلم قبل أن تشرع شريعة فهو سابق على من تأخر عنه، وله بذلك فضيلة، ففضيلة من أسلم قبل نسخ القبلة على من أسلم بعده هي من هذا الباب.

وليس مثل هذا مما يتميز به السابقون الأولون عن التابعين؛ إذ ليس بعض هذه الشرائع بأولى بجعله خيرًا من بعض؛ ولأن القرآن والسنة قد دلا على تقديم أهل الحديبية، فوجب أن تفسر هذه الآية بما يوافق سائر النصوص.

وقد علم بالاضطرار أنه كان في هؤلاء السابقين الأولين أبو بكر، وعمر، وعلي، وطلحة، والزبير، وبايع النبي ﷺ بيده عن عثمان؛ لأنه كان غائبا قد أرسله إلى أهل مكة؛ ليبلغهم رسالته، وبسببه بايع النبي ﷺ الناس لما بلغه أنهم قتلوه.

وقد ثبت في صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة**»[1].

---

(١) تقدم.

وقال تعالى: ﴿ لَقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١١٧]، فجمع بينهم وبين الرسول في التوبة.

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ ۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ مَعَكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنكُمْ ۚ ﴾ [الأنفال: ٧٢-٧٥]، فأثبت الموالاة بينهم.

وقال للمؤمنين: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ إلى قوله: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ [المائدة: ٥١-٥٦]، وقال: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ ﴾ [التوبة: ٧١]، فأثبت الموالاة بينهم، وأمر بموالاتهم، والرافضة تتبرأ منهم، ولا تتولاهم، وأصل الموالاة المحبة، وأصل المعاداة البغض، وهم يبغضونهم ولا يحبونهم.

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنفال: ٦٤]، أي: الله كافيك، وكافي من اتبعك من المؤمنين. والصحابة أفضل من اتبعه من المؤمنين وأولهم، وقال تعالى: ﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴾ [النصر: ١-٣]، والذين رآهم النبي ﷺ يدخلون في دين الله أفواجا هم الذين كانوا على عصره.

وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٦٢ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ [الأنفال: ٦٢-٦٣]، وإنما أيده في حياته بالصحابة. وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ۝٣٣ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٣٤ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الزمر: ٣٣-٣٥]. وهذا الصنف الذي يقول الصدق ويصدق به، خلاف الصنف الذي يفتري الكذب، أو يكذب بالحق لما جاءه.

والصحابة الذين كانوا يشهدون أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وأن القرآن حق، هم أفضل من جاء بالصدق وصدق به بعد الأنبياء.

وليس في الطوائف المنتسبة إلى القبلة أعظم افتراء للكذب على الله، وتكذيبًا بالحق من المنتسبين إلى التشيع؛ ولهذا لا يوجد الغلو في طائفة أكثر مما يوجد فيهم. ومنهم من ادعى إلهية البشر، وادعى النبوة في غير النبي ﷺ، وادعى العصمة في الأئمة، ونحو ذلك مما هو أعظم مما يوجد في سائر الطوائف، واتفق أهل العلم على أن الكذب ليس في طائفة من الطوائف المنتسبين إلى القبلة أكثر منه فيهم.

قال تعالى: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ [النمل: ٥٩]. قال طائفة من السلف: هم أصحاب محمد ﷺ، ولا ريب أنهم أفضل المصطفين من هذه الأمة التي قال الله فيها: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ۝٣٢ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ۝٣٣ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ۝٣٤ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ [فاطر: ٣٢-٣٥]، فأمة محمد ﷺ هم الذين أورثوا الكتاب بعد الأمتين قبلهم -اليهود، والنصارى- وقد أخبر الله أنهم الذين اصطفى.

وتواتر عن النبي ﷺ أنه قال: «خير القرون[(١)] القرن الذي بعثت فيهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم» ومحمد ﷺ وأصحابه هم المصطفون من المصطفين من عباد الله قال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ٢٩].

وقال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥]. فقد وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالاستخلاف، كما وعدهم في تلك الآية مغفرة وأجرًا عظيمًا، والله لا يخلف الميعاد، فدل ذلك على أن الذين استخلفهم كما استخلف الذين من قبلهم، ومكن لهم دين الإسلام، وهو الدين الذي ارتضاه لهم، كما قال تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ۚ﴾ [المائدة: ٣]، وبدلهم من بعد خوفهم أمنًا، لهم منه المغفرة والأجر العظيم.

وهذا يستدل به من وجهين: يستدل به على أن المستخلفين مؤمنون عملوا الصالحات؛ لأن الوعد لهم لا لغيرهم، ويستدل به على أن هؤلاء مغفور لهم، ولهم مغفرة وأجر عظيم؛ لأنهم آمنوا وعملوا الصالحات فتناولتهم الآيتان: آية النور وآية الفتح.

---

(١) لفظ الرواية «خير الناس». أخرجه البخاري (٢٦٥٢، ٣٦٥١، ٦٤٢٩)، ومسلم (٢٥٣٣) من حديث ابن مسعود.
وأخرجه مسلم عن أبي هريرة (٢٥٣٤)، وعمران بن حصين (٢٥٣٥) بلفظ: «خير أمتي القرن الذين بعثت فيهم...» إلخ.

ومن المعلوم أن هذه النعوت منطبقة على الصحابة على زمن أبي بكر وعمر وعثمان، فإنه إذ ذاك حصل الاستخلاف، وتمكن الدين والأمن بعد الخوف، لما قهروا فارس والروم، وفتحوا الشام، والعراق، ومصر، وخراسان، وإفريقية، ولما قتل عثمان وحصلت الفتنة لم يفتحوا شيئًا من بلاد الكفار، بل طمع فيهم الكفار بالشام وخراسان، وكان بعضهم يخاف بعضًا.

وحينئذ فقد دل القرآن على إيمان أبي بكر، وعمر، وعثمان، ومن كان معهم في زمن الاستخلاف، والتمكين، والأمن.

والذين كانوا في زمن الاستخلاف، والتمكين، والأمن، وأدركوا زمن الفتنة -كعلي، وطلحة، والزبير، وأبي موسى الأشعري، ومعاوية، وعمرو بن العاص- دخلوا في الآية؛ لأنهم استخلفوا(١)، ومُكِّنوا، وأَمِنوا.

وأما من حدث في زمن الفتنة- كالرافضة الذين حدثوا في الإسلام في زمن الفتنة والافتراق، وكالخوارج المارقين- فهؤلاء لم يتناولهم النص، فلم يدخلوا فيمن وصف بالإيمان والعمل الصالح المذكورين في هذه الآية؛ لأنهم أولًا: ليسوا من الصحابة المخاطبين بهذا، ولم يحصل لهم من الاستخلاف، والتمكين، والأمن بعد الخوف ما حصل للصحابة، بل لا يزالون خائفين مقلقلين غير ممكنين.

فإن قيل: لم قال: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم﴾ [الفتح: ٢٩]، ولم يقل: وعدهم كلهم؟ قيل: كما قال: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [النور: ٥٥]، ولم يقل: وعدكم.

و(مِن) تكون لبيان الجنس، فلا يقتضي أن يكون قد بقي من المجرور بها شيء خارج عن ذلك الجنس، كما في قوله تعالى: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾ [الحج: ٣٠]، فإنه لا يقتضي أن يكون من الأوثان ما ليس برجس.

---

(١) أي: خلفوا في الأرض وملكوها بعد أهلها، وليس المعنى أنهم كلهم صاروا خلفاء وملوكًا.

وإذا قلت: ثوب من حرير، فهو كقولك: ثوب حرير. وكذلك قولك: باب من حديد، كقولك: باب حديد. وذلك لا يقتضي أن يكون هناك حرير وحديد غير المضاف إليه، وإن كان الذي يتصوره كليًّا، فإن الجنس الكلي هو ما لا يمنع تصوره من وقوع الشركة فيه، وإن لم يكن مشتركًا فيه في الوجود، فإذا كانت (من) لبيان الجنس كان التقدير: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ من هذا الجنس، وإن كان الجنس كلهم مؤمنين مصلحين.

وكذلك إذا قال: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ من هذا الجنس والصنف ﴿مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾ لم يمنع ذلك أن يكون جميع هذا الجنس مؤمنين صالحين.

ولما قال لأزواج النبي ﷺ: ﴿ ۞ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٣١]، لم يمنع أن يكون كل منهن تقنت لله ورسوله، وتعمل صالحًا.

ولما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الأنعام: ٥٤]، لم يمنع هذا أن يكون كل منهم متصفًا بهذه الصفة، ويجوز أن يقال: إنهم لو عملوا سوءًا بجهالة، ثم تابوا من بعده، وأصلحوا لم يغفر إلا لبعضهم.

ولهذا تدخل (مِن) هذه في النفي؛ لتحقيق نفي الجنس، كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ﴾ [الطور: ٢١]، وقوله: ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٦٢]، وقوله: ﴿ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴾ [الحاقة: ٤٧]. ولهذا إذا دخلت في النفي تحقيقًا أو تقديرًا أفادت نفي الجنس قطعًا، فالتحقيق ما ذكر، والتقدير: كقوله تعالى: ﴿إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٦٢]، وقوله ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ [البقرة: ٢] ونحو ذلك.

بخلاف ما إذا لم تكن (من) موجودة، كقولك: ما رأيت رجلًا، فإنها ظاهرة؛ لنفي الجنس، ولكن قد يجوز أن ينفى بها الواحد من الجنس، كما قال سيبويه: يجوز أن يقال:

ما رأيت رجلا، بل رجلين، فتبين أنه يجوز إرادة الواحد، وإن كان الظاهر نفي الجنس، بخلاف ما إذا دخلت (من) فإنها تنفي نفي الجنس قطعًا.

ولهذا لو قال لعبيده: من أعطاني منكم ألفًا فهو حر، فأعطاه كل واحد ألفًا، عتقوا كلهم، وكذلك لو قال لنسائه: من أبرأتني منكن من صداقها فهي طالق، فأبرأنه كلهن، طلقن كلهن. فإن المقصود بقوله: منكم. بيان جنس المعطى والمبرئ، لا إثبات هذا الحكم لبعض العبيد والأزواج[1].

فإن قيل: فالمنافقون كانوا في الظاهر مسلمين، قيل: المنافقون لم يكونوا متصفين بهذه الصفات، ولم يكونوا مع الرسول والمؤمنين، ولم يكونوا منهم، كما قال تعالى: ﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ ۚ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَأَصْبَحُوا۟ خَٰسِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٢-٥٣]. وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ۚ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ [العنكبوت: ١٠-١١]. وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾ ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ

---

(١) قال ابن هشام في «مغني اللبيب» (ص/ ٤٢١) في ذكر معاني (من): «بيان الجنس، وكثيرًا ما تقع بعد (ما) و(مهما)، وهما بها أولى، لإفراط إبهامهما، نحو: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ [فاطر: ٢]، ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ﴾ [البقرة: ١٠٦]، ومن وقوعها بعد غيرهما: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ [الكهف: ٣١]، الشاهد في غير الأولى، فإن تلك للابتداء، وقيل زائدة، ونحو ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾ [الحج: ٣٠]، وفي كتاب «المصاحف» لابن الأنباري: أن بعض الزنادقة تمسك بقوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم﴾ [الفتح: ٢٩] في الطعن على بعض الصحابة، والحق أن (من) فيها للتبيين لا للتبعيض. أي: الذين آمنوا هم هؤلاء، ومثله: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٧٢]، وكلهم محسن ومتق، و﴿وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٧٣] فالمقول فيهم ذلك كلهم كفار». اهـ

فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ ﴾ [النساء: ١٤٠-١٤١]. إلى قوله: ﴿ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَٱعۡتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخۡلَصُواْ دِينَهُمۡ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَسَوۡفَ يُؤۡتِ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَجۡرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ١٤٥-١٤٦]. وقال تعالى: ﴿ وَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمۡ لَمِنكُمۡ وَمَا هُم مِّنكُمۡ وَلَٰكِنَّهُمۡ قَوۡمٌ يَفۡرَقُونَ ﴾ [التوبة: ٥٦]. وقال تعالى: ﴿ ۞ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مَّا هُم مِّنكُمۡ وَلَا مِنۡهُمۡ وَيَحۡلِفُونَ عَلَى ٱلۡكَذِبِ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴾ [المجادلة: ١٤]، فأخبر أن المنافقين ليسوا من المؤمنين ولا من أهل الكتاب: وهؤلاء لا يوجدون في طائفة من المتظاهرين بالإسلام أكثر منهم في الرافضة ومن انضوى إليهم.

وقد قال تعالى: ﴿ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ [التحريم: ٨].

وقال تعالى: ﴿ يَوۡمَ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ قِيلَ ٱرۡجِعُواْ وَرَآءَكُمۡ فَٱلۡتَمِسُواْ نُورٗا ﴾ [الحديد: ١٣]، فدل هذا على أن المنافقين لم يكونوا داخلين في الذين آمنوا معه، والذين كانوا منافقين، منهم من تاب عن نفاقه وانتهى عنه، بدليل قوله تعالى: ﴿ ۞ لَّئِن لَّمۡ يَنتَهِ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡمُرۡجِفُونَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ لَنُغۡرِيَنَّكَ بِهِمۡ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٦٠﴾ مَّلۡعُونِينَۖ أَيۡنَمَا ثُقِفُوٓاْ أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ تَقۡتِيلٗا ﴾ [الأحزاب: ٦٠-٦١]، فلما لم يغره الله بهم ولم يقتلهم تقتيلا، بل كانوا يجاورونه بالمدينة، دل ذلك على أنهم انتهوا.

والذين كانوا معه بالحديبية كلهم بايعه تحت الشجرة، إلا الجد بن قيس، فإنه اختبأ تحت جمل أحمر[(١)].

---

(١) أخرج أحمد في «المسند» (٣/ ٣٩٦) عن أبي الزبير، عن جابر. قلت له: أفرأيت يوم الشجرة؟ قال: كنت آخذًا بيد عمر بن الخطاب حتى بايعناه. قلت: كم كنتم؟ قال: كنا أربع عشر مائة فبايعناه كلنا إلا الجد بن قيس اختبأ تحت بطن بعير، ونحرنا يومئذ سبعين من البدن لكل سبعة جزور.
وانظر خبر اختباء الجد بن قيس وعدم بيعته في: «طبقات ابن سعد» (٢/ ١٠٠)؛ «سيرة ابن هشام» (٣/ ٣٣٠)، «تاريخ الطبري» (٢/ ٦٣٢ - ط: المعارف)، «تفسير الطبري» (٢٦/ ٥٤-٥٥).

وكذا جاء في الحديث: «كلهم يدخل الجنة، إلا صاحب الجمل الأحمر»(١).

وبالجملة فلا ريب أن المنافقين كانوا مغمورين، أذلاء، مقهورين، لا سيما في آخر أيام النبي ﷺ، وفي غزوة تبوك؛ لأن الله تعالى قال: ﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [المنافقون: ٨]، فأخبر أن العزة للمؤمنين لا للمنافقين، فعلم أن العزة والقوة كانت في المؤمنين، وأن المنافقين كانوا أذلاء بينهم.

فيمتنع أن يكون الصحابة الذين كانوا أعز المسلمين من المنافقين، بل ذلك يقتضي أن من كان أعز كان أعظم إيمانا، ومن المعلوم أن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار - الخلفاء الراشدين، وغيرهم - كانوا أعز الناس، وهذا كله مما يبين أن المنافقين كانوا ذليلين في المؤمنين، فلا يجوز أن يكون الأعزاء من الصحابة منهم، ولكن هذا الوصف مطابق للمتصفين به من الرافضة وغيرهم... وأيضًا فقد يقال في قوله تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ [النور: ٥٥]: إن ذلك وصف للجملة بوصف يتضمن حالهم عند الاجتماع، كقوله تعالى: ﴿وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ﴾ [الفتح: ٢٩]، والمغفرة والأجر في الآخرة يحصل لكل واحد واحد، فلابد أن يتصف بسبب ذلك- وهو الإيمان والعمل الصالح- إذ قد يكون في الجملة منافقٌ(٢).

---

(١) رواه مسلم (٢٧٨٠) عن جابر بن عبد الله ﷺ: قال رسول الله ﷺ: «من يصعد الثنية ثنية المرار، فإنه يحط عنه ما حط عن بني إسرائيل». قال: فكان أول من صعدها خيلنا -خيل بني الخزرج- ثم تتام الناس، فقال رسول الله ﷺ: «وكلكم مغفور له، إلا صاحب الجمل الأحمر» فأتيناه فقلنا له: تعال يستغفر لك رسول الله ﷺ، فقال: والله لأن أجد ضالتي أحب إلي من أن يستغفر لي صاحبكم. قال: وكان الرجل ينشد ضالة له. قال النووي في «شرحه» (١٧/ ١٢٦-١٢٧): «وهذه الثنية عند الحديبية، قال القاضي: قيل: هذا الرجل هو الجد بن قيس المنافق». وانظر «الاستقامة» لابن تيمية (٢/ ٢٦٥، ٢٨٧ - ٢٨٨).

(٢) يعني قوله: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم ﴾ وأن ﴿مِنْهُم ﴾ لبيان جنس المؤمنين حقيقةً وأنهم كلهم موعودون بالمغفرة فردًا فردًا، وجيء بقوله: ﴿مِنْهُم ﴾ لأنه قد يكون في جملة المؤمنين منافقون.

وفي الجملة فكل ما في القرآن من خطاب المؤمنين، والمتقين، والمحسنين، ومدحهم، والثناء عليهم، فهم أول من دخل في ذلك من هذه الأمة، وأفضل من دخل في ذلك من هذه الأمة، كما استفاض عن النبي ﷺ من غير وجه أنه قال: «**خير القرون القرن الذي بعثت فيهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**»(١). اهـ

(١) تقدم.

الشهادة للصحابة بالجنة، وبيان أفضل الصحابة

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَيَشْهَدُونَ بِالجَنَّةِ لِمَنْ شَهِدَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ كَالعَشَرَةِ، وَثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شَمَّاس، وَغَيْرِهِمْ مِنَ الصَّحَابَةِ.

وَيُقِرُّونَ بِمَا تَوَاتَرَ بِهِ النَّقْلُ عَنْ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه وَغَيْرِهِ مِنْ أَنَّ خَيْرَ هَذِهِ الأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ وَيُثَلِّثُونَ بِعُثْمَانَ، وَيُرَبِّعُونَ بِعَلِيٍّ رَضِيَ للهُ عَنْهُمْ، كَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الآثَارُ، وَكَمَا أَجْمَعَ الصَّحَابَةُ عَلَى تَقْدِيمِ عُثْمَانَ فِي البَيْعَةِ مَعَ أَنَّ بَعْضَ أَهْلِ السُّنَّةِ كَانُوا قَدِ اِخْتَلَفُوا فِي عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ رضي الله عنهما بَعْدَ اِتِّفَاقِهِمْ عَلَى تَقْدِيمِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ أَيُّهُمَا أَفْضَلُ، فَقَدَّمَ قَوْمٌ عُثْمَانَ وَسَكَتُوا، وَرَبَّعُوا بِعَلِيٍّ، وَقَدَّمَ قَوْمٌ عَلِيًّا، وَقَوْمٌ تَوَقَّفُوا لَكِنِ اِسْتَقَرَّ أَمْرُ أَهْلِ السُّنَّةِ عَلَى تَقْدِيمِ عُثْمَانَ، ثُمَّ عَلِيٍّ، وَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ المَسْأَلَةُ- مَسْأَلَةُ عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ- لَيْسَتْ مِنَ الأُصُولِ الَّتِي يُضَلَّلُ المُخَالِفُ فِيهَا عِنْدَ جُمْهُورِ أَهْلِ السُّنَّةِ، لَكِنِ الَّتِي يُضَلَّلُ فِيهَا مَسْأَلَةُ الخِلافَةِ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ أَنَّ الخَلِيفَةَ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، ثُمَّ عُثْمَانُ، ثُمَّ عَلِيٌّ. وَمَنْ طَعَنَ فِي خِلَافَةِ أَحَدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ؛ فَهُوَ أَضَلُّ مِنْ حِمَارِ أَهْلِهِ).

الشرح

الشهادة بالجنة للصحابة

قوله: (وَيَشْهَدُونَ بِالجَنَّةِ لِمَنْ شَهِدَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ).

❁ **السعدي**: وهذا من أعظم الفضائل تخصيص النبي ﷺ لهم بالشهادة والجنة، وهو من جملة براهين رسالته ﷺ، فإن جميع من عينه النبي ﷺ بالشهادة له بالجنة ولوازمها(١) لم يزالوا مستقيمين على الإيمان حتى وصلوا إلى ما وعدوا به رضي الله عنهم. اهـ

(١) كالشهادة في سبيل الله، والاستقامة على الإسلام.

❁ قال الشيخ: «نشهد بالجنة» بالتعيين «لمن شهد له رسول الله ﷺ» هذا أصل من أصول أهل السنة؛ لأنه شهد له الرسول بوحي من الله فنجزم، وبشهادة المعصوم له عُرِف أنه لا يأتي عليه ما ينقض هذه.

وقوله: (كَالعَشَرَةِ وَثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شَمَّاس).

«كالعشرة»، جاء في بعض الأحاديث تعدادهم في حديث واحد، ومتفرقة، والعشرة هم: أبو بكر الصديق، والفاروق، وذو النورين، وعلي بن أبي طالب، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد، وعبد الرحمن بن عوف، والزبير، وطلحة، وأبو عبيدة. ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وسعد بن مالك في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة، وسعيد بن زيد في الجنة»(١)، فنشهد ونجزم أنهم من أهل الجنة.

قوله: «وثابت بن قيس بن شماس» وله قصة شهيرة، فإنه كان يخطب للنبي ﷺ، وكان ثقيل السمع ولما نزلت: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ ﴾ [الحجرات: ٢] الآية، خشي أن يكون ممن يرفع صوته في القرآن فاحتبس في بيته يبكي، ففقده النبي ﷺ وسأل عنه، فقيل له: إنه لما نزلت هذه الآية احتبس في بيته وخشي أن يكون ممن رفع صوته فحبط عمله، وأنه من أهل النار، فأرسل إليه النبي ﷺ وبشره بالجنة، وقال: «أخبروه أنه من أهل الجنة»(٢). اهـ

---

(١) أخرجه أحمد (١٦٣١، ١٦٣٧)، وأبو داود (٤٦٤٩)، والترمذي (٣٧٥٧) من حديث سعيد بن زيد، وأخرجه أحمد (١٦٧٥)، والترمذي (٣٧٤٧)، والنسائي في «فضائل الصحابة» (٩١) من حديث عبد الرحمن بن عوف.

(٢) رواه البخاري (٣٦٦٣، ٤٨٤٦)، ومسلم (١١٩).

❁ **ابن باز**: وكذلك يشهدون لمن شهد له الرسول ﷺ بالجنة كالعشرة، وثابت بن قيس بن شماس، وعبد الله بن سلام، وعُكَّاشة بن محصن، وجماعة شهد لهم النبي ﷺ، من ثبت أن النبي ﷺ شهد له يشهد له. اهـ

قوله: (وَغَيْرِهِمْ مِنَ الصَّحَابَةِ).

❁ **الهراس**: وأما غيرهم؛ فكثابت بن قيس، وعكاشة بن محصن، وعبد الله بن سلام، وكل من ورد الخبر الصحيح بأنه من أهل الجنة. اهـ

❁ **آل الشيخ**: كعكَّاشة بن محصن(١)، ومعاذ للحديث(٢)، وبلال(٣)؛ ولذلك قال المصنف وغيرهم من الصحابة فكل ما ثبت لأحد نصٌّ أنه من أهل الجنة فهو من أهل الجنة.

ثم هنا مرتبة بين الشهود الكلي والتعيين، كأهل بيعة الرضوان وكأهل بدر، فإنه يشهد لهم بمثل هذا، فهي عمومية من وجه، خصوصية من دون غيرهم من المسلمين،

---

(١) كما في حديث السبعين ألفًا الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، فقام عكاشة بن محصن رضي الله عنه فقال للنبي ﷺ: ادع الله أن يجعلني منهم، قال: «أنت منهم» رواه البخاري (٥٧٠٥، ٥٧٥٣، ٦٥٤١، ٦٥٤٢)، ومسلم (٢١٦) عن بريدة الأسلمي.

(٢) أخرجه الحاكم (٥١٧٠)، والطبراني في «الكبير» (ج٢٠/ ص٢٩/ ح٤٠)، و«الصغير» (٥٥٦) من حديث يحيى بن بكير قال: سمعت مالك بن أنس يقول: مات معاذ بن جبل وهو بن ثمان وعشرين سنة. وقائل يقول: اثنتين وثلاثين، وقال رسول الله ﷺ: «معاذ بن جبل أمام العلماء برتوة يوم القيامة» قال ابن بكير: والرتوة المنزلة. اهـ
وفي سنده ضعف، وله شواهد يرتقي بها للصحة؛ ولذلك صححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (٥٨٨٠)، و«السلسلة الصحيحة» (١٠٩١)

(٣) لقول النبي ﷺ لبلال رضي الله عنه: «سمعت دفَّ نعليك بين يديَّ في الجنة». رواه البخاري (١١٤٩، ١٠٩٨)، ومسلم (٢٤٥٨) عن أبي هريرة.

وعموم من حيث إنه لم يقل في واحد بعينه بل يقال فيهم ذلك عمومًا. ومن لم يشهد له بالتعيين من الصحابة أو غيرهم فلا نشهد له به وإن بلغ ما بلغ؛ لأنه لا يُدرى عن الخواتيم، للحديث في ذلك(١)، بخلاف الشهادة بالصلاح والخير، كما جاء عن علي لما سئل وهو على المنبر(٢).

والرؤيا تثبت الخيرية إذا تواترت ولا يشهد له بمجردها؛ لأنه لا يدرى ما خاتمته، وكذلك السوء(٣). فلا يقال فلانٌ من أهل الجنة، بل يرجى له أنه من أهل الجنة رجاء قريبًا من الجزم.

وأما الجزم لغير معين فجائز، كما تقول: من مات من أهل التوحيد فهو من أهل الجنة، فنشهد شهادة عمومية لكل من مات على التوحيد أنه من أهل الجنة على أحد تقادير ثلاثة(٤).

---

(١) وهو قوله عليه الصلاة والسلام: «وإن الرجل منكم ليعمل، حتى ما يكون بينه وبين الجنة إلا ذراع، فيسبق عليه كتابه، فيعمل بعمل أهل النار، ويعمل حتى ما يكون بينه وبين النار إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة». رواه البخاري (٣٢٠٨، ٣٣٣٢، ٤٢٠٧، ٦٥٩٤، ٧٤٥٤)، ومسلم (٢٦٤٣).

(٢) أخرجه أحمد (٨٧٩، ٨٨٠، ٩٢٦، ٩٣٢، ١٠٣١، ١٠٣٢، ١٠٥٢، ١٠٦٠)، والطوسي في «مستخرجه» (١٩٥)، وأبو نعيم في «الحلية» (٧/ ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١)، وابن الأعرابي في «معجمه» (٧١، ٧٢، ٢٣٩١)، والطبراني في «الكبير» (ج١/ ص١٠٧/ ح١٧٨)، وفي «الأوسط» (٩٩٢، ٢٧٢٨، ٣٤١٦، ٣٤٢٠، ٣٦٧٣، ٤٧٧٢، ٥٦٠١، ٦٩٢٦، ٧٣٨٢، ٧٦٢٢)، والبزار (٤٨٨)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٢٦١٣) من عدة طرق متواترة أنه قال: «إن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر».

(٣) قال محمد بن واسع: الرؤيا بشرى للمؤمن ولا تغره. انظر شرح البخاري لابن بطال (٩/ ٥١٩)، وقال المروذي: أدخلت إبراهيم الحميدي على أبي عبد الله (أحمد بن حنبل) وكان رجلاً صالحًا، فقال: إنّ أمي رأت لك كذا وكذا، وذكرت الجنة! فقال: يا أخي إنَّ سهل بن سلامة كان الناس يخبرونه بمثل هذا! وخرج سهل إلى سفك الدماء! وقال أحمد: الرؤيا تسر المؤمن ولا تغره. اهـ «الآداب الشرعية» لابن مفلح (٣/ ٤٣٦).

(٤) إما أن يُدخلَه الله الجنة بغير حساب ولا عذاب، وإما أن يدخل النار على قدر ذنبه ثم يدخل الجنة، وإما أن يدخل النار ثم يخرج منها بشفاعةٍ، أو بفضل الله ورحمته.

وكذلك النار لا نشهد لأحد إلا لمن شهد له الرسول ﷺ، فمن شهد له الرسول ﷺ أنه من أهل النار، فنشهد أنه من أهل النار، كأبي لهب، وأبي طالب، وأما على العموم فنشهد لمن مات على الكفر أنه من أهل النار الخالدين المخلدين. فنشهد شهادة عمومية أن من مات على الكفر مصيره إلى النار، فالكافر وإن بلغ كفره من الكفر ما بلغ، لا نقول: إنه من أهل النار؛ لأنا لا ندري ما باطنه، ولا ندري ما يموت عليه(١). اهـ

❁ **العثيمين**: الشهادة بالجنة على نوعين: عامة وخاصة.

فالعامة: أن نشهد لعموم المؤمنين بالجنة دون شخص بعينه، ودليلها قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾.

والخاصة أن نشهد لشخص معين بالجنة، وهذا يتوقف على دليل من الكتاب والسنة، فمن شهد له النبي ﷺ شهدنا له مثل: العشرة، وثابت بن قيس بن شماس، وعكاشة بن محصن، وغيرهم من الصحابة.

وكذلك الشهادة بالنار على نوعين: عامة، وخاصة.

فالعامة أن نشهد على عموم الكفار بأنهم في النار، ودليلها قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا﴾. والخاصة أن نشهد لشخص معين بالنار، وهذا يتوقف على دليل من الكتاب والسنة، مثل أبي لهب وامرأته، ومثل أبي طالب، وعمرو بن لحي الخزاعي. اهـ

---

(١) هذه بالنسبة للشهادة لمعين بالنار؛ لأن حقيقة أمره غيب، ولا نشهد في أمور الآخرة. أما في أحكام الدنيا فنشهد بالظاهر، فمن ظهر لنا منه الكفر شهدنا عليه به وعاملناه بمقتضاه فلا يغسل ولا يصلى عليه ولا يستغفر له بناء على ذلك.

وأما حديث سعيد بن أبي وقاص أن النبي ﷺ قال للأعرابي: «حيثما مررت بقبر مشرك فبشره بالنار». رواه ابن ماجه (١٥٧٣)، والبزار (١٠٨٩)، وعبد الرزاق (١٩٦٨٧)، والطبراني (ج١/ ص١٤٥/ ح٣٢٦)، وصححه البوصيري والألباني، فإن هذا من باب التبشير. أي الإخبار. وهناك فرق بين التبشير والجزم والقطع، كما يبشر المؤمن بالجنة دون قطعٍ وجزمٍ بكونه من أهلها.

قوله: (وَيُقِرُّونَ بِمَا تَوَاتَرَ بِهِ النَّقْلُ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه وَغَيْرِهِ مِنْ أَنَّ خَيْرَ هَذِهِ الأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ)(١).

* **الهراس**: فقد ورد أن عليًّا رضي الله عنه قال ذلك على منبر الكوفة، وسمعه منه الجم الغفير، وكان يقول: ما مات رسول الله ﷺ حتى علمنا أن أفضلنا بعده أبو بكر، وما مات أبو بكر حتى علمنا أن أفضلنا بعده عمر. اهـ

* **آل الشيخ**: أي: كذلك يُقِرُّ أهل السنة والجماعة، «بِمَا تَوَاتَرَ بِهِ النَّقْلُ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه وَغَيْرِهِ، مِنْ أَنَّ خَيْرَ هَذِهِ الأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ». قال المصنف: صَحَّ عن علي من نحو ثمانين طريقًا، حين سئل مَنْ خير هذه الأمة بعد نبيها؟ فقال: أبو بكر. قيل: ثم من؟ قال: ثم عمر. حتى إنه سئل عن ذلك وهو على منبر الكوفة، بل هي من المتواتر. ومقصده بيان أن الذين ينتسبون إلى أنهم يعظمونه- وهم الشيعة- لا يعبؤون بأقواله، مع أنهم لا يعبؤون بالكتاب والسنة في ذلك.

تفضيل عثمان بن عفان على عليّ بن أبي طالب رضي الله عنهما

قوله: «وَيُثَلِّثُونَ بِعُثْمَانَ، وَيُرَبِّعُونَ بِعَلِيٍّ رضي الله عنهم؛ كَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الآثَارُ» أي: أهل السنة «يُثَلِّثُونَ بِعُثْمَانَ، وَيُرَبِّعُونَ بِعَلِيٍّ رضي الله عنهم، كَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الآثَارُ» وهم لا يجتمعون على تقديم أحدهما، إلا أنه أفضل.

وهذه المسألة يقال لها: مسألة التفضيل، فإن أهل السنة يقدمون أبا بكر، ثم عمر، فإن النصوص يستفاد منها بعد خلافة أبي بكر وعمر، ولكن بعض أهل السنة قال بالنص، وبعضهم قال بإجماعهم عليهم. اهـ

(١) تقدم تخريجه قريبًا.

قوله: (وَكَمَا أَجْمَعَ الصَّحَابَةُ عَلَى تَقْدِيمِ عُثْمَانَ فِي البَيْعَةِ).

❁ **السعدي**: أي: في الخلافة وخلافة أحد الاثنين لم يكن إلا بعد مشاورة جميع المسلمين على اختلاف طبقاتهم والقصة مشهورة. اهـ

❁ **ابن باز**: الواجب حب الصحابة في الله، والترضي عنهم، والكف عن مساوئهم فيما شجر بينهم، والإيمان بأنهم خير القرون، وأن أفضلهم الخلفاء الراشدون، الصديق، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي. وإن كان بعض الصحابة قد تنازع في تقديم عثمان على علي، أو العكس، ولكن استقر أمر أهل السنة أن عثمان هو الثالث، وأن عليًّا هو الرابع في الخلافة والفضل، فهكذا ينبغي لأهل السنة والجماعة أن يكونوا بهذا الاعتقاد. اهـ

الخلاف في التفضيل بين عثمان وعلي

قوله: (مَعَ أَنَّ بَعْضَ أَهْلِ السُّنَّةِ كَانُوا قَدِ اخْتَلَفُوا فِي عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ ﭬ بَعْدَ اتِّفَاقِهِمْ عَلَى تَقْدِيمِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ أَيُّهُمَا أَفْضَلُ، فَقَدَّمَ قَوْمٌ عُثْمَانَ وَسَكَتُوا، وَرَبَّعُوا بِعَلِيٍّ، وَقَدَّمَ قَوْمٌ عَلِيًّا، وَقَوْمٌ تَوَقَّفُوا لَكِنِ اسْتَقَرَّ أَمْرُ أَهْلِ السُّنَّةِ عَلَى تَقْدِيمِ عُثْمَانَ، ثُمَّ عَلِيٍّ).

❁ **العثيمين**: وأفضل الصحابة عينًا أبو بكر، ثم عمر بالإجماع، ثم عثمان، ثم علي على رأي جمهور أهل السنة الذي استقر عليه أمرهم، بعدما وقع الخلاف في المفاضلة بين علي وعثمان، فقدم قوم عثمان وسكتوا وقدم قوم عليًّا ثم عثمان وتوقف قوم في التفضيل. ولا يضلل من قال بأن عليًّا أفضل من عثمان؛ لأنه قد قال به البعض من أهل السنة. اهـ

❁ **آل الشيخ**: بعض أهل السنة والجماعة كانوا قد اختلفوا في عثمان وعلي ﭬ في وقت من الأوقات، بعد اتفاقهم على تقديم أبي بكر وعمر أيهما أفضل؟ فقدم قوم عثمان

وسكتوا، أو ربّعوا بعلي وقدَّم قوم عليًّا، وقوم توقفوا، ثم استقر الأمر -أمر أهل السنة- على تقديم عثمان على علي، وزال الاختلاف، ورجع الأمر إلى نصابه.

وقوله: (وَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ المَسْأَلَةُ- التَّفْضِيلُ بَيْنَ مَسْأَلَةُ عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ- لَيْسَتْ مِنَ الأُصُولِ الَّتِي يُضَلَّلُ المُخَالِفُ فِيهَا عِنْدَ جُمْهُورِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ) لأنها مسألة تفضيل، والتفضيل أمره أسهل من غيره. اهـ

ترتيب الخلفاء الأربعة الواجب اعتقاده

قوله: (لَكِنِ الَّتِي يُضَلَّلُ فِيهَا مَسْأَلَةُ الخِلافَةِ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ أَنَّ الخَلِيفَةَ بَعْدَ رَسُولِ الله ﷺ أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، ثُمَّ عُثْمَانُ، ثُمَّ عَلِيٌّ. وَمَنْ طَعَنَ فِي خِلَافَةِ أَحَدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ فَهُوَ أَضَلُّ مِنْ حِمَارِ أَهْلِهِ).

❁ **قال الشيخ**: مسألة الخلافة هي التي فيها من القدح في الصحابة، بل القدح في الأمة ما لا يخفى. يعني: أن هناك فرقًا بين مسألة الخلافة والتفضيل. فمسألة الخلافة ما جرى فيها خلاف يذكر، أما مسألة التفضيل، فجرى كما تقدم ثم زال.

أما أبو بكر وعمر فلا خلاف في خلافتهما وفضلهما على سائر الصحابة ومن بعدهم أبدًا، ولكن بعض أهل العلم قال: بالنص، وبعضهم، قال: بإجماعهم عليهما. وكذلك خلافة عثمان.

أما فضيلة عثمان على علي، فجرى فيها خلاف وزال، ولكن استقر، هذا هو تفضيله.

ومن تفضيل عثمان على عليّ تقديمه عليه في الخلافة، فإنه لا يقدم في الخلافة إلا الأفضل. اهـ

❁ **السعدي**: يريد المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ أن الخلاف الكائن بين الأمة على وجهين:

أحدهما: الخلاف في الفروع والمسائل الاجتهادية، التي إذا اجتهد فيها الحاكم، من قاضٍ، ومفتٍ، ومصنفٍ، ومعلم، فأصاب فله أجران، وإذا اجتهد وأخطأ فله أجر واحد.

الوجه الثاني: الخلاف في المسائل الأصولية، كمسائل صفات الباري، والقدر، والإيمان، ونحوها، وهذا يضلل فيها المخالف؛ لما دل عليه الكتاب والسنة؛ ولما كان عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين لهم بإحسان.

فمسألة الخلافة وتقديم علي فيها على عثمان يعد من البدع التي من اعتقدها فهو في الغالب متشيع، وقد أزرى بالمهاجرين والأنصار كما قال ذلك غير واحد من السلف. وأما التفضيل بينهما فإنها مسألة خفيفة من جنس مسائل الخلاف في المسائل الاجتهادية. اهـ.

❁ **الهراس**: مذهب جمهور أهل السنة أن ترتيب الخلفاء الراشدين في الفضل على حسب ترتيبهم في الخلافة، وهم لهذا يفضلون عثمان على علي، محتجين بتقديم الصحابة عثمان في البيعة على علي، وبعض أهل السنة يفضل عليًّا؛ لأنه يرى أن ما ورد من الآثار في مزايا علي ومناقبه أكثر، وبعضهم يتوقف في ذلك، وعلى كل حال، فمسألة التفضيل ليست كما قال المؤلف من مسائل الأصول التي يضلل فيها المخالف، وإنما هي مسألة فرعية يتسع لها الخلاف.

* وأما مسألة الخلافة، فيجب الاعتقاد بأن خلافة عثمان كانت صحيحة؛ لأنها كانت بمشورة من الستة، الذين عينهم عمر رضي الله عنه ليختاروا الخليفة من بعده، فمن زعم أن خلافة عثمان كانت باطلة، وأن عليًّا كان أحق بالخلافة منه، فهو مبتدع، ضال، يغلب عليه التشيع، مع ما في قوله من إزراء بالمهاجرين والأنصار. اهـ

❁ **العثيمين**: الخلفاء الأربعة هم: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي. وترتيبهم في الخلافة أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي. ويضلل من خالف في خلافة واحد منهم، أو خالف في ترتيبهم؛ لأنه مخالف لإجماع الصحابة وإجماع أهل السنة.

وثبتت خلافة أبي بكر بإشارة من النبي ﷺ إليها حيث قدمه في الصلاة وفي إمارة الحج، وبكونه أفضل الصحابة، فكان أحقهم بالخلافة.

وثبتت خلافة عمر بعهد أبي بكر إليه بها، وبكونه أفضل الصحابة بعد أبي بكر.

وثبتت خلافة عثمان باتفاق أهل الشورى عليه.

وثبتت خلافة علي بمبايعة أهل الحل والعقد له، وبكونه أفضل الصحابة بعد عثمان. اهـ

تولي آل البيت

(وَيُحِبُّونَ آلَ بَيْتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَيَتَوَلَّوْنَهُمْ، وَيَحْفَظُونَ فِيهِمْ وَصِيَّةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَيْثُ قَالَ يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ: «أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي». وَقَالَ أَيْضًا لِلعَبَّاسِ عَمِّهِ وَقَدْ اِشْتَكَى إِلَيْهِ أَنَّ بَعْضَ قُرَيْشٍ يَجْفُو بَنِي هَاشِمٍ فَقَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحِبُّوكُمْ لِلهِ وَلِقَرَابَتِي». وَقَالَ: «إِنَّ اللهَ اِصْطَفَى بَنِي إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ كِنَانَةَ قُرَيْشًا، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ»).

الشرح

قوله: (وَيُحِبُّونَ آلَ بَيْتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَيَتَوَلَّوْنَهُمْ).

* **آل الشيخ**: «وَيُحِبُّونَ» أي: أهل السنة والجماعة. «آلَ بَيْتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ» يعني: قرابته بني هاشم. «وَيَتَوَلَّوْنَهُمْ» التولي: المحبة، والترضي، والذب عنهم، ونحو ذلك، يعني: يذبون عنهم وينصرونهم عندما يحتاجون إلى ذلك، ويحمونهم عندما يحتاجون إلى حماية، ويعرفون لهم فضائلهم ومناقبهم، بل أهل السنة والجماعة يتولونهم زيادة على ما يتولون به سائر المؤمنين، فهم يرون أن المسلم يُذَبُّ عنه... إلخ، فهم اشتركوا معهم في ذلك واختصوا بقرب رسول الله ﷺ. اهـ

* **الهراس**: أهل بيته ﷺ هم من تحرم عليهم الصدقة، وهم: آل علي، وآل جعفر، وآل عقيل، وآل العباس، وكلهم من بني هاشم، ويلحق بهم بنو المطلب؛ لقوله ﷺ: «إنهم لم يفارقونا جاهليةً ولا إسلامًا»[1].

(١) أخرجه الإمام أحمد (١٦٧٤١)، والنسائي في «الصغرى» (٤١٣٧)، وفي «الكبرى» (٤٤٣٩)، والبيهقي في «الكبرى» (١٢٧٣٢) من حديث جبير بن مطعم.

فأهل السنة والجماعة يرعون لهم حرمتهم وقرابتهم من رسول الله ﷺ؛ كما يحبونهم؛ لإسلامهم، وسبقهم، وحسن بلائهم في نصرة دين الله ﷻ. اهـ

قوله: (وَيَحْفَظُونَ فِيهِمْ وَصِيَّةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَيْثُ قَالَ يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ: «أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي»[(١)]).

❁ **ابن مانع والهراس**: قال الزمخشري: خُمٌّ بضم الخاء: اسم رجل صباغ أضيف إليه الغدير الذي بين مكة والمدينة بالجحفة، وقيل: هو على ثلاثة أميال من الجحفة. وذكر صاحب «المشارق» أن خمًّا اسم غيضة هناك وبها غدير نسب إليها، والغيضة: الشجر الملتف. اهـ

❁ **آل الشيخ**: غدير خم: موضع معروف بين مكة والمدينة، في منزلٍ نزله في رجوعه من حجة الوداع لما رجع من مكة، خطبهم فيه خطبة شهيرة قبل موته بشهرين «**أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي**» يعني: أن تعرفوا لهم حقهم وحرمتهم ومكانتهم من رسول الله، وأن ترعوا لهم حقهم ولا تحرموهم، قاله مزيدَ حثٍ وتذكير لهم على أنه يُراعى لهم حقيقة.

وهذا خلافًا للنواصب الذين نصبوا لهم العداوة، وهذا حيث كان في خلافة بني أمية، جفوا أهل البيت، والمنصف يعطي كل ذي حق حقه.

فدل على أن أهل بيت رسول الله ﷺ يُحبَّون لأمرين:

أحدهما: إسلامهم، والثاني: لقربهم من المصطفى ﷺ، والمراد المُسْلم منهم، أما الكافر فلا، فإن أبا لهب عمُّ النبي ﷺ.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٤٠٨) عن زيد بن أرقم مرفوعًا.

فالمراد المسلمون الموحدون الذين هم على سنته ﷺ.

أما من حاد عما جاء به النبي ﷺ فلا، وقربه من النبي ﷺ يدعوه أن يكون أسرع الناس إجابة له ﷺ.

أما من كان من الكفار فإنه أبعد الناس عن النبي ﷺ وأسوؤهم كفرًا، فالذين يكفرون من ذرية عبد المطلب يتغلظ كفرهم، ألا ترى قوله: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ﴾ [الأحزاب: ٣٠].

وهذه الخطبة ألف فيها ابن جرير مجلدين، لكن ما ذَكَر ورواه، مشتمل على أشياء لا تثبت من أجل الشيعة، ويُعْرف أن عنده شيئًا من التشيع الذي لم يصل إلى البدعة.

المقصود: أن من جملة ما حفظ عنه ﷺ هذا الحديث، وقال ﷺ: «**إني تارك فيكم ثقلين: أولها: كتاب الله، وثانيها: أهل بيتي**»(١). اهـ

المنحرفون في موالاة أهل البيت

❁ **العثيمين**: الذين ضلوا في أهل البيت طائفتان:

الأولى: الروافض؛ حيث غلوا فيهم، وأنزلوهم فوق منزلتهم، حتى ادعى بعضهم أن عليًا إله.

الثانية: النواصب، وهم الخوارج الذين نصبوا العداوة لآل البيت، وآذوهم بالقول وبالفعل. اهـ

❁ **السعدي**: محبة أهل بيت النبي ﷺ واجبة من وجوه:

١ - منها: لإسلامهم وفضلهم وسوابقهم.

---

(١) رواه مسلم (٢٤٢٥) من حديث زيد بن أرقم.

٢- ومنها: لما تميزوا به من قرب النبي ﷺ واتصال نسبه.

٣- ومنها: لما حث عليه، ورغب فيه.

٤- ومنها: لما في ذلك من علامة محبة الرسول ﷺ. اهـ

قوله: (وَقَالَ أَيْضًا لِلعَبَّاسِ عَمِّهِ، وَقَدْ اشْتكى إِلَيْهِ أَنَّ بَعْضَ قُرَيْشٍ يَجْفُو بَنِي هَاشِمٍ فَقَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحِبُّوكُمْ للهِ، وَلِقَرَابَتِي[1]»).

❁ **آل الشيخ**: قوله: «يَجْفُو بَنِي هَاشِمٍ» يعني: يقصر في حقهم، فقال النبي ﷺ: «والذي نفسي بيده، لا يؤمنون حتى يحبوكم لله، ولقرابتي»، فدل على أنه واجب من واجبات الإيمان محبة قرابة النبي ﷺ في الله؛ لكونهم مسلمين، وواجب محبتهم من جهة أخرى وهي قرابتهم من النبي ﷺ، وهي أخص. اهـ

---

(١) حسن صحيح بمجموع طرقه، وقد أخرجه الإمام أحمد في «فضائل الصحابة» (١٧٥٦، ١٧٥٧)، وفي «المسند» (١٧٧٢، ١٧٧٣، ١٧٧٧)، والترمذي (٣٧٥٨)، والبزار(٢١٧٥)، والحاكم (٣/ ٣٣٣) من طريق يزيد بن أبي زياد، عن عبد الله بن الحارث، عن العباس، عن النبي ﷺ وقال الترمذي: حسن صحيح. اهـ

وعن عبد الله بن الحارث، عن عبد المطلب بن ربيعة، قال: دخل العباس على رسول الله ﷺ وفيه يزيد بن أبي زياد، وهو ضعيف.

ورواه ابن ماجه (١٤٠)، والحاكم (٤/ ٧٥) من طريق محمد بن فضيل، عن الأعمش، عن أبي سبرة النخعي، عن محمد بن كعب القرظي، عن العباس وهذا سند رجاله ثقات، إلا أنه منقطع، محمد بن كعب القرظي لم يسمع من العباس فلعله سمعه من عبد الله بن ربيعة- كما تقدم- أو من عبدالله بن عباس، فإن له رواية أخرجها الطبراني في المعجم الكبير (ج١١/ ص ٤٣٣/ ح١٢٢٢٨) عن أبي الضحى عن ابن عباس قال: جاء العباس، فذكر الحديث. قال شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٤٩٢): وقد روي عن النبي ﷺ من وجوه حسان أنه قال عن أهل بيته: «والذي نفسي بيده لا يدخلون الجنة حتى يحبوكم من أجلي».

❁ **الهراس**: وأما قوله ﷺ لعمه: «**والذي نفسي بيده، لا يؤمنون حتى يحبوكم لله، ولقرابتي**». فمعناه: لا يتم إيمان أحد حتى يحب أهل بيت رسول الله ﷺ لله، أولًا: لأنهم من أوليائه وأهل طاعته الذين تجب محبتهم وموالاتهم فيه، وثانيًا: لمكانهم من رسول الله، واتصال نسبهم به. اهـ

اصطفاء الله تعالى محمداً ﷺ وقبيلة من بني آدم

(وَقَالَ: «إِنَّ اللهَ اصْطَفَى بَنِي إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ كِنَانَةَ قُرَيْشًا، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ»[(١)]).

❁ **آل الشيخ**: قوله: «**اصْطَفَى بَنِي إِسْمَاعِيلَ**» يعني: من ذرية إبراهيم، يعني: اتخذ من العرب بني إسماعيل، ولهذا عرفنا أن بني هاشم أهل بيت رسول الله ﷺ صفوة من صفوة، من صفوة من صفوة، كما أن كنانة صفوة بني إسماعيل، وقريشًا صفوة كنانة، وبني هاشم صفوة قريش، فأهل بيته هم صفوة الناس، فبنو إسماعيل صفوة، وكنانة صفوة من صفوة... إلخ، فالنبي ﷺ صفوة من صفوة، من صفوة، من صفوة، من صفوة. وصفوة الشيء: هو خالصه، أصلها اصتفى من صفا الشيء اختاره، وصفوة الشيء خيرته[(٢)]. اهـ

❁ **السعدي**: فهو ﷺ خيار من خيار من خيار، وقد جمع الله له أنواع الشرف من كل وجه. اهـ

---

(١) أخرجه مسلم (٢٢٧٦) عن واثلة بن الأسقع يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشًا من كنانة، واصطفى من قريش بنى هاشم، واصطفانى من بنى هاشم**».

(٢) قال السمين الحلبي في «الدر المصون» (٢/ ١٢٣): الاصطفاء الاختيار، افتعال، من صفوة الشيء، وهي خياره، وأصله: اصتفى، وإنما قلبت تاءُ الافتعال طاءً، مناسبة للصاد لكونها حرف إطباق. اهـ

موالاة أزواج النبي ﷺ

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَيَتَوَلَّوْنَ أَزْوَاجَ رَسُولِ اللهِ ﷺ أُمَّهَاتِ المُؤْمِنِينَ، وَيُؤْمِنُونَ بِأَنَّهُنَّ أَزْوَاجُهُ فِي الآخِرَةِ خُصُوصًا خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أُمَّ أَكْثَرِ أَوْلادِهِ، وَأَوَّلَ مَنْ آمَنَ بِهِ وَعَاضِدَه عَلَى أَمْرِهِ، وَكَانَ لَهَا مِنْهُ المَنْزِلَةُ العَالِيَةُ.

وَالصِّدِّيقَةَ بِنْتَ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا الَّتِي قَالَ فِيهَا النَّبِيُّ ﷺ: «فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ»).

الشرح

قوله: (وَيَتَوَلَّوْنَ أَزْوَاجَ رَسُولِ اللهِ ﷺ أُمَّهَاتِ المُؤْمِنِينَ، وَيُؤْمِنُونَ بِأَنَّهُنَّ أَزْوَاجُهُ فِي الآخِرَةِ).

❁ **الهراس**: أزواجه ﷺ هن من تزوجهن بنكاح، فأولهن خديجة بنت خويلد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، تزوجها بمكة قبل البعثة، وكانت سنه خمسًا وعشرين، وكانت هي تكبره بخمسة عشر عامًا، ولم يتزوج عليها حتى توفيت، وقد رزق منها بكل أولاده إلا إبراهيم، وكانت أول من آمن به وقواه على احتمال أعباء الرسالة، وقد ماتت قبل الهجرة بثلاث سنين عن خمس وستين سنة.

٢- فتزوج بعدها سودة بنت زمعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

٣- وعقد على عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وكانت بنت ست سنين، حتى إذا هاجر إلى المدينة بنى بها وهي بنت تسع.

٤- ومن زوجاته أيضا أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، تزوجها بعد زوجها أبي سلمة.

٥- وزينب بنت جحش تزوجها بعد تطليق زيد بن حارثة لها، أو على الأصح زوجه الله إياها.

٦- وجويرية بنت الحارث.

٧- وصفية بنت حيي.

٨- وحفصة بنت عمر.

٩- وزينب بنت خزيمة.

وكلهن أمهات المؤمنين، وهن أزواجه ﷺ في الآخرة.

وأفضلهن على الإطلاق خديجة وعائشة رضي الله عنهما. اهـ

❁ **آل الشيخ**: والتولي نشر الجميل بمحبتهن، والذب عنهن، ومراعاة حقهن، والنصر عندما يحتاج لذلك. والأزواج: جمع زوج، والأفصح زوج بدون تاء[1]. والمراد: اللاتي تُوفي وهن في عصمته، أو تُوفِّين وهن في عصمته، بخلاف من فارقنه في حياته. فأهل السنة يتولون أزواج رسول الله ﷺ، كما يتولون أهل بيت رسول الله ﷺ، خلافًا للنواصب. والتولي -كما تقدم-: الترضي عنهن، والذب عنهن، وتبرئتهن فُرُش المصطفى ﷺ خير الخلق، وأطهرِ الخلق ﷺ.

---

(١) أي: ويجوز بالهاء (زوجة) قال في «القاموس»: الزوج البعل، والزوجة. اهـ

وفي شرحه: قال في «المصباح»: الرجل زوج المرأة، وهي زوجه، والجمع منها أزواج. قال أبو حاتم: وأهل نجد يقولون في المرأة: زوجة، بالهاء.

وعكس ابن السكيت، فقال: وأهل الحجاز يقولون للمرأة: زوج، بغير هاء، وسائر العرب: زوجة، بالهاء، وجمعها زوجات. وقال الجوهري: ويقال أيضًا: هي زوجته، واحتج بقول الفرزدق:

وإنّ الـذي يَسعَى يُحرِّشُ زَوْجَتي ** كَساعٍ إلى أُسْدِ الشَّرَى يَستَبِيلُهَا

وقوله: (أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ) المراد: أمَّهات المؤمنين في الحرمة، وعدم التزوج بهن بعده فقط، ليس المراد كشفهن الوجه للناس، أو إذا أرضعت، فإنه ﷺ أبوهم الأكبر الذي على يديه تربيتهم بغذاء القلوب، وفي قراءة: «وهو أبٌ لهم». اهـ

فضل خديجة بنت خويلد ﵂

قوله: (خُصُوصًا خَدِيجَةَ ﵂ أُمَّ أَكْثَرِ أَوْلادِهِ، وَأَوَّلَ مَنْ آمَنَ بِهِ وَعَاضِدَه عَلَى أَمْرِهِ، وَكَانَ لَهَا مِنْهُ المَنْزِلَةُ العَالِيَةُ).

* **السعدي**: فإن جميع أولاده الذكور والإناث منها، إلا إبراهيم فإنه من سريته مارية القبطية. اهـ

* **آل الشيخ**: خديجة بنت خويلد لها من المزية ما لا يخفى، فهي «أم أكثر أولاده» -أم فاطمة- «وأول من آمن به وعاضده على أمره» أي: دينه، وهي التي جاء إليها لما جاءه الملك وقال: «زمِّلوني»، وأخبرها بما أتاه والقصة معروفة[1]، وأول امرأة آمنت به، «وكان لها منه المنزلة العالية». اهـ

فضل عائشة ﵂

قوله: (وَالصِّدِّيقَةَ بِنْتَ الصِّدِّيقِ ﵂ الَّتِي قَالَ فِيهَا النَّبِيُّ ﷺ: «فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ»[2]).

* **آل الشيخ**: يعني: وخصوصًا أيضًا الصديقة بنت الصديق﵄ ، يعني: عظيمة التصديق، فأبوها الصديق الأكبر، وهي صديقة النساء التي لها المزايا الخاصة من نزول الآيات في حقها والعلم.

---

(١) أخرجه البخاري (٣، ٤٩٥٣-٤٩٥٧، ٦٩٨٢)، ومسلم (١٦٠) عن عائشة.

(٢) أخرجه البخاري (٣٤١١، ٣٤٣٣، ٣٧٦٩، ٥٤١٨)، ومسلم (٢٤٣١) عن أبي موسى ﵁.

والثريد: هو الخبز مع اللحم، وباتفاقٍ أنها أعلم نساء الصحابة. وقول المصنف: «خصوصًا» وخص منهن اثنتين هما أفضل النساء على الإطلاق، فأهل السنة والجماعة يقولون: جميع أزواج النبي ﷺ وبالأخص هاتين؛ لكونهما أخص أزواج النبي ﷺ. اهـ

المفاضلة بين خديجة وعائشة رضي الله عنهما

* **السعدي**: وعائشة وخديجة هما أفضل نساء النبي ﷺ. وقد اختلف العلماء أيهما أفضل؟ والتحقيق: أن لكل واحدة منهن من الفضل والخصائص ما ليس للأخرى، فلخديجة من السبق ومعاونة النبي ﷺ على أمره في أول الأمر وتثبيته، وكون أكثر أولاد النبي ﷺ منها ما ليس لعائشة، ولعائشة من العلم والتعليم ونفع الأمة ما ليس لخديجة رضي الله عنها. اهـ

* **آل الشيخ**: وقد اخُتِلف أيهما أفضل عائشة، أو خديجة؟ واستدلوا على فضل خديجة بما ذكر. وقومٌ قالوا: عائشة أفضل بالحديث. ومسألة التفضيل شيء سهل، والصواب والحق أن عائشة أفضل من خديجة في الأشياء التي امتازت بها، وخديجة أفضل في الأشياء التي امتازت بها، وهذا ينبغي سلوكه في مسائل التفضيل، والصِّدِّيقة أعطيت من مِنَّة التصديق شيئًا كثيرًا ما ليس لغيرها وأن الصِّدِّيق كثير التصديق.

والمصنف رحمه الله ما تعرض لهذا هنا؛ لأن هذا مختصر، ومسلكه في المسألة مبين في مصنفاته. والتحقيق: -كما ذكره المصنف في غير هذه العقيدة المختصرة- أن الصواب أن لا يقال: خديجة أفضل مطلقًا، ولا عائشة أفضل مطلقًا، بل عائشة أفضل في أشياء، وخديجة أفضل في أشياء، عائشة فيها آيات تتلى في المساجد، فهي بها أفضل، ومن جهة كون خديجة أم أكثر أولاده فيقال هذه أفضل من وجه، وبهذا تجتمع النصوص، وهذا له نظائر يفاضل بينها، ويحتج كل طرف بحجج.

ومسألة التفضيل أمرها سهل فلا يضلل فيها كما تقدم، ومسائل الخلاف في الفضل وعدمه كثيرًا ما يدخله الهوى النفساني، وبعضه قد لا يدخله الهوى، وكونها مسألة هوى لا يُوسَّع البحث فيها مخافة أن يدخل في تأييد هواه. وحديث: «لا تخيروا

بين الأنبياء»(١): النهي في قوله: «**لا تخيروا**» إذا كان التخيير على وجه التعصب، مثل ما فعل الأنصاري واليهودي، أو أنه قاله على وجه التواضع. اهـ

❁ **العثيمين**: زوجات النبي ﷺ أفضل نساء الأمة؛ لمكانتهن عند رسول الله ﷺ، ولأنهن أمهات المؤمنين، ولأنهن زوجات النبي ﷺ في الآخرة، ولطهارتهن من الرجس؛ ولذلك يكفر من قذف واحدة منهن؛ لأن ذلك يستلزم نقص النبي ﷺ وتدنيس فراشه، وأفضلهن خديجة وعائشة، وكل واحدة منهما أفضل من الأخرى من وجه، فمزية خديجة أنها أول من آمن بالرسول ﷺ، وأنها عاضدته على أمره في أول رسالته، وأنها أم أكثر أولاده، بل كلهم إلا إبراهيم، وأن لها منزلة عالية عنده، فكان يذكرها دائمًا، ولم يتزوج عليها حتى ماتت. ومزية عائشة: حسن عشرتها مع النبي ﷺ في آخر أمره، وأن الله برأها في كتابه مما رماها به أهل الإفك، وأنزل فيها آيات تتلى إلى يوم القيامة، وأنها حفظت من هدي النبي ﷺ وسنته ما لم تحفظه امرأة سواها، وأنها نشرت العلم الكثير بين الأمة، وأن النبي ﷺ لم يتزوج بكرًا سواها، فكانت تربيتها الزوجية على يده، وأن النبي ﷺ قال فيها: «**فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام**». اهـ

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤١٢، ٦٩١٦)، ومسلم (٢٣٧٤) عن أبي سعيد الخدري ﷺ مرفوعًا.

البراءة من سب الصحابة وآل البيت والإمساك عما شجر بين الصحابة ﵃

قال المصنف ﵀: (وَيَتَبَرَّؤُونَ مِنْ طَرِيقَةِ الرَّوَافِضِ الَّذِينَ يُبْغِضُونَ الصَّحَابَةَ وَيَسُبُّونَهُمْ، وَطَرِيقَةِ النَّوَاصِبِ الَّذِينَ يُؤْذُونَ أَهْلَ البَيْتِ بِقَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ. وَيُمْسِكُونَ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَ الصَّحَابَةِ.

وَيَقُولُونَ إِنَّ هَذِهِ الآثَارَ المَرْوِيَّةَ فِي مَسَاوِيهِمْ مِنْهَا مَا هُوَ كَذِبٌ، وَمِنْهَا مَا قَدْ زِيدَ فِيهِ وَنُقِصَ وَغُيِّرَ عَنْ وَجْهِهِ. وَالصَّحِيحُ مِنْهُ هُمْ فِيهِ مَعْذُورُونَ إِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُصِيبُونَ، وَإِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُخْطِئُونَ، وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ لا يَعْتَقِدُونَ أَنْ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ مَعْصُومٌ عَنْ كَبَائِرِ الإِثْمِ وَصَغَائِرِهِ؛ بَل يَجُوزُ عَلَيْهِمُ الذُّنُوبُ فِي الجُمْلَةِ، وَلَهُمْ مِنَ السَّوَابِقِ وَالفَضَائِلِ مَا يُوجِبُ مَغْفِرَةَ مَا يَصْدُرُ مِنْهُمْ إِنَّ صَدَرَ، حَتَّى إِنَّهُمْ يُغْفَرُ لَهُمْ مِنَ السَّيِّئَاتِ مَا لا يُغْفَرُ لِمَنْ بَعْدَهُمْ؛ لأَنَّ لَهُمْ مِنَ الحَسَنَاتِ الَّتِي تَمْحُو السَّيِّئَاتِ مَا لَيْسَ لِمَنْ بَعْدَهُمْ، وَقَدْ ثَبَتَ بِقَوْلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُمْ خَيْرُ القُرُونِ، وَأَنَّ المُدَّ مِنْ أَحَدِهِمْ إِذَا تَصَدَّقَ بِهِ كَانَ أَفْضَلَ مِنْ جَبَلِ أُحُدٍ ذَهَبًا مِمَّنْ بَعْدَهُمْ.

ثُمَّ إِذَا كَانَ قَدْ صَدَرَ مِنْ أَحَدِهِمْ ذَنْبٌ؛ فَيَكُونُ قَدْ تَابَ مِنْه، أَوْ أَتَى بِحَسَنَاتٍ تَمْحُوهُ، أَوْ غُفِرَ لَهُ بِفَضْلِ سَابِقَتِهِ، أَوْ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ الَّذِي هُمْ أَحَقُّ النَّاسِ بِشَفَاعَتِهِ، أَوْ ابْتُلِيَ بِبَلاءٍ فِي الدُّنْيَا كُفِّرَ بِهِ عَنْهُ.

فَإِذَا كَانَ هَذَا فِي الذُّنُوبِ المُحَقَّقَةِ؛ فَكَيْفَ الأُمُورُ الَّتِي كَانُوا فِيهَا مُجْتَهِدِينَ إِنْ أَصَابُوا؛ فَلَهُمْ أَجْرَانِ، وَإِنْ أخطؤوا فَلَهُمْ أَجْرٌ وَاحِدٌ، وَالخَطَأُ مَغْفُورٌ، ثُمَّ إِنَّ القَدْرَ الَّذِي يُنْكَرُ مِنْ فِعْلِ بَعْضِهِمْ قَلِيلٌ نَزْرٌ مَغْفُورٌ فِي جَنْبِ فَضَائِلِ القَوْمِ وَمَحَاسِنِهِمْ: مِنَ الإِيمَانِ بِاللهِ، وَرَسُولِهِ، وَالجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ، وَالهِجْرَةِ، وَالنُّصْرَةِ، وَالعِلْمِ النَّافِعِ، وَالعَمَلِ الصَّالِحِ، وَمَنْ نَظَرَ

فِي سِيرَةِ القَوْمِ بِعِلْمٍ وَبَصِيرَةٍ وَمَا مَنَّ اللهُ عَلَيْهِمْ بِهِ مِنَ الفَضَائِلِ؛ عَلِمَ يَقِينًا أَنَّهُمْ خَيْرُ الخَلْقِ بَعْدَ الأَنْبِيَاءِ، لا كَانَ وَلا يَكُونُ مِثْلُهُمْ، وَأَنَّهُمُ الصَّفْوَةُ مِنْ قُرُونِ هَذِهِ الأُمَّةِ الَّتِي هِيَ خَيْرُ الأُمَمِ وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللهِ).

الشرح

قوله: (وَيَتَبَرَّؤُونَ مِنْ طَرِيقَةِ الرَّوَافِضِ الَّذِينَ يُبْغِضُونَ الصَّحَابَةَ وَيَسُبُّونَهُمْ).

* **آل الشيخ**: من أصول أهل السنة والجماعة التبرؤ من طريق الروافض الذين يبغضون الصحابة، فإنهم لا يقرون لأصحاب رسول الله ﷺ بقول ولا عمل، فقلوبهم مفعمة[1] من البغض لأصحابه، وألسنتهم متلوثة بالسب في أصحاب رسول الله ﷺ، وأهل السنة يحبونهم ويترضون عنهم.

الرافضة مسلكهم في الصحابة أخبث مسلك، يكفرون الصحابة إلا نفرًا قليلًا، وتكفيرهم الصحابة هو أصل مذهبهم لكن ضموا إليه الشرك والاعتزال. اهـ

* **الهراس**: يريد أن أهل السنة والجماعة يتبرؤون من طريقة الروافض التي هي الغلو في علي وأهل بيته، وبغض من عداه من كبار الصحابة، وسبهم، وتكفيرهم. وأول من سماهم بذلك زيد بن علي رحمه الله؛ لأنهم لما طلبوا منه أن يتبرأ من إمامة الشيخين أبي بكر وعمر؛ ليبايعوه أبى ذلك، فتفرقوا عنه، فقال: «رفضتموني»، فمن يومئذ قيل لهم: رافضة.

وهم فرق كثيرة: منهم الغالية، ومنهم دون ذلك. اهـ

---

(١) أي: ممتلئة.

قوله: (وَطَرِيقَةِ النَّوَاصِبِ الَّذِينَ يُؤْذُونَ أَهْلَ البَيْتِ بِقَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ).

❁ **الهراس**: ويتبرؤون كذلك من طريقة النواصب الذين ناصبوا أهل بيت النبوة العداء؛ لأسباب وأمور سياسية معروفة، ولم يعد لهؤلاء وجود الآن. اهـ

❁ **السعدي**: وأما النواصب فهم الذين نصبوا العداوة والأذية لأهل بيت النبي ﷺ، وكان لهم وجود في صدر هذه الأمة؛ لأسباب وأمور سياسية معروفة، ومن زمن طويل ليس لهم وجود. اهـ

❁ **ابن باز**: ينبغي لأهل السنة والجماعة أن يكونوا بهذا الاعتقاد، وأن يتبرؤوا من طريقة الروافض الذين يسبون الصحابة ويؤذونهم، وطريقة النواصب الذين يؤذون أهل البيت بقول أو عمل، فينبغي لأهل السنة أن يبتعدوا عن هذا الخُلُق الذميم. اهـ

❁ **آل الشيخ**: «**وأهل السنة والجماعة**» يتبرؤون من «**طريقة النواصب الذين**» ينصبون العداوة لأهل بيت رسول الله ﷺ، «**يؤذون أهل البيت بقول، أو عمل**» فهم في مقابلة الروافض في الغلو في أهل البيت، والنواصب يجفونهم ويبغضونهم.

وأصل النصب: للأغراض الشخصية للميل إلى رؤساء بني أمية، ناشئ عن المنازعة في مُلْكٍ من مُلْكِ مصر، في مُلْكِ بني أمية ومن يواليهم، فينصبون لأهل البيت العداوة، لأجل ذلك، ويمكن أن يوجد إخوان النواصب، فمن كان كذلك فهو ناصبي مبتدع ضال.

فالحامل على النصب الشهوة، والرفض أعظم منه والحامل عليه الشبهة، والشبهة أعظم من الشهوة.

فالنواصب والروافض في أهل البيت في طرفي نقيض: الروافض يغلون في أهل البيت، ويكفرون باقي الصحابة، والنواصب يجفون، وأهل السنة وسط بين غلو هؤلاء، وبين غلو أولئك، ورأوا أن لهم مزية؛ لقربهم من النبي ﷺ، كما قال ﷺ:

«والذي نفسي بيده، لا يؤمنون حتى يحبوكم لله؛ ولقرابتي»[١]. وأهل السنة طريقتهم: الترضي عنهم جميعًا، ويعرفون لأهل البيت قدرهم القدر الشرعي. فالخوارج والنواصب متفقون في مزيد العداوة لأهل البيت، والخوارج لا يقتصرون على عداوة أهل البيت، بل عمومًا. والذي باشرهم هو عليٌّ، فهم يعادونه ويكفرونه ومن معه من الصحابة، يقولون: إنك حكَّمت الرجال وكَفَرتَ. والنواصب قابلوا الروافض، جفوا أهل البيت وأبغضوهم. اهـ

* **قال شيخ الإسلام ابن تيمية**[٢]: وأما أهل السنة فيتولون جميع المؤمنين ويتكلمون بعلم وعدل ليسوا من أهل الجهل، ولا من أهل الأهواء ويتبرؤون من طريقة الروافض والنواصب جميعًا، ويتولون السابقين والأولين كلِّهم، ويعرفون قدر الصحابة، وفضلهم، ومناقبهم، ويرعون حقوق أهل البيت التي شرعها الله لهم، ولا يرضون بما فعله المختار[٣] ونحوه من الكذابين ولا ما فعله الحجاج[٤] ونحوه من الظالمين ويعلمون مع هذا مراتب السابقين الأولين، فيعلمون أن لأبي بكر وعمر من التقدم والفضائل ما لم يشاركهما فيها أحد من الصحابة، لا عثمان، ولا علي، ولا غيرهما، وهذا كان متفقًا عليه في الصدر الأول، إلا أن يكون خلاف شاذ لا يعبأ به، حتى إن الشيعة الأولى أصحاب علي لم يكونوا يرتابون في تقديم أبي بكر وعمر عليه، كيف وقد ثبت عن علي من وجوه متواترة أنه كان يقول: «خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر»[٥]؟ ولكن كان طائفة من شيعة علي تقدمه على عثمان، وهذه المسألة أخفى من تلك؛ ولهذا كان أئمة أهل السنة كلهم متفقين على تقديم أبي بكر وعمر من وجوه متواترة، كما هو مذهب أبي حنيفة،

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) «منهاج السنة النبوية» (٢/ ٧١).

(٣) المختار بن أبي عبيد الثقفي، كان من رؤوس الروافض، ادعى أنه يوحى إليه.

(٤) الحجاج بن يوسف الثقفي، كان من رؤوس النواصب الظلمة.

(٥) تقدم تخريجه.

والشافعي، ومالك، وأحمد بن حنبل، والثوري، والأوزاعي، والليث بن سعد، وسائر أئمة المسلمين، من أهل الفقه والحديث والزهد والتفسير، من المتقدمين والمتأخرين. وأما عثمان وعلي فكان طائفة من أهل المدينة يتوقفون فيهما وهي إحدى الروايتين عن مالك، وكان طائفة من الكوفيين يقدمون عليًّا، وهي أحدى الروايتين عن سفيان الثوري، ثم قيل: إنه رجع عن ذلك لما اجتمع به أيوب السختياني، وقال: من قدم عليًّا على عثمان فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار.

وسائر أئمة السنة على تقديم عثمان، وهو مذهب جماهير أهل الحديث، وعليه يدل النص والإجماع والاعتبار.

وأما ما يحكى عن بعض المتقدمين من تقديم جعفر، أو تقديم طلحة، أو نحو ذلك فذلك في أمور مخصوصة لا تقديمًا عامًّا، وكذلك ما ينقل عن بعضهم في علي. اهـ

حكم من سب أزواج النبي ﷺ

* قال شيخ الإسلام(١):

فأما من سب أزواج النبي ﷺ، فقال القاضي أبو يعلى: من قذف عائشة بما برأها الله منه كفر بلا خلاف. وقد حكى الإجماع على هذا غير واحد، وصرح غير واحد من الأئمة بهذا الحكم، فروي عن مالك: من سب أبا بكر جلد، ومن سب عائشة قتل. قيل له: لم؟ قال: من رماها فقد خالف القرآن؛ لأن الله تعالى قال: ﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [النور: ١٧].

وقال أبو بكر بن زياد النيسابوري: سمعت القاسم بن محمد يقول لإسماعيل بن إسحاق: أُتِيَ المأمون بالرقة برجلين شتم أحدهما فاطمة، والآخر عائشة، فأمر بقتل الذي شتم فاطمة وترك الآخر، فقال إسماعيل: ما حكمهما إلا أن يقتلا؛ لأن الذي شتم عائشة رد القرآن. وعلى هذا مضت سيرة أهل الفقه والعلم من أهل البيت وغيرهم.

قال أبو السائب القاضي: كنت يومًا بحضرة الحسن بن زيد الداعي بطبرستان وكان يلبس الصوف، ويأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، ويوجه في كل سنة بعشرين ألف دينار إلى المدينة السلام، يفرق على سائر ولد الصحابة، وكان بحضرته رجل، فذكر عائشة بذكر قبيح من الفاحشة، فقال: يا غلام، اضرب عنقه. فقال له العلويون: هذا رجل من شيعتنا. فقال: معاذ الله، هذا رجل طعن على النبي ﷺ قال الله تعالى: ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [النور: ٢٦] فإن كانت عائشة خبيثة فالنبي ﷺ خبيث، فهو كافر فاضربوا عنقه. فضربوا عنقه، وأنا حاضر(٢). رواه اللالكائي.

(١) «الصارم المسلول» (ص/ ٥٦٨-ط: دار ابن حزم)، (٣/ ١٠٥٠ وما بعدها - ط: رمادي، والمؤتمن).
(٢) اللهم اغفر له، وأدخله الجنة، وارفعه بهذا الصنيع في نزل الأبرار.

وروي عن محمد بن زيد، أخي الحسن بن زيد، أنه قدم عليه رجل من العراق، فذكر عائشة بسوء، فقام إليه بعمود فضرب به دماغه فقتله، فقيل له: هذا من شيعتنا، ومن بني الآباء. فقال: هذا سَمَّى جدي قرنان[١]، ومن سمى جدي قرنان استحق القتل فقتله. وأما من سب غير عائشة من أزواجه ﷺ ففيه قولان:

أحدهما: أنه كَسَابِّ غيرهن من الصحابة على ما سيأتي

والثاني: وهو الأصح: أنه من قذف واحدة من أمهات المؤمنين فهو كقذف عائشة ﵂. وقد تقدم معنى ذلك عن ابن عباس، وذلك لأن هذا فيه عار وغضاضة على رسول الله ﷺ، وأذى له أعظم من أذاه بنكاحهن بعده، وقد تقدم التنبيه على ذلك فيما مضى عند الكلام على قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [الأحزاب: ٥٧] الآية والأمر فيه ظاهر.

حكم من سب الصحابة ﵃

فأما من سب أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ -من أهل بيته، وغيرهم- فقد أطلق الإمام أحمد أنه يضرب نكالًا، وتوقّف عن قتله وكفره.

قال أبو طالب: سألت أحمد عمن شتم أصحاب النبي ﷺ؟ قال: القتل أجبن عنه، ولكن أضربه ضربًا نكالًا.

و قال عبد الله: سألت أبي عمَّن شتم أصحاب النبي ﷺ قال: أرى أن يضرب. قلت: له حدٌّ؟ فلم يقف على الحد، إلا أنه قال: يضرب، وقال: ما أراه على الإسلام.

وقال: سألت أبي: من الرافضة؟ فقال: الذين يشتمون -أو يسبون- أبا بكر وعمر ﵄.

وقال في الرسالة التي رواها أبو العباس أحمد بن يعقوب الإصطخري وغيره: وخير الأمة بعد النبي ﷺ أبو بكر، وعمر بعد أبي بكر، وعثمان بعد عمر وعلي بعد

---

(١) القرنان: الديوث المشارك في قرينته، وهي زوجته. قاله في «القاموس».

عثمان، ووقف قوم، وهم خلفاء راشدون مهديون، ثم أصحاب رسول الله ﷺ بعد هؤلاء الأربعة خير الناس، لا يجوز لأحد أن يذكر شيئًا من مساويهم، ولا يطعن على أحد منهم بعيب ولا نقص، فمن فعل ذلك فقد وجب تأديبه وعقوبته، وليس له أن يعفو عنه؛ بل يعاقبه ويستتيبه، فإن تاب قُبِلَ منه، وإن ثبت أعاد عليه العقوبة، وخلَّده في الحبس، حتى يموت أو يراجع.

وحكى الإمام أحمد هذا عمن أدركه من أهل العلم، وحكاه الكرماني عنه وعن إسحاق، والحميدي، وسعيد بن منصور، وغيرهم.

وقال الميموني: سمعت أحمد يقول: مالهم ولمعاوية؟ نسأل الله العافية. وقال لي: يا أبا الحسن، إذا رأيت أحدًا يذكر أصحاب رسول الله ﷺ بسوء فاتهمه على الإسلام.

فقد نص رحمه الله على وجوب تعزيره واستتابته حتى يرجع بالجلد، وإن لم ينته حبس حتى يموت، أو يراجع، وقال: «ما أراه على الإسلام» وقال: «واتهمه على الإسلام» وقال: أجبن عن قتله.

وقال إسحاق بن راهويه: من شتم أصحاب النبي ﷺ يعاقب ويحبس.

وهذا قول كثير من أصحابنا، منهم ابن أبي موسى، قال: ومن سب السلف فمن الروافض فليس بكفؤ، ولا يزوج، ومن رمى عائشة رضي الله عنها بما برأها الله منه فقد مرق من الدين، ولم ينعقد له نكاح على مسلمة إلا أن يتوب ويظهر توبته. وهذا في الجملة قول عمر بن عبد العزيز وعاصم الأحول وغيرهما من التابعين.

قال الحارث بن عتبة: إن عمر بن عبد العزيز أتي برجل سب عثمان، فقال: ما حملك على أن سببته؟ قال: أبغضه قال: وإن أبغضت رجلا سببته؟ قال: فأمر به فجلد ثلاثين سوطًا.

وقال إبراهيم بن ميسرة: ما رأيت عمر بن عبد العزيز ضرب إنسانًا قط، إلا رجلًا شتم معاوية فضربه أسواطًا. رواهما اللالكائي. وقد تقدم عنه أنه كتب في رجل

سبه: لا يقتل إلا من سب النبي ﷺ، ولكن أجلده فوق رأسه أسواطًا، ولولا أني رجوت أن ذلك خير له لم أفعل.

وروى الإمام أحمد: ثنا أبو معاوية، ثنا عاصم الأحول قال: أُتيت برجل قد سب عثمان، قال: فضربته عشرة أسواط. قال: ثم عاد لما قال فضربته عشرة أخرى. قال: فلم يزل يسبه حتى ضربته سبعين سوطًا.

وهو المشهور من مذهب مالك، قال مالك: من شتم النبي ﷺ قتل ومن سب أصحابه أدب.

وقال عبد الملك بن حبيب: من غلا من الشيعة إلى بغض عثمان والبراءة منه أدب أدبًا شديدًا، ومن زاد إلى بغض أبي بكر وعمر فالعقوبة عليه أشد، ويكرر ضربه، ويطال سجنه حتى يموت ولا يبلغ به القتل، إلا في سب النبي ﷺ.

وقال ابن المنذر: لا أعلم أحدًا يوجب قتل من سب من بعد النبي ﷺ.

وقال القاضي أبو يعلى: الذي عليه الفقهاء في سب الصحابة: إن كان مستحلًّا لذلك كفر، وإن لم يكن مستحلًّا فسق ولم يكفر، سواء كفرهم، أو طعن في دينهم مع إسلامهم.

وقد قطع طائفة من الفقهاء من أهل الكوفة وغيرهم بقتل من سب الصحابة، وكفر الرافضة.

قال محمد بن يوسف الفريابي، وسئل عمن شتم أبا بكر؟ قال: كافر. قيل: فيصلى عليه؟ قال: لا. وسأله: كيف يصنع به وهو يقول لا إله إلا الله؟ قال: لا تمسوه بأيديكم، ادفعوه بالخشب حتى تواروه في حفرته.

وقال أحمد بن يونس: لو أن يهوديًا ذبح شاة وذبح رافضي، لأكلت ذبيحة اليهودي ولم آكل ذبيحة الرافضي؛ لأنه مرتد عن الإسلام.

وكذلك قال أبو بكر بن هاني: لا تؤكل ذبيحة الروافض والقدرية، كما لا تؤكل ذبيحة المرتد، مع أنه تؤكل ذبيحة الكتابي؛ لأن هؤلاء يقامون مقام المرتد وأهل الذمة يقرون على دينهم وتؤخذ منهم الجزية.

وكذلك قال عبد الله بن إدريس من أعيان أئمة الكوفة: ليس لرافضي شفعة إلا لمسلم.

وقال فضيل بن مرزوق: سمعت الحسن بن الحسن يقول لرجل من الرافضة: والله إن قتلك لقربة إلى الله، وما أمتنع من ذلك إلا بالجواز، وفي رواية قال: رحمك الله، قذفت، إنما تقول هذا تمزح؟ قال: لا والله ما هو بالمزاح ولكنه الجد. قال: وسمعته يقول: لئن أمكننا الله منكم لنقطعن أيديكم وأرجلكم.

وصرح جماعات من أصحابنا بكفر الخوارج المعتقدين البراءة من علي وعثمان، وبكفر الرافضة المعتقدين لسب جميع الصحابة، الذين كفروا الصحابة وفسقوهم وسبوهم.

وقال أبو بكر عبد العزيز في «المقنع»: فأما الرافضي، فإن كان يسب فقد كفر، فلا يزوج.

ولفظ بعضهم- وهو الذي نصره القاضي أبو يعلى- أنه إن سبهم سبًّا يقدح في دينهم وعدالتهم كفر بذلك، وإن سبهم سبًّا لا يقدح -مثل أن يسب أبا أحدهم، أو يسبه سبًّا يقصد به غيظه، ونحو ذلك- لم يكفر.

قال أحمد في رواية أبي طالب، في الرجل يشتم عثمان: هذا زندقة. وقال في رواية المروذي: من شتم أبا بكر، وعمر، وعائشة، ما أراه على الإسلام.

قال القاضي أبو يعلى: فقد أطلق القول فيه أنه يكفر بسبه لأحد من الصحابة، وتوقف في رواية عبد الله وأبي طالب عن قتله وكمال الحد، وإيجاب التعزير يقتضي أنه لم يحكم بكفره.

قال: فيحتمل أن يحمل قوله: «ما أراه على الإسلام» إذا استحل سبهم بأنه يكفر بلا خلاف، ويُحمل إسقاط القتل على من لم يستحل ذلك، بل فعله مع اعتقاده لتحريمه، كمن يأتي المعاصي.

قال: ويحتمل قوله: «ما أراه على الإسلام» على سبٍّ يطعن في عدالتهم، نحو قوله: ظلموا وفسقوا بعد النبي ﷺ، وأخذوا الأمر بغير حق، ويُحمل قوله في إسقاط القتل على سب لا يطعن في دينهم، نحو قوله: كان فيهم قلة علم، وقلة معرفة بالسياسة، والشجاعة، وكان فيهم شح، ومحبة للدنيا، ونحو ذلك. قال: ويحتمل أن يحمل كلامه على ظاهره فتكون في سابهم روايتان: إحداهما يكفر، والثانية يفسق. وعلى هذا استقر قول القاضي وغيره حكوا في تكفيرهم روايتين.

قال القاضي: ومن قذف عائشة رضي الله عنها بما برأها منه كفر بلا خلاف.

ونحن نرتب الكلام في فصلين أحدهما: في سبهم مطلقًا، والثاني: في تفصيل أحكام الساب.

أما الأول فسب أصحاب رسول الله ﷺ حرام بالكتاب والسنة.

أما الأول فلأن الله سبحانه يقول: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ [الحجرات: ١٢]، وأدنى أحوال الساب لهم أن يكون مغتابا وقال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ [الهمزة: ١]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨]، وهم صدور المؤمنين، فإنهم هم المواجهون بالخطاب في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [البقرة: ١٠٤] حيث ذكرتْ، ولم يكتسبوا ما يوجب أذاهم؛ لأن الله سبحانه رضي عنهم رضًا مطلقًا بقوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، فرضي عن السابقين من غير اشتراط إحسان، ولم يرض عن التابعين إلا أن يتبعوهم بإحسان، وقال تعالى: ﴿۞ لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨]،

والرضا من الله صفة قديمة، فلا يرضى إلا عن عبد علم أنه يوافيه على موجبات الرضا، ومن ﷺ لم يسخط عليه أبدًا.

وقوله تعالى: ﴿إِذْ يُبَايِعُونَكَ﴾ سواء كان ظرفًا محضًا، أو كانت ظرفًا فيها معنى التعليل، فإن ذلك لتعلق الرضا بهم، فإنه يسمى رضًا أيضًا، كما في تعلق العلم، والمشيئة، والقدرة، وغير ذلك من صفات الله سبحانه. وقيل: بل الظرف يتعلق بجنس الرضا، وإنه يرضى عن المؤمن بعد أن يطيعه، ويسخط عن الكافر بعد أن يعصيه، ويحب من اتبع الرسول بعد اتباعه له وكذلك أمثال هذا، وهذا قول جمهور السلف، وأهل الحديث وكثير من أهل الكلام، وهو الأظهر.

وعلى هذا فقد بين في مواضع أخر، أن هؤلاء الذين ﷺ هم من أهل الثواب في الآخرة، يموتون على الإيمان الذي به يستحقون ذلك، كما في قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: **«لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة»**.

وأيضًا فكل من أخبر الله عنه أنه رضي عنه فإنه من أهل الجنة، وإن كان رضاه عنه بعد إيمانه وعمله الصالح، فإنه يذكر ذلك في معرض الثناء عليه والمدح له، فلو علم أنه يتعقب ذلك بما يسخط الرب لم يكن من أهل ذلك.

وهذا كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾ وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ [الفجر: ٢٧-٣٠]، ولأنه ﷻ قال: ﴿لَّقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٧]، وقال ﷻ: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الكهف: ٢٨].

وقال تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ ﴾ [الفتح: ٢٩] الآية، وقال تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران: ١١٠] ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة: ١٤٣] وهم أول من وُوْجِهَ بهذا الخطاب، فهم مرادون بلا ريب، وقال ﷻ: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحشر: ١٠].

فجعل سبحانه ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى للمهاجرين والأنصار والذين جاؤوا من بعدهم، مستغفرين للسابقين، وداعين الله أن لا يجعل في قلوبهم غلًّا لهم، فعلم أن الاستغفار لهم وطهارة القلب من الغِلِّ لهم أمر يحبه الله ويرضاه، ويثني على فاعله، كما أنه قد أمر بذلك رسوله في قوله تعالى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ ﴾ [محمد: ١٩]، وقال تعالى: ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴾ [آل عمران: ١٥٩] ومحبة الشيء كراهة لضده، فيكون الله يكره السب لهم، الذي هو ضد الاستغفار، والبغض لهم الذي هو ضد الطهارة. وهذا معنى قول عائشة ﵂: أمروا بالاستغفار لأصحاب محمد فسبوهم. رواه مسلم(١).

وعن مجاهد، عن ابن عباس قال: لا تسبوا أصحاب محمد، إن الله قد أمر بالاستغفار لهم، وقد علم أنهم سيقتتلون. رواه الإمام أحمد(٢).

وعن سعد بن أبي وقاص قال: الناس على ثلاث منازل، فمضت منزلتان، وبقيت واحدة، فأحسن ما أنتم كائنون عليه أن تكونوا بهذه المنزلة التي بقيت، قال: ثم قرأ: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ -إلى قوله- وَرِضْوَٰنًا ﴾ [الحشر: ٨] فهؤلاء المهاجرين وهذه منزلة قد مضيت: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ -إلى قوله- وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ ﴾ [الحشر: ٩]

---

(١) أخرجه مسلم (٣٠٢٢).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في «فضائل الصحابة» (١٨)، وابن بطة في «الشرح والإبانة» (٤٦)، واللالكائي (٢٣٣٩)، وصحح إسناده شيخ الإسلام في «منهاج السنة» (٢/ ٢٢).

قال: هؤلاء الأنصار، وهذه منزلة قد مضت، ثم قرأ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾ إلى قوله ﴿رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠] قد مضت هاتان، وبقيت هذه المنزلة، فأحسن ما أنتم كائنون عليه أن تكونوا بهذه المنزلة التي بقيت[١] يقول: أن تستغفروا لهم، ولأن من جاز سبه بعينه- أو بغيره- لم يجز الاستغفار له.

كما لا يجوز الاستغفار للمشركين؛ لقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [التوبة: ١١٣].

وكما لا يجوز أن يستغفر لجنس العاصين مسمين باسم المعصية؛ لأن ذلك لا سبيل إليه؛ ولأنه شرع لنا أن نسأل الله أن لا يجعل في قلوبنا غلًا للذين آمنوا، والسب باللسان أعظم من الغل الذي لا سب معه، ولو كان الغل عليهم والسب لهم جائزًا، لم يشرع لنا أن نسأله ترك ما لا يضر فعله، ولأنه وصف مستحقي الفيء بهذه الصفة كما وصف السابقين بالهجرة والنصرة، فعلم أن ذلك صفة لهم وشرط فيهم، ولو كان السب جائزًا لم يشترط في استحقاق الفيء ترك أمر جائز، كما لا يشترط ترك سائر المباحات، بل لو لم يكن الاستغفار لهم واجبًا لم يكن شرطًا في استحقاق الفيء؛ لأن استحقاق الفيء لا يشترط فيه ما ليس بواجب بل هذا دليل على أن الاستغفار لهم داخل في عقد الدين وأصله.

* وأما السنة ففي الصحيحين: عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ولا تسبوا أصحابي، فو الذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه»**[٢].

---

(١) أخرجه الحاكم (٢/ ٤٨٤)، واللالكائي (٢٣٥٤)، وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.
(٢) تقدم.

و في رواية لمسلم، واستشهد بها البخاري قال: كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف شيء فسبه خالد فقال رسول الله ﷺ: «**لا تسبوا أصحابي؛ فإن أحدكم لو اتفق مثل أحد ذهبًا ما أدرك مُد أحدكم ولا نصيفه**».

وفي رواية للبرقاني في «صحيحه»: «**لا تسبوا أصحابي دعوا لي أصحابي، فإن أحدكم لو أنفق كلَّ يوم مثل أحد ذهبًا ما أدرك مُدَّ أحدهم ولا نصيفه**»[(١)].

والأصحاب: جمع صاحب: والصاحب اسم فاعل من صحبه يصحبه وذلك يقع على قليل الصحابة وكثيرها؛ لأنه يقال: صحبته ساعة، وصحبته شهرًا وصحبته سنة، قال الله تعالى: ﴿وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ﴾ [النساء: ٣٦] قد قيل: هو الرفيق في السفر. وقيل: هو الزوجة. ومعلوم أن صحبة الرفيق وصحبة الزوجة قد تكون ساعة فما فوقها، وقد أوصى الله به إحسانًا ما دام صاحبًا، وفي الحديث عن النبي ﷺ: «**خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه، وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره**»[(٢)] وقد دخل في ذلك قليل الصحبة وكثيرها وقليل الجوار وكثيره.

وكذلك قال الإمام أحمد وغيره: كل من صحب النبي ﷺ سنة أو شهرًا أو يومًا أو رآه مؤمنًا به فهو من أصحابه، له من الصحبة بقدر ذلك.

فإن قيل: فلم نهى خالدًا عن أن يسب أصحابه إذا كان من أصحابه أيضا؟ وقال: «**لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه**».

---

(١) قال المحب الطبري في «الرياض النضرة في مناقب العشرة» (١/ ١٧): أخرجه أبو بكر البرقاني على شرطهما. اهـ وقال المتقي الهندي في «كنز العمال» (٣٢٥٤٣): أخرجه أبو بكر البرقاني، والروياني في «المستخرج» عن أبي سعيد، وهو صحيح. اهـ، وقال الحافظ في «الفتح» (٧/ ٣٤): زاد البرقاني في «المصافحة»: من كل يوم. وهي زيادة حسنة. اهـ وقال في «جزء حديث: لا تسبوا أصحابي» (ص/ ٦٠): رواه البرقاني في «المصافحة» وقال البرقاني: استحسنت قوله فيه «كل يوم» مع حسن إسناده. اهـ

(٢) تقدم أنه في «المسند» لأحمد (٢٠٠٩) بسند صحيح.

قلنا: لأن عبد الرحمن بن عوف ونظراءه هم من السابقين الأولين الذين صحبوه في وقت كان خالد وأمثاله يعادونه فيه، وأنفقوا أموالهم قبل الفتح، وقاتلوا، وهم أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد الفتح وقاتلوا، وكلًّا وعد الله الحسنى، فقد انفردوا من الصحبة بما لم يشركهم فيه خالد ونظراؤه ممن أسلم بعد الفتح الذي هو صلح الحديبية وقاتل، فنهى أن يسب أولئك الذين صحبوه قبله، ومن لم يصحبه قط نسبته إلى من صحبه كنسبة خالد إلى السابقين وأبعد.

وقوله: «**لا تسبوا أصحابي**» خطاب لكل أحد أن يسب من انفرد عنه بصحبته عليه الصلاة والسلام، وهذا كقوله عليه الصلاة والسلام في حديث آخر: «**أيها الناس إني أتيتكم فقلت: إني رسول الله إليكم فقلتم: كذبت، وقال أبو بكر: صدقت. فهل أنتم تاركو لي صاحبي؟ فهل أنتم تاركو لي صاحبي**»(١) أو كما قال بأبي هو وأمي ﷺ. قال ذلك لما غامر(٢) بعض الصحابة أبا بكر، وذاك الرجل من فضلاء أصحابه، ولكن امتاز أبو بكر عنه بصحبة انفرد بها عنه.

وعن محمد بن طلحة المدني، عن عبد الرحمن بن سالم بن عتبة بن عويم بن ساعدة، عن أبيه، عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله اختارني، واختار لي أصحابًا، جعل لي منهم وزراء وأنصارًا وأصهارًا، فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفًا ولا عدلًا**»(٣) وهذا محفوظ بهذا

---

(١) تقدم أنه عند البخاري (٣٦٦١).

(٢) غامر أي: خاصم.

(٣) أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (١٠٠٠)، والخلال في «السنة» (٨٣٤)، واللالكائي في «السنة» (٢٣٤١)، والأصبهاني في «الحجة» (٣٦٧)، والآجري في «الشريعة» (١٩٨٩، ١٩٩٠)، وابن الجوزي في «تلبيس إبليس» (ص/ ٩٠)، والطبراني في «الكبير» (ج١٢/ ص٧٤/ ح١٣٧٩٤)، وفي «الأوسط» (٤٥٦)، وقال: تفرد به محمد بن طلحة التيمي. اهـ، وأبو القاسم البغوي في «معجم الصحابة» (١٦٢٨)، والحاكم (٦٦٥٦)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه. اهـ، وابن قانع في «معجم الصحابة» (٨٢٠)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٤٤٢٤)، قال ابن الجوزي: والمراد بالعدل الفريضة، والصرف النافلة. اهـ، وقيل: الصرف التوبة، والعدل الفدية.

الإسناد. وقد روى ابن ماجه بهذا الإسناد حديثًا، وقال أبو حاتم في محمد هذا: محله الصدق يكتب حديثه، ولا يحتج به على انفراده، ومعنى هذا الكلام أنه يصلح للاعتبار بحديثه، والاستشهاد به، فإذا عضده آخر مثله جاز أن يحتج به، ولا يحتج به على انفراده.

وعن عبد الله بن مغفل قال: قال رسول الله ﷺ: **«الله الله في أصحابي، لا تتخذوهم غرضا من بعدي، من أحبهم فقد أحبني، ومن أبغضهم فقد أبغضني، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه»** رواه الترمذي وغيره من حديث عبيدة بن أبي رائطة، عن عبد الرحمن بن زياد عنه، وقال الترمذي: غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه[(١)].

وروى هذا المعنى من حديث أنس أيضًا، لفظه **«من سب أصحابي فقد سبني، ومن سبني فقد سب الله»** رواه ابن البناء[(٢)].

وعن عطاء بن أبي رباح عن النبي عليه الصلاة والسلام قال: **«لعن الله من سب أصحابي»** رواه أبو أحمد الزبيري: حدثنا محمد بن خالد عنه.

وقد روى عن ابن عمر مرفوعا من وجه آخر. ورواهما اللالكائي[(٣)].

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٨٦٢)، والإمام أحمد في «الفضائل» (٤)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٩٩٢) بسند ضعيف.

(٢) لم أجده.

(٣) أخرجه اللالكائي (٢٣٤٧، ٢٣٤٨)، والإمام أحمد في «الفضائل» (١٠)، وابن أبي عاصم في «السنة» (١٠٠١)، والطبراني في «الكبير» (ج١٢/ ص٤٣٤/ ح١٣٥٨٨)، وقال الشيخ الألباني في «ظلال الجنة» (٢/ ٤٨٣) عن حديث عطاء: حديث حسن، وإسناده مرسل صحيح، رجاله ثقات، رجال الشيخين، غير محمد بن خالد وهو صدوق. اهـ

وقال علي بن عاصم: أنبأ أبو قحذم حدثني أبو قلابة عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا ذكر القدر فأمسكوا، وإذا ذكر أصحابي فأمسكوا**» رواه اللالكائي(١).

ولما جاء فيه من الوعيد قال إبراهيم النخعي: كان يقال: شتم أبي بكر وعمر من الكبائر(٢). وكذلك قال أبو إسحاق السبيعي: شتم أبي بكر وعمر من الكبائر التي قال تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾(٣) [النساء: ٣١].

وإذا كان شتمهم بهذه المثابة فأقل ما فيه التعزير؛ لأنه مشروع في كل معصية ليس فيها حد ولا كفارة، وقد قال ﷺ: «**انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا**»(٤)، وهذا مما لا نعلم فيه خلافًا بين أهل الفقه والعلم من أصحاب رسول الله ﷺ والتابعين لهم بإحسان، وسائر أهل السنة والجماعة، فإنهم مجمعون على أن الواجب الثناء عليهم، والاستغفار لهم، والترحم عليهم، والترضي عنهم، واعتقاد محبتهم، وموالاتهم، وعقوبة من أساء فيهم القول.

---

(١) أخرجه اللالكائي (٢١٠)، والطبراني في «الكبير» (ج٢/ ص٩٣/ ح١٤٢٧)، وابن أبي زمنين في «أصول السنة» (١٨٦)، والحارث بن أبي أسامة كما في «البغية» (٧٤٢)، و«المطالب العالية» (٢٩٥٦)، و«إتحاف الخيرة» (٢٢٠).

وقال العراقي في «تخريج الإحياء» (٧٨): رواه الطبراني من حديث ابن مسعود بإسناد حسن. اهـ وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٤٥).

(٢) أخرجه اللالكائي (٧/ ١٢٦٢).

(٣) أخرجه اللالكائي (٧/ ١٢٦٢).

(٤) أخرجه البخاري (٢٤٤٣، ٢٤٤٤، ٦٩٥٢) عن أنس.

حجة من نفى القتل والتكفير عمن سب الصحابة

ثم من قال: لا أقتل بشتم غير النبي ﷺ. فإنه يستدل بقصة أبي بكر، وهو أن رجلًا أغلظ له -وفي رواية شتمه- فقال له أبو برزة: أقتله؟ فانتهره وقال: ليس هذا لأحد بعد النبي ﷺ(١). وبأنه كتب إلى المهاجر بن أبي أمية: إن حد الأنبياء ليس يشبه الحدود(٢). ولأن الله تعالى ميز بين مؤذي الله ورسوله ومؤذي المؤمنين، فجعل الأول ملعونًا في الدنيا والآخرة وقال في الثاني: ﴿فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١١٢]، ومطلق البهتان والإثم ليس بموجب للقتل، وإنما هو موجب للعقوبة في الجملة، فيكون عليه عقوبة مطلقة، ولا يلزم من العقوبة جواز القتل؛ ولأن النبي عليه الصلاة والسلام قال: «**لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله إلا بإحدى ثلاث: كفر بعد إيمان، أو زنًا بعد إحصان، أو رجل قتل نفسًا فيقتل بها**»(٣).

ومطلق السب لغير الأنبياء لا يستلزم الكفر؛ لأن بعض من كان على عهد النبي عليه الصلاة والسلام كان ربما سب بعضهم بعضًا، ولم يكفُر أحد بذلك؛ ولأن أشخاص الصحابة لا يجب الإيمان بهم بأعيانهم، فسب الواحد لا يقدح في الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٥٤)، والطيالسي (٤)، والحميدي (٦)، وأبو داود (٤٣٦٣)، والنسائي (٤٠٧١)، والبزار (٤٩)، وأبو يعلى (٨٠-٨٢)، والحاكم (٨٠٤٦)، وصححه الذهبي ووافقه الألباني.

(٢) رواه سيف بن عمر التميمي في كتاب «الردة والفتوح» عن شيوخه. وسيف بن عمر ضعيف، قال الحافظ ابن حجر في «التقريب»: سيف بن عمر التميمي صاحب كتاب «الردة» ويقال له: الضبي، ويقال غير ذلك، الكوفي، ضعيف في الحديث، عمدة في التاريخ، أفحش ابن حبان القول فيه. اهـ

(٣) أخرجه الإمام أحمد (٤٣٧، ٤٣٨)، والطيالسي (٧٢)، والشافعي (٢/ ٩٦)، والدارمي (٢٢٩٧)، وأبو داود (٤٥٠٢)، والترمذي (٢١٥٨)، والنسائي (٤٠١٩)، والبزار (٣٨١)، والطحاوي في «المشكل» (٢/ ٣٢١)، والبيهقي (٨/ ١٨-١٩، ١٩٤)، وصححه ابن الجارود في «المنتقى» (٨٣٦)، والحاكم (٤/ ٣٥٠) على شرطهما، وحسنه الترمذي من حديث عثمان بن عفان، وقد أخرجه البخاري (٦٨٧٨)، ومسلم (١٦٧٦) من حديث ابن مسعود بمعناه.

حجة من قال بكفر وقتل ساب الصحابة

و أما من قال: «يقتل الساب» أو قال: «يكفر» فلهم دلالات احتجوا بها منها: قوله تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ [الفتح: ٢٩] فلابد أن يغيظ بهم الكفار وإذا كان الكفار يغاظون بهم، فمن غيظ بهم فقد شارك الكفار فيما أذلهم الله به، وأخزاهم، وكَبَتَهم على كفرهم، ولا يشارك الكفار في غيظهم الذي كبتوا به جزاء لكفرهم إلا كافر؛ لأن المؤمن لا يكبت جزاء للكفر.

يوضح ذلك أن قوله تعالى: ﴿ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ﴾ [الفتح: ٢٩] تعليق للحكم بوصف مشتق مناسب؛ لأن الكفر مناسب؛ لأن يغاظ صاحبه، فإذا كان هو الموجب لأن يغيظ الله صاحبه بأصحاب محمد، فمن غاظه الله بأصحاب محمد فقد وجد في حقه ذلك وهو الكفر.

قال عبد الله بن إدريس الأودي الإمام: ما آمنُ أن يكونوا قد ضارعوا الكفار -يعني: الرافضة- لأن الله تعالى يقول: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾.

وهذا معنى قول الإمام أحمد: ما أراه على الإسلام.

ومن ذلك: ما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «من أبغضهم فقد أبغضني، ومن آذاهم فقد أذاني، ومن آذاني فقد أذى الله»(١)، وقال: «فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، ولا يقبل الله منه صرفًا ولا عدلًا»(٢) وأذى الله ورسوله كفر موجب للقتل، وبهذا يظهر الفرق بين أذاهم قبل استقرار الصحبة وأذى سائر المسلمين، وبين أذاهم بعد صحبتهم له فإنه على عهد قد كان الرجل ممن يظهر الإسلام يمكن أن يكون

(١) تقدم تخريجه.
(٢) تقدم تخريجه.

منافقًا، ويمكن أن يكون مرتدًّا، فأما إذا مات مقيمًا على الصحبة النبي ﷺ وهو غير مزنون(١) بنفاق فأذاه أذى مصحوبه، قال عبد الله بن مسعود: اعتبروا الناس بأخدانهم(٢). وقالوا:

عن المرء لا تسألْ وسلْ عن قرينِهِ * فكل قرينٍ بالمقارن يقتدي

وقال مالك رحمه الله: إنما هؤلاء أقوم أرادوا القدح في النبي عليه الصلاة والسلام فلم يمكنهم ذلك، فقدحوا في أصحابه حتى يقال: رجل سوء ولو كان رجلًا صالحًا لكان أصحابه صالحين، أو كما قال(٣).

وذلك أنه ما منهم رجل إلا كان ينصر الله ورسوله، ويذب عن رسول الله بنفسه وماله، ويعينه على إظهار دين الله، وإعلاء كلمة الله، وتبليغ رسالات الله وقت الحاجة، وهو حينئذ لم يستقر أمره ولم تنتشر دعوته، ولم تطمئن قلوب أكثر الناس بدينه، ومعلوم أن رجلًا لو عمل به بعض الناس نحو هذا ثم آذاه أحد لغضب له صاحبه، وعد ذلك أذى له، وإلى هذا أشار ابن عمر، قال نسير بن ذعلوق: سمعت ابن عمر رضي الله عنه يقول: «**لا تسبوا أصحاب محمد؛ فإن مقام أحدهم خير من عملكم كله**» رواه اللالكائي(٤).

---

(١) أي: متهم بنفاق. قال في «القاموس»: زنَّ فلانًا بخير أو شر: ظنه به، كأزنه، وأزنته بكذا: اتهمته به. اهـ وفي «أساس البلاغة» للزمخشري: فلان يزن بكذا، يتهم به، وزننته به وأزننته. اهـ

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٦١٠٥)، والطبراني في «الكبير» (ج٨/ ص١٠٥/ ح٨٨٢٧)، وابن بطة في «الإبانة الكبرى» (ج٢/ ص٤٣٩/ ح٣٨٢)، (ج٢/ ص٤٧٧/ ح٥٠١).

(٣) روى اللالكائي (٢٨١٢) عن الفريابي، أن بعض الخلفاء أخذ رجلين من الرافضة، فقال لهما: والله لئن لم تخبراني بالذي يحملكما على تنقص أبي بكر وعمر لأقتلنكما، فأبيا، فقدَّ أحدهما فضرب عنقه، ثم قال للآخر: والله لئن لم تخبرني لألحقنك بصاحبك، قال: فتؤمنّي؟ قال: نعم، قال: فإنا أردنا النبي ﷺ فقلنا: لا تبايعنا الناس عليه، فقصدنا هذين الرجلين، فتابعنا الناس على ذلك.

(٤) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول السنة» (٢٣٥٠)، والإمام أحمد في «فضائل الصحابة» (١٥)، وابن ماجه (١٦٢)، وابن أبي عاصم في «السنة» (١٠٠٦) بسند صحيح، وقال البوصيري في «الزوائد»: هذا إسناد صحيح، وحسنه الألباني.

وكأنه أخذه من قول النبي ﷺ: «**لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم أو نصيفه**»(١) وهذا تفاوت عظيم جدًّا.

ومن ذلك: ما روي عن علي ﷺ قال: «والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبي الأمي إلي أنه لا يحبك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق» رواه مسلم(٢).

ومن ذلك: ما خرجاه في الصحيحين، عن أنس أن النبي ﷺ قال: «**آية الإيمان حب الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار**»(٣)، وفي لفظه قال في الأنصار: «**لا يحبهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق**»(٤).

وفي الصحيحين أيضًا عن البراء بن عازب، عن النبي ﷺ أنه قال في الأنصار «**لا يحبهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منا فق، من أحبهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله**»(٥).

ولمسلم عن أبي هريرة النبي ﷺ قال: «**لا يبغض الأنصار رجل آمن بالله واليوم الآخر**»(٦).

وروى مسلم في صحيحه أيضا عن أبي سعيد ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**لا يبغض الأنصار رجل يؤمن بالله واليوم الآخر**»(٧).

فمن سبهم فقد زاد على بغضهم، فيجب أن يكون منافقًا لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر، وإنما خص الأنصار -والله أعلم- لأنهم هم الذين تبوؤوا الدار والإيمان من

---

(١) تقدم تخريجه من الصحيحين.
(٢) أخرجه مسلم (٧٨).
(٣) أخرجه البخاري (١٧)، ومسلم (٧٤).
(٤) أخرجه البخاري (٣٧٨٣)، ومسلم (٧٥) من حديث البراء بن عازب.
(٥) أخرجه البخاري (٣٧٨٣)، ومسلم (٧٥) من حديث البراء بن عازب.
(٦) أخرجه مسلم (٧٦).
(٧) أخرجه مسلم (٧٧).

قبل المهاجرين، وآووا رسول الله ﷺ، ونصروه، ومنعوه، وبذلوا في إقامة الدين النفوس والأموال، وعادوا الأحمر والأسود من أجله، وآووا المهاجرين وواسوهم في الأموال، وكان المهاجرين- إذ ذاك- قليلًا، غرباء، فقراء، مستضعفين، ومن عرف السيرة وأيام رسول الله عليه الصلاة والسلام وما قاموا به من الأمر، ثم كان مؤمنًا يحب الله ورسوله لم يملك أن لا يحبهم، كما أن المنافق لا يملك أن لا يبغضهم وأراد بذلك ـ والله أعلم ـ أن يعرف الناس قدر الأنصار؛ لعلمه بأن الناس يكثرون والأنصار يقلون، وأن الأمر سيكون في المهاجرين، فمن شارك الأنصار في نصر الله ورسوله بما أمكنه، فهو شريكهم في الحقيقة، كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ ﴾ [الصف: ١٤] فبغض من نصر الله ورسوله من أصحابه نفاق.

ومن هذا: ما رواه طلحة بن مصرف قال: كان يقال: بغض بني هاشم نفاق، وبغض أبي بكر وعمر نفاق، والشاك في أبي بكر كالشاك في السنة[(١)].

ومن ذلك: ما رواه كثير النَّوَّاء، عن إبراهيم بن الحسن بن علي بن أبي طالب، عن أبيه، عن جده قال: قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: قال رسول الله عليه الصلاة والسلام: «**يظهر في أمتي في آخر الزمان قوم يسمون الرافضة يرفضون الإسلام**». هكذا رواه عبد الله بن أحمد في مسند أبيه. وفي «السنة» من وجوه صحيحة عن يحيى بن عقيل: ثنا كثير ورواه أيضا من حديث أبي شهاب عبد ربه بن نافع الحناط، عن كثير النواء، عن إبراهيم بن الحسن، عن أبيه، عن جده يرفعه قال: «**يجيء قوم قبل قيام الساعة يسمون الرافضة براء من الإسلام**» وكثير النواء يضعفونه[(٢)].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في «الفضائل» (١٨٩٥)، واللالكائي (٢٣٨٩)، والخلال في «السنة» (٣٥٣).

(٢) أخرجه عبد الله بن أحمد في «زوائد المسند» (٨٠٨)، وفي «السنة» (١٢٦٨، ١٢٧٠)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٩٧٨)، والبزار (٤٩٩)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (١/ ٢٧٩، ٢٨٥)، وإسناده ضعيف فيه كثير النَّوَّاء، وضعفه الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٢٢)، والألباني في «ظلال الجنة» (٢/ ٥٤٦)، وأحمد شاكر في «تخريج المسند» (١/ ١٣٦).

وروى أبو يحيى الحماني عن أبي جناب الكلبي عن أبي سليمان الهمداني -أو النخعي- عن عمه عن علي قال: قال لي النبي عليه الصلاة والسلام: «**يا علي أنت وشيعك في الجنة وإن قوما لهم نَبَزٌ**[1] **يقال لهم الرافضة، إن أدركتهم فاقتلهم، فإنهم مشركون**» قال علي: ينتحلون حبنا أهل البيت وليسوا كذلك، وآية ذلك أنهم يشتمون أبا بكر وعمر رضي الله عنهما. ورواه عبد الله بن أحمد: حدثني محمد بن إسماعيل الأحمسي، ثنا أبو يحيى[2].

ورواه أبو بكر الأثرم في «سننه»: حدثنا معاوية بن عمرو، حدثنا فضيل بن مرزوق، عن أبي جناب، عن أبي سليمان الهمداني، عن رجل من قومه قال: قال علي: قال رسول الله ﷺ: «**ألا أدلك على عمل إن عملته كنت من أهل الجنة؟ وإنك من أهل الجنة، إنه سيكون بعدنا قوم لهم نَبَزٌ يقال لهم: الرافضة، فإن أدركتموهم فاقتلوهم، فإنهم مشركون**». قال: وقال علي رضي الله عنه: سيكون بعدنا قوم سيكون ينتحلون مودتنا يكذبون علينا، مارقة، آية ذلك أنهم يسبون أبا بكر وعمر رضي الله عنهما[3].

ورواه أبو القاسم البغوي: حدثنا سويد بن سعيد حدثنا محمد بن حازم، عن أبي جناب الكلبي، عن أبي سليمان الهمداني، عن علي رضي الله عنه قال: «**يخرج في آخر الزمان قوم لهم نَبَزٌ**، يقال لهم: الرافضة، يعرفون به وينتحلون شيعتنا، وليسوا من شيعتنا، وآية ذلك أنهم يشتمون أبا بكر وعمر، وأينما أدركتموهم فاقتلوهم، فإنهم مشركون»[4].

وقال سويد: حدثنا مروان بن معاوية، عن حماد بن كيسان، عن أبيه -وكانت أخته سُرِّية[5] لعلي رضي الله عنه- قال: سمعت عليا يقول: «يكون في آخر الزمان قوم لهم نبز يسمون

---

(١) النبز: بفتح النون وسكون الباء: اللمز، وبفتحهما: اللقب. قاله في «القاموس».

(٢) أخرجه عبد الله بن أحمد في «السنة» (١٢٧٢ ط. القحطاني)، وسنده ضعيف، أبو جناب الكلبي ضعيف مدلس، وأبو سليمان الهمداني، مجهول العين، والمتن منكر.

(٣) أخرجه اللالكائي (٢٨٠٣) من طريق الأثرم به، وسنده ضعيف منقطع.

(٤) أخرجه اللالكائي (٢٨٠٧)، وسنده ضعيف كسابقيه.

(٥) السُّرِّيَّة بضم السين وكسر الراء وفتح الياء وتشديدهنَّ: الأمة التي يطؤها سيدها.

الرافضة يرفضون الإسلام فاقتلوهم فإنهم مشركون»[١] فهذا الموقوف على علي ﷺ شاهد في المعنى لذلك المرفوع.

وروي هذا المعنى مرفوعا من حديث أم سلمة، وفي إسناده سوار بن مصعب، وهو متروك[٢].

وروى ابن بطة بإسناده عن أنس قال: رسول الله عليه الصلاة والسلام: «**إن الله اختارني واختار أصحابي، فجعلهم أنصاري، وجعلهم أصهاري، وإنه سيجيء في آخر الزمان قوم يبغضوهم، ألا فلا تواكلوهم ولا تشاربوهم، ألا فلا تناكحوهم، ألا فلا تصلوا معهم ولا تصلوا عليهم، عليهم حلت اللعنة**» وفي هذا الحديث نظر[٣].

وروى ما هو أغرب من هذا وأضعف رواه ابن البناء، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**ولا تسبوا أصحابي، فإن كفارتهم القتل**»[٤].

---

(١) أخرجه اللالكائي (٢٨٠٦).

(٢) أخرجه ابن الأعرابي في «المعجم» (١٥٠٣)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٩٨٠)، والخطيب في «تاريخه» (١٢/ ٣٥٨)، والطبراني في «الأوسط» (٦٦٠٥) وسنده تالف.

(٣) أخرجه الخلال في «السنة» (٧٦٩)، والخطيب في «الكفاية» (٩٦)، وابن الجوزي في «العلل المتناهية» (١/ ١٦٢) وقال: قال ابن حبان: خبر باطل لا أصل له. اهـ

(٤) لم أقف عليه، وليس فيه غرابة؛ فإن معناه: لا تسبوهم لما يبدر منهم، فإنَّ القتل كفارة لخطاياهم إن وجدت، ويشهد لهذا حديث سعد بن طارق بن أشيم الأشجعي، عن أبيه أنه سمع النبي ﷺ يقول: «بحسب أصحابي القتل». أخرجه أحمد (١٥٨٧٦)، وابن أبي شيبة (٣٨٥٠٩)، والبزار (٢٧٦٧)، والطبراني (ج٧/ ص٣٧٣/ ح٨١١٨)، وابن أبي عاصم في «السنة» (١٤٩٣)، وفي «الآحاد والمثاني» (١٣٠٧)، والحارث بن أبي أسامة (٧٦٠ - بغية)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٣٤٦)، وعن سعيد بن زيد أن رسول الله ﷺ قال: «سيكون بعدي فتن يكون فيها ويكون» فقلنا: إن أدركنا ذلك هلكنا؟ قال: «بحسب أصحابي القتل». أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (١٤٩١)، والبزار (١٢٦١)، والطبراني في «الكبير» (ج١/ ص١٥٠/ ح٣٤٦) واللفظ له. وحسن إسناده الألباني في «الصحيحة» (٣/ ٤٢٠).
قال السندي في حاشية المسند: قوله: «بحسب أصحابي» الباء زائدة. أي: يكفيهم القتل. أي: إذا وقع من أحد ذنب، ثم قتل فهو يكفي جزاء لذنبه. اهـ

وأيضًا فإن هذا مأثور عن أصحاب النبي ﷺ فروى أبو الأحوص، عن مغيرة، عن شباك، عن إبراهيم قال: بلغ عليَّ بنَ أبي طالب أن عبد الله بن السوداء[(١)] يبغض أبا بكر وعمر فهم يقتله، فقيل له: تقتل رجلًا يدعو إلى حبكم أهل البيت؟ فقال: لا يساكنني في دار أبدًا[(٢)].

وفي رواية عن شباك قال: بلغ عليًّا أن ابن السوداء يبغض أبا بكر وعمر قال: فدعاه ودعا بالسيف- أو قال: فهم بقتله- فكلم فيه فقال: لا يساكنني ببلد أنا فيه. فنفاه إلى المدائن[(٣)]. وهذا محفوظ عن أبي الأحوص وقد رواه النجاد، وابن بطة، واللالكائي، وغيرهم، ومراسيل إبراهيم جياد.

ولا يظهر عن علي ﵁ أنه يريد قتل رجل إلا وقتله حلال عنده، ويشبه -والله أعلم- أن يكون إنما تركه خوف الفتنة بقتله، كما كان النبي عليه الصلاة والسلام يمسك عن قتل بعض المنافقين، فإن الناس تشتتت قلوبهم عَقِبَ فتنة عثمان ﵁، وصار في عسكره من أهل الفتنة أقوام لهم عشائر، لو أراد الانتصار منهم لغضبت لهم عشائرهم، وبسبب هذا وشبهه كانت فتنة الجمل.

وعن سلمة بن كهيل عن سعيد بن عبد الرحمن بن أبزى قال: قلت لأبي: يا أبت، لو كنتَ سمعتَ رجلًا يسب عمر بن الخطاب ﵁ ما كنت تصنع به؟ قال: كنت أضرب عنقه، هكذا رواه الأعمش عنه، ورواه الثوري عنه، ولفظه: قلت لأبي: يا أبت لو أتيت برجل يشهد على عمر بن الخطاب ﵁ بالكفر أكنت تضرب عنقه؟ قال: نعم. رواه الإمام أحمد وغيره[(٤)]، ورواه ابن عيينة، عن خلف بن حوشب، عن سعيد بن عبد

---

(١) هو رأس الفتنة والتشيع عبد الله بن سبأ اليهودي، المنافق، أظهر الإسلام كيدًا لأهل الإسلام، ثم أظهر التشيع.

(٢) أخرجه اللالكائي (٢٣٨٠).

(٣) أخرجه اللالكائي (٢٣٧٩).

(٤) أخرجه الخلال في «السنة» (٣٠٤).

الرحمن بن أبزى قال: قلت لأبي: لو أتيت برجل يسب أبا بكر ما كنت صانعًا؟ قال: أضرب عنقه. قلت: فعمر؟ قال: أضرب عنقه(١). وعبد الرحمن بن أبزى من أصحاب النبي ﷺ أدركه وصلى خلفه، وأقره عمر رضي الله عنه عاملًا على مكة وقال: هو ممن رفعه الله بالقرآن. بعد أن قيل له: إنه عالم بالفرائض قارئ لكتاب الله(٢)، واستعمله علي رضي الله عنه على خراسان.

وروى قيس بن الربيع، عن وائل، عن البهي قال: وقع بين عبيد الله بن عمر(٣) وبين المقداد(٤) كلام، فشتم عبيد الله المقداد فقال عمر: «علي بالحداد أقطع لسانه لا يجترئ أحد بعده يشتم أحدًا من أصحاب النبي ﷺ». وفي رواية: «فهم عمر بقطع لسانه فكلمه فيه أصحاب محمد ﷺ، فقال: «ذروني أقطع لسان ابني لا يجترئ أحد بعده يسب أحدًا من أصحاب محمد ﷺ». رواه حنبل، وابن بطة، واللالكائي، وغيرهم(٥) ولعل عمر إنما كف عنه لما شفع فيه أصحاب الحق، وهم أصحاب النبي ﷺ، ولعل المقداد كان فيهم.

وعن عمر بن الخطاب أنه أُتِيَ بأعرابي يهجو الأنصار فقال: لولا أن له صحبة لكفيتكموه. رواه أبو ذر الهروي(٦).

---

(١) أخرجه اللالكائي (١٣٧٨).

(٢) أخرجه مسلم (٨١٧).

(٣) عبيد الله بن عمر بن الخطاب أصغر من عبد الله.

(٤) هو المقداد بن الأسود من فضلاء الصحابة.

(٥) أخرجه اللالكائي (٢٣٧٦).

(٦) أخرجه أبو القاسم البغوي في «مسند ابن الجعد» (٢٦٥٧) من حديث أبي سعيد الخدري، وقال السيوطي في «مناهل الصفا في تخريج الشفا» (١٣٦٢)، وأخرجه محمد بن قدامة المروزي في كتاب الخوارج عن أبي سعيد بسند رجاله ثقات. اهـ

ويؤيد ذلك ما روى الحكم بن حجل قال: سمعت عليًّا يقول: «لا يفضلني أحد على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما إلا جلدته حد المفتري»[١]. وعن علمقة بن قيس قال: خطبنا علي رضي الله عنه فقال: «إنه بلغني أن قوما يفضلونني على أبي بكر عمر، ولو كنت تقدمت[٢] في هذا لعاقبت فيه، ولكني أكره العقوبة قبل التقدم، ومن قال شيئًا من ذلك فهو مفترٍ، عليه ما على المفتري، خير الناس كان بعد رسول الله ﷺ أبو بكر ثم عمر». رواهما عبد الله بن أحمد[٣]. وروى ذلك ابن بطة واللالكائي من حديث سويد بن غفلة عن علي في خطبة طويلة خطبها[٤].

وروى الإمام أحمد بإسناد صحيح عن ابن أبي ليلى قال: تداروا[٥] في أبي بكر وعمر، فقال رجل من عطارد[٦]: عمر أفضل من أبي بكر. فقال الجارود[٧]: بل أبو بكر أفضل منه. قال: فبلغ ذلك عمر، قال: فجعل يضربه ضربًا بالدرة، حتى شغر برجله[٨]، ثم أقبل إلى الجارود فقال: «إليك عنى». ثم قال عمر: «أبو بكر كان خير الناس بعد رسول الله عليه الصلاة والسلام في كذا وكذا». ثم قال عمر: «من قال غير

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في «الفضائل» (٤٩)، وابنه عبد الله في «السنة» (١٣١٢) بسند ضعيف.

(٢) أي: لو حذرتكم قبل هذا الوقت.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في «الفضائل» (٤٨٤)، وابنه عبد الله في «السنة» (١٣٩٤)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٩٩٤)، واللالكائي (٢٦٧٨)، وحسنه الشيخ الألباني في «ظلال الجنة» (٢/ ٢٨٠)، وقال: ولأصل الحديث طرق كثيرة جدًّا. اهـ

(٤) أخرجه الإمام أبو إسحاق الفزاري في «المغازي» (٦٤٧)، واللالكائي (٤٤٥٦).

(٥) أي: تدارؤوا بهمزة قال في «القاموس»: تدارؤوا: تدافعوا في الخصومة. اهـ أي: دفع بعضهم حجة بعض في المجادلة.

(٦) قبيلة من بني عبد القيس بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان.

(٧) أبو المنذر بشر بن حنش العبدي، سيد عبد القيس، صحابي لقب بالجارود؛ لأنه غزا قومًا في الجاهلية فجردهم واستأصلهم، واستشهد في معركة نهاوند مع النعمان بن مقرن المزني.

(٨) أي: رفعها.

هذا أقمنا عليه ما نقيم على المفتري»[(١)].

فإذا كان الخليفتان الراشدان عمر وعلي رضي الله عنهما يجلدان حد المفتري، من يفضل عليًّا على أبي بكر وعمر، أو من يفضل عمر على أبي بكر -مع أن مجرد التفضيل ليس فيه سب ولا عيب- علم أن عقوبة السب عندهما فوق هذا بكثير.

تكفير المالهة لعلي والمغلطة لجبريل

أمَّا مَن اقترن بسبه دعوى أن عليًّا إله، أو أنه كان هو النبي وإنما غلط جبرئيل في الرسالة، فهذا لا شك في كفره، بل لا شك في كفر من توقف في تكفيره.

وكذلك من زعم منهم أن القرآن نُقِصَ منه آيات وكتمت، أو زعم أن له تأويلات باطنة تسقط الأعمال المشروعة، ونحو ذلك، وهؤلاء يسمون القرامطة والباطنية، ومنهم التناسخية، وهؤلاء لا خلاف في كفرهم.

السبب فيما دون العدالة والقدح في الدين

وأما من سبهم سبًّا لا يقدح في عدالتهم، ولا في دينهم -مثل وصف بعضهم بالبخل، أو الجبن، أو قلة العلم، أو عدم الزهد، ونحو ذلك- فهذا هو الذي يستحق التأديب والتعزير، ولا نحكم بكفره بمجرد ذلك، وعلى هذا يحمل كلام من لم يكفرهم من أهل العلم.

وأما من لعن وقبح مطلقًا فهذا محل الخلاف فيهم لتردد الأمر بين لعن الغيظ ولعن الاعتقاد.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في «الفضائل» (٣٩٦)، وابنه عبد الله في «السنة» (١٣٦٥)، واللالكائي (٢٤٤٨).

وأما من جاوز ذلك إلى أن زعم أنهم ارتدوا بعد رسول الله عليه الصلاة والسلام، إلا نفرًا قليلًا يبلغون بضعة عشر نفسًا، أو أنهم فسقوا عامتهم فهذا لا ريب أيضا في كفره؛ لأنه مكذِّبٌ لما نصَّه القرآن في غير موضع: من الرضا عنهم والثناء عليهم؛ بل من يشك في كفر مثل هذا فإن كفره متعين؛ فإن مضمون هذه المقالة أن نقلة الكتاب والسنة كفار أو فساق، وأن هذه الآية التي هي ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران: ١١٠] -وخيرها هو القرن الأول- كان عامتهم كفارًا أو فساقًا، ومضمونها أن هذه الأمة شر الأمم، وأن سابقي هذه الأمة هم شرارهم، وكفر هذا مما يعلم باضطرار من دين الإسلام.

ولهذا تجد عامة من ظهر عليه شيء من هذه الأقوال فإنه يتبين أنه زنديق، وعامة الزنادقة إنما يستترون بمذهبهم، وقد ظهرت لله فيهم مثلات وتواتر النقل بأن وجوههم تمسخ خنازير في المحيا والممات، وجمع العلماء ما بلغهم في ذلك ممن صنف فيه الحافظ الصالح أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي كتابه في «النهي عن سب الأصحاب وما جاء فيه من الإثم والعقاب»(١).

وبالجملة فمن أصناف السابة من لا ريب في كفره، ومنهم من لا يحكم بكفره، ومنهم من تردد فيه، وليس هذا موضع الاستقصاء في ذلك، وإنما ذكرنا هذه المسائل؛ لأنها من تمام الكلام في المسألة التي قصدنا لها. اهـ

---

(١) مطبوع، وقد ذكر فيه أخبارًا كثيرة من ذلك، ومؤلفه هو الحافظ الكبير أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد الضياء المقدسي، صاحب «المختارة في الأحاديث الصحيحة».

وجوب الإمساك عمَّا شجر بين الصحابة من حروب وفتن

قوله: (وَيُمْسِكُونَ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَ الصَّحَابَةِ).

❁ **آل الشيخ**: (يمسكون). أي: يكفون. و(شجر). أي: وقع من النزاع بين علي ومعاوية رضي الله عنهما من الحروب بينهما؛ لأن تلك الأمور اجتهادية وهم على قسمين: مجتهد مصيب، ومجتهد مريد للحق مخطئ، فاته أجر الإصابة، وصار له أجر الاجتهاد، مع العلم والقول أن أَوْلى الطائفتين علي رضي الله عنه ومن معه.

هذه طريقة أهل السنة يمسكون عما شجر بين الصحابة -في الحروب والوقائع- إذا جاء الخوض ويكفون، فلا يكونون في هذا الجانب ولا في هذا الجانب.

هذا من أصول أهل السنة: الكفُّ عمَّا كان بين الصحابة، وعدم الخوض فيها، وعدم الكلام وتُترك. اهـ

❁ **ابن باز**: فالواجب حبهم في الله، والترضي عنهم، والكف عن مساوئهم فيما شجر بينهم. اهـ

موقف أهل السنة في الخلاف والفتن التي حصلت بين الصحابة رضي الله عنهم

❁ **العثيمين**: موقفهم في ذلك أن ما جرى بينهم فإنه باجتهاد من الطرفين، وليس عن سوء قصد، والمجتهد إن أصاب فله أجران، وإن أخطأ فله أجر واحد، وليس ما جرى بينهم صادرًا عن إرادة علو ولا فساد في الأرض؛ لأن حال الصحابة رضي الله عنهم تأبى ذلك؛ فإنهم أوفر الناس عقولًا، وأقواهم إيمانًا، وأشدهم طلبًا للحق، كما قال النبي ﷺ: «خير الناس قرني»[1].

---

(١) تقدم تخريجه من الصحيحين.

وعلى هذا فطريق السلامة أن نسكت عن الخوض فيما جرى بينهم، ونرد أمرهم إلى الله؛ لأن ذلك أسلم من وقوع عداوة أو حقد على أحدهم. اهـ

* **ابن مانع**: هذا هو الحق الذي يجب المصير إليه، ولقد ضل كثير من المؤرخين المتنطعين فجعلوا أنفسهم كأنهم حكام بين أصحاب رسول الله ﷺ، فصوبوا وخطَّؤوا بلا دليل، بل باتباع الهوى وضعف الدين، ولقد أحسن ابن عدوان النجدي بقوله حيث قال:

وتُمسِكُ عمَّا كان بين صِحابِهِ * وما صح معذورون فيه فقل قدِ
فإما لهم أجران أو أجر يا فتى * فلا تبغِ قولًا غير ذلك تهتدِ
وليسوا بمعصومين فاسمع مقالَنا * ولكن لهم ما يوجب العفو فاهتدِ
فقد صح عن خير الخلائق أنهم * لَخيرُ القرونِ، افهم بغير ترددِ

اهـ.

* **الهراس**: ويمسك أهل السنة والجماعة عن الخوض فيما وقع من نزاع بين الصحابة ﷺ، لا سيما ما وقع بين علي وطلحة والزبير بعد مقتل عثمان، وما وقع بعد ذلك بين علي ومعاوية وعمرو بن العاص وغيرهم، ويرون أن الآثار المروية في مساوئهم أكثرها كذب، أو محرف عن وجهه، وأما الصحيح منها فيعذرونهم فيه، ويقولون: إنهم متأولون مجتهدون.

الموقف من الآثار الواردة في اختلاف الصحابة ومساوئهم

❁ آل الشيخ: قوله: (وَيَقُولُونَ: إِنَّ هَذِهِ الآثَارَ المَرْوِيَّةَ فِي مَسَاوِيهِمْ مِنْهَا مَا هُوَ كَذِبٌ، وَمِنْهَا مَا قَدْ زِيدَ فِيهِ وَنُقِصَ وَغُيِّرَ عَنْ وَجْهِهِ).

❁ آل الشيخ: «فِي مَسَاوِيهِمْ» أي: في عيوبهم «مِنْهَا مَا هُوَ كَذِبٌ» أي: كذب من أصله، ولا أصل له بحال أبدًا، هذا مسلك أهل السنة والجماعة، «وَمِنْهَا مَا قَدْ زِيدَ فِيهِ وَنُقِصَ وَغُيِّرَ عَنْ وَجْهِهِ» أي: ومنها ما له أصل، لكن ما بقي على أصله، بل غُيِّر. وهذا في القول العام في الصحابة، فإنهم لا يجتمعون على ضلالة.

قوله: (وَالصَّحِيحُ مِنْهُ هُمْ فِيهِ مَعْذُورُونَ، إِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُصِيبُونَ، وَإِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُخْطِئُونَ).

«وَالصَّحِيحُ مِنْهُ» أي: الذي يثبت منه وهو الأقل، وهذا خاص بالأفراد «هُمْ فِيهِ مَعْذُورُونَ، إِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُصِيبُونَ» فيكون لهم أجران ﷺ «وَإِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُخْطِئُونَ» والخطأ مغفور لهم، فأعمالهم مترددة بين أن يكون لهم فيها أجران أو أجر، مثل الحاكم إذا اجتهد فأصاب له أجران، وإن اجتهد وأخطأ فله أجر واحد[(١)]. اهـ

❁ العثيمين: موقفهم من الآثار الواردة في مساوئ بعضهم على قسمين:

الأول صحيح، لكنهم معذورون فيه؛ لأنه واقع عن اجتهاد، والمجتهد إذا أخطأ له أجر، وإن أصاب فله أجران.

الثاني غير صحيح: إما لكونه كذبًا من أصله، وإما لكونه زيد فيه أو نقص أوغير عن وجهه، وهذا القسم لا يقدح فيهم؛ لأنه مردود. اهـ

---

(١) أخرجه البخاري (٧٣٥٢)، ومسلم (١٧١٦) عن عمرو بن العاص وأبي هريرة، عن النبي ﷺ يقول: «إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر».

الصحابة غير معصومين في أفرادهم، وإنما العصمة في إجماعهم وجملتهم

قوله: (وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ لا يَعْتَقِدُونَ أَنْ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ مَعْصُومٌ عَنْ كَبَائِرِ الإِثْمِ وَصَغَائِرِهِ، بَل يَجُوزُ عَلَيْهِمْ الذُّنُوبُ فِي الجُمْلَةِ).

❁ قال الشيخ: أي: وأهل السنة والجماعة لا يعتقدون أن كل فرد منهم معصوم عن كبائر الإثم وصغائره، بل تجوز عقلًا، وغير مستحيلة.

قوله: (بَل يَجُوزُ عَلَيْهِمْ الذُّنُوبُ فِي الجُمْلَةِ) فهذا من التجويز الوقوعي، لا أنه يجوز لهم في الأحكام. أي: تجوز عليهم، لا أنها تجوز لهم. فالذنوب متصورة من أحدهم، والعصمة إنما هي لجميعهم أن يكونوا مجتمعين على ضلالة. اهـ

أسباب مغفرة الذنوب إن وقعت

قوله: (وَلَهُمْ مِنَ السَّوَابِقِ وَالفَضَائِلِ مَا يُوجِبُ مَغْفِرَةَ مَا يَصْدُرُ مِنْهُمْ إِنَّ صَدَرَ، حَتَّى إِنَّهُمْ يُغْفَرُ لَهُمْ مِنَ السَّيِّئَاتِ مَا لا يُغْفَرُ لِمَنْ بَعْدَهُمْ؛ لأَنَّ لَهُمْ مِنَ الحَسَنَاتِ الَّتِي تَمْحُو السَّيِّئَاتِ مَا لَيْسَ لِمَنْ بَعْدَهُمْ، وَقَدْ ثَبَتَ بِقَوْلِ رَسُولِ الله ﷺ أَنَّهُمْ خَيْرُ القُرُونِ).

❁ قال الشيخ: أي: لهم من السوابق إلى الإسلام وقوة الإيمان واليقين والجهاد.

وقوله: (وَقَدْ ثَبَتَ بِقَوْلِ رَسُولِ الله ﷺ أَنَّهُمْ خَيْرُ القُرُونِ) كما في حديث: «خير الناس قرني...» الحديث، و«خير أمتي قرني...» الحديث.

وقوله: (وَأَنَّ الْمُدَّ مِنْ أَحَدِهِمْ إِذَا تَصَدَّقَ بِهِ كَانَ أَفْضَلَ مِنْ جَبَلِ أُحُدٍ ذَهَبًا مِمَّنْ بَعْدَهُمْ).

قد ثبت بقول رسول الله ﷺ مخاطبًا خالدًا ومن معه، وكان منهم: «**لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أُحد ذهبًا**» ما بلغ مثل مُدِّ مَنْ تقدَّمه من الصحابة، فكيف بمن بعد الصحابة، ومن بعدهم فمن بعدهم؟!

والمد من أحدهم من البرِّ ونحوه إذا تصدق به، كان خيرًا وأفضل عند الله من جبل أحد ذهبًا ممن بعدهم، فهذه فضيلة ومنقبة لهم، بل قال ذلك النبي ﷺ لبعض الصحابة السابق منهم، فكيف بمن بعد الصحابة، ومن بعدهم؟! فهذا بَوْنٌ بعيد وتفاوت عظيم.

وهذا يبين لك أن الأعمال لا تتفاوت وتتفاضل إلا بتفاضل ما في القلوب، وصدور العمل معتمد على النية، والإخلاص، وسماح النفس، فالصحابة أكمل الناس إيمانًا وإخلاصًا وعلمًا، وأيضًا صحبتهم الرسول ﷺ التي امتازوا بها عن غيرهم. فقاتل الله الروافض.

وقوله: (ثُمَّ إِذَا كَانَ قَدْ صَدَرَ مِنْ أَحَدِهِمْ ذَنْبٌ؛ فَيَكُونُ قَدْ تَابَ مِنْهُ، أَوْ أَتَى بِحَسَنَاتٍ تَمْحُوهُ، أَوْ غُفِرَ لَهُ بِفَضْلِ سَابِقَتِهِ، أَوْ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ الَّذِي هُمْ أَحَقُّ النَّاسِ بِشَفَاعَتِهِ أَوْ ابْتُلِيَ بِبَلَاءٍ فِي الدُّنْيَا كُفِّرَ بِهِ عَنْهُ).

تقدم لك أن الفرد منهم غير معصوم، إذا قدرنا أن واحدًا منهم قد صدر منه ذنب وثبت، وهو غير معصوم، فإنه تَعْرِضُه هذه الأمور:

الأول: التوبة، والتوبة تَجُبُّ ما قبلها، فهم أسرع شيء إلى المبادرة بالتوبة والإقلاع عما صار منهم، بل هذا ممكن قريب، وهو الأحرى بهم ﷺ، ثم الشخص قد يكون بعد الذنب والتوبة أكمل منه قبله.

الثاني: كثرة الأعمال ورجحانها على السيئات، كما في قصة أهل بدر، فإن الحسنات يذهبن السيئات، وفي الحديث: «**وأتبع السيئةَ الحسنةَ تمحها**»[(١)].

الثالث: **أو غفر له بفضل سابقته وجهاده مع النبي ﷺ**، فإن صاحب السابقة يغفر له ما لا يغفر لغيره، فإنها شيء كبير من الفضل؛ ولهذا نوّه الله عن أهل السبق في كتابه فقال: ﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

الرابع: **أَوْ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ الَّذِي هُمْ أَحَقُّ النَّاسِ بِشَفَاعَتِهِ**، هذا للعصاة من أمته، فإن شفاعته هي دعوته لأمته، فإنه ﷺ أخبر أن شفاعته نائلة العصاة من أمته كما في الحديث: «**لكل نبي دعوة مستجابة، فتعجل كل نبي دعوته، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، فهي نائلة- إن شاء الله- من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئًا**»[(٢)]، فأولى الناس بهذه الشفاعة من العصاة الصحابة، لامتيازهم على الأمة، وَلِمَ لا يكونون أولى وهم خير القرون؟!

الخامس: **أو ابتلي ببلاء من مصائب ببدنه، أو أهله، أو ماله**، فإنها ليست حسنات، بل مكفِّرات، وهي نوعُ امتحان، ولكنها غالبًا تسبب إما عملًا صالحًا وهو الصبر، أو سوءًا وهو الجزع، فإن المصائب مكفِّرات للذنوب مطهِّرات، والصحابة أولى الناس بها، فإنهم ليسوا أهل ترافات، بل هم أحرى بالمصائب المنكبات كما في الحديث: «**أشد الناس بلاءً الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل**»[(٣)].

---

(١) رواه أحمد (٢١٣٥٤، ٢١٤٠٣)، والترمذي (١٩٨٧)، والدارمي (٢٧٩١)، والبيهقي في «الشعب» (٨٠٢٦)، و«الزهد» (٨٦٩)، والبزار (٤٠٢٢) بأسانيد صحيحة بالمتابعات من حديث أبي ذر ﷺ.

(٢) رواه مسلم (١٩٩).

(٣) رواه الإمام أحمد (١٦٠٧)، وأبو داود (٣٠٩٠)، والترمذي (٢٣٩٨)، والنسائي في «الكبرى» (٧٤٨١)، وابن ماجه (٤٠٢٣)، وصححه ابن حبان (٢٩٠٠)، والحاكم (١٢٠) عن سعد بن أبي وقاص أنه قال: يا =

فهذه خمسة أسباب لمغفرة الذنب، إذا صدر عن أحد من الصحابة فهو بعُرْضَةِ خمسة أشياء، والمصنف ذكر في بعض مؤلفاته كـ«منهاج السنة» عشرة أسباب في تكفير الذنوب(١).

وقوله: (فَإِذَا كَانَ هَذَا فِي الذُّنُوبِ الْمُحَقَّقَةِ؛ فَكَيْفَ الأُمُورُ الَّتِي كَانُوا فِيهَا مُجْتَهِدِينَ إِنْ أَصَابُوا؛ فَلَهُمْ أَجْرَانِ) يعني: الأسباب العشرة التي ذكر منها هنا خمسة. فَإِذَا كَانَ هَذَا في «الذنوب المحقَّقة» أنها بعرضة هذه الأسباب «فكيف بالأمور» التي ليست محقَّقةً، بل اجتهاد، وليست ذنوبًا محضة «التي كانوا فيها مجتهدين، إن أصابوا» في الحصول على الخير والعمل به «فلهم أجران» أجر الاجتهاد، وأجر الإصابة.

وقوله: (وَإِنْ أخطؤوا فَلَهُمْ أَجْرٌ وَاحِدٌ، وَالخَطَأُ مَغْفُورٌ) أي: إن فاتهم أجر الإصابة، ما فاتهم أجر الاجتهاد والحرص على الخير. اهـ

❁ **الهراس**: وهم مع ذلك لا يدّعون لهم العصمة من كبار الذنوب وصغارها، ولكن ما لهم من السوابق والفضائل وصحبة رسول الله ﷺ والجهاد معه قد يوجب مغفرة ما يصدر منهم من زلات، فهم بشهادة رسول الله ﷺ: «خير القرون»، وأفضلها، ومُدُّ أحدهم أو نصيفه أفضل من جبل أُحد ذهبًا يتصدق به مَن بعدهم، فسيئاتهم مغفورة إلى جانب حسناتهم الكثيرة. اهـ

❁ **العثيمين**: الصحابة ليسوا معصومين من الذنوب، فإنهم يمكن أن تقع منهم المعصية كما تقع من غيرهم، لكنهم أقرب الناس إلى المغفرة للأسباب الآتية:

=

رسول الله من أشد الناس بلاء؟ قال: «الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل يبتلى العبد على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يدعه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة». قال أبو عيسى الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. اهـ وقال الحاكم: حديث صحيح على شرط الشيخين. اهـ

(١) انظر «مجموع الفتاوى» (٧/ ٤٨٧-٥٠١)، و«شرح الطحاوية» (٢/ ٩٩٠-١٠٣ - ط: الرسالة، الثالثة).

١- تحقيق الإيمان والعمل الصالح.

٢- السبق إلى الإسلام والفضيلة، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنهم «**خير القرون**».

٣- الأعمال الجليلة التي لم تحصل لغيرهم، كغزوة بدر وبيعة الرضوان.

٤- التوبة من الذنب، فإن التوبة تجبُّ ما قبلها.

٥- الحسنات التي تمحو السيئات.

٦- البلاء، وهو المكاره التي تصيب الإنسان، فإن البلاء يكفر الذنوب.

٧- دعاء المؤمنين لهم.

٨- شفاعة النبي ﷺ التي هم أحق الناس بها.

وعلى هذا فالذي يُنكَرُ من فعل بعضهم قليلٌ منغمر في محاسنهم؛ لأنهم خير الخلق بعد الأنبياء، وصفوة هذه الأمة التي هي خير الأمم، ما كان ولا يكون مثلهم. اهـ

❁ **السعدي**: وهذه الأمور [المحاسن] إذا قوبلت بالمساوئ إن فرض أن هناك مساوئ اضمحلت المساوئ معها، ولا يقاربهم أحد في شيء من ذلك ﷺ. اهـ

قوله: (**ثُمَّ إِنَّ القَدْرَ الَّذِي يُنْكَرُ مِنْ فِعْلِ بَعْضِهِمْ قَلِيلٌ نَزْرٌ مَغْفُورٌ فِي جَنْبِ فَضَائِلِ القَوْمِ وَمَحَاسِنِهِمْ، مِنَ الإِيمَانِ بِاللهِ، وَرَسُولِهِ، وَالجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ، وَالهِجْرَةِ، وَالنُّصْرَةِ، وَالعِلْمِ النَّافِعِ، وَالعَمَلِ الصَّالِحِ**).

فإذا ثبت عن أحد منهم، فهو كنقطة في بحار استهلكت، فلم يبق لها عين ولا أثر، والخطأ يعني الذي خلاف الاجتهاد وما إلى ذلك. يعني: فبطريق الأولى أن تكون مغفورة في جنب هذه الفضائل، بل في جنب واحدة من هذه الفضائل.

وقوله: «مِنَ الإِيمَانِ بِالله..» إلخ (مِنْ) لبيان الجنس في جنس ما منَّ الله به عليهم، إذا نسبت هذا إلى هذا، فلا كمية ولا كيفية. اهـ

* **الهراس**: يريد المؤلف رَحِمَهُ اللهُ أن ينفي عن الصحابة رضي الله عنهم أن يكون أحدهم قد مات مصرًّا على ما يوجب سخط الله عليه من الذنوب، بل إذا كان قد صدر الذنب من أحدهم فعلًا فلا يخلو عن أحد هذه الأمور التي ذكرها، فإما أن يكون قد تاب منه قبل الموت، أو أتى بحسنات تذهبه وتمحوه، أو غفر له بفضل سالفته في الإسلام، كما غفر لأهل بدر وأصحاب الشجرة، أو بشفاعة رسول الله ﷺ، وهم أسعد الناس بشفاعته، وأحقهم بها، أو ابتلي ببلاء في الدنيا في نفسه أو ماله أو ولده فكفر عنه به.

فإذا كان هذا هو ما يجب اعتقاده فيهم بالنسبة إلى ما ارتكبوه من الذنوب المحققة، فكيف في الأمور التي هي موضع اجتهاد والخطأ فيها مغفور؟

ثم إذا قيس هذا الذي أخطؤوا فيه إلى جانب ما لهم من محاسن وفضائل لم يعد أن يكون قطرة في بحر.

فالله الذي اختار نبيه ﷺ هو الذي اختار له هؤلاء الأصحاب، فهم خير الخلق بعد الأنبياء، والصفوة المختارة من هذه الأمة التي هي أفضل الأمم. اهـ

* **ابن باز**: فالواجب على أهل الإيمان بعدهم هو السير على منهاجهم، ويؤمنون بأن الصحابة كلهم خير الأمة وأفضلها، وأن ما قد ينقل عن بعضهم من أشياء تنتقد فهو نزر قليل في جنب ما أعطاهم الله من الخير العظيم في جنب فضائلهم وأعمالهم العظيمة، فهو إما يكون قد تاب منه، أو أتى بحسنات تمحوه، أو غفر له بفضل سابقته، أو بشافعة محمد ﷺ الذي هم أحق الناس بشفاعته، أو ابتلي ببلاء في الدنيا من مرض أو غيره كفِّر به عنه.

هكذا أهل السنة والجماعة، في هذه المسائل التي ذكرها المؤلف رحمه الله، فينبغي للمؤمن أن يحفظ هذا الفصل جيدًا، وأن يعمل بمعناه، وأن تكون عقيدته راسخة حتى

يخالف بها جميع أهل البدع من الروافض والنواصب، وغيرهم من أهل البدع الذي ساءت ظنونهم أو غلوا في أهل البيت، كالروافض، أو ساءت ظنونهم وجفوا في حقهم، كالخوارج والمعتزلة وأشباههم، ممن ساءت أقوالهم وأعمالهم في أصحاب رسول الله ﷺ، نسأل الله أن يرضى عنهم، ويجعلنا من أتباعهم بإحسان. اهـ

كمال حال الصحابة

قوله: (وَمَنْ نَظَرَ فِي سِيرَةِ القَوْمِ بِعِلْمٍ وَبَصِيرَةٍ، وَمَا مَنَّ اللهُ عَلَيْهِمْ بِهِ مِنَ الفَضَائِلِ؛ عَلِمَ يَقِينًا أَنَّهُمْ خَيْرُ الخَلْقِ بَعْدَ الأَنْبِيَاءِ، لا كَانَ وَلا يَكُونُ مِثْلُهُمْ، وَأَنَّهُمْ الصَّفْوَةُ مِنْ قُرُونِ هَذِهِ الأُمَّةِ الَّتِي هِيَ خَيْرُ الأُمَمِ وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللهِ).

* **قال الشيخ:** أي: من عرف ذلك في سيرتهم، عرف صدق ما جاء في الأحاديث، أنهم خير الخلق بعد الأنبياء، كما تقدم «خير القرون قرني» كما في حديث عمران وابن مسعود رضي الله عنهما، ومنه: «أنتم توفون سبعين أمة، أنتم خيرها وأكرمها على الله»(١). ومن نظر في سيرة القوم بعلم وبصيرة، وما منَّ الله عليهم به من الفضائل من صريح الإيمان بالله ورسوله، وسبقهم إلى الخير والأعمال الصالحة تبين له ما يأتي: عَلِم يقينًا أن الصحابة خير وأفضل الخلق بعد الأنبياء، لا كان ولا يكون مثلهم رضي الله عنهم، وأنهم الصفوة الخيار من قرون هذه الأمة، التي هي خير الأمم وأكرمها على الله. اهـ

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٢٠٠١٥، ٢٠٠٢٥، ٢٠٠٢٩)، والنسائي في «الكبرى» (١١٤٣١)، والطحاوي في «المشكل» (٤١٦١)، والطبري (٥/٦٦)، (٢٤/١٠٧)، وعبد بن حميد في «مسنده» (٤٠٩)، والطبراني في «الكبير» (ج١٩/ ح١٠٣٠، ١٠٣٨)، و«الأوسط» (٣٨١٧)، والبيهقي في «الكبرى» (١٧٤٩٥) عن حكيم بن معاوية عن أبيه. وإسناده حسن.

❁ **السعدي**: وهذا كلام نفيس في غاية النفاسة، ولا زيادة عليه في التحقيق، وإقامة البرهان على كمال فضل الصحابة ﷺ، لا يحتاج إلى شرح أو بيان. اهـ.

❁ **الهراس**: ومن تأمل كلام المؤلف رحمه الله في شأن الصحابة عجب أشد العجب مما يرميه به الجهلة المتعصبون، وادعائهم عليه أنه يتهجم على أقدارهم، ويغض من شأنهم، ويخرق إجماعهم.. إلى آخر ما قالوه من مزاعم ومفتريات. اهـ

خلاصة مذهب أهل السنة في الصحابة

❁ **ابن باز**: خلاصة مذهب أهل السنة والجماعة في أصحاب رسول الله ﷺ وعما شجر بينهم هو سلامة قلوبهم وألسنتهم، ومحبتهم إياهم، والترضي عنهم جميعًا، وإظهار محاسنهم، وإخفاء مساوئهم -أي: إخفاء مساوئ من نسب إليه شيء من ذلك- والإمساك عما شجر بينهم، واعتقاد أنهم في ذلك بين أمرين: إما مجتهدون مصيبون، وإما مجتهدون مخطئون، فالمصيب له أجران والمخطئ له أجر الاجتهاد، وخطؤه مغفور.

وإذا قدر أن لبعضهم سيئات وقعت عن غير اجتهاد، فلهم من الحسنات ما يغمرها ويمحوها.

وليس في بيان خطأ من أخطأ منهم في حكم من الأحكام شيء من إظهار المساوئ، بل ذلك مما يفرضه الواجب ويوجبه النصح للأمة. اهـ

فصل

في كرامات الأولياء

قال المصنف رحمه الله: (وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ: التَّصْدِيقُ بِكَرَامَاتِ الأَوْلِيَاءِ، وَمَا يُجْرِي اللهُ عَلَى أَيْدِيهِمْ مِنْ خَوَارِقِ العَادَاتِ، فِي أَنْوَاعِ العُلُومِ وَالمُكَاشَفَاتِ، وَأَنْوَاعِ القُدْرَةِ وَالتَّأْثِيرَاتِ، وَالمَأْثُورِ عَنْ سَالِفِ الأُمَمِ فِي سُورَةِ الكَهْفِ وَغَيْرِهَا، وَعَنْ صَدْرِ هَذِهِ الأُمَّةِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَسَائِرِ فِرَقِ الأُمَّةِ، وَهِيَ مَوْجُودَةٌ فِيهَا إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ).

الشرح

❁ **ابن باز**: من أصول أهل السنة والجماعة -كما قال المؤلف- التصديق بكرامات الأولياء، وما ذكر الله عنهم، وما ذكره رسول الله ﷺ، وما جرى بعد ذلك.

والكرامة: هي الخارق للعادة، يجري على أيديهم، شيء يخرق العادة، ليس في العادة وجوده على يد المخلوق، يقال لها كرامة، إذا كان الشخص من أولياء الله المؤمنين الصادقين، فإن كان من غيرهم، فهو من خوارق السحرة، ومن خوارق الشياطين، أما ما كان على يد المؤمنين فهذا من كرامات الأولياء ولا تكون كرامة إلا إذا عرف بالاستقامة على دين الله، مثل ما قال الشيخ رحمه الله: لو طار في الهواء، أو مشي على الماء ما يعد وليًّا[١]، حتى يوزن بميزان الكتاب والسنة، فإن استقام على الكتاب والسنة فهو من أولياء الله، وإلا فهو من أولياء الشيطان، كما قال ﷻ: ﴿وَمَا كَانُوٓاْ أَوۡلِيَآءَهُۥٓۚ إِنۡ أَوۡلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُتَّقُونَ﴾ [الأنفال: ٣٤]، وقال سبحانه: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ

(١) انظر «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان» (ص/ ٤٥)، وذكر في «الفتاوى» (٢٥/ ٣١٤) اتفاق العلماء على ذلك.

وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢-٦٣]، ومنهم أهل الكهف أكرمهم الله ثلاث مائة عام نُوَّمًا وازدادوا تسعًا، ثم أماتهم الله بعد ذلك، هذه آية من آيات الله؛ لإيمانهم وتقواهم، جعلهم الله آية وعبرة، وكما جرى لعباد بن بشر وأسيد بن خضير، الصحابيين الجليلين، في عهد النبي ﷺ، خرجا من عند النبي ﷺ في ليلة مظلمة، فأضاءت لهما أسواطهما، كل واحد صار سوطه سراجًا ينير له الطريق، حتى وصل كل واحد إلى بيته وأهله(١). ومن ذلك قصة الطفيل بن عمرو الدوسي رئيس دوس، لما أسلم تأخر عليه قومه، قال: يا رسول الله ادع الله أن يجعل لي آية لعلهم يهتدون، فسأل الله له أن يجعل له آية يهتدي بها قومه، فجعل الله بين عينيه مثل السراج، لما أتى قومه، فقال: يا ربي في غير وجهي، فجعلها الله في سوطه إذا رفع سوطه أنار نورًا، فهدى الله به قومه بأسبابه، وجاء بهم مسلمين(٢).

والمقصود: أن الشيء الخارق للعادة إن كان صاحبه متقيًا لله معروفًا بالخير فهي كرامة، وإن كان بخلاف ذلك فهي من مخاريق السحرة والشياطين، وأهل السنة يتبعون في هذا الكتاب والسنة. اهـ

❁ **الهراس**: وقد تواترت نصوص الكتاب والسنة، ودلت الوقائع- قديمًا وحديثًا- على وقوع كرامات الله لأوليائه المتبعين لهدي أنبيائهم.

والكرامة أمر خارق للعادة، يجريه الله على يد ولي من أوليائه؛ معونة له على أمر ديني أو دنيوي. اهـ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٣٩، ٣٨٠٥)، والحاكم (٣/ ٢٨٨) وصححه.

(٢) أخرجه ابن عبد البر في «الاستيعاب» (٥/ ٢٢٤) من طريق ابن إسحاق بسنده، وابن سعد (٤/ ١/ ١٧٥) من طريق الواقدي بسنده، وأخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٣٦٠)، وأبو نعيم الأصبهاني في «معرفة الصحابة» (٣٥٠٠) عن ابن إسحاق معلقًا، وأخرجه ابن عبد البر (٥/ ٢٢٣) من طريق هشام الكلبي، وسنده ساقط، وعنه ذكرها ابن حجر في «فتح الباري» (٨/ ١٠٢).
وعلى كلٍّ فهذه القصة ضعيفة تدور على مرسل ضعيف، ومعضلٍ وساقطٍ.

تعريف الولي والكرامة

❁ العثيمين: الولي: كل مؤمن تقي. أي: قائم بطاعة الله على الوجه المطلوب شرعًا.

والكرامة: أمر خارق للعادة، يظهره الله تعالى على يد ولي من أوليائه؛ تكريمًا له أو نصرة لدين الله.

وفوائدها:

١- بيان قدرة الله.

٢- نصرة الدين أو تكريم الولي.

٣- زيادة الإيمان، والتثبيت للولي الذي ظهرت على يده وغيره.

٤- أنها من البشرى لذلك الولي.

٥- أنها معجزة للرسول الذي تمسك الولي بدينه؛ لأنها كالشهادة للولي بأنه على حق.

والفرق بينها وبين المعجزة أنها تحصل للولي والمعجزة للنبي.

أنواع الكرامات

والكرامة نوعان:

١- في العلوم والمكاشفات: بأن يحصل للولي من العلم ما لا يحصل لغيره، أو يكشف له من الأمور الغائبة عنه ما لا يكشف لغيره، كما حصل لعمر بن الخطاب ﷺ حين كشف له وهو يخطب في المدينة عن إحدى السرايا

المحصورة في العراق، فقال لقائدها واسمه سارية بن زنيم: الجبل يا ساريةُ، فسمعه القائد فاعتصم بالجبل(١).

٢- في القدرة والتأثيرات: بأن يحصل للولي من القدرة والتأثيرات ما لا يحصل لغيره، كما وقع للعلاء بن الحضرمي حين عبر البحر يمشي على متن الماء(٢). اهـ

❁ **العثيمين**: قول أهل السنة في كرامات الأولياء أنها ثابتة واقعة، ودليلهم في ذلك ما ذكره الله في القرآن عن أصحاب الكهف وغيرهم، وما يشاهده الناس في كل زمان ومكان.

وخالف فيها المعتزلة محتجين بأن إثباتها يوجب اشتباه الولي بالنبي والساحر بالولي.

والرد عليهم بأمرين:

١- أن الكرامة ثابتة بالشرع والمشاهدة، فإنكارها مكابرة.

٢- أن ما ادعوه من اشتباه الولي بالنبي غير صحيح؛ لأنه لا نبي بعد محمد ﷺ؛ ولأن النبي يقول إنه نبي، فيؤيده الله بالمعجزة، والولي لا يقول إنه نبي.

وكذلك ما ادعوه من اشتباه الساحر بالولي غير صحيح؛ لأن الولي مؤمن تقي تأتيه الكرامة من الله بدون عمل لها، ولا يمكن معارضتها، وأما الساحر فكافر منحرف، يحصل له أثر سحره بما يتعاطاه من أسبابه، ويمكن أن يعارض بسحر آخر. اهـ

---

(١) أخرجه اللالكائي في «السنة» (٩/ ١٢١)، والبيهقي في «الدلائل» (٦/ ٣٧٠)، و«الاعتقاد» (ص/ ٣١٤)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٠/ ٢٤)، وأبو نعيم في «الدلائل» (٥٠٩، ٥١٢).
وقال ابن حجر في «الإصابة»: إسناده حسن، ونقله عن تلميذه السخاوي في «المقاصد» (١٣٣٣)، وصححها الألباني في «الصحيحة» (١١١٠).

(٢) أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (٣/ ٢/ ٥٠٦)، والبيهقي في «الدلائل» (٦/ ٥٣، ١٦٣).

* ال الشيخ: قوله: (وَمَا يُجْرِي اللهُ عَلَى أَيْدِيهِمْ مِنْ خَوَارِقِ العَادَاتِ، فِي أَنْوَاعِ العُلُومِ وَالمُكَاشَفَاتِ، وَأَنْوَاعِ القُدْرَةِ وَالتَّأْثِيرَاتِ) من حمل الأثقال وقطع المسافات الطويلة.

أقسام الناس في إثبات الكرامات

وقد انقسم الناس في كرامات الأولياء إلى ثلاثة أقسام:

١ - قسم: أنكروها بالكلية، وهم المعتزلة.

٢- وقسم: أثبتوها، وغلوا في إثباتها، حتى جعلوا من صدرت منه فهو ولي لله، وأنها من الدلالة على أنه يصلح أن يُعبد من دون الله، وهم القبوريون.

٣- وقسم توسطوا، فأثبتوا كرامات الأولياء وتثبّتوا فيمن صدرت منه.

وهذا هو الصواب: إثبات جنسها، وأنَّ من جرت على يده يوزن بالكتاب والسنة، فإن كان من أهل الاستقامة فهي كرامة، وولاية، وعلامة، ولا تدل على أنه يصلح للعبادة. وإن كان بخلاف ذلك فهي من الأمور الشيطانية.

إنكار المعتزلة للكرامات

والذي حدى المعتزلة على إنكار الكرامات أنهم يقولون: إن تعريف النبي: هو من صدر عن يده خارق. قالوا: فإذا قلنا: إن لهم كرامات التبس الولي بالنبي، فلم يتميز هذا من هذا، فأنكروا الكرامات لذلك.

ونقول: هذا من تعريف النبي كرامة، لكن مع شيء آخر، وهو إنزال الوحي عليه. وأهل السنة أثبتوها وصَدَّقوا بأن ما جرى لهم من ذلك فهو كرامة، وقالوا: إن من صدرت عنه فليس له مزية على غيره وفضيلة، فليست الكرامة هي الميزان في علو الدرجة في الولاية، وأن من ظهرت له كرامة أنه أفضل ممن لم يظهر له كرامة، بل من ليس له كرامة أفضل بكثير ممن له كرامة، بل هي من نوع الحظ والبخت يعطيها الله من يشاء.

ثم هي قد تكون لمن جرت له، فتنة وشر تنقصه في دينه، وقد تكون خيرًا، وقد تزيده ولا تنقصه، وتحمله على فعل الطاعات، فهي كالنعمة، من الناس من تزيده، ومنهم من تنقصه. اهـ

الفرق بين الكرامة والمعجزة

* **الهراس**: ويفرق بينها وبين المعجزة بأن المعجزة تكون مقرونة بدعوى الرسالة، بخلاف الكرامة.

ويتضمن وقوع هذه الكرامات حِكَمًا ومصالح كثيرة، أهمها:

* أولا: أنها كالمعجزة، تدل أعظم دلالة على كمال قدرة الله، ونفوذ مشيئته، وأنه فعال لما يريد، وأن له فوق هذه السنن والأسباب المعتادة سننًا أخرى لا يقع عليها علم البشر، ولا تدركها أعمالهم.

فمن ذلك قصة أصحاب الكهف، والنوم الذي أوقعه الله بهم في تلك المدة الطويلة، مع حفظه تعالى لأبدانهم من التحلل والفناء.

ومنها ما أكرم الله به مريم بنت عمران من إيصال الرزق إليها وهي في المحراب، حتى عجب من ذلك زكريا ﷺ، وسألها: أنى لك هذا. وكذلك حملها بعيسى بلا أب، وولادتها إياه، وكلامه في المهد، وغير ذلك.

ثانيًا: أن وقوع كرامات الأولياء هو في الحقيقة معجزة للأنبياء؛ لأن تلك الكرامات لم تحصل لهم إلا ببركة متابعتهم لأنبيائهم، وسيرهم على هديهم.

ثالثًا: أن كرامات الأولياء هي البشرى التي عجلها الله لهم في الدنيا؛ فإن المراد بالبشرى كل أمر يدل على ولايتهم، وحسن عاقبتهم، ومن جملة ذلك الكرامات.

هذا، ولم تزل الكرامات موجودة لم تنقطع في هذه الأمة إلى يوم القيامة، والمشاهدة أكبر دليلٍ.

وأنكرت الفلاسفة كرامات الأولياء كما أنكروا معجزات الأنبياء، وأنكرت الكرامات أيضا المعتزلة، وبعض الأشاعرة؛ بدعوى التباسها بالمعجزة، وهي دعوى باطلة؛ لأن الكرامة -كما قلنا- لا تقترن بدعوى الرسالة.

لكن يجب التنبه إلى أن ما يقوم به الدجاجلة والمشعوذون، من أصحاب الطرق المبتدعة الذين يسمون أنفسهم بالمتصوفة من أعمال ومخاريق شيطانية، كدخول النار، وضرب أنفسهم بالسلاح، والإمساك بالثعابين، والإخبار بالغيب.. إلى غير ذلك، ليس من الكرامات في شيء؛ فإن الكرامة إنما تكون لأولياء الله بحق، وهؤلاء أولياء الشيطان. اهـ

قوله: (وَالمَأْثُورِ عَنْ سَالِفِ الأُمَمِ فِي سُورَةِ الكَهْفِ وَغَيْرِهَا).

❁ **آل الشيخ**: كقصة أصحاب الكهف في سورة الكهف، لما فارقوا قومهم في ذات الله، وأووا إلى الغار ثلاثمائة وتسع سنوات، لا يأكلون هذه المدة الطويلة.

المقصود: أن جنس هذا من كرامات الأولياء كونهم بقوا هذه المدة بلا طعام ولا شراب. وكما جرى لابن مريم من إبراء الأكمه والأبرص. اهـ

❁ **آل الشيخ**: قوله: (وَعَنْ صَدْرِ هَذِهِ الأُمَّةِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَسَائِرِ فِرَقِ الأُمَّةِ) كقصة خالد حين حسا السم، وقصة الذين خاضوا البحر ولم يغرقوا.

وفي التابعين أكثر، والسبب: أن الصحابة أقل حاجة إليها؛ لأنها لتأييد الحق وبيان فضله، وهم لا يحتاجون إليها، وليعرف أنها كرامة يكرم الله بها أولياءه، وهي لا تدل على أنه أفضل من الآخر، وأنها من جنس الحظ من المال أو العلم أو الفهم، هي بنفسها كرامة إنما تدل على فضله، لا على أفضليته على غيره، شبه البخت والحظ، بل إن زادت صاحبها

صارت نعمة، وإن كانت أوقفت شيئًا من سيره أو أنقصته، فهي نعمة من جانب، وابتلاء من جانب، كما قال تعالى عن سليمان: ﴿لِيَبْلُوَنِيٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ [النمل: ٤٠].

فحقيقة الخارق: هو أن يوجد منه شيء ليس من عادته ولا استطاعته، كأن يقطع في لحظة ما جنسه يقطع في يوم، أو نحو ذلك، كالطيران في الهواء.

وقوله: (وَسَائِرِ فِرَقِ الأُمَّةِ وَهِيَ مَوْجُودَةٌ فِيهَا إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ) وهم على طبقتين: أبرار وأصحاب يمين، ولا تكون له دائمًا في كل وقت، وإذا عرفت أنهم في هذا الزمان كادوا أن يفقدوا، والأكثر فيهم من التخليط ما فيهم، وليس المراد أنه لا يقع منهم زلة، بل تقع ولكن يرجعون وليسوا معصومين، هذا هو المراد، والله أعلم.

وللمصنف كرامات مع أهل زمانه. اهـ

* **السعدي**: تواترت نصوص الكتاب والسنة والوقائع- قديمًا وحديثًا- في وقوع كرامات الله لأوليائه المتبعين لأنبيائهم. وكرامتهم في الحقيقة تفيد ثلاث قضايا:

* أعظمها: الدلالة على كمال قدرة الله، ونفوذ مشيئته، وأنه كما أن لله سننًا وأسبابًا تقتضي مسبَّباتها الموضوعة لها شرعًا وقدرًا، فإن لله أيضًا سننًا أخرى لا يقع عليها علم البشر، ولا تدركها أعمالهم وأسبابهم، فمعجزات الأنبياء وكرامات الأولياء، بل وأيام الله وعقوباته في أعدائه، الخارقة للعادة كلها تدل دلالة واضحة أن الأمر كله لله، والتدبير والتقدير كله لله، وأن لله سننًا لا يعلمها بشر ولا ملك.

فمن ذلك: قصة أصحاب الكهف، والنوم الذي أوقعه الله بهم تلك المدة العظيمة، وقيض أسبابًا متنوعة لحفظ دينهم وأبدانهم، كما ذكر الله في قصتهم.

ومنها: ما أكرم الله به مريم بنت عمران وأنه: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٣٧]. وكذلك: حملها وولادتها بعيسى، على ذلك الوصف الذي ذكر الله، وكلامه في المهد؛ هذا فيه كرامة لمريم ومعجزة لعيسى ﷺ.

وهبته تعالى الولد لإبراهيم من سارة وهي عجوز عقيم على كِبَرِهِ، كما وهب لزكريا يحيى على كبره وعقم زوجته معجزة للنبي، وكرامة لزوجته.

وقد أطال المؤلف النفس وبسط الكلام في هذا الموضوع في كتابه «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان»، وذكر قصصًا كثيرة متوافرة تدل على هذه القضية.

* القضية الثانية: أن وقوع الكرامات للأولياء في الحقيقة معجزات للأنبياء؛ لأن تلك الكرامات لم تحصل لهم إلا ببركة متابعة نبيهم الذي نالوا به خيرًا كثيرًا من جملتها الكرامات.

* القضية الثالثة: أن الكرامات لأولياء الله هي من البشرى المعجلة في الحياة الدنيا، كما قال تعالى: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [يونس: ٦٤]. وهي كل أمر يدل على ولايتهم وحسن عاقبتهم، ومن ذلك الكرامات.

ولم تزل الكرامات موجودة لم تنقطع في كل وقت وزمان، وقد رأى الناس منها عجائب لأمور كثيرة ولم ينكرها إلا زنادقة الفلاسفة، وليس غريبًا عليهم؛ فإنه فرع عن جحودهم وإنكارهم لرب العالمين وقضائه وقدره.

وقد أنكرها أيضًا طائفة من أهل الكلام المذموم؛ ظنًّا منهم أن في إثباتها إبطالًا لمعجزات الأنبياء. وهذا وهم باطل، أبطله المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتاب «النبوات» وغيره من كتبه.

فأهل السنة والجماعة يعترفون بكرامات الله لأوليائه، إجمالًا وتفصيلًا، ويثبتون ذلك على وجه التفصيل كلما ورد عن المعصوم ﷺ، وكلما تحقق وقوعه، ولكن قد أدخل كثير من الناس بالكرامات أمورًا كثيرة اخترعوها وافتروها، وأهل السنة أبعد الناس عن التصديق بالخرافات والكذب المفترى، وأعرفهم بالطرق التي يتبين بها كذب الكاذبين وافتراء المفترين. اهـ.

* **ابن مانع**: كرامات أولياء الله المتقين من عباد الله الصالحين من الأولين والآخرين ثابتة بالكتاب والسنة، وقد أخبر الله بها في كتابه وعرف عباده بما أكرم به أصحاب الكهف، ومريم بنت عمران، وآصف بن برخيا، وكذلك ثبت في كتب السنة ما أكرم به عمر بن الخطاب، وأسيد بن حضير، والعلاء بن الحضرمي، وغيرهم مما صح، وهو مفصل في «لوائح الأنوار»(١) وغيرها، ومن أراد تفصيل ما أشرنا إليه فليراجع «اللوائح» و«الفرقان» لشيخ الإسلام ابن تيمية، و«شرح الخمسين حديثًا» لابن رجب، وغيرها؛ حيث إن هذه الحاشية لا تتسع لبسط ذلك.

وقد عد أهل السنة من أنكر كرامات الأولياء، وخوارق العادات من أهل البدع المخالفة الدليل.

«**تنبيه**»: لا تظن أيها القارئ أن أصحاب الطرق المبتدعة الذين يسالمون الحيات ويمسكونها، ويدخلون النار تخييلًا، ويضربون أنفسهم بالسلاح كذبًا وتدجيلًا من أولياء الله، بل هم من أولياء الشيطان، نعوذ بالله من أفعالهم، ونبرأ إلى الله منهم ومن أحوالهم. اهـ.

الفرق بين المعجزة والكرامة والخوارق الشيطانية

* **ابن باز**: الفرق بين المعجزة والكرامة والأحوال الشيطانية الخارقة للعادة على يد السحرة والمشعوذين:

* أَنَّ المعجزة هي ما يجري الله على أيدي الرسل والأنبياء من خوارق العادات التي يتحدون بها العباد، ويخبرون بها عن الله؛ لتصديق ما بعثهم به، ويؤيدهم بها سبحانه، كانشقاق القمر ونزول القرآن، فإن القرآن هو أعظم معجزة لرسولٍ على الإطلاق، وكحنين الجذع، ونبوع الماء من بين أصابعه، وغير ذلك من المعجزات الكثيرة.

---

(١) «لوائح الأنوار المضية في شرح الدرة المضية» للشيخ محمد السفاريني.

* وأما الكرامة: فهي ما يجري الله على أيدي أوليائه المؤمنين، من خوارق العادات، كالعلم، والقدرة، وغير ذلك، كالظلة التي وقعت على أسيد بن الحضير حين قراءته القرآن، وكإضاءة النور لعباد بن بشر وأسيد بن حضير حين انصرفا من عند النبي ﷺ، فلما افترقا أضاء لكل واحد منهما طرف سوطه.

* وشرط كونها كرامة، أن يكون من جرت على يده هذه الكرامة مستقيمًا على الإيمان ومتابعة الشريعة، فإن كان خلاف ذلك فالجاري على يده من الخوارق من الأحوال الشيطانية.

* ثم ليعلم أن عدم حصول الكرامة لبعض المسلمين لا يدل على نقص إيمانهم؛ لأن الكرامة إنما تقع لأسباب، منها: تقوية إيمان العبد وتثبيته؛ ولهذا لم ير كثير من الصحابة شيئًا من الكرامات؛ لقوة إيمانهم، وكمال يقينهم.

ومنها إقامة الحجة على العدو، كما حصل لخالد لما أكل السم، وكان قد حاصر حصنًا فامتنعوا عليه حتى يأكله، فأكله وفتح الحصن.

ومثل ذلك ما جرى لأبي مسلم الخراساني، لما ألقاه الأسود العنسي في النار، فأنجاه الله من ذلك؛ لحاجته إلى تلك الكرامة، وكقصة أم أيمن لما خرجت مهاجرة واشتد بها العطش سمعت حسًّا من فوقها، فرفعت رأسها فإذا هي بدلو من ماء فشربت منها ثم رفعت.

* وقد تكون الكرامة ابتلاء، فيسعد بها قوم، ويشقى بها آخرون، وقد يسعد بها صاحبها إن شكر، وقد يهلك إن أعجب ولم يستقم. اهـ.

ثبوت الكرامات

* **قال المصنف رحمه الله**[(١)]: وكرامات الأولياء حق باتفاق أئمة أهل الإسلام والسنة والجماعة، وقد دل عليها القرآن في غير موضع، والأحاديث الصحيحة، والآثار المتواترة عن الصحابة والتابعين وغيرهم، وإنما أنكرها أهل البدع من المعتزلة والجهمية ومن تابعهم، لكن كثيرًا ممن يدعيها أو تدعى له يكون كذابًا أو ملبوسًا عليه، وأيضًا فإنها لا تدل على عصمة صاحبها ولا على وجوب اتباعه في كل ما يقوله، بل قد تصدر بعض الخوارق من الكشف وغيره من الكفار والسحرة بمؤاخاتهم للشياطين، كما ثبت عن الدجال أنه يقول للسماء: أمطري، فتمطر، وللأرض: أنبتي، فتنبت، وأنه يقتل واحدًا ثم يحيه، وأنه يخرج خلفه كنوز الذهب والفضة؛ ولهذا اتفق أئمة الدين: على أن الرجل لو طار في الهواء ومشى على الماء لم يثبت له ولاية، بل ولا إسلام حتى ينظر وقوفه عند الأمر والنهي، الذي بعث الله به رسوله ﷺ. اهـ

أنواع الخوارق

* **وقال رحمه الله**[(٢)]: الخوارق: منها ما هو من جنس العلم، كالمكاشفات، ومنها ما هو من جنس القدرة والملك، كالتصرفات الخارقة للعادات، ومنها ما هو من جنس الغنى عن جنس ما يعطاه الناس في الظاهر، من العلم، والسلطان، والمال، والغنى.

وجميع ما يؤتيه الله لعبده من هذه الأمور، إن استعان به على ما يحبه الله ويرضاه، ويقربه إليه، ويرفع درجته، ويأمره الله به ورسوله -ازداد بذلك رفعة، وقربًا إلى الله ورسوله، وعلت درجته، وإن استعان به على ما نهى الله عنه ورسوله- كالشرك،

(١) «مختصر الفتاوي المصرية» لابن تيمية (ص/ ٧٦٦).
(٢) «مجموع الفتاوى» (١١ / ٢٩٨).

والظلم، والفواحش- استحق بذلك الذم والعقاب، فإن لم يتداركه الله تعالى بتوبة أو حسنات ماحية، وإلا كان كأمثاله من المذنبين؛ ولهذا كثيرًا ما يعاقب أصحاب الخوارق تارة بسلبها كما يعزل الملك عن ملكه، ويسلب العالم علمه.

وتارة بسلب التطوعات فينقل من الولاية الخاصة إلى العامة، وتارة ينزل إلى درجة الفساق، وتارة يرتد عن الإسلام، وهذا يكون فيمن له خوارق شيطانية؛ فإن كثيرًا من هؤلاء يرتد عن الإسلام.

وكثير منهم لا يعرف أن هذه شيطانية، بل يظنها من كرامات أولياء الله، ويظن من يظن منهم أن الله ﷻ إذا أعطى عبدًا خرْق عادة لم يحاسبه على ذلك، كمن يظن أن الله إذا أعطى عبدًا ملكًا ومالًا وتصرفًا لم يحاسبه عليه، ومنهم من يستعين بالخوارق على أمور مباحة لا مأمورٍ بها ولا منهيٍّ عنها، فهذا يكون من عموم الأولياء وهم الأبرار المقتصدون، وأما السابقون المقربون فأعلى من هؤلاء كما أن العبد الرسول أعلى من النبي الملك.

ولما كانت الخوارق كثيرًا ما تنقص بها درجة الرجل كان كثير من الصالحين يتوب من مثل ذلك، ويستغفر الله تعالى، كما يتوب من الذنوب، كالزنا والسرقة وتعرض على بعضهم فيسأل الله زوالها، وكلهم يأمر المريد السالك أن لا يقف عندها، ولا يجعلها همته ولا يتبجح بها، مع ظنهم أنها كرامات، فكيف إذا كانت بالحقيقة من الشياطين تغويهم بها، فإني أعرف من تخاطبه النباتات بما فيها من المنافع، وإنما يخاطبه الشيطان الذي دخل فيها، وأعرف من يخاطبهم الحجر والشجر، وتقول: هنيئًا لك يا ولي الله، فيقرأ آية الكرسي، فيذهب ذلك.

وأعرف من يقصد صيد الطير، فتخاطبه العصافير وغيرها، وتقول: خذني حتى يأكلني الفقراء، ويكون الشيطان قد دخل فيها، كما يدخل في الإنس ويخاطبه بذلك، ومنهم من يكون في البيت وهو مغلق فيرى نفسه خارجه، وهو لم يفتح، وبالعكس،

وكذلك في أبواب المدينة، وتكون الجن قد أدخلته وأخرجته بسرعة أو تمر به أنوار، أو تحضر عنده من يطلبه، ويكون ذلك من الشياطين يتصورون بصورة صاحبه، فإذا قرأ آية الكرسي مرة بعد مرة ذهب ذلك كله.

وأعرف من يخاطبه مخاطب، ويقول له: أنا من أمر الله، ويعده بأنه المهدي الذي بشر به النبي ﷺ، ويظهر له الخوارق، مثل أن يخطر بقلبه تصرف في الطير والجراد في الهواء، فإذا خطر بقلبه ذهاب الطير أو الجراد يمينًا أو شمالًا، ذهب حيث أراد، وإذا خطر بقلبه قيام بعض المواشي، أو نومه، أو ذهابه حصل له ما أراد، من غير حركة منه في الظاهر، وتحمله إلى مكة وتأتي به، وتأتيه بأشخاص في صورة جميلة، وتقول له: هذه الملائكة الكروبيون أرادوا زيارتك، فيقول في نفسه: كيف تصوروا بصورة المردان، فيرفع رأسه فيجدهم بلحى ويقول له: علامة أنك أنت المهدي أنك تنبت في جسدك شامة، فتنبت ويراها، وغير ذلك، وكله من مكر الشيطان.

وهذا باب واسع، لو ذكرت ما أعرفه منه لاحتاج إلى مجلد كبير، وقد قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾ [الفجر: ١٥-١٦]، قال الله تبارك وتعالى: ﴿كَلَّا﴾ ولفظ (كلا) فيها زجر وتنبيه: زجر عن مثل هذا القول، وتنبيه على ما يخبر به، ويؤمر به بعده، وذلك أنه ليس كل من حصل له نعم دنيوية تعد كرامة يكون الله ﷻ مكرمًا له بها، ولا كل من قدر عليه ذلك يكون مهينًا له بذلك، بل هو سبحانه يبتلي عبده بالسراء والضراء، فقد يعطي النعم الدنيوية لمن لا يحبه، ولا هو كريم عنده؛ ليستدرجه بذلك، وقد يحمي منها من يحبه ويواليه؛ لئلا تنقص بذلك مرتبته عنده أو يقع بسببها فيما يكرهه منه.

* وأيضًا كرامات الأولياء لابد أن يكون سببها الإيمان والتقوى، فما كان سببه الكفر والفسوق والعصيان فهو من خوارق أعداء الله، لا من كرامات أولياء الله، فمن كانت خوارقه لا تحصل بالصلاة، والقراءة، والذكر، وقيام الليل، والدعاء، وإنما تحصل عند الشرك، مثل دعاء الميت والغائب، أو بالفسق والعصيان وأكل المحرمات،

كالحيات، والزنابير، والخنافس، والدم، وغيره من النجاسات، ومثل الغناء والرقص، لا سيما مع النسوة الأجانب والمردان، وحالة خوارقه تنقص عند سماع القرآن، وتقوى عند سماع مزامير الشيطان، فيرقص ليلًا طويلًا، فإذا جاءت الصلاة صلى قاعدًا، أو ينقر الصلاة نقر الديك، وهو يبغض سماع القرآن، وينفر عنه، ويتكلفه ليس له فيه محبة، ولا ذوق، ولا لذة عند وجده، ويحب سماع المكاء والتصدية ويجد عنده مواجيد- فهذه أحوال شيطانية، وهو ممن يتناوله قوله تعالى ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴾ [الزخرف: ٣٦]. فالقرآن هو ذكر الرحمن قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴾ [طه: ١٢٤-١٢٦] يعني: تركت العمل بها، قال ابن عباس رضي الله عنهما: تكفل الله لمن قرأ كتابه، وعمل بما فيه أن لا يضل في الدنيا، ولا يشقى في الآخرة، ثم قرأ هذه الآية. اهـ

فَصلٌ

من طريقة أهل السنة والجماعة اتباع هدي النبي ﷺ في الاعتقاد والقول والعمل

قال المصنف: (ثُمَّ مِنْ طَرِيقَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ: اتِّبَاعُ آثَارِ رَسُولِ اللهِ ﷺ بَاطِنًا وَظَاهِرًا، وَاتِّبَاعُ سَبِيلِ السَّابِقِينَ الأَوَّلِينَ مِنَ المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ، وَاتِّبَاعُ وَصِيَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، حَيْثُ قَالَ: «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ»[(١)].

وَيَعْلَمُونَ أَنَّ أَصْدَقَ الكَلامِ كَلامُ اللهِ، وَخَيْرُ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ وَيُؤْثِرُونَ كَلامَ اللهِ عَلَى غَيْرِهِ مِنْ كَلامِ أَصْنَافِ النَّاسِ، وَيُقَدِّمُونَ هَدْيَ مُحَمَّدٍ ﷺ عَلَى هَدْيِ كُلِّ أَحَدٍ؛ وَلِهَذَا سُمُّوا أَهْلَ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَسُمُّوا أَهْلَ الجَمَاعَةِ؛ لأَنَّ الجَمَاعَةَ هِيَ الاجْتِمَاعُ، وَضِدُّهَا الفُرْقَةُ، وَإِنْ كَانَ لَفْظُ الجَمَاعَةِ قَدْ صَارَ اسْمًا لِنَفْسِ القَوْمِ المُجْتَمِعِينَ، وَالإِجْمَاعُ هُوَ الأَصْلُ الثَّالِثُ الَّذِي يُعْتَمَدُ عَلَيْهِ فِي العِلْمِ وَالدِّينِ، وَهُمْ يَزِنُونَ بِهَذِهِ الأُصُولِ الثَّلاثَةِ جَمِيعَ مَا عَلَيْهِ النَّاسُ مِنْ أَقْوَالٍ وَأَعْمَالٍ بَاطِنَةٍ أَوْ ظَاهِرَةٍ مِمَّا لَهُ تَعَلُّقٌ بِالدِّينِ وَالإِجْمَاعُ الَّذِي يَنْضَبِطُ هُوَ مَا كَانَ عَلَيْهِ السَّلَفُ الصَّالِحُ، إِذْ بَعْدَهُمْ كَثُرَ الاخْتِلافُ، وَانْتَشَرَ فِي الأُمَّةِ).

الشَّرْح

❁ ابن الشيخ: قوله: «ثُمَّ مِنْ طَرِيقَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ: اتِّبَاعُ آثَارِ رَسُولِ اللهِ ﷺ بَاطِنًا وَظَاهِرًا» اعتقادًا في الاعتقادات، وأقوالًا في الأقوال، وأفعالاً في الأفعال، فما أثر

(١) أخرجه أحمد (١٧١٤٤)، وأبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٢)، والدارمي (٩٥)، وصححه ابن حبان (٥)، وقال أبو عيسى الترمذي: هذا حديث صحيح.

عنه وما جاء عنه أقسام: قسم من قوله، وقسم من فعله، وقسم من إقراره، فنتبع ما قال، ونقرر ما قرر، ونفعل ما فعل، فهذا أصل عظيم وباب كبير من أبواب الدين. وكذلك من أصول أهل السنة مع ذلك اتباع سبيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، ومعرفة ما هم عليه بهديهم، كما قال ﷺ: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين**»(١) الحديث، وقوله: «اتباع وصية رسول الله ﷺ»، هذا من عطف الخاص على العام.

فمن أصولهم أيضًا اتباع وصية رسول الله ﷺ حيث قال: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها**» يعني: شدوا بها، و«**عضوا عليها بالنواجذ**» يعني: أمسكوا عليها بالنواجذ الأربع، فإن الشرع النفيس لا يكتفي بإمساكه باليد فقط.

التحذير من البدع

«**وإياكم ومحدثات الأمور**»، حرَّض على التمسك بما تقدم، وحذر مما أحدث بعده مما يتعبد به، فإن الذي لم يكن على زمنه وأصحابه والسلف الصالح والصدر الأول، فما جاء به فهو البدعة المحضة، لو كان خيرًا لسبقونا إليه، «**اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم**»، فإذا لم يكن في القرآن، ولم يكن في المأثور عن النبي ﷺ ولا عن الصحابة والتابعين والصدر الأول فهو بدعة، فإن كل بدعة ضلالة والبدعة في قول عمر: «نعمت البدعة» مراده من حيث اللغة وإلا فأصلها معروف زمن النبي ﷺ.

أما تقسيم بعضهم البدعة إلى خمسة أقسام، فهذا غير مسلَّم، بل البدعة التي لا يسوغها الشرع فهي بدعة ضلالة، وما كان لها ما يخولها من الدين، ويدل عليها فليست بدعة ضلالة، بل بدعة لغوية. اهـ

---

(١) تقدم قريبًا.

❁ **العثيمين**: طريقة أهل السنة والجماعة في سيرتهم وعملهم: اتباع آثار النبي ﷺ ظاهرًا وباطنًا، وآثار السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار؛ امتثالًا لقوله ﷺ: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي...**» الحديث. والخلفاء الراشدون هم الذين خلفوا النبي ﷺ في أمته في العلم والإيمان والدعوة إلى الحق، وأولى الناس بهذا الوصف الخلفاء الأربعة: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي ﷡. اهـ

❁ **ابن باز**: مراد المصنف بذلك اتباع ما أثر عن النبي ﷺ من قول، أو عمل، أو تقرير، وذلك هو اتباع السنة والتمسك بها.

وأوجه السنة ثلاثة: قول وعمل وتقرير، وأما آثاره الحسية كموضع جلوسه وما هو عليه، وما وطئه بقدمه الشريفة أو استند إليه أو اضطجع عليه ونحو ذلك، فلا يشرع اتباعه في ذلك، بل تتبع هذه الآثار من وسائل الغلو فيه، وقد أنكر بعض أعيان الصحابة على ابن عمر ذلك، وقطع عمر الشجرة التي بويع النبي ﷺ تحتها لما علم أن الناس يقصدونها خوفًا من الفتنة، ولما بلغه أن ناسًا يقصدون مسجدًا صلى فيه النبي ﷺ في الطريق أنكر ذلك، وقال ما معناه: إنما أهلك من كان قبلكم مثل هذا، كانوا يتتبعون آثار أنبيائهم، فمن أدركته الصلاة في شيء من هذه المساجد فليصل، ومن لا فليمض ولا يقصدها.

وأما ما صلى فيه صلوات التشريع فالصلاة فيه مشروعة كمسجده ﷺ والكعبة ومسجد قباء، والموضع الذي صلى فيه في بيت عتبان لما طلب منه ذلك ليتخذه مصلى، فأجابه النبي ﷺ على ذلك، وهكذا التبرك بشعره ﷺ وريقه وعرقه وما ماسَّ جسده كله لا بأس به؛ لأن السنة قد صحت بذلك، وقد قسم ﷺ في حجة الوداع بين الناس شعر رأسه، ولما قد جعل الله فيه من البركة، وليس هذا من الغلو الممنوع، وإنما الغلو الممنوع هو أن يعتقد فيه ﷺ ما لا يجوز أو يصرف له شيئًا من العبادة.

التبرك بغير النبي ﷺ

وأما التبرك بغيره ﷺ فالصحيح منعه لأمرين:

أحدهما: أن غيره لا يقاس به؛ لما جعل الله فيه من الخير والبركة، بخلاف غيره فلا يتحقق فيه ذلك.

الأمر الثاني: أن ذلك ربما يوقع في الغلو وأنواع الشرك، فوجب سد الذرائع بالمنع من ذلك، وإنما جاز في حق النبي ﷺ لمجيء النص به.

وهناك أمر ثالث أيضًا وهو: أن الصحابة لم يفعلوا مثل ذلك مع غير النبي ﷺ، لا مع الصديق ولا مع عمر ولا مع غيرهما، ولو كان ذلك سائغًا أو قربة لسبقونا إليه، ولم يجمعوا على تركه، فلما تركوه علم أن الحق ترك ذلك وعدم إلحاق غير النبي ﷺ به في ذلك. اهـ.

مصادر التلقي عند أهل السنة والجماعة وأصول الاستدلال

قوله: (وَيَعْلَمُونَ أَنْ أَصْدَقَ الكَلَامِ كَلامُ الله، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ وَيُؤْثِرُونَ كَلامَ الله عَلَى غَيْرِهِ مِنْ كَلامِ أَصْنَافِ النَّاسِ، وَيُقَدِّمُونَ هَدْيَ مُحَمَّدٍ ﷺ عَلَى هَدْيِ كُلِّ أَحَدٍ؛ وَلِهَذَا سُمُّوا أَهْلَ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَسُمُّوا أَهْلَ الجَمَاعَةِ؛ لأَنَّ الجَمَاعَةَ هِيَ الاجْتِمَاعُ، وَضِدُّهَا الفُرْقَةُ، وَإِنْ كَانَ لَفْظُ الجَمَاعَةِ قَدْ صَارَ اسْمًا لِنَفْسِ القَوْمِ الْمُجْتَمِعِينَ، وَالإِجْمَاعُ هُوَ الأَصْلُ الثَّالِثُ الَّذِي يُعْتَمَدُ عَلَيْهِ فِي العِلْمِ وَالدِّينِ، وَهُمْ يَزِنُونَ بِهَذِهِ الأُصُولِ الثَّلاثَةِ جَمِيعَ مَا عَلَيْهِ النَّاسُ مِنْ أَقْوَالٍ وَأَعْمَالٍ بَاطِنَةٍ أَوْ ظَاهِرَةٍ مِمَّا لَهُ تَعَلُّقٌ بِالدِّينِ وَالإِجْمَاعُ الَّذِي يَنْضَبِطُ هُوَ مَا كَانَ عَلَيْهِ السَّلَفُ الصَّالِحُ، إِذْ بَعْدَهُمْ كَثُرَ الاخْتِلافُ، وَانْتَشَرَ فِي الأُمَّةِ).

❁ **ابن مانع**: وأما الأصل الأول فهو القرآن، وأما الثاني فهو سنة النبي ﷺ. اهـ

❁ **الهراس**: هذا بيان المنهج لأهل السنة والجماعة في استنباط الأحكام الدينية كلها، أصولها وفروعها، بعد طريقتهم في مسائل الأصول، وهذا المنهج يقوم على أصول ثلاثة:

* أولها: كتاب الله ﷻ، الذي هو خير الكلام وأصدقه، فهم لا يقدمون على كلام الله كلام أحد من الناس.

* وثانيها: سنة رسول الله ﷺ، وما أثر عنه من هدي وطريقة، لا يقدمون على ذلك هدي أحد من الناس.

* وثالثها: ما وقع عليه إجماع الصدر الأول من هذه الأمة قبل التفرق والانتشار وظهور البدعة والمقالات.

وما جاءهم بعد ذلك مما قاله الناس وذهبوا إليه من المقالات وزنوها بهذه الأصول الثلاثة التي هي الكتاب، والسنة، والإجماع، فإن وافقها قبلوه، وإن خالفها ردوه، أيًا كان قائله.

وهذا هو المنهج الوسط، والصراط المستقيم، الذي لا يضل سالكه، ولا يشقى من اتبعه، وسط بين من يتلاعب بالنصوص، فيتأول الكتاب، وينكر الأحاديث الصحيحة، ولا يعبأ بإجماع السلف، وبين من يخبط خبط عشواء، فيتقبل كل رأي، ويأخذ بكل قول، لا يفرق في ذلك بين غث وسمين، وصحيح وسقيم. اهـ

❁ **ابن باز**: من أصول أهل السنة والجماعة: اتباع آثار الرسول ﷺ وما كان عليه خلفاؤه الراشدون، وأهل السنة، هذه طريقتهم، السير على منهج الرسول ﷺ وعلى آثاره وآثار خلفائه الراشدين، هذه سنة أهل السنة والجماعة؛ ولهذا يقال لهم: أهل الكتاب والسنة، ويقال: أهل الجماعة، والجماعة هي الاجتماع، وضدها الفرقة، وسموا أهل السنة والجماعة؛ لأنهم اجتمعوا على الكتاب والسنة، وصدقوا بهما، ووزنوا الأمور بهما، فهؤلاء هم أهل السنة والجماعة؛ لأنهم اجتمعوا على تعظيم الكتاب والسنة، والأخذ بهما.

وهم يزنون بهذه الأصول الثلاثة جميع ما عليه الناس، من أقوال وأفعال، الأصل الأول الكتاب، والأصل الثاني السنة الصحيحة، والأصل الثالث: الإجماع المنضبط، إجماع السلف، وإجماع الصحابة، فكل قول وعمل يفعله الناس، يوزن بهذه الأصول، فما وافقها قبل، وما خالفها رد على صاحبه كائنًا من كان. اهـ

❁ **السعدي**: لما ذكر طريقة أهل السنة في مسائل الأصول المعينة، ذكر طريقهم الكلي في أخذ دينهم، أصوله وفروعه، وأنهم سلكوا في ذلك الصراط المستقيم والعصمة النافعة -الكتابَ والسنةَ- واتبعوا أعظم الناس معرفة وعلمًا واتباعًا للكتاب والسنة، وهم الصحابة ﷺ عمومًا والخلفاء الراشدون خصوصًا، فسلكوا إلى الله مستصحبين لهذه الأصول الجليلة، وما جاءهم مما قاله الناس وذهبوا إليه من المقالات وزنوه بالكتاب والسنة وإجماع الصحابة والقرون المفضلة، فاستقامت طريقتهم وسلموا من بدع الأقوال، المخالفة لما عليه الرسول وأصحابه في الاعتقادات، كما سلموا من بدع الأعمال؛ إذ لم يتعبدوا ولم يشرعوا إلا ما شرعه الله ورسوله. اهـ

❁ **العثيمين**: الأمور التي يزنون بها أهل السنة والجماعة ما كان عليه الناس من العقائد والأعمال والأخلاق هي الكتاب والسنة والإجماع، فالكتاب هو القرآن، والسنة قول النبي ﷺ وفعله وإقراره، والإجماع هو اتفاق العلماء المجتهدين من هذه الأمة بعد النبي ﷺ على حكم شرعي، والإجماع الذي ينضبط ما كان عليه السلف الصالح؛ إذ بعدهم كثر الاختلاف وانتشرت الأمة.

ولم يذكر المؤلف القياس؛ لأن مرده إلى هذه الأصول الثلاثة. اهـ.

فصل
في طريقة أهل السنة والجماعة في العمل والسلوك

قال المصنف: (ثُمَّ هُمْ مَعَ هَذِهِ الأُصُولِ يَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ؛ عَلَى مَا تُوجِبُهُ الشَّرِيعَةُ.

وَيَرَوْنَ إِقَامَةَ الحَجِّ وَالجِهَادِ وَالجُمَعِ وَالأَعْيَادِ مَعَ الأُمَرَاءِ أَبْرَارًا كَانُوا أَوْ فُجَّارًا.

وَيُحَافِظُونَ عَلَى الجَمَاعَاتِ، وَيَدِينُونَ بِالنَّصِيحَةِ لِلأُمَّةِ، وَيَعْتَقِدُونَ مَعْنَى قَوْلِهِ ﷺ: «المُؤْمِنُ لِلمُؤْمِنِ كَالبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ»(١).

وَقَوْلِهِ ﷺ: «مَثَلُ المُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ؛ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ بِالحُمَّى وَالسَّهَرِ»(٢).

وَيَأْمُرُونَ بِالصَّبْرِ عِنْدَ البَلَاءِ، وَالشُّكْرِ عِنْدَ الرَّخَاءِ، وَالرِّضَا بِمُرِّ القَضَاءِ، وَيَدْعُونَ إِلَى مَكَارِمِ الأَخْلَاقِ، وَمَحَاسِنِ الأَعْمَالِ.

وَيَعْتَقِدُونَ مَعْنَى قَوْلِهِ ﷺ: «أَكْمَلُ المُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا»(٣) وَيَنْدُبُونَ إِلَى أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ، وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ، وَتَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ، وَيَأْمُرُونَ بِبِرِّ الوَالِدَيْنِ، وَصِلَةِ الأَرْحَامِ، وَحُسْنِ الجِوَارِ، وَالإِحْسَانِ إِلَى اليَتَامَى وَالمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ، وَالرِّفْقِ

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨١، ٢٤٤٦، ٦٠٢٦)، ومسلم (٢٥٨٥) عن أبي موسى ﷺ.

(٢) أخرجه البخاري (٦٠١١)، ومسلم (٢٥٨٦) عن النعمان بن بشير

(٣) أخرجه أحمد (٧٤٠٢)، وأبو داود (٤٦٨٤)، والترمذي (١١٦٢)، وأبو يعلى (٥٩٢٦)، وابن حبان (٤٧٩) من حديث أبي هريرة بسند صحيح، وله شواهد كثيرة. قال أبو عيسى: حديث أبي هريرة هذا حديث حسن صحيح.

بِالمَمْلُوكِ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ الفَخْرِ وَالخُيَلاءِ، وَالبَغْيِ، وَالاسْتِطَالَةِ عَلَى الخَلقِ بِحَقٍّ أَوْ بِغَيْرِ حَقٍّ، وَيَأْمُرُونَ بِمَعَالِي الأَخْلاقِ، وَيَنْهَوْنَ عَنْ سَفْسَافِهَا وَكُلُّ مَا يَقُولُونَهُ أَوْ يَفْعَلُونَهُ مِنْ هَذَا وَغَيْرِهِ؛ فَإِنَّمَا هُمْ فِيهِ مُتَّبِعُونَ لِلكِتَابِ وَالسُّنَّةِ).

الشرح

❁ **ابن باز**: هذه الكلمات التي ذكرها المؤلف عن أهل السنة والجماعة، كلمات عظيمة، تكتب بماء الذهب، وينبغي على كل مؤمن أن يعتقدها، وأن يستقيم عليها، وأن يسير عليها؛ لأنها هي قول أهل السنة والجماعة؛ ولأن القرآن العظيم والسنة المطهرة قد دلا على ذلك، فأهل السنة والجماعة موصوفون بكل خير، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر على ما توجبه الشريعة مقتدين بالشرع، كما قال جل وعلا: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ [التوبة: ٧١].

هكذا يرون إقامة صلاة الجمعة والأعياد والجمع والجهاد مع الأمراء، أبرارًا كانوا أو فجارًا؛ لما في هذا من استقامة الجهاد، وأمن البلاد، واتحاد الكلمة، ووزره ومعاصيه عليه، ولو كان عنده بعض المعاصي، فيصلون معه الجمع والجماعات ويجاهدون معه كما جرى في عهد بني أمية وبني العباس وغيرهم.

ويأمرون ببر الوالدين وصلة الأرحام، وحسن الجوار، ويدعون إلى مكارم الأخلاق، ومحاسن الأعمال، ويدعون إلى أن تصل من قطعك وتعفو عمّن ظلمك وتعطي من حرمك، ويعتقدون ما قاله النبي ﷺ: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر**». وقوله ﷺ: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا**». وقوله ﷺ: «**أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا**» كل هذا يعتقده أهل السنة والجماعة، وهم في كل ما يقولون

ويفعلون متقيدون بالكتاب والسنة، ليس لهم هدف آخر، بل أقوالهم وأعمالهم مقيدة بالكتاب والسنة؛ ولهذا سموا أهل السنة، وسُموا أهل الجماعة، وسموا أهل الكتاب والسنة؛ لأنهم اجتمعوا على ذلك وتعاقدوا على ذلك، وتعاونوا على ذلك، فهم أهل السنة والجماعة وهم أهل الكتاب والسنة، كما بيّن ذلك أهل العلم. اهـ

❁ **الهراس**: جمع المؤلف في هذا الفصل جماع مكارم الأخلاق التي يتخلق بها أهل السنة والجماعة، من الأمر بالمعروف -وهو ما عرف حسنه بالشرع والعقل- والنهي عن المنكر -وهو كل قبيح عقلًا وشرعًا- على حسب ما توجبه الشريعة من تلك الفريضة، كما يفهم من قوله ﷺ: «**من رأى منكم منكرًا؛ فليغيره بيده، فإن لم يستطع، فبلسانه، فإن لم يستطع، فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**»(١).

ومن شهود الجمع، والجماعات، والحج، والجهاد مع الأمراء أيًّا كانوا؛ لقوله ﷺ: «**صلوا خلف كل بر وفاجر**»(٢).

ومن النصح لكل مسلم؛ لقوله ﷺ: «**الدين النصيحة**»(٣). ومن فهم صحيح لما توجبه الأخوة الإيمانية من تعاطف، وتواد، وتناصر، كما في هذه الأحاديث التي يشبه فيها الرسول المؤمنين بالبنيان المرصوص المتماسك اللبنات، أو بالجسد المترابط الأعضاء من دعوة إلى الخير، وإلى مكارم الأخلاق، فهم يدعون إلى الصبر على المصائب، والشكر على النعماء، والرضا بقضاء الله وقدره.. إلى غير ذلك مما ذكره. اهـ

---

(١) أخرجه مسلم (٤٩) عن أبي سعيد الخدري.

(٢) أخرجه أبو داود (٥٩٤، ٢٥٣٣)، والدارقطني (١٧٦٨)، والبيهقي في «الكبرى» (٧٠٨٠) من حديث مكحول عن أبي هريرة به، واللفظ للدارقطني والبيهقي. وهذا الإسناد ضعيف منقطع؛ لأن مكحولاً لم يسمع من أبي هريرة، وبذلك أعله الحفاظ.
انظر: «إرواء الغليل» (٥٢٧)، و«خلاصة الأحكام» للنووي (٢/ ٩٩٢، ٩٩٣)، و«نصب الراية» (٢/ ٢٦)، و«البدر المنير» (٤/ ٤٥٥-٥٦٣).

(٣) أخرجه مسلم (٥٥) من حديث تميم الداري.

قوله: (ثُمَّ هُمْ مَعَ هَذِهِ الأُصُولِ يَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ).

❁ آل الشيخ: يعني: أهل السنة والجماعة «مَعَ هَذِهِ الأُصُولِ» العظيمة والهامة، وعملهم بهذه الأصول والعقائد القيمة المتقدم ذكرها «يَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ» فإنه أصل عظيم وعبادة عظمى من أجل الطاعات، كما أنها مفتقرة أن تفعل ابتغاء وجه الله الكريم.

والمعروف: هو ما عرف بالشرع أنه ينبغي، سواء من الواجب أو المندوب. «وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ» والمنكر: اسم لكل شيء عرف من الشرع والعقل قبحه، فكل ما أنكره الشرع والعقل فهو منكر، وكل ما استحسنه الشرع والعقل، فهو معروف، والمعروف: اسم لكل شيء عرف من الشرع والعقل حسنه.

❁ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، باب عظيم كبير من أبواب الجهاد، فهو من الدين بمكان؛ ولهذا في النصوص شرعية الأمر به. وقيل: إنه ركن سادس من أركان الدين لأثر ورد. والمعروف كلمة شاملة وهو: كل ما جاء به الشرع، وأعظمه التوحيد. والمنكر: اسم لكل ما نهى عنه الشرع، وأعظمه الكفر، فما أنكرته العقول السليمة، والفطر المستقيمة، والشرائع المنزلة، فهو منكر، والمعروف بعكسه.

فأعلى المعروف التوحيد، وأدناه المستحبات، فإن بكُلِّها مما يأمر به أهل السنة والجماعة، فبعضها -مما يأمرون به- حتم ووجوب ويقاتلون عليه، ومنها ما يأمرون به أمر حتم ووجوب، ولكن ليس مثل الأول، ومنها ما يأمرون به أمر ندب لا وجوب.

فالأمر بالمعروف عند أهل السنة درجات -طبقات- منها مما هو من أركان الدين كالأمر بالتوحيد، ومنها ما هو من واجبات الدين، ومنها ما هو من المندوبات، فهو درجات، منه ما هو مندوب كالأمر بالمندوبات، وفوقه الأمر بالواجبات، وفوق ذلك الذي يفتقر الدين إلى صحته.

فأهل السنة والجماعة يأمرون بالمعروف الذي أعلاه وأعظمه التوحيد، ويفرضون الفرضيات ويأمرون بالمستحبات، وينهون عن الشرك أصغره وأكبره وينكرونه، وينهون عن الكبائر، وينهون عن المكروهات والمحرمات والصغائر.

والمنكرات يكفي معرفتها جملة، بخلاف الواجبات فإنها جملة وتفصيلًا. اهـ

طريقة أهل السنة والجماعة في الأمر والنهي

* **العثيمين**: طريقة أهل السنة والجماعة في سيرتهم وعملهم: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على ما توجبه الشريعة، والمعروف ما عرف حسنه شرعًا، والمنكر ما عرف قبحه شرعًا؛ فما به أَمَر الشارع فهو معروف، وما نهى عنه فهو منكر.

شروط الأمر بالمعروف

وللأمر بالمعروف شروط:

١- أن يكون المتولي لذلك عالمًا بالمعروف وبالمنكر.

٢- أن لا يخاف ضررًا على نفسه.

٣- أن لا يترتب على ذلك مفسدة أكبر. اهـ

* **السعدي**: قوله: «**يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر على ما توجبه الشريعة**» أي: باليد ثم باللسان ثم بالقلب تبع القدرة والمصلحة، ويسلكون أقرب طريق يحصل به المقصود، بالرفق والسهولة متقربين بنصيحة الخلق إلى الله، قاصدين نفع الخلق وإيصالهم إلى كل خير، وكفِّهم عن كل شر، ساعين في ذلك بحسب وسعهم. اهـ

ضابط الأمر والنهي

❁ **آل الشيخ**: قوله: «على ما توجيه الشريعة»، فإن قومًا يرونه لكن لا على ما توجبه الشريعة، كالذي عليه الخوارج والمعتزلة، الذين يرون الخروج على الأئمة، وقتال الأئمة على شيء من المعاصي التي لا تنافي الدين.

فقوله: «على ما توجيه الشريعة» قيد، يعني لا مطلقًا، فإن قومًا تصدوا له وزعموه، ولكن خرجوا عن حد الشريعة، فإن منهم من رأى الخروج على المسلمين على غير ما توجبه الشريعة، فالخوارج أمروا بالمعروف حتى جوزوا الخروج على الأئمة، وأما أهل السنة والجماعة فهم على ما توجبه الشريعة.

شروط الأمر والنهي

والآمر بالمعروف والناهي عن المنكر لابد له من أمرين: الإخلاص والمتابعة، فمن لم يخلص أمره ونهيه فهو مشرك.

ومن أخلص ولكن ما تابع فهو مبتدع، كالمعتزلة والخوارج، فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أحد أصولهم، لكنهم لم يتابعوا في ذلك ما جاء به الرسول ويُفْرِطُون في ذلك، حتى جوزوا الخروج على الأئمة العصاة، وسمَّوا قتالهم ولاة المسلمين أمرًا بالمعروف، والمصنف احترز بهذا القيد فقال: «على ما توجبه الشريعة»، فإن كثيرًا ممن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر خارج عن هذا القيد، فلا يُزاد في ذلك، فيَدْخل في سلك هؤلاء، ولا يُنقص فيدخل في سلك الإباحية أو أهل الشهوات. اهـ

أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

* قال شيخ الإسلام(١): الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو الذي أنزل الله به كتبه وأرسل به رسله وهو من الدين... وقوله سبحانه في صفة نبينا ﷺ: ﴿يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ [الأعراف: ١٥٧] هو لبيان كمال رسالته فإنه ﷺ هو الذي أمر الله على لسانه بكل معروف، ونهى عن كل منكر، وأحل كل طيب، وحرم كل خبيث؛ ولهذا روى عنه ﷺ انه قال: «إنما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق»(٢)...

وكذلك وصف الله هذه الأمة بما وصف به نبيها، حيث قال: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وقال: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [التوبة: ٧١]...

فبين الله سبحانه أن هذه الأمة خير الأمم للناس، فهم أنفعهم لهم وأعظمهم أحسانًا إليهم لأنهم كملوا أمر الناس بالمعروف ونهيهم عن المنكر من جهة الصفة والقدر حيث أمروا بكل معروف، ونهوا عن كل منكر، لكلِّ أحد وأقاموا ذلك بالجهاد في سبيل الله بأنفسهم وأموالهم، وهذا كمال النفع للخلق... والله ﷻ -كما أخبر بأنها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر- فقد أوجب ذلك على الكفاية منها بقوله: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤]...

---

(١) في «الاستقامة» (٢/ ١٩٨وما بعدها) باختصار.

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٨٩٥٢)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٢٧٣)، وابن سعد في «الطبقات» (١/ ١٩٢)، والحاكم (٤٢٢١)، وقال: صحيح على شرط مسلم، والقضاعي في «مسند الشهاب» (١٢٦٥)، والبيهقي في «الكبرى» (٢٠٥٧١)، والبزار (٨٩٤٩) بسند حسن من حديث أبي هريرة.

حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

ووجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يجب على كل أحد بعينه بل هو على الكفاية كما دل عليه القرآن... فإذا لم يقم به من يقوم بواجبه، أَثِمَ كل قادر بحسب قدرته إذ هو واجب على كل إنسان بحسب قدرته، كما قال النبي ﷺ: «**من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**»[(١)]، وإذ كان كذلك فمعلوم أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإتمامه بالجهاد هو من أعظم المعروف الذي أُمِرنا به.

المنهج الشرعي في الأمر والنهي

والرفق سبيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ ولهذا قيل: ليكن أمرك بالمعروف بالمعروف، ونهيك عن المنكر غير منكر.

وإذا كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أعظم الواجبات أوالمستحبات، فالواجبات والمستحبات لابد أن تكون المصلحة فيها راجحة على المفسدة، إذ بهذا بعثت الرسل وأنزلت الكتب، والله لا يحب الفساد؛ بل كل ما أمر الله به فهو صلاح، وقد أثنى الله على الصلاح والمصلحين والذين آمنوا وعملوا الصالحات، وذم الفساد والمفسدين في غير موضع.

فحيث كانت مفسدةُ الأمر والنهي أعظمَ من مصلحته لم يكن مما أمر الله به؛ وإن كان قد تُرِكَ واجبٌ وفُعِلَ محرم؛ إذِ المؤمن عليه أن يتقي الله في عباد الله، وليس عليه هداهم، وهذا من معنى قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ ﴾ [المائدة: ١٠٥]، والاهتداء إنما يتم بأداء الواجب، فإذا قام المسلم بما يجب عليه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما قام بغيره من الواجبات لم يضره ضلال الضال.

---

(١) أخرجه مسلم (٤٩) عن أبي سعيد.

وذلك يكون تارة بالقلب وتارة باللسان وتارة باليد.

* فأما القلب؛ فيجب بكل حال، إذ لا ضرر في فعله، ومن لم يفعله فليس هو بمؤمن، كما قال النبي ﷺ: «**وذلك أدنى أو أضعف الإيمان**»، وقال: «**ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل**»(١)، وقيل لابن مسعود رضي الله عنه: من ميت الأحياء؟ فقال: الذي لا يعرف معروفًا، ولا ينكر منكرًا(٢). وهذا هو المفتون الموصوف بأن قلبه كالكوز مُجَخِّيًا، في حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه في الصحيحين: «**تعرض الفتن على القلوب عرض الحصير**»(٣)، الحديث.

المنحرفون في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

وهنا يغلط فريقان من الناس:

١- فريق يترك ما يجب من الأمر والنهي؛ تأويلًا لهذه الآية، كما قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه في خطبته: أيها الناس، إنكم تقرؤون هذه الآية ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥]، وإنكم تضعونها في غير موضعها، وإني سمعت النبي ﷺ يقول: «**إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه**»(٤).

---

(١) أخرجه مسلم (٥٠) من حديث ابن مسعود.

(٢) هذا الأثر معروف عن حذيفة بن اليمان، أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٨٧٣٢)، والبيهقي في «الشعب» (٧١٨٤) بسند صحيح.

(٣) أخرجه مسلم (١٤٤).

(٤) أخرجه الإمام أحمد (١، ١٦، ٢٩، ٣٠، ٥٣)، والحميدي (٣)، وابن أبي (١٥/ ١٧٤-١٧٥)، وأبو داود (٤٣٣٨)، وابن ماجه (٤٠٠٥)، والبزار (٦٥)، وأبو يعلى (١٣٢)، وصححه ابن حبان (٣٠٤) وسنده صحيح على شرط الشيخين.

٢- **والفريق الثاني**: من يريد أن يأمر وينهى، إما بلسانه وإما بيده مطلقًا، من غير فقهٍ، ولا حكم، ولا صبر، ولا نظر فيما يصلح من ذلك، وما لا يصلح، وما يقدر عليه وما لا يقدر، كما في حديث أبي ثعلبة الخشني سألتُ عنها -أي: الآية- رسولَ الله ﷺ فقال: **«بل ائتمروا بالمعروف، وتناهوا عن المنكر، حتى إذا رأيت شحًا مطاعًا، وهوًى متبعًا، ودنيا مؤْثَرةً، وإعجابَ كلِّ ذي رأيٍ برأيِهِ، ورأيت أمرًا لا يدان لكَ به، فعليك بنفسك، ودع عنك أمر العوامِّ، فإن من ورائكَ أيامَ الصبرِ الصبرُ فيهن مثلُ قبضٍ على الجمر، للعامل فيهن كأجر خمسين رجلًا يعملون مثل عمله»**[١]، فيأتي بالأمر والنهي معتقدًا أنه مطيع في ذلك لله ورسوله وهو معتَدٍ في حدوده، كما نصب كثير من أهل البدع والأهواء نفسَه للأمر والنهي، كالخوارج والمعتزلة والرافضة وغيرهم، ممن غلِط فيما أتاه من الأمر والنهي والجهاد وغير ذلك، فكان فساده أعظم من صلاحه.

ولهذا أمر النبي ﷺ بالصبر على جور الأئمة، ونهى عن قتالهم ما أقاموا الصلاة، وقال: **«أدوا إليهم حقوقهم، وسلوا الله حقوقكم»**[٢].

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٣٤١)، والترمذي (٣٠٥٨)، وقال: حسن غريب، وابن ماجه (٤٠١٤)، زاد الترمذي وأبو داود: قيل: يا رسول الله، أجر خمسين منا أو منهم؟ قال: «بل أجر خمسين منكم». وإسناده صحيح، ويفسر هذا حديثُ عبد الله بن عمرو قال: شبّك رسول الله ﷺ أصابعه، وقال: كيف بك يا عبد الله بن عمرو إذا بقيت في حثالة قد مرجت عهودهم وأماناتهم واختلفوا فصاروا هكذا؟ قال: فكيف يا رسول؟ قال: «تأخذ ما تعرف، وتدع ما تنكر، وتقبل على خاصتك، وتدعهم عوامّهم» رواه البخاري كما في «الجمع بين الصحيحين» للحميدي (١٤٣٥)، وجامع الأصول (٧٤٥٦)، والحاكم (٢/ ١٧١)، وقال: صحيح ولم يخرجا سياقه، وأبو يعلى (٥٥٩٣)، والطبراني في «الأوسط» (٤٢٩٩، ٢٧٧٦)، والذي في البخاري (٤٧٨-٤٨٠) ذكر التشبيك فقط.

(٢) أخرجه البخاري (٧٠٥٢) عن ابن مسعود قال: قال لنا رسول الله ﷺ: «إنكم سترون بعدي أثرة وأمورًا تنكرونها» قالوا: فما تأمرنا يا رسول الله؟ قال: «أدوا إليهم حقهم، وسلوا الله حقكم».

ولهذا كان من أصول أهل السنة والجماعة لزوم الجماعة، وترك قتال الأئمة، وترك القتال في الفتنة، وأما أهل الأهواء كالمعتزلة، فيرون القتال للأئمة من أصول دينهم.

وجماع ذلك: داخل في القاعدة العامة، فيما اذا تعارضت المصالح والمفاسد والحسنات والسيئات أو تزاحمت، فإنه يجب ترجيح الراجح منها، فيما إذا ازدحمت المصالح والمفاسد وتعارضت المصالح والمفاسد، فإن الأمر والنهى -وإن كان متضمنًا لتحصيل مصلحة ودفع مفسدة- فينظر في المعارض له، فإن كان الذي يفوت من المصالح، أو يحصل من المفاسد أكثر، لم يكن مأمورًا به؛ بل يكون محرمًا إذا كانت مفسدته أكثر من مصلحته.

لكن اعتبار مقادير المصالح والمفاسد هو بميزان الشريعة، فمتى قدر الإنسان على اتباع النصوص لم يعدل عنها، وإلا اجتهد رأيه لمعرفة الأشباه والنظائر، وقلَّ أن تعوز النصوص من يكون خبيرًا بها وبدلالتها على الأحكام.

وعلى هذا إذا كان الشخص أو الطائفة جامعين بين معروف ومنكر، بحيث لا يفرقون بينهما، بل إما أن يفعلوهما جميعًا أو يتركوهما جميعًا لم يجز أن يؤمروا بمعروف، ولا أن ينهوا عن منكر، بل ينظر، فإن كان المعروف أكثرَ أمر به، وإن استلزم ما هو دونه من المنكر.

ولم ينه عن منكر يستلزم تفويت معروف أعظم منه، بل يكون النهي حينئذ من باب الصد عن سبيل الله والسعي في زوال طاعته، وطاعة رسوله ﷺ، وزوال فعل الحسنات.

وإن كان المنكر أغلب، نهي عنه، وإن استلزم فوات ما هو دونه من المعروف ويكون الأمر بذلك المعروف المستلزم للمنكر الزائد عليه أمرًا بمنكر، وسعيًا في معصية الله ورسوله ﷺ.

* وإن تكافأ المعروف والمنكر المتلازمان لم يؤمر بهما ولم ينه عنهما.

فتارة يصلح الأمر، وتارة يصلح النهي، وتارة لا يصلح لا أمر ولا نهي، حيث كان المنكر والمعروف متلازمين، وذلك في الأمور المعينة الواقعة[(١)].

وأما من جهة النوع، فيؤمر بالمعروف مطلقًا، وينهى عن المنكر مطلقًا[(٢)].

وفي الفاعل الواحد والطائفة الواحدة يؤمر بمعروفها وينهى عن منكرها، ويحمد محمودها، ويذم مذمومها، بحيث لا يتضمن الأمر بمعروف فوات معروف أكبر منه، أو حصول منكر فوقه، ولا يتضمن النهي عن المنكر حصول ما هو أنكر منه، أو فوات معروف أرجح منه.

* وإذا اشتبه الأمر، استثبت المؤمن حتى يتبين له الحق، فلا يُقْدِم على الطاعة إلا بعلم ونية، وإذا تركها كان عاصيًا، فترك الأمر الواجب معصية، وفعل ما نهى عنه من الأمر معصية، وهذا باب واسع، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ومن هذا الباب إقرار النبي ﷺ لعبد الله بن أُبَيٍّ وأمثاله من أئمة النفاق والفجور، لما لهم من الأعوان، فإزالة منكره بنوع من عقابه مستلزمة إزالة معروف أكبر من ذلك، بغضب قومه وحميتهم، وبنفور الناس إذا سمعوا أن محمدًا يقتل أصحابه؛ ولهذا لما خاطب[(٣)] الناس -في قصة الإفك- بما خاطبهم به واعتذر منه وقال له سعد بن معاذ قوله -الذي أحسن فيه- حَمِيَ له سعد بن عبادة، مع حسن إيمانه وصدقه وتعصَّبَ لكلٍ منهم قبيلُه، حتى كادت تكون فتنة[(٤)].

---

(١) يعني: في قضايا الأعيان إذا كانت واقعة من أشخاص معينين أو جهات معينة فيراعى في ذلك المصالح والمفاسد.

(٢) يعني: الكلام في نوع المنكر والتحذير منه دون تعيين الفاعلين ومواجهتهم، كالتحذير من الربا أو الزنا، ونحو ذلك، وكذلك الأمر بالمعروف. فهذا يفعل مطلقًا؛ لأن ذلك مصلحة راجحة لا مفسدة معها، إلا نادرًا، والنادر لا حكم له.

(٣) في نسخة: (خطب).

(٤) أخرجه البخاري (٤٧٥٠) عن عائشة.

وأصل هذا أن تكون محبة الإنسان للمعروف وبغضه للمنكر وإرادته لهذا وكراهته لهذا موافقًا لحب الله وبغضه وإرادته وكراهته الشرعيتين، وأن يكون فعله للمحبوب ودفعه للمكروه بحسب قوته وقدرته، فإن الله لا يكلف نفسًا إلا وسعها، وقد قال: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦].

فأما حب القلب، وبغضه، وإرادته، وكراهته، فينبغي أن تكون كاملة جازمة لا يوجب نقص ذلك إلا نقص الإيمان، وأما فعل البدن فهو بحسب قدرته، ومتى كانت إرادة القلب وكراهته كاملة تامة وفعل العبد معها بحسب قدرته فإنه يعطى ثواب الفاعل الكامل.

فإن من الناس من يكون حبه، وبغضه، وإرادته، وكراهته بحسب محبة نفسه وبغضها، لا بحسب محبة الله ورسوله وبغض الله ورسوله ﷺ، وهذا من نوع الهوى، فإن اتبعه الإنسان فقد اتبع هواه ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠]، فإن أصل الهوى هو محبة النفس ويتبع ذلك بغضها.

والهوى نفسه -وهو الحب والبغض الذي في النفس- لا يلام العبد عليه، فإنَّ ذلك لا يملكه، وإنما يلام على اتِّباعه، كما قال تعالى: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [ص: ٢٦]. وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠]، وقال النبي ﷺ: «**ثلاث منجيات: خشية الله في السر والعلانية، والقصد في الفقر والغنى، وكلمة الحق في الغضب والرضا. وثلاث مهلكات: شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه**»(١).

---

(١) أخرجه البزار (٨٠ - كشف) من حديث أنس، وأخرجه البيهقي في «الشعب» (٦٨٦٥) من حديث أبي هريرة، وله طرق وشواهد خرَّجها الألباني في «الصحيحة» (١٨٠٢)، وقال في «صحيح الجامع» (٥٣٥٠): حسن، وقال في «المشكاة» (٥١٢٢): حسن بشواهده. اهـ

والحب والبغض يتبعه ذوق عند وجود المحبوب والمبغض، ووجد وإرادة، وغير ذلك، فمن اتبع ذلك بغير أمر الله ورسوله فهو ممن اتبع هواه بغير هدى من الله، بل قد يتمادى به الأمر إلى أن يتخذ إِلَهَهُ هواه...

ولما كان العمل لابد فيه من شيئين: النية، والحركة، كما قال النبي ﷺ: «**أصدق الأسماء حارث وهمام**»(١) فكل أحد حارث وهمام، له عمل ونية، لكن النية المحمودة التي يتقبلها الله ويثيب عليها هي أن يراد الله وحده بذلك العمل، والعمل المحمود هو الصالح، وهو المأمور به..

وإذا كان هذا حد كل عمل صالح فالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر يجب أن يكون كذلك، هذا في حق الآمر الناهي بنفسه، ولا يكون عمله صالحًا إن لم يكن بعلمٍ وفقهٍ، كما قال عمر بن عبد العزيز: من عبَدَ الله بغير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح. وكما في حديث معاذ بن جبل ﷺ: «**العلم إمام العمل والعمل تابعه**»(٢).

وهذا ظاهر فإن القصد والعمل إن لم يكن بعلم كان جهلًا، وضلالًا، واتباعًا للهوى، كما تقدم.

وهذا هو الفرق بين أهل الجاهلية وأهل الاسلام، فلابد من العلم بالمعروف والمنكر والتمييز بينهما، ولابد من العلم بحال المأمور وحال المنهي.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (١٩٠٣٢)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٨١٤)، وأبو داود (٤٩٥٠)، والنسائي (٦/ ٢١٨)، وفي «الكبرى» (٤٤٠٦)، وأبو يعلى (٧١٦٩-١٧٧١)، والطبراني في «الكبرى» (ج٢٢/ ح٩٤٩)، والبيهقي في «الكبرى» (١٩٠٩٠) وهو صحيح.

(٢) أخرجه الحافظ أبو عمر بن عبد البر في «جامع فضل العلم» (٢٠٣)، والآجري في «أخلاق العلماء» (٤٢)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٢٣٩)، وروي مرفوعًا لكنه لا يصح، انظر: «السلسلة الضعيفة» للألباني (٥٢٩٣)، و«ضعيف الترغيب والترهيب» (٤٧).

ومن الصلاح أن يأتي بالأمر والنهي على الصراط المستقيم، وهو أقرب الطرق الى حصول المقصود، ولابد في ذلك من الرفق كما قال النبي ﷺ: «**ما كان الرفق في شيء إلا زانه، ولا كان العنف في شيء إلا شانه**»(١)، وقال ﷺ: «**إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله**»(٢)، وقال: «**إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي عليه ما لا يعطي على العنف**»(٣).

ولابد أيضًا أن يكون حليمًا صبورًا على الأذى، فلابد أن يحصل له أذى فإن لم يحلم ويصبر كان ما يفسد أكثر مما يصلح، كما قال لقمان لابنه: ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧].

ولهذا أمر الله الرسل -وهم أئمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر- بالصبر، فلابد من هذه الثلاثة: العلم، والرفق، والصبر. العلم قبل الأمر والنهي، والرفق معه، والصبر بعده. وإن كان كل من الثلاثة لابد أن يكون مستصحبًا في هذه الأحوال، وهذا كما جاء في الأثر عن بعض السلف -ورووه مرفوعًا، ذكره القاضي أبو يعلى في «المعتمد»: «لا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر إلا من كان فقيهًا فيما يأمر به، فقيهًا فيما ينهى عنه، رفيقًا فيما يأمر به، رفيقًا فيما ينهى عنه، حليمًا فيما يأمر به، حليمًا فيما ينهى عنه»(٤)... اهـ ملخصًا.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٩٤) عن عائشة.

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٢٤، ٦٢٥٧، ٦٣٩٥، ٦٩٢٧)، ومسلم (٢١٦٥، ٢٥٩٣) عن عائشة.

(٣) أخرجه مسلم (٢٥٩٣) عن عائشة.

(٤) أخرجه أبو بكر الخلال في «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» (٣٢) عن المروذي، عن أبي عبد الله بن الربيع الصوفي قال: دخلت على سفيان الثوري بالبصرة، فقلت: يا أبا عبد الله، إني أكون مع هؤلاء المحتسبة، فندخل على هؤلاء الخبيثين، ونتسلق الحيطان؟ قال: أليس لهم أبواب؟ قلت: بلى، ولكن ندخل عليهم؛ لكيلا يفروا. فأنكر ذلك إنكارًا شديدًا، وعاب فعالنا، فقال رجل: من أدخل هذا؟ قلت: إنما أدخل إلى الطبيب؛ لأخبره بدائي. فانتفض سفيان وقال: إنما أهلكنا أنَّا نحن سقمى ونسمى أطباء. ثم قال: لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر إلا من كان فيه خصال ثلاث: رفيق بما يأمر، رفيق بما ينهى، عدل بما يأمر، عدل بما ينهى، عالم بما يأمر، عالم بما ينهى. اهـ

لزوم الجماعة مع الأئمة وإن كانوا فجارًا

قوله: (وَيَرَوْنَ إِقَامَةَ الحَجِّ وَالجِهَادِ، وَالجُمَعِ وَالأَعْيَادِ مَعَ الأُمَرَاءِ أَبْرَارًا كَانُوا أَوْ فُجَّارًا).

❁ قال الشيخ: أي: كذلك أهل السنة يرون «إقامة الحج» فإنهم في ذلك كالأئمة للناس. يعني: مع ولاتهم المسلمين، بأن يكونوا هم المتولين منهم أعمال الحج، واتباع المسير فيها، والذهاب إليها، وتدبير أمرها، أو من يقوم مقامهم، كنوابهم الذين يتولون إقامة الحج بالمسلمين في سيرهم ونزولهم، وظعنهم وإقامتهم ونحو ذلك. والجهاد كما في الحديث: «الجهاد واجب عليكم مع كل أمير، برًّا كان أو فاجرًا»[1]، و«الجهاد» جهاد الكفار أعداء الله. يعني: مع ولاة الأمور، فإنهم الذين يتولون إقامة الجهاد في سبيل الله، كما أنهم يتولون فَيئَه، وخُمُسَه، ونحو ذلك، فكذلك يتولون إقامته، وتدبيره، وأمره، وشؤونه، فلا ينازعون فيه، فإنه لا جماعة إلا بإمامة، ولا إمامة إلا بسمع وطاعة.

وقوله: (وَالجُمَعِ وَالأَعْيَادِ مَعَ الأُمَرَاءِ أَبْرَارًا كَانُوا أَوْ فُجَّارًا) أي: إقامة الجُمَع مع الأئمة والصلاة خلفهم واجبة ولو كانوا عصاة فجارًا، فإنه تصح الصلاة خلفهم، والمراد إذا كان مسجد واحد يصلي به إمام فاجر، فإن الصلاة خلفه أهون من ترك الصلاة مع الجماعة، وهذا بخلاف الصلوات الخمس فإنها لا تجب في مسجد واحد، وأما الجمعة فتجب في مسجد واحد على قول من لا يرى التعدد إلا لمسوغ شرعي.

---

(١) رواه أبو داود (٢٥٣٣)، وسنن الدارقطني (٢/ ٥٦) والبيهقي في «السنن الكبرى» (٥٠٨٣) بسند ضعيف من حديث أبي هريرة ﷺ: قال: رسول الله ﷺ: «الجهاد واجب عليكم مع كل أمير، برًّا كان أو فاجرًا، والصلاة واجبة عليكم خلف كل مسلم، برًّا كان أو فاجرًا، وإن عمل الكبائر، والصلاة واجبة على كل مسلم، برًّا كان أو فاجرًا، وإن عمل الكبائر».

ويقيمون الأعياد مع الأئمة، فيُصلَّى مع الأئمة الأمراء. يعني: كون الأئمة هم الذين يتولون إقامة ذلك.

قوله: (وَيُحَافِظُونَ عَلَى الجَمَاعَاتِ) أي: ويحافظون على الجمع والجماعات، هذا مما عليه أهل السنة، الصلوات الخمس مع الجماعة، وكذلك الجمع، وقد همَّ النبي ﷺ بإحراق من لم يشهد الجماعة، والجمعة أهم وآكد. يحافظون على الجماعات. يعني: وراء كل مسلم، بخلاف الروافض، فإنهم لا يرون إقامتها إلا وراء معصوم، وينتظرون محمد العسكري وقيل: إنهم مُعِدُّون له بغلة وفرسًا- متى خرج صلوا وراءه، وهذا أصل فاسد ومردود عليهم، فإنهم أنفسهم غير معصومين، بل تقع منهم المعاصي، بل والكفر، فكيف يرون أن لا يصلوا إلا وراء معصوم؟! اهـ

* **السعدي**: وذلك لأن غرضهم الوحيد: تحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد أو تقليلها، فلا يمتنعون من إعانة الظالم على الخير وترغيبه فيه قولًا وفعلًا، فيشاركون الولاة الظلمة في الخير، ويفارقونهم في الشر، ويحرصون على الاتفاق، وينهون عن الافتراق. اهـ

* **العثيمين**: طريقة أهل السنة والجماعة في سيرتهم وعملهم: النصح لولاة الأمور وإقامة الحج والجهاد والجمع والأعياد معهم أبرارًا كانوا أو فجارًا، والتزام السمع والطاعة لهم ما لم يأمروا بمعصية الله. اهـ

* **قال شيخ الإسلام**(١): من أصول أهل السنة والجماعة الغزو مع كل بر وفاجر، «فإن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وبأقوام لا خلاق لهم» كما أخبر بذلك النبي ﷺ(٢)؛

---

(١) في «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٥٠٦).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٢٠٤٥٤) عن أبي بكرة بسند فيه ضعف، لكنه يصح بشواهد، فقد أخرجه البزار (١٧٢٠-١٧٢٢ كشف)، والترمذي في «العلل» (٢/ ٩٥٥-٩٥٦)، والنسائي في «الكبرى» (٨٨٨٦)، والطبراني في «الصغير» (١٣٢)، و«الأوسط» (١٩٦٩)، وصححه ابن حبان (٤٥١٧)، من طرق عن أنس بن مالك.

=

لأنه إذا لم يتفق الغزو إلا مع الأمراء الفجار أو مع عسكر كثير الفجور، فإنه لابد من أحد أمرين: إما ترك الغزو معهم، فيلزم من ذلك استيلاء الآخرين الذين هم أعظم ضررًا في الدين والدنيا، وإما الغزو مع الأمير الفاجر فيحصل بذلك دفع الأفجرين، وإقامة أكثر شرائع الإسلام، وإن لم يمكن إقامة جميعها. فهذا هو الواجب في هذه الصورة وكل ما أشبهها، بل كثير من الغزو الحاصل بعد الخلفاء الراشدين لم يقع إلا على هذا الوجه، وثبت عن النبي ﷺ **«الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة: الأجر والمغنم»**(١) فهذا الحديث الصحيح يدل على معنى ما رواه أبو داود في «سننه» من قوله ﷺ: **«الغزو ماض منذ بعثني الله إلى أن يقاتل آخر أمتي الدجال، لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل»**(٢) وما استفاض عنه ﷺ أنه قال: **«لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم إلى يوم القيامة»**(٣)، إلى غير ذلك من النصوص التي اتفق أهل السنة والجماعة من جميع الطوائف على العمل بها في جهاد من يستحق الجهاد، مع الأمراء، أبرارهم وفجارهم، بخلاف الرافضة والخوارج الخارجين

=

وأخرجه مسدد كما في «المطالب العالية» (٢٢٩٣)، وابن حبان (٤٥١٨) من حديث ابن مسعود، وأخرجه الطبراني في «الكبير» (ج١٧/ ح٨١)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (١٠٩٦) عن عمرو بن النعمان بن مقرن، وأخرجه الطبراني في «الكبير» (ج١٣/ ح٥٦) عن عبد الله بن عمرو بسند ضعيف، فهو صحيح بهذه الشواهد. انظر: تخريج المسند للأرنؤوط (٣٤/ ١٠٥)، و«السلسلة الصحيحة» (١٦٤٩) للشيخ الألباني.

(١) أخرجه البخاري (٢٨٥٢) في الجهاد: باب الجهاد ماض مع البر والفاجر؛ لقول النبي ﷺ: «الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة» ثم ذكر الحديث مسندًا. وأخرجه أيضًا (٣١١٩)، ومسلم (١٨٧٣) من حديث عروة البارقي.

(٢) أخرجه سعيد بن منصور (٢٣٦٧ - ط: الأعظمي) وعنه أبو داود (٢٥٣٢)، والبيهقي في «الكبرى» (١٨٢٦١)، وكذا أبو يعلى (٤٣١١، ٤٣١٢)، وفي سنده ضعف. انظر: «ضعيف سنن أبي داود (الأم)» (٢/ ٣١١).

(٣) حديث متواتر، أخرجه الشيخان عن جماعة من الصحابة منها حديث معاوية أخرجه البخاري (٧١، ٣١١٦، ٣٦٤١، ٧٣١٢، ٧٤٦٠)، ومسلم (١٠٣٧).

عن السنة والجماعة، هذا مع إخباره ﷺ بأنه «سيلي أمراء ظلمة خونة فجرة، فمن صدقهم بكذبهم، وأعانهم فليس مني، ولست منه، ولا يرد علي الحوض، ومن لم يصدقهم بكذبهم ولم يعنهم على ظلمهم فهو مني وأنا منه، وسيرد علي الحوض»[1]. فإذا أحاط المرء علمًا بما أمر به النبي ﷺ من الجهاد الذي يقوم به الأمراء إلى يوم القيامة، وبما نهى عنه من إعانة الظلمة على ظلمهم، علم أن الطريقة الوسطى التي هي دين الإسلام المحض جهاد من يستحق الجهاد مع كل أمير وطائفة هي أولى بالإسلام منهم، إذا لم يمكن جهادهم إلا كذلك، واجتناب إعانة الطائفة التي يغزو معها على شيء من معاصي الله، بل يطيعهم في طاعة الله ولا يطيعهم في معصية الله؛ إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

وهذه طريقة خيار هذه الأمة -قديمًا وحديثًا- وهي واجبة على كل مكلف، وهي متوسطة بين طريق الحرورية وأمثالهم ممن يسلك مسلك الورع الفاسد الناشئ عن قلة العلم، وبين طريقة المرجئة وأمثالهم ممن يسلك مسلك طاعة الأمراء مطلقًا، وإن لم يكونوا أبرارًا.

ونسأل الله أن يوفقنا وإخواننا المسلمين لما يحبه ويرضاه من القول والعمل. والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم. اهـ

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٥٧٠٢)، والبزار (١٦٠٨ زوائده)، والطحاوي في «المشكل» (١٣٤٦) من حديث ابن عمر، وله شاهد عن جابر أخرجه عبد الرزاق (٢٠٧١٩) وعنه (١٤٤٤١)، وعبد بن حميد (١١٣٨) وصححه ابن حبان (٤٥١٤)، والحاكم (٤/ ٤٢٢)، وله شواهد أخرى. انظر في «تخريج المسند» للأرناؤوط (٩/ ٥١٤، ٢٢/ ٣٣٢، ٣٠/ ٢٩٩، ٣٤/ ٥٥٢-٥٥٣، ٣٨/ ٢٩٦).

* قال شيخ الإسلام[(١)]: ومن أصول أهل السنة والجماعة أنهم يصلون الجمع والأعياد والجماعات، لا يدعون الجمعة والجماعة كما فعل أهل البدع من الرافضة وغيرهم، فإن كان الإمام مستورًا لم يظهر منه بدعة ولا فجور، صُلِّيَ خلفه الجمعة والجماعة باتفاق الأئمة الأربعة وغيرهم من أئمة المسلمين، ولم يقل أحد من الأئمة: إنه لا تجوز الصلاة إلا خلف من علم باطن أمره. بل ما زال المسلمون من بعد نبيهم يصلون خلف المسلم المستور، ولكن إذا ظهر من المصلي بدعة أو فجور، وأمكن الصلاة خلف من يعلم أنه مبتدع أو فاسق مع إمكان الصلاة خلف غيره، فأكثر أهل العلم يصححون صلاة المأموم، وهذا مذهب الشافعي وأبي حنيفة، وهو أحد القولين في مذهب مالك وأحمد.

وأما إذا لم يمكن الصلاة إلا خلف المبتدع أو الفاجر، كالجمعة التي إمامها مبتدع أو فاجر، وليس هناك جمعة أخرى، فهذه تصلى خلف المبتدع والفاجر عند عامة أهل السنة والجماعة، وهذا مذهب الشافعي، وأبي حنيفة، وأحمد بن حنبل، وغيرهم من أئمة أهل السنة بلا خلاف عندهم، وكان بعض الناس إذا كثرت الأهواء يحب أن لا يصلي إلا خلف من يعرفه على سبيل الاستحباب كما نقل ذلك عن أحمد أنه ذكر ذلك لمن سأله، ولم يقل أحمد: إنه لا تصح إلا خلف من أعرف حاله.

ولما قدم أبو عمرو عثمان بن مرزوق[(٢)] إلى ديار مصر، وكان ملوكها في ذلك الزمان مظهرين للتشيع، وكانوا باطنية ملاحدة، وكان بسبب ذلك قد كثرت البدع وظهرت بالديار المصرية - أمر أصحابه أن لا يصلوا إلا خلف من يعرفونه؛ لأجل ذلك، ثم بعد موته فتحها ملوك السنة، مثل صلاح الدين[(٣)] وظهرت فيها كلمة السنة المخالفة للرافضة ثم صار العلم والسنة يكثر بها ويظهر.

---

(١) في «مجموع الفتاوى» (٣/ ٢٨٠).

(٢) هو الشيخ عثمان بن مرزوق بن حميد القرشي أبو عمرو الحنبلي (ت بمصر سنة ٥٦٤هـ). انظر: «ذيل طبقات الحنابلة» (١/ ٣٠٦)، و«الأعلام» للزركلي (٤/ ٢١٤).

(٣) الأمير يوسف بن أيوب الأيوبي (ت ٥٨٩هـ).

فالصلاة خلف المستور(١) جائزة باتفاق علماء المسلمين، ومن قال: إن الصلاة محرمة أو باطلة خلف من لا يعرف حاله، فقد خالف إجماع أهل السنة والجماعة، وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يصلون خلف من يعرفون فجوره، كما صلى عبد الله ابن مسعود وغيره من الصحابة خلف الوليد بن عقبة بن أبي معيط، وكان قد يشرب الخمر، وصلى مرة الصبح أربعًا، وجلده عثمان بن عفان على ذلك، وكان عبد الله بن عمر وغيره من الصحابة يصلون خلف الحجاج بن يوسف، وكان الصحابة والتابعون يصلون خلف ابن أبي عبيد(٢) وكان متهمًا بالإلحاد وداعيًا إلى الضلال. اهـ

من منهاج أهل السنة والجماعة النصيحة

قوله: (وَيَدِينُونَ بِالنَّصِيحَةِ لِلأُمَّةِ، وَيَعْتَقِدُونَ مَعْنَى قَوْلِهِ ﷺ: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ»(٣)).

❁ **العثيمين**: من طريقة أهل السنة والجماعة في سيرتهم وعملهم: النصح لجميع الأمة وبث المحبة والأُلفة والتعاون بين المسلمين، مطبّقين في ذلك قول النبي ﷺ: **«المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدٌّ بعضه بعضًا»**، وقوله: **«مثل المؤمنين في توادهم، وتراحمهم، وتعاطفهم، كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر»**(٤). اهـ

---

(١) أي: الذي لا يعرف عنه بدعة ضلالة ولا فجور.

(٢) المختار بن أبي عبيد الثقفي الملحد المتنبئ.

(٣) أخرجه البخاري (٤٨١، ٢٤٤٦، ٦٠٢٦)، ومسلم (٢٥٨٥) عن أبي موسى رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري (٣٠١١)، ومسلم (٢٥٨٦) عن النعمان بن بشير.

❁ **آل الشيخ**: أهل السنة والجماعة يدينون بالنصيحة لجميع الأمة المحمدية. والمراد بالنصيحة: خلوص السريرة للمؤمنين من قولهم: ذهب ناصح. وخلوصها سلامتها وخلوها من غل أو حقد أو دغل، فهي صافية طاهرة نقية، ساعية في الخير للمسلمين، ساعية في دفع الضر عنهم، فهي تعتمد شيئين: السلامة من الغش، وبذل المجهود.

فمن كان مدخول القصد للمسلمين فهذا عادم النصيحة، ومن كان سالم القصد وقصَّر فهذا غير ناصح، فهي بذل المجهود مع خلوص السريرة للمسلمين، بحيث يحب لهم الخير والدخول فيه، ويكره لهم الشر، ويؤثِّر ذلك فيه.

فأهل السنة يدينون بالنصيحة للأمة المحمدية كلِّهم، خاصتهم وعامتهم، في دينهم، وإرشادهم، وهدايتهم، وإنقاذهم من المهلكات، وكذلك السعي لهم في ذلك، ومحبته لهم، وفي معاشهم ومصالحهم كلها، ولهذا في الحديث: «**الدين النصيحة، قلنا: لمن، قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**»[(١)].

ويعملون بمقتضى ما اعتقدوه، فمتى تخلف العمل بموجب ما اعتقدوه دل على تخلف الاعتقاد، ومتى ضعف دل على ضعف الاعتقاد، فكل من اعتقد شيئًا حقيقة، ولم يكن على ذلك مكدِّر لا غبار وشبهة ولا شهوة، فإنه لا يتخلف عنه بحال عن أي عمل.

وهذه مسألة هل العلم يستلزم الهداية أم لا؟ قولان لأهل العلم: طائفة من أهل العلم: ذهبوا إلى أنه يستلزم الهداية. وقوم قالوا: لا يستلزم الهداية، واستدلوا بقصة بلعامَ وعلماءِ اليهود وغيرهم ممن علم وتخلف منه العمل. وفصَّل المسألة شيخ الإسلام وابن القيم[(٢)]، فقالا: العلم التام السالم من مكدِّرٍ -شبهةٍ أو شهوةٍ- لا يتخلف عنه العمل أبدًا.

---

(١) رواه مسلم (٥٥) عن تميم الداري مرفوعًا.

(٢) انظر: «مجموع الفتاوى» (٣/ ٣٢٩)، (٧/ ٢٤، ٥٣٨) لشيخ الإسلام، و«شفاء العليل» لابن القيم (٢/ ١٧٣)، و«مفتاح دار السعادة» (١/ ٨٨-١١٣)، فقد أطال البحث فيها فليراجع ولولا طوله لنقلنا هنا.

وقوله: «كالبنيان يشد بعضه بعضًا» يعني: أن اتفاق المؤمنين بعضهم ببعض كالبنيان، وهذا في أمور دينهم ودنياهم، بحيث يستقيم ويثبت، فإذا كان هذا شأن البنيان بعضه مع بعض، كان واجبًا على المسلم أن ينصح أخاه، فإن هذا كالبنيان يشد بعضه بعضًا في دينه ودنياه، يشد قويُّه ضعيفَه، فإن البنيان منه القوي، ومنه الضعيف، فإذا تماسك وشد بعضه بعضًا ولصق بعضه ببعض استقام كله؛ فإن من المؤمنين من ليس كامل الإيمان قويَّه، فلو تُرِك وحده لسقط، فإذا كان مع جماعة المسلمين تقوَّى بهم وصار منهم ومثلهم، وتقوَّى من ضعفه بجماعتهم، ومنهم من هو ضعيف الإيمان لا يستقيم استقامة تامة.

وقوله: «وشبك بين أصابعه» الكريمة إشارة إلى حقيقة ذلك، وأن المؤمنين كالأصابع المتداخل بعضها في بعض.

(وَقَوْلِهِ ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ؛ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالْحُمَّى وَالسَّهَرِ»[(١)]).

أي: ويعتقد أهل السنة معنى قوله ﷺ: «مَثَلُ المؤمنين في توادهم» فإنه من أعظم الأصول العظيمة الحب في الله، «توادهم»: تحاببهم، و«توادهم» أصله تواددهم وهو التحابُّ، فالتوادد: هو التحاب، وفي الحديث «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان...» إلى قوله: «وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله»[(٢)]، يعني: المحبة الدينية التي هي لله.

قوله: «وتراحمهم» التراحم هو: رحمة بعضهم بعضًا، كما وصف الله المؤمنين في قوله: ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠١١)، ومسلم (٢٥٨٦) عن النعمان بن بشير ﷺ.

(٢) رواه البخاري (٢١، ٦٠٤١)، ومسلم (٤٣)، وتمامه: «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرأء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار».

قوله: «**وتعاطفهم**» والتعاطف يعني: عطف بعضهم على بعض بالمنافع والمصالح، ويلجأ إليه ونحو ذلك من رجوع بعضهم على بعض، ورفق بعضهم ببعض.

قوله: «**كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد**» رجع بعضه إلى بعض، ووجع من أجل ما اشتكى، فينعطف عليه الجسد و«يتداعَى»، يعني: ينادي بعضه بعضًا هلُمَّ نحمل معه الألم، بل ونكون معه بالسوية نحمل كما حمل، ولو كان الألم في بَضْعة(١) من الجسد، سهر ذلك الجسد كله، «**بالحمى**» وهي شدة الحرارة، «**والسهر**»: عدم النوم، فمثلًا الوجع يكون في الأصبع الواحد، فيتألم منها سائر الجسد ويشتكي، ويناله من الوجع -وهو في طرف الأنملة- فيسهر. اهـ

[تتمة]

* قال النووي في شرح حديث تميم الداري أن النبي ﷺ قال: «**الدين النصيحة**» قلنا لمن؟ قال: «**لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**»(٢):

وأما شرح هذا الحديث فقال الإمام أبو سليمان الخطابي رَحِمَهُ اللهُ: النصيحة كلمة جامعة، معناها حيازة الحظ للمنصوح له، قال: ويقال: هو من وجيز الاسماء ومختصر الكلام، وليس في كلام العرب كلمة مفردة يستوفى بها العبارة عن المعنى هذه الكلمة، كما قالوا في الفلاح: ليس في كلام العرب كلمة أجمع لخير الدنيا والآخرة منه. قال: وقيل: النصيحة مأخوذة من نَصَحَ الرجل ثوبه، إذا خاطه، فشبهوا فعل الناصح فيما يتحراه من صلاح المنصوح له، بما يسده من خلل الثوب، قال: وقيل: إنها مأخوذة من نَصَحْتُ العسل، إذا صفيته من الشمع، شبهوا تخليص القول من الغش بتخليص العسل من الخلط.

---

(١) بضعة: أي قطعة بفتح الباء، وتكسر.
(٢) أخرجه مسلم (٥٥).

قال: ومعنى الحديث: عماد الدين وقوامه النصيحة، كقوله: «الحج عرفة». أي عماده ومعظمه عرفة.

* وأما تفسير النصيحة وأنواعها فقد ذكر الخطابي وغيره من العلماء فيها كلامًا نفيسًا، أنا أضم بعضه إلى بعض مختصرًا، قالوا: أما النصيحة لله تعالى، فمعناها منصرف إلى الإيمان به، ونفي الشريك عنه، وترك الإلحاد في صفاته، ووصفه بصفات الكمال والجلال كلها، وتنزيهه ﷻ من جميع النقائص، والقيام بطاعته واجتناب معصيته، والحب فيه والبغض فيه، وموالاة من أطاعه، ومعاداة من عصاه، وجهاد من كفر به، والاعتراف بنعمته وشكره عليها، والإخلاص في جميع الأمور، والدعاء[1] إلى جميع الأوصاف المذكورة، والحث عليها، والتلطف في جمع الناس، أو من أمكن منهم عليها.

قال الخطابي رَحِمَهُ اللهُ: وحقيقة هذه الإضافة راجعة إلى العبد في نصحه نفسه، فالله تعالى غني عن نصح الناصح.

* وأما النصيحة لكتابه ﷻ ، فالإيمان بأنه كلام الله تعالى وتنزيله، لا يشبهه شيء من كلام الخلق، ولا يقدر على مثله أحد من الخلق، ثم تعظيمه وتلاوته حق تلاوته، وتحسينها، والخشوع عندها، وإقامة حروفه في التلاوة، والذب عنه لتأويل المحرفين، وتعرض الطاعنين، والتصديق بما فيه، والوقوف مع أحكامه، وتفهم علومه وأمثاله، والاعتبار بمواعظه والتفكر في عجائبه، والعمل بمحكمه والتسليم لمتشابهه، والبحث عن عمومه وخصوصه، وناسخه ومنسوخه، ونشر علومه، والدعاء إليه وإلى ما ذكرناه من نصيحته.

* وأما النصيحة لرسول الله ﷺ: فتصديقه على الرسالة، والإيمان بجميع ما جاء به، وطاعته في أمره ونهيه، ونصرته حيًّا وميتًا، ومعاداة من عاداه، وموالاة من والاه،

---

(١) أي: الدعوة.

وإعظام حقه، وتوقيره، وإحياء طريقته وسنته، وبث دعوته ونشر شريعته، ونفي التهمة عنها، واستثارة علومها، والتفقه في معانيها، والدعاء إليها، والتلطف في تعلمها وتعليمها، وإعظامها، وإجلالها، والتأدب عند قراءتها، والإمساك عن الكلام فيها بغير علم، وإجلال أهلها؛ لانتسابهم إليها، والتخلق بأخلاقه، والتأدب بآدابه، ومحبة أهل بيته وأصحابه، ومجانبة من ابتدع في سنته، أو تعرض لأحد من أصحابه، ونحو ذلك.

* وأما النصيحة لأئمة المسلمين، فمعاونتهم على الحق، وطاعتهم فيه، وأمرهم به، وتنبيههم وتذكيرهم برفق ولطف، وإعلامهم بما غفلوا عنه ولم يبلغهم من حقوق المسلمين، وترك الخروج عليهم. وتألف قلوب الناس لطاعتهم قال الخطابي رَحِمَهُ اللَّهُ ومن النصيحة لهم: الصلاة خلفهم، والجهاد معهم، وأداء الصدقات إليهم، وترك الخروج بالسيف عليهم إذا ظهر منهم حيف أو سوء عشرة، وأن لا يغروا بالثناء الكاذب عليهم، وأن يدعى لهم بالصلاح.

وهذا كله على أنَّ المراد بأئمة المسلمين الخلفاء وغيرهم ممن يقوم بأمور المسلمين من أصحاب الولايات، وهذا هو المشهور، وحكاه أيضًا الخطابي، ثم قال: وقد يتأول ذلك على الأئمة الذين هم علماء الدين، وأن من نصيحتهم قبول ما رووه، وتقليدهم في الأحكام، وإحسان الظن بهم.

* وأما نصيحة عامة المسلمين وهم من عدا ولاة الأمر فإرشادهم لمصالحهم في آخرتهم ودنياهم، وكف الأذى عنهم، فيعلمهم ما يجهلونه من دينهم، ويعينهم عليه بالقول والفعل، وستر عوراتهم، وسد خَلاتهم، ودفع المضار عنهم، وجلب المنافع لهم، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر برفق وإخلاص، والشفقة عليهم وتوقير كبيرهم، ورحمة صغيرهم، وتخولهم(١) بالموعظة الحسنة، وترك غشهم وحسدهم، وأن يحب لهم ما يحب لنفسه من الخير، ويكره لهم ما يكره لنفسه من المكروه، والذب عن أموالهم

---

(١) أي: تعهدهم.

وأعراضهم، وغير ذلك من أحوالهم، بالقول والفعل، وحثهم على التخلق بجميع ما ذكرناه من أنواع النصيحة، وتنشيط هممهم إلى الطاعات، وقد كان في السلف ﷺ من تبلغ به النصيحة إلى الإضرار بدنياه، والله أعلم. هذا آخر ما تلخص في تفسير النصيحة.

قال ابن بطال رَحِمَهُ اللهُ في هذا الحديث: أن النصيحة تسمى دينًا وإسلامًا، وأن الدين يقع على العمل كما يقع على القول. قال: والنصيحة فرض يجزئ فيه من قام به، ويسقط عن الباقين. قال: والنصيحة لازمة على قدر الطاقة، إذا علم الناصح أنه يقبل نصحه، ويطاع أمره، وأمن على نفسه المكروه، فإن خشي على نفسه أذى فهو في سعة. والله أعلم. اهـ[1]

الصبر والشكر والرضا

قوله: (وَيَأْمُرُونَ بِالصَّبْرِ عِنْدَ البَلاءِ، وَالشُّكْرِ عِنْدَ الرَّخَاءِ، وَالرِّضَا بِمُرِّ القَضَاءِ).

* **آل الشيخ**: أهل السنة والجماعة يحثون على الصبر، والصبر ثلاثة أقسام: صبر على الطاعات، وصبر عن المعاصي، وصبر على المصائب.

قوله: «والشكر عند الرخاء» كذلك أهل السنة والجماعة يأمرون به.

والشكر: هو الاعتراف بها في الباطن، كون الله أنعم بها، وهو أعم من القول باللسان.

(١) «شرح النووي على مسلم» (٢ / ٣٧).

وأركانه ثلاثة:

١- اعترافه بنعمة الله عليه.

٢- والثناء عليه بها.

٣- والاستعانة بها على مرضاته.

والصبر عند البلاء، والشكر عند الرخاء هما الإيمان.

الصبر نصف الإيمان، وذلك أن العبد متقلب بين نعم يجب عليه شكرها، وبين صبر عن المعاصي يجب عليه اجتنابها، والدين كله في هذين الشيئين:

١- فعل المأمور، وهو العمل بطاعة الله، وهو حقيقة الشكر.

٢- وترك المحظور، وهو الصبر عن المعاصي.

وهذان الأمران من الدين بمكان، بل الدين أمران: صبر، وشكر. فإذا قام عند المصائب بالصبر، وعند النعم بحقها وهو الشكر، صار عابدًا لله حقًّا.

وأعظم أنواع الصبر، الصبر عن المعاصي، وهو أشقها، وعلى المصائب، ويفهم من كلام ابن القيم أن الصبر على الطاعات أفضل، وذلك أن الطاعات مرادة بالذات، أما المعاصي فليست مرادة بالذات، وإنما هو الطاعة لله، والصبر على الطاعة: إلزام النفس على فعلٍ.

قوله: «والرضا بمر القضاء».

ومن أصول أهل السنة: «الرضا»، والرضا: قد يكون بمعنى التسليم، وربما أنه أشهر معنى من التسليم، فهو من الكلمات التي هي أقرب إلى الذهن من التسليم.

قوله: «بمُرِّ القضاء» هذا يرجع إلى الصبر ولكنه غيره.

حالة الرضا: أن يستوي عنده البلاء وعدمه.

والرضا مرتبة أعلى من مرتبة الصبر، وهذه المرتبة المندوب فيها أفضل من الواجب، وهذا من المراتب التي المندوبات فيها أفضل من الواجبات، وإلا فالأصل أن الواجب أفضل من المندوب إلا في أمور منها هذا، كما في الحديث: «وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه»[(١)]، فإنه دالّ على أن الفرض أفضل من المستحب، فالرضا هنا أفضل من الواجب وهو الصبر[(٢)].

والصبر عند المصائب عزيز في الناس، ثم الرضا عزيز.

وللعبد عند المصيبة أربعة أحوال ممكنة:

١- الجزع. ٢- الصبر.

٣- الرضا. ٤- الاستشعار بأنها نعمة.

وهذه تكاد أن تكون تذكر ولا توجد فالصابر قليل، وأقل منه الرضا، وأقل منه الشكر. اهـ

---

(١) رواه البخاري (٦١٣٧).

(٢) الحقيقة أنَّ الرضا هنا جزء من الصبر ليس قسيمًا له، فلولا وجود الصبر فيه لما كان رضا؛ لأن العبد لا يكون راضيًا بمر القضاء إلا إذا كان صابرًا، فالتفاضل هنا في حال العبد الجامع لهذين الوصفين، ليس لمجرد الرضا دون الصبر، ولا يتصور وجود الرضا دون الصبر.

حكم الصبر والرضا والشكر

* **قال شيخ الإسلام**(١): الصبر واجب باتفاق المسلمين على أداء الواجبات وترك المحظورات، ويدخل في ذلك الصبر على المصائب عن أن يجزع فيها، والصبر عن اتباع أهواء النفوس فيما نهى الله عنه.

وقد ذكر الله الصبر في كتابه في أكثر من تسعين موضعًا، وقرنه بالصلاة في قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥]، ﴿ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣]، وقوله: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ﴾ إلى قوله ﴿وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [هود: ١١٤-١١٥]، ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ﴾ [طه: ١٣٠]، ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [غافر: ٥٥] الآية، وجعل الإمامة في الدين موروثة عن الصبر واليقين بقوله: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤]، فإن الدين كله علم بالحق، وعمل به والعمل به لابد فيه من الصبر، بل وطلب علمه يحتاج إلى الصبر كما قال معاذ بن جبل رضي الله عنه: عليكم بالعلم فإن طلبه لله عبادة، ومعرفته خشية، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة، ومذاكرته تسبيح، به يعرف الله ويعبد، وبه يمجد الله ويوحد، يرفع الله بالعلم أقوامًا يجعلهم للناس قادة وأئمة يهتدون بهم وينتهون إلى رأيهم(٢). فجعل البحث عن العلم من الجهاد ولابد في الجهاد من الصبر؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ١-٣]. ولهذا قال علي: ألا إن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فإذا انقطع الرأس بان

---

(١) في «مجموع الفتاوى» (١٠/ ٣٩).
(٢) تقدم تخريجه.

الجسد. ثم رفع صوته فقال: ألا لا إيمان لمن لا صبر له(١).

* وأما الرضا، فقد تنازع العلماء والمشايخ(٢)، من أصحاب الإمام أحمد وغيرهم في الرضا بالقضاء: هل هو واجب، أو مستحب؟ على قولين:

فعلى الأول يكون من أعمال المقتصدين، وعلى الثاني يكون من أعمال المقربين، قال عمر بن عبد العزيز: الرضا عزيز، ولكن الصبر معول المؤمن.

ولهذا لم يجئ في القرآن إلا مدح الراضين، لا إيجاب ذلك، وهذا في الرضا بما يفعله الرب بعبده من المصائب، كالمرض، والفقر، والزلزال، كما قال تعالى: ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ﴾ [البقرة: ١٧٧] وقال تعالى ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا ﴾ [البقرة: ٢١٤]، فالبأساء في الأموال، والضراء في الأبدان، والزلزال في القلوب. اهـ المقصود

* **قال الشيخ**: قوله: (**وَيَدْعُونَ إِلَى مَكَارِمِ الأَخْلَاقِ، وَمَحَاسِنِ الأَعْمَالِ**). يعني: إلى خلق كريم، وعمل حسن، وفي الحديث عن النبي ﷺ: «**بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**»(٣)، أي: لِمَا رُكِزَ في القلوب استحسانه. فكل خلق وفعل حسن دلّ على

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «الإيمان» (١٣٠)، و«المصنف» (٣١٠٧٩، ٣٥٦٤٥ ط: عوامة) والعدني في «الإيمان» (١٩)، والبيهقي في «الشعب» (٤٠)، ووكيع بن الجراح في «الزهد» (١٩٩)، وأبو القاسم الجوهري في «مسند الموطأ» (١/ ٥)، وأبو بكر الدينوري في «المجالسة» (٣٠٩)، واللالكائي في «السنة» (١٥٦٩).

(٢) أي: مشايخ الزهد والتصوف.

(٣) أخرجه الحاكم (٤٢٢١)، والبيهقي (٢١٣٠١)، وتمام في «الفوائد» (٢٧٦) عن أبي هريرة مرفوعًا، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. وفي لفظ أصح: «إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق». أخرجه الإمام أحمد (٨٩٥٢)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٢٧٣)، والطحاوي في «المشكل» (٤٤٣٢)، والبيهقي (٢١٣٠٣)، وصححه باللفظين الشيخ الألباني.

حسنها الشرع والفطرة والعقل، فأهل السنة يعتقدون حسنه، ويعملون به، ويأمرون به، وكل خلق وفعل يستنكر في الفطر والعقول، يكرهونه وينهون عنه. فهم يدعون إلى كل خلق عالٍ نفيس، وعمل حسن. اهـ

وقوله: (وَيَعْتَقِدُونَ مَعْنَى قَوْلِهِ ﷺ: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا»)[1].

ويقبلونه ويعملون بموجبه، ويُحسِّنون أخلاقهم مع إخوانهم المسلمين، ويسعون ويَجِدُّون في تحسين أخلاقهم مهما أمكنهم، ويحثون الغير على ذلك، فهو يَجِدُّ في أن يكون حسن الخلق ويوصي غيره.

والخُلُق: هو صورة الإنسان الباطنة، والخَلْق: هو صورته الظاهرة. اهـ

❁ **العثيمين**: طريقة أهل السنة والجماعة في سيرتهم وعملهم: الدعوة إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، كالصدق، والبر، والإحسان، إلى الخلق، والشكر عند النعم، والصبر على البلاء، وحسن الجوار والصحبة، وغير ذلك من الأخلاق المحمودة شرعًا وعرفًا. اهـ

قوله: (وَيَنْدُبُونَ إِلَى أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ، وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ، وَتَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ).

❁ **آل الشيخ**: أي: يندبون إلى أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ- أي: قطعك من الأرحام- لا تقطعه حين يقطع؛ ليبوء بإثم الذي مِنْ قِبَلِه، وتنجو من تلك القطيعة، فلا تقابله. فمن

---

(١) أخرجه أحمد (٧٤٠٢)، وأبو داود (٤٦٨٤)، والترمذي (١١٦٢)، وأبو يعلى (٥٩٢٦)، وابن حبان (٤٧٩) من حديث أبي هريرة بسند صحيح، وله شواهد كثيرة. قال أبو عيسى: حديث أبي هريرة هذا حديث حسن صحيح.

كان ذا رحم فلا تقطعه كما قطعك، وقد سأل رجل النبي ﷺ فقال: إن لي قرابة أصلهم ويقطعوني، وأحسن إليهم ويسيئون إليَّ، وأحلم عنهم ويجهلون علي، فقال: «**لئن كنت كما قلت، فكأنما تسفهم الملَّ، ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك**»[١]، وقال: «**ليس الواصل بالمكافئ، ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها**»[٢]، وقطيعة الأرحام ليس فيها انقسام[٣].

وتمام الصلة الحقيقية: بأن تكون أنت الواصل ولو لم يصلك، فإذا فعلت الخير، فالخير ما يجر إلا إلى خير، وهو أن يتقي الله فلا يقطعك.

قوله: «**وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ**» أي: وتعطي من حرمك أن يعطيك إذا كان له حق عليك، يندبون إلى أن لا تقابله بمثل ما فعل، فإن أهل السنة يندبون إلى خير الأمرين، فمن عاملك بالحرمان فيما ينبغي أن يعطيك، فأنت لا تقابله بالحرمان، بل ابذل له، ولا تقابله بما قابلك به.

قوله: «**وَتَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ**» وكذلك من أساء إليك، وتعدّى عليك، وظلمك، تعفو عنه ولا تقابله بمثل فعله، وإن كان جائزًا، وهو من باب القصاص، قال تعالى: ﴿ وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴾[الشورى: ٤١] لكن الأفضل أن تعفو عنه، فدرجة العفو درجة عليا.

والظالم له عند أهل السنة مرتبتان: المقاصة والعدل، والمسامحة والفضل. قال تعالى: ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ ﴾[النحل: ١٢٦]، ثم قال: ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾[الشورى: ٤٣]. اهـ

---

(١) رواه مسلم (٢٥٥٨).

(٢) رواه البخاري (٥٦٤٥).

(٣) أي: يجب عليك صلتها على كل حال، سواء وصلوك أم قطعوك.

قوله: (وَيَأْمُرُونَ بِبِرِّ الْوَالِدَيْنِ، وَصِلَةِ الأَرْحَامِ، وَحُسْنِ الجِوَارِ، وَالإِحْسَانِ إِلَى الْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ، وَالرِّفْقِ بِالْمَمْلُوكِ).

❁ **آل الشيخ**: «وَيَأْمُرُونَ بِبِرِّ الْوَالِدَيْنِ» وهو فعل الجميل معهما، وضده العقوق وهو من المحرمات، وبر الوالدين من الواجبات، والأمر ببرهما جاء قرنه بحق الله تعالى فإنه أعظم حق بعد حق الله وحقِ الرسول ﷺ، فالوالدان أصلك، وهما سبب إيجادك، فأعظم حق عليك حق الذي خلقك، ثم بعد ذلك حق النبي ﷺ؛ لأنه سبب نجاتك، وبعد ذلك حق الوالدين كما في الآيات التي فيها قَرْن حق الوالدين بحقه تعالى.

ومن بر الوالدين بعد الوفاة: الدعاء، والصدقة- وهذا ثوابه لهما- وأن توقف وتجعل المثوبة لهما، ومودة أصدقائهما، ففي الحديث: هل بقي من بر أبويّ شيء أبرهما به بعد موتهما؟ قال: «**نعم، الصلاة عليهما، والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما من بعدهما، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما، وإكرام صديقهما**»[١].

فبين ﷺ فعل بعض هذه الأوجه، وحديث: «**من بر الرجل والديه أن يبر ما يود**» أو ما هذا معناه[٢].

قوله: «**وَصِلَةِ الأَرْحَامِ**»، بأن تصل الأرحام. أي: القرابات، بأن تفعل معها الخير، فالصلة من الوصل، بأن تبقى بعضها منضم مع بعض بالخير والنصح، هذا واجب لكل مسلم، فإن كان رحمًا فهو أولى، وفي الحديث: «**ليس الواصل بالمكافئ**»[٣].

---

(١) أخرجه أحمد (١٦٠٥٩)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٣٥)، وأبو داود (٥١٤٢)، وابن ماجه (٣٦٦٤)، وصححه ابن حبان (٤١٨)، وضعفه آخرون.

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٥٢) عن ابن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن من أبر البر صلة الرجل أهل ود أبيه بعد أن يولي**».

(٣) رواه البخاري (٥٩٩١) عن عبد الله بن عمرو مرفوعًا.

قوله: «وَحُسْنِ الجِوَارِ»، ويأمرون أيضًا بحسن الجوار. يعني: معاملة الجار بالجميل بالمعاملة الحسنة، بكفّ الأذى، وإيراد الخير له، والصفح والستر عما يصير منه إن صار، فحقه كبير عظيم، فإذا كان مسلمًا اجتمع له حق الإسلام وحق الجوار، فإن كان قريبًا فهو آكد، وفي الحديث: «**ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه**»(١)، وحسن الجوار حتى مع الذمي إذا تُصُوِّر أن يكون في دار ذمة.

قوله: «وَالإِحْسَانِ إِلَى اليَتَامَى». اليتيم: الذي مات أبوه قبل بلوغه، وما بعد البلوغ فليس بيتيم، فاليتيم فَقَدَ مَنْ يعوله ويقوم به، فالإحسان من حيث هو له محله، ولكن من آكد محالِّه اليتامى، وجاء في حق اليتيم أحاديث، منها: «**كافل اليتيم أنا وهو كهاتين في الجنة**»(٢).

قوله: «وَالمَسَاكِينِ». أي: الإحسان إلى المحاويج، ودخل فيهم المحاويج سواء كان يجد بعض الكفاية أو لا، فأهل السنة والجماعة يأمرون بالإحسان إليهم بما يدفع مسكنتهم.

قوله: «وَابْنِ السَّبِيلِ». يعني: المسافر، فإنه مَحَلٌّ للإحسان، وذلك أنه في سفر قد فارق أهله ووطنه، فهو بحاجة إلى من يحسن إليه.

قوله: «وَالرِّفْقِ بِالمَمْلُوكِ» والنصوص جاءت في الرفق بالمملوك ومواساته، وأنه لا يُكلَّف ما شَقَّ، وفي الحديث: «**إخوانكم خَوَلُكم جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان تحت يده فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم**»(٣). فهو إنسان آدمي مثلك، فجعل لك عليه الرق نعمة لك، وابتلاء، وامتحانًا، فمتعين عليك الرفق به عند جهله وغشمه، فجاء في الشرع الرفق به؛ لكونه

---

(١) رواه البخاري (٦٠١٥)، ومسلم (٢٦٢٥).

(٢) رواه مسلم (٢٩٨٣).

(٣) رواه البخاري (٣٠، ٢٥٤٥، ٦٠٥٠)، ومسلم (١٦٦١) عن أبي ذر.

تحت يدك؛ ولهذا هو ليس بمملوك من كل جهة، فيرفق بهم وفي معاملتهم وطعامهم وشرابهم، وسائر ما يحتاجون إليه، كل هذا مما يأمر به أهل السنة والجماعة، وأدلته، ومكانته، وفضله من الكتاب والسنة معلوم. اهـ

النهي عن مساوئ الأخلاق

قوله: (وَيَنْهَوْنَ عَنِ الفَخْرِ وَالخُيَلاءِ، وَالبَغْيِ، وَالاسْتِطَالَةِ عَلَى الخَلقِ بِحَقٍّ أَوْ بِغَيْرِ حَقٍّ).

❁ **آل الشيخ**: أي وَيَنْهَوْنَ عَنِ الفخر. أي: الافتخار، وذلك بذكر الفضيلة مفتخرًا بها على غيره، والفخر لا ينبغي، فإذا كان لدين فهي نعمة يستعين بها على شكر الله[١].

قوله: «وعن الخيلاء»: هي الكبر والتعاظم، فإن المتكبر يتخيل نفسه أعظم مما هي عليه، ويراها أكبر مما هي عليه.

قوله: «والبغي والاستطالة». أي: الارتفاع عليهم بيده، أو بكلام، أو نحو ذلك، والتعالي عليهم سواء «وينهون عن وَالاسْتِطَالَة عَلَى الخَلقِ بحق». عند أسباب ذلك «أو بغير حق» الترفع والزيادة عليهم سواء بحق، أو بغير حق، ولا سيما إذا صار فخرًا بغير مفخر[٢]،

---

(١) قال ابن القيم رحمه الله في «مدارج السالكين» (٣/ ٤٢٤): «الافتخار نوعان: محمود ومذموم. فالمذموم إظهار مرتبته على أبناء جنسه ترفعًا عليهم، والمحمود أظهار الأحوال السنية والمقامات الرفيعة، لا على وجه الفخر، بل على وجه التعظيم للنعمة والفرح بها وذكرها والتحدث بها والترغيب فيها، وذلك من المقاصد في إظهارها، كما قال ﷺ: «أنا سيد ولد آدم، ولا فخر، وأنا أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة، ولا فخر، وأنا أول شافع وأول مشفع، ولا فخر». وقال سعد رضي الله عنه: «أنا أول من رمى بسهم في سبيل الله» اهـ

(٢) قال شيخ الإسلام رحمه الله في «اقتضاء الصراط المستقيم» (١/ ١٦٤): «نهى سبحانه على لسان رسوله عن نوعي الاستطالة على الخلق: وهي الفخر والبغي؛ لأن المستطيل إن استطال بحق فقد افتخر، وإن كان بغير حق فقد بغى». اهـ

فلا توجب نعم الله معصية الله بها، بل توجب طاعة الله بها، وفي الحديث: «**إن الله أوحى إليَّ أن تواضعوا؛ حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغي أحد على أحد**»(١)، ولما بيَّن ﷺ ما هو عليه من السيادة قال: «**ولا فخر**»(٢) بل على وجه التحدث بنعمة الله، وفي الحديث: «**ليتهين أقوام يفتخرون بآبائهم الذين ماتوا، إنما هم فحم جهنم، أو ليكونن أهون على الله من الجعل الذي يدهده الخرء**(٣) **بأنفه**»(٤)، وفي الحديث الآخر: «**إن الله قد أذهب عنكم عُبية الجاهلية**(٥) **إنما هو مؤمن تقي، وفاجر شقي، الناس كلهم بنو آدم، وآدم خلق من تراب**»(٦).

والكبر على قسمين: قسم يكون له ملك، وقسم عائل كما في الحديث(٧) فهو محرم على كل أحد. اهـ

---

(١) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٤٢٨)، وأبو داود (٤٨٩٥)، والترمذي (٣٩٥٤)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/ ٢٣٢) من حديث عياض بن غنم، وصححه الألباني.

(٢) أخرجه الإمام أحمد (١٠٩٨٧)، وابن ماجه (٤٣٠٨)، وصححه ابن حبان (٦٢٤٢) عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «**أنا سيد ولد آدم، ولا فخر، وأنا أول من تنشق الأرض عنه يوم القيامة، ولا فخر، وأنا أول شافع وأول مشفع، ولا فخر، ولواء الحمد بيدي يوم القيامة، ولا فخر**».

(٣) الجعل: دويبة كالخنفساء.

(٤) رواه الترمذي (٣٩٥٤)، وحسنه الألباني

(٥) «عبية» بضم العين المهملة وكسرها وكسر الباء الموحدة وفتح الياء التحتانية المشددتين. أي: نخوة الجاهلية وكبرها وفخرها. انظر: «معالم السنن» للخطابي (٤/ ١٤٨)، و«تحفة الأحوذي» (٨/ ١٢٦)، و«عون المعبود» (١٤/ ٢١)، و«غريب الحديث» للخطابي (١/ ٢٩٠)، و«النهاية» (عبب).

(٦) أخرجه أحمد (٨٧٣٦) وعبد بن حميد (٧٩٥) والترمذي (٣٢٧٠) وصححه ابن خزيمة (٢٧٨١) وابن حبان (٣٨٢٨) من حديثي ابن عمر وأبي هريرة.

(٧) رواه مسلم (١٠٧)عنه عليه الصلاة والسلام: «**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا يزكيهم، ولا ينظر إليهم، ولهم عذاب أليم: شيخ زانٍ، وملك كذاب، وعائل مستكبر**».

قوله: (وَيَأْمُرُونَ بِمَعَالِي الأَخْلاقِ، وَيَنْهَوْنَ عَنْ سَفْسَافِهَا).

❁ **آل الشيخ**: سَفْسَافِهَا ورذائلها. أي: مراذل الأخلاق، وسفالات الأخلاق، فهم ينهون عن كل خلق دنيء رذيل. اهـ

❁ **ابن مانع**: قوله: «**سفسافها**»: السفساف: الأمر الحقير والرديء من كل شيء وهو ضد المعالي والمكارم. اهـ.

❁ **العثيمين**: طريقة أهل السنة والجماعة في سيرتهم وعملهم: النهي عن مساوئ الأخلاق، كالكذب، والعقوق، والإساءة إلى الخلق، والتسخط من القضاء، والكفر بالنعمة، والإساءة إلى الجيران والأصحاب، وغير ذلك من الأخلاق المذمومة شرعًا أو عرفًا. اهـ.

لزوم الكتاب والسنة

قوله: (وَكُلُّ مَا يَقُولُونَهُ أَوْ يَفْعَلُونَهُ مِنْ هَذَا وَغَيْرِهِ؛ فَإِنَّمَا هُمْ فِيهِ مُتَّبِعُونَ لِلكِتَابِ وَالسُّنَّةِ).

❁ **آل الشيخ**: «**وكل ما يقولونه أو يفعلونه من هذا**» الذي تقدم «**وغيره**» مما هو من أنواع الحق من أصولهم وعقائدهم. «**فإنما هم فيه متبعون للكتاب والسنة**» مُعَوَّلُهم ومستندهم الكتاب والسنة. كل ما تقدم إيضاحه وشرحه عن أهل السنة، إنما هم أبدًا متبعون فيه للكتاب والسنة، وحبل القياد في يد الكتاب والسنة، يسيرون حيث سار الكتاب والسنة، لا استحسان منهم لشيء، ولا نظر لشيء. اهـ

فصل

في أن طريقة أهل السنة والجماعة هي طريقة الإسلام

وَطَرِيقَتُهُمْ هِيَ دِينُ الإِسْلامِ الَّذِي بَعَثَ اللهُ بِهِ مُحَمَّدًا ﷺ، لَكِنْ لَمَّا أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ أُمَّتَهُ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ؛ إِلا وَاحِدَةً، وَهِيَ الجَمَاعَةُ، وَفِي حَدِيثٍ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «هُمْ مَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ اليَوْمَ وَأَصْحَابِي»؛ صَارَ المُتَمَسِّكُونَ بِالإِسْلامِ المَحْضِ الخَالِصِ عَنِ الشَّوْبِ هُمْ أَهْلَ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ.

وَفِيهِمْ الصِّدِّيقُونَ، وَالشُّهَدَاءُ، وَالصَّالِحُونَ، وَمِنْهُمْ أَعْلامُ الهُدَى، وَمَصَابِيحُ الدُّجَى، أُولُو المَنَاقِبِ المَأْثُورَةِ، وَالفَضَائِلِ المَذْكُورَةِ، وَفِيهِمُ الأَبْدَالُ.

وَفِيهِمْ أَئِمَّةُ الدِّينِ، الَّذِينَ أَجْمَعَ المُسْلِمُونَ عَلَى هِدَايَتِهِمْ.

وَهُمْ الطَّائِفَةُ المَنْصُورَةُ الَّذِينَ قَالَ فِيهِمْ النَّبِيُّ ﷺ: «لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الحَقِّ مَنْصُورَةٌ، لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ، وَلا مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ».

نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنَا مِنْهُمْ وَأَنْ لا يُزِيغَ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا، وَأَنْ يَهَبَ لَنَا مِنْ لَدُنْهُ رَحْمَةً إِنَّهُ هُوَ الوَهَّابُ.

وَاللهُ أَعْلَمَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

الشرح

❁ قال الشيخ: قوله: (وَطَرِيقَتُهُمْ هِيَ دِينُ الإِسْلامِ الَّذِي بَعَثَ اللهُ بِهِ مُحَمَّدًا ﷺ).

كثير من الناس سلكوا طرقًا -كالتيجانية[1]، وغيرها- فعندما يكون للناس طرائق، فإن أهل السنة طريقتهم شيء واحد: و«**هي دين الإسلام الذي بعث الله به محمدًا ﷺ**» ظاهرًا وباطنًا، فكأن المصنف بين لهم طريقًا، لكن لا كطريق أهل الطرائق، فقط طريق واحد وهو دين الإسلام، فأهل السنة ليس لهم دين غير دين الإسلام هذه طريقتهم ظاهرًا وباطنًا.

وقوله: «**لكن**» استدراك مما تقدّم، وهو قوله: «**وطريقتهم هي دين الإسلام**» وهذا الاستدراك إنما هو لإرادة شيء مقدر [وهو] وجه قول أهل السنة فقال: **لَـمَّا أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ أُمَّتَهُ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلاثٍ وَسَبْعِينَ،** فهو واقع لا محالة **فِرْقَةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ، إلا وَاحِدَةً، وَهِيَ الجَمَاعَةُ**[2]**، وَفِي حَدِيثٍ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «هُمْ مَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ**

---

(١) أحد الطرق الصوفية الغالية في البدع والشرك وعبادة غير الله من الأولياء والصالحين، أنشأها أبو العباس أحمد بن محمد التيجاني (١١٥٠-١٢٣٠هـ) في فاس ثم في أفريقيا بعامة.

انظر عنها «الأنوار الرحمانية لهداية الفرقة التيجانية» للشيخ عبد الرحمن الإفريقي رحمه الله، وكتاب «الهداية الهادية إلى الطائفة التيجانية» للدكتور محمد تقي الدين الهلالي، و«الموسوعة الميسرة» (١/ ٢٨٥).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٣٩٩٢)، والطبراني في «مسند الشاميين» (٩٨٨)عن عوف بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، فواحدة في الجنة، وسبعون في النار، وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة، فإحدى وسبعون في النار وواحدة في الجنة، والذي نفس محمد بيده لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، واحدة في الجنة وسبعون في النار**»، قيل: يا رسول الله من هم؟ قال: «**الجماعة**». قال الشيخ الألباني: صحيح.

وله شواهد منها عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن بني إسرائيل افترقت على إحدى وسبعين فرقة، وإن أمتي ستفترق على ثنتين وسبعين فرقة، كلها في النار، إلا واحدة، وهي الجماعة**» أخرجه ابن ماجه أيضًا (٣٩٩٣)، قال البوصيري في «الزوائد»: إسناده صحيح، رجاله ثقات، وقال الشيخ الألباني: صحيح.

وعن معاوية بن أبي سفيان أنه قام فقال: ألا إن رسول الله ﷺ قام فينا فقال: «**ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين، ثنتان وسبعون فى النار وواحدة فى الجنة، وهى الجماعة، وإنه سيخرج من أمتى أقوام تجارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكلب لصاحبه**». أخرجه أبو داود (٤٥٩٩) بسند حسن.

الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي»[1].

وقوله: (صَارَ الْمُتَمَسِّكُونَ بِالإِسْلامِ الْمَحْضِ الخَالِصِ عَنِ الشَّوْبِ هُمْ أَهْلَ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ).

هذا جواب قوله لما ذكر، كأن قائلًا قال: إذا كانت طريقتهم هي دين الإسلام، أليس هذا من الطرق التي يلقبون بها، فلم لا يكتفى بذلك وأن يقال لهم: المسلمون؟ وإذا كانت طريقتهم هي الكتاب والسنة، فلم لم يقل: المسلمون؟

قيل: الجواب أنه لما كان المتمسكون بالإسلام المحض الخالص عن الشوب هم أهل السنة والجماعة، قيل لهم: أهل السنة والجماعة. ولما تفرق الناس إلى ثلاث وسبعين فرقة، ولما لم يكن متمسكًا بالكتاب والسنة سوى فرقة واحدة، وهم أهل السنة والجماعة، لقبوا أهل السنة والجماعة، يعني: أنهم تمسكوا واتحدوا في هذا الطريق، يعني: أنه ليس شيئًا خفيًا، ولا من الطرق، بل هو هذا الطريق البيِّن الواضح.

[جواب ثانٍ] وقيل أيضًا: لما أخبر النبي ﷺ أن أمته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة، المحض فقط من الثلاث والسبعين هي فرقة واحدة، وهم أهل السنة والجماعة، صار المتمسكون بالإسلام المحض الخالص عن الشوب هم أهل السنة والجماعة، فكأنهم قيل لهم: هم على ما كان عليه النبي ﷺ وأتباعه، فإن من انتسب إلى الإسلام فيهم بدع، منها ما تخرجهم عن الإسلام، ومنها ما لا تخرجهم من الإسلام، ليس كل

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٤١) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: «ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل، حتى إن كان منهم من أتى أمه علانية لكان في أمتي من يصنع ذلك، وإن بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة، كلهم في النار إلا ملة واحدة»، قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: «ما أنا عليه وأصحابي» وقال الترمذي: هذا حديث مفسر غريب، لا نعرفه مثل هذا إلا من هذا الوجه. اهـ

وله شواهد وطرق ذكرها الشيخ الألباني في «الصحيحة» (٢٠٣، ٢٠٤، ١٣٤٨)، والكتاني في «نظم المتناثر من الحديث المتواتر» (ح٢).

من انتسب إلى الإسلام فهذه عقيدته، لا، بل هذه عقيدة فرقة واحدة، وهم أهل السنة والجماعة.

وإنما قال ذلك؛ لأن الناس اشتهروا بالطرائق التي تشعبت بالناس كالتيجانية وغيرها، منها ما هو في زمن المصنف وبعده، صار المتمسكون بالإسلام المحض الخالص عن الشوب، هم أهل السنة والجماعة. يعني: إنما لقبوا بذلك؛ لكون أهل السنة تمسكوا بذلك لا فلانية، ولا فلانية، أهل سنة الرسول ﷺ، ومجتمعين على إيثار ما جاء به النبي ﷺ. اهـ

مذهب الإمام أحمد في العقيدة هو السنة والجماعة

* قال شيخ الإسلام في مناظرة الواسطية[1]: الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ لما انتهى إليه من السنة ونصوص رسول الله ﷺ أكثر مما انتهى إلى غيره، وابتلي بالمحنة والرد على أهل البدع أكثر من غيره، كان كلامه وعلمه في هذا الباب أكثر من غيره، فصار إماما في السنة أظهر من غيره، وإلا فالأمر كما قاله بعض شيوخ المغاربة -العلماء الصلحاء- قال: المذهب لمالك والشافعي والظهور لأحمد بن حنبل، يعني أن الذي كان عليه أحمد عليه جميع أئمة الإسلام، وإن كان لبعضهم من زيادة العلم والبيان وإظهار الحق ودفع الباطل ما ليس لبعض. اهـ

وقال فيها أيضًا[2]: قولي اعتقاد الفرقة الناجية هي الفرقة التي وصفها النبي بالنجاة حيث قال: «تفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة: اثنتان وسبعون في النار، وواحدة في الجنة، وهي من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي»[3]، فهذا الاعتقاد:

(١) كما في «مجموع الفتاوى» (٣/ ١٧٠).
(٢) «مجموع الفتاوى» (٣/ ١٧٩).
(٣) تقدم تخريجه.

هو المأثور عن النبي وأصحابه ﷺ وهم ومن اتبعهم الفرقة الناجية، وكل ما ذكرته في ذلك فإنه مأثور عن الصحابة بالأسانيد الثابتة لفظه ومعناه وإذا خالفهم من بعدهم لم يضر في ذلك.

وليس كل من خالف في شيء من هذا الاعتقاد يجب أن يكون هالكًا، فإن المنازع قد يكون مجتهدًا مخطئًا يغفر الله خطأه، وقد لا يكون بلغه في ذلك من العلم ما تقوم به عليه الحجة، وقد يكون له من الحسنات ما يمحو الله به سيئاته. وإذا كانت ألفاظ الوعيد المتناولة له لا يجب أن يدخل فيها المتأول، والقانت، وذو الحسنات الماحية، والمغفور له، وغير ذلك، فهذا أولى، بل موجب هذا الكلام أن من اعتقد ذلك نجا في هذا الاعتقاد ومن اعتقد ضده فقد يكون ناجيًا، وقد لا يكون ناجيًا، كما يقال: من صمت نجا. اهـ

طبقات أهل السنة والجماعة

قوله: (وَفِيهِمْ الصِّدِّيقُونَ، وَالشُّهَدَاءُ، وَالصَّالِحُونَ).

❁ **العثيمين**: الصديقون هم الصادقون باعتقادهم وقولهم وعملهم، والمصدقون بالحق.

والشهداء: هم الذين قتلوا في سبيل الله. وقيل: العلماء.

والصالحون: هم الذين صلحت قلوبهم وجوارحهم بما قاموا به من الأعمال الصالحة. اهـ

❁ **الهراس**: وأما قوله: «وفيهم الصديقون..» إلخ، فالصديق صيغة مبالغة من الصدق، يراد به الكثير التصديق، وأبو بكر ﷺ هو الصديق الأول لهذه الأمة.

وأما الشهداء، فهو جمع شهيد، وهو من قتل في المعركة. اهـ

❁ **قال الشيخ**: هؤلاء طبقاتٌ من الخلق، وهم أفضل الخلق بعد الأنبياء، فإنهم طبقات بعد الأنبياء، وهذه المذكورة في الآية على الترتيب من الأعلى إلى الأدنى، وفيها أربع طبقات، وهي قوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩]. وأفضل هذه الأصناف: الأنبياء، ثم الصديقون، ثم الشهداء، ثم الصالحون، فالأنبياء مكانتهم شيء معروف، وما سواهم كلهم من هذه الأمة، فطبقات المكلفين المؤهلين للشرع ثمانية عشر مذكورة في مُصنَّف(١).

المقصود أنه في أهل السنة والجماعة من فيهم هاتان الصفتان.

والصديقون: جمع صديق، والصديق: فعيل من صيغ المبالغة، يعني: كثير وعظيم التصديق بالحق، وهم في هذه الأمة كثير، ورئيسهم وأفضلهم صديق هذه الأمة أبو بكر الصديق ﷺ، وهو أعظمهم وأكبرهم.

وفي أهل السنة والجماعة الشهداء، جمع شهيد، وأفضل الجهاد القتل في سبيل الله.

فكلهم موجودون في هذه الأمة. يعني: أهل السنة والجماعة موجود فيهم الصديقون والشهداء.

قوله: (وَمِنْهُمْ أَعْلَامُ الْهُدَى، وَمَصَابِيحُ الدُّجَى، أُولُو المَنَاقِبِ المَأْثُورَةِ، وَالفَضَائِلِ المَذْكُورَةِ).

أي: وفي أهل السنة «أعلام الهدى» المعنوية، الأعلام: جمع علم، وهو في لغة العرب: الجبل الكبير العظيم على الطريق، سمي علمًا؛ لأنه علم على الطريق التي يعلم به الجهات والطرقات.

يعني: في أهل السنة أئمة كبار يهتدى بهم في الدين كما يُهتدى بالجبال الكبار.

---

(١) هو «طريق الهجرتين» لابن القيم ذكرها (ص/ ٤٥٣).

وفي أهل السنة «**مصابيح الدجى**» المصابيح: جمع مصباح التي تستضيء بنورهم الأمة، وذاك العلماء الكبار، وهم الذين يضيء علمهم ويزول الجهل بضيائها، وقيل لهم ذلك؛ لأنه يهتدى بهم في ظلمات الجهل، وهم كالسرج في الظلم يستضاء بهم، وذلك لما أوتوه من العلم الموروث.

كلهم في أهل السنة موجودون.

و«**أولو**» يعني: أصحاب، **المَنَاقِبِ المَأْثُورَةِ**.

قوله: (وَفِيهِمُ الأَبْدَالُ).

❁ **قال الشيخ**: الأبدال: هم أناس صلحاء في الأمة تجاب دعواتهم، فيدفع الله بدعواتهم عن المسلمين، فبوجودهم في الناس يرحم الله بدعائهم الناس، وسموا أبدالًا؛ لأنه كلما مات منهم واحد أبدل بآخر، أخذه بعض الناس من قوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ ﴾ [الحج: ٤٠]، يعني: في أهل السنة رجال أهل صلاح وخير لا يزالون في الناس، يرحم الله بسببهم المسلمين ببركة دعائهم، والمصنف ذكر هذه؛ لأحاديث جاءت في هذا، ولكنها ضعيفة، فالمصنف ذكرها يعضد بعضها بعضًا: «**لا يزال في أمتي أبدال**»(١). اهـ

---

(١) لم أجده، لكن ورد في ذكر الأبدال أحاديث أشهرها:

١- حديث عبادة بن الصامت:

أخرجه الإمام أحمد (٥/ ٣٢٢) عن عبد الوهاب بن عطاء عن الحسن بن ذكوان عن عبد الواحد بن قيس عن عبادة بن الصامت مرفوعًا أنه ﷺ قال: «**الأبدال في هذه الأمة ثلاثون مثل إبراهيم خليل الرحمن، كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلاً**». قال الإمام أحمد عقب تخريجه مستنكرًا له: «**فيه كلام غير هذا، وهو منكر**». يعني: حديث الحسن بن ذكوان.

٢- حديث علي بن أبي طالب: ذكر أهل الشام عند علي بن أبي طالب، وهو بالعراق، فقالوا: العنهم يا أمير المؤمنين، قال: لا، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**الأبدال يكونون بالشام، وهم أربعون رجلاً، كلما مات رجل، أبدل الله مكانه رجلاً، يسقى بهم الغيث، وينتصر بهم على الأعداء، ويصرف عن أهل الشام بهم العذاب**». أخرجه أحمد (٨٩٦)، ومن طريقه الضياء في المختارة (٢/ ١١٠)، والطبراني في =

❁ **العثيمين**: الأبدال هم الذين يخلف بعضهم بعضًا في نصر الدين والدفاع عنه كلما ذهب منهم واحد خلفه آخر بدله، وكل هؤلاء الأصناف الأربعة موجودون في أهل السنة والجماعة. اهـ

=

«الأوسط» (٥/ ٣٩)، والحاكم (٤/ ٥٩٦)، وهذا الحديث -أعني رفعه- معلول؛ لأن شريحًا لم يدرك عليًّا فهو منقطع، واختلف فيه على عياش بن عباس في إسناده؛ ولذا أعله الطبراني، والهيثمي (٧/ ٣١٧) وقد روي موقوفًا على علي بن أبي طالب من وجه أصح فقد أخرجه عبد الرزاق (١١/ ٢٤٩)، ونعيم بن حماد في «الفتن» (١/ ٢٣٥)، وابن أبي الدنيا في «الأولياء» (ص/ ٣٠)، والضياء في «المختارة» (٢/ ح٤٨٥، ٤٨٦) من طرق عن الزهري عن صفوان بن عبد الله بن صفوان الجمحي عن علي بن أبي طالب بنحوه موقوفًا؛ ولهذا لما ذكر الضياء في «المختارة» هذا الاختلاف في رفعه، ووقفه قال: الموقوف أولى. اهـ قلت: ولكن له حكم الرفع.

٣- حديث عبد الله بن مسعود مرفوعًا: «لا يزال أربعون رجلاً من أمتي، قلوبهم على قلب إبراهيم، يدفع الله بهم عن أهل الأرض يقال لهم: الأبدال، إنهم لم يدركوها بصلاة، ولا بصوم، ولا صدقة» قالوا: يا رسول الله فبم أدركوها؟ قال: «بالسخاء والنصيحة للمسلمين». أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٠/ ١٨١/ ح١٠٣٩) من طريق ثابت بن عياش الأحدب، عن أبي رجاء الثعالبي، عن الأعمش، عن زيد بن وهب، عن ابن مسعود فذكره، وهو حديث منكر معلول بثابت بن عياش وشيخه، فإنهما مجهولان، وقد تفردا به، قال الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٦٣): رواه الطبراني من رواية ثابت بن عياش الأحدب، عن أبي رجاء، وكلاهما لم أعرفه. اهـ

٤- حديث عوف بن مالك مرفوعًا: «فيهم -أهل الشام- الأبدال، فبهم تنصرون وبهم ترزقون». أخرجه الطبراني في «الكبير» (ج١٨/ ٦٥) من طريق عمرو بن واقد، عن يزيد بن أبي مالك، عن شهر بن حوشب قال: لما فتحت مصر، سبوا أهل الشام، فأخرج عوف بن مالك رأسه من برنس ثم قال: يا أهل مصر، لا تسبوا أهل الشام، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «فيهم الأبدال...» فذكره، وهذا معلول أيضًا؛ لأن عمرو بن واقد متروك، قال الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٦٢): ضعفه جمهور الأئمة ويزيد بن أبي مالك ليس بالقوي.

قال ابن القيم رحمه الله في «المنار المنيف» (ص١٣٦): ومن ذلك أحاديث الأبدال والأقطاب والأغواث والنقباء والنجباء والأوتاد، كلها باطلة على رسول الله ﷺ وأقرب ما فيها: «لا تسبوا أهل الشام، فإن فيهم البدلاء كلما مات رجل منهم أبدل الله مكانه رجلاً آخر». ذكره أحمد، ولا يصح أيضًا، فإنه منقطع. اهـ والله أعلم.

❁ **الهراس**: وأما الأبدال، فهم جمع بدل، وهم الذين يَخْلُفُ بعضهم بعضًا في تجديد هذا الدين والدفاع عنه، كما في الحديث: «**يبعث الله لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها**»(١). والله أعلم. اهـ

❁ **ابن مانع**: قال ابن الأثير في حديث علي: «الأبدال في الشام»(٢): هم الأولياء والعباد. الواحد بدل، كحِمْل وأحمال، وبَدَل كجَمَل، سموا بذلك؛ لأنهم كلما مات واحد منهم أبدل بآخر.

ولو قيل: إن الأبدال هم الذين يجددون الدين كما في الحديث، لما كان بعيدًا. وليس مراده بالأبدال ما اشتهر على لسان عباد القبور حيث يقولون: الأقطاب والنجباء والأبدال والغوث، فيضلون بهذه الأسماء الجهال زاعمين أن لها حقيقة، ما هي والله إلا خرافات لا حقيقة لها، سوى العقائد الفاسدة الزائغة الشركية. نسأل الله السلامة والعافية من كل بدعة وضلالة، وأن يثبتنا على الصراط المستقيم بمنه وكرمه. اهـ

❁ **ابن باز**: وفيهم الأبدال، وهم الذين يبدل بعضهم بعضًا، وينوب بعضهم عن بعض كلما هلك عالم جاء بعده عالم حتى يرث الله الأرض ومن عليها، هذا حال هذه الأمة، كما قال ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى تقوم الساعة**» يعني حتى يقرب قيامها بمجيء الريح الطيبة التي تقبض أرواح المؤمنين والمؤمنات حتى لا يبقى إلا الأشرار، فعليهم تقوم الساعة. اهـ

❁ **ابن مبارك**: قوله: «**وفيهم الأبدال**» أي: العلماء الزهَّاد، وقال في «القاموس»: والأبدالُ: قومٌ بهم يُقيمُ اللهُ ﷻ الأرض، وهم سبعون، أربعون بالشام، وثلاثون بغيرها، لا يموت أحدهم إلا قام مكانه آخر من سائر الناس.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٢٩١)، والحاكم (٨٥٩٢)، والطبراني في «الأوسط» (٦٥٢٧) عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها**».. قال الزين العراقي: وسنده صحيح، وصححه الألباني.

(٢) سيأتي تخريجه قريبًا.

وقال تقي الدين شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ[(١)]: أمَّا الأبدال فقد روي فيهم حديث شامي منقطع الإسناد عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، مرفوعًا إلى النبيِّ ﷺ أنه قال: «**إن فيهم -يعني: أهل الشام- الأبدال الأربعين، كلَّما مات رجل أبدل الله تعالى مكانه رجلًا**»[(٢)]، وهذا الجنس ونحوه من علم الدين قد التبس عند أكثر المتأخرين حقه بباطله، ولابد أن يقيم الله فيهم من تقوم به الحجة خلفًا عن الرسل، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، فيحقُّ الله الحق ويبطل الباطل ولو كره المشركون، وليس من شرط أولياء الله أهل الإيمان والتقوى، ومن يدخل فيهم من السابقين المقرَّبين لزوم مكان واحد في جميع الأزمنة، ولا تعيين العدد، إلى أن قال: فأما الحديث المرفوع فالأشبه أنه ليس من كلام النبي ﷺ؛ فإنَّ الإيمان كان بالحجاز واليمن قبل فتوح الشام، وكانت الشام والعراق دار كفر، ثم لما كان في خلافة علي رضي الله عنه قد ثبت عنه؛ أنه قال: «**تمرق مارقة من المسلمين يقتلهم أولى الطائفتين بالحق**»[(٣)]. فكان عليٌّ وأصحابه أولى بالحق ممن قاتلهم من أهل الشام، فكيف يعتقد مع هذا أن الأبدال الذين هم أفضل الخلق كانوا في أهل الشام؟ هذا باطل قطعًا، وإن كان قد ورد في الشام وأهله فضائل معروفة، فقد جعل الله لكل شيء قدرًا.

والكلام يجب أن يكون بالعلم والقسط، فمن تكلم بغير علم دخل في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾، ومن يتكلم بقسطٍ وعدلٍ دخل في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾.

---

(١) تحرف في الأصل إلى: «عز الدين بن عبد السلام»، وهذا النقل إنما هو من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (١١/ ٤٣٤، ٤٤١، ٤٤٢)، فلعله سبق قلم، أو سهو من الناسخ، وانظر «منهاج السنة» (١/ ٩٤)، و«الفرقان» (ص/ ٧٢-٧٤).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه مسلم (١٠٦٥).

والذين تكلموا باسم البدل فسَّروه بمعانٍ منها: أنهم أبدال الأنبياء، ومنها أنه كلما مات منهم رجل أبدل الله تعالى مكانه رجلًا، ومنها أنهم أبدلوا السيئات من أخلاقهم وأعمالهم وعقائدهم بحسنات، وهذه الصفات كلها لا تختص بأربعين ولا بأقل ولا بأكثر ولا بأهل بقعة من الأرض، فالغرض أن هذه الأسماء تارة تفسر بمعانٍ باطلة مثل قولهم: إن الأبدال الأربعين رجال الغيب بجبل لبنان. انتهى ملخصًا.

والمقصود أن لفظة الأبدال يراد بها حق وباطل، فمراد شيخ الإسلام وغيره من العلماء: أنهم العلماء العاملون، الداعون إلى دين الله، المتبعون لسنة رسول الله ﷺ، كما قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾.

وأما الجهال وأهل الغلو فمرادهم أن أهل الأرض يطلبون منهم أن يقضوا حوائجهم، ويكشفوا ضُرَّهم، ويشفعوا لهم عند ربهم، وهذا هو دين المشركين الذي أُنزلت الكتب وأُرسلت الرسلُ للنهي عنه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر: ٢-٣].

وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِىَ ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّى وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [غافر: ٦٦].

وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ۝٥٦ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء: ٥٦-٥٧] ا.هـ.

* **قال شيخ الإسلام**(١): كل حديث يروى عن النبي ﷺ في عدة الأولياء، والأبدال، والنقباء، والنجباء، والأوتاد، والأقطاب- مثل أربعة، أو سبعة، أو اثني عشر، أو أربعين، أو سبعين، أو ثلاثمائة وثلاثة عشر، أو القطب الواحد- فليس في ذلك شيء صحيح عن النبي ﷺ ولم ينطق السلف بشيء من هذه الألفاظ إلا بلفظ الأبدال. وروي فيهم حديث أنهم أربعون رجلا، وأنهم بالشام، وهو في المسند من حديث علي رضي الله عنه وهو حديث منقطع ليس بثابت، ومعلوم أن عليًّا ومن معه من الصحابة كانوا أفضل من معاوية ومن معه بالشام فلا يكون أفضل الناس في عسكر معاوية دون عسكر علي. اهـ

* **وقال شيخ الإسلام أيضًا**(٢): أما الأسماء الدائرة على ألسنة كثير من النساك والعامة، مثل الغوث الذي بمكة، والأوتاد الأربعة، والأقطاب السبعة، والأبدال الأربعين، والنجباء الثلاثمائة، فهذه أسماء ليست موجودة في كتاب الله تعالى، ولا هي أيضًا مأثورة عن النبي ﷺ بإسناد صحيح، ولا ضعيف يحمل عليه ألفاظ الأبدال. فقد روي فيهم حديث شامي منقطع الإسناد، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه مرفوعًا إلى النبي ﷺ أنه قال: «**إن فيهم** -يعني: أهل الشام- **الأبدال الأربعين رجلًا كلما مات رجل أبدل الله تعالى مكانه رجلًا**»(٣) ولا توجد هذه الأسماء في كلام السلف كما هي على هذا الترتيب، ولا هي مأثورة على هذا الترتيب والمعاني عن المشايخ المقبولين عند الأمة قبولًا عامًّا، وإنما توجد على هذه الصورة عن بعض المتوسطين من المشايخ، وقد قالها إما آثرًا لها عن غيره، أو ذاكرًا.

وهذا الجنس ونحوه من علم الدين قد التبس عند أكثر المتأخرين حقه بباطله فصار فيه من الحق ما يوجب قبوله، ومن الباطل ما يوجب رده، وصار كثير من الناس

---

(١) في «مجموع الفتاوى» (١١/ ١٦٧).
(٢) كما في «مجموع الفتاوى» (١١/ ٤٣٣).
(٣) تقدم أنه ضعيف.

على طرفي نقيض: قوم كذبوا به كله؛ لما وجدوا فيه من الباطل، وقوم صدقوا به كله؛ لما وجدوا فيه من الحق، وإنما الصواب التصديق بالحق، والتكذيب بالباطل.

ثم إن الإسلام انتشر في مشارق الأرض ومغاربها، وكان في المؤمنين في كل وقت من أولياء الله المتقين، بل من الصديقين السابقين المقربين عدد لا يحصي عدده إلا رب العالمين، لا يحصرون بثلاثمائة ولا بثلاثة آلاف، ولما انقرضت القرون الثلاثة الفاضلة كان في القرون الخالية من أولياء الله المتقين، بل من السابقين المقربين من لا يعرف عدده، وليسوا بمحصورين بعدد، ولا محدودين بأمد.

فأما لفظ (الغوث)، و(الغياث) فلا يستحقه إلا الله، فهو غياث المستغيثين، فلا يجوز لأحد الاستغاثة بغيره لا بِمَلَكٍ مقرَّب ولا نبي مرسل...

وأما (الأوتاد) فقد يوجد في كلام البعض أنه يقول: فلان من الأوتاد. يعني بذلك: أن الله تعالى يثبت به الإيمان والدين في قلوب من يهديهم الله به، كما يثبت الأرض بأوتادها. وهذا المعنى ثابت لكل من كان بهذه الصفة من العلماء، فكل من حصل به تثبيت العلم والإيمان في جمهور الناس كان بمنزلة الأوتاد العظيمة والجبال الكبيرة، ومن كان بدونه كان بحسبه، وليس ذلك محصورًا في أربعة ولا أقل ولا أكثر؛ بل جعل هؤلاء أربعة مضاهاة بقول المنجمين في أوتاد الأرض.

وأما (القطب) فيوجد أيضًا في كلامهم: فلان من الأقطاب، أو فلان قطب. فكل من دار عليه أمر من أمور الدين أو الدنيا باطنًا أو ظاهرًا فهو قطب ذلك الأمر ومداره، سواء كان الدائر عليه أمر داره، أو دربه، أو قريته، أو مدينته، أمر دينها أو دنياها، باطنًا أو ظاهرًا، ولا اختصاص لهذا المعنى بسبعة ولا أقل ولا أكثر، لكن الممدوح من ذلك من كان مدارًا لصلاح الدنيا والدين، دون مجرد صلاح الدنيا، فهذا هو القطب في عرفهم، فقد يتفق في بعض الأعصار أن يكون شخص أفضل أهل عصره، وقد يتفق في عصر آخر أن يتكافأ اثنان أو ثلاثة في الفضل عند الله سواء، ولا يجب أن يكون في كل زمان شخص واحد هو أفضل الخلق عند الله مطلقًا.

وكذلك لفظ (البدل) جاء في كلام كثير منهم فأما الحديث المرفوع، فالأشبه أنه ليس من كلام النبي ﷺ، فإن الإيمان كان بالحجاز وباليمن قبل فتوح الشام، وكانت الشام والعراق دار كفر، ثم لما كان في خلافة علي رضي الله عنه قد ثبت عنه ﷺ أنه قال: «**تمرق مارقة من المسلمين تقتلهم أولى الطائفتين بالحق**»(١). فكان علي وأصحابه أولى بالحق ممن قاتلهم من أهل الشام، ومعلوم أن الذين كانوا مع علي رضي الله عنه من الصحابة- مثل عمار بن ياسر، وسهل بن حنيف، ونحوهما- كانوا أفضل من الذين كانوا مع معاوية- وإن كان سعد بن أبي وقاص ونحوه من القاعدين أفضل ممن كان معهما- فكيف يعتقد مع هذا أن الأبدال جميعهم الذين هم أفضل الخلق كانوا في أهل الشام، هذا باطل قطعًا، وإن كان قد ورد في الشام وأهله فضائل معروفة، فقد جعل الله لكل شيء قدرًا. والكلام يجب أن يكون بالعلم والقسط.

والذين تكلموا باسم (البدل) فسروه بمعان: منها: أنهم أبدال الأنبياء. ومنها: أنه كلما مات منهم رجل أبدل الله تعالى مكانه رجلًا. ومنها: أنهم أبدلوا السيئات من أخلاقهم وأعمالهم وعقائدهم بحسنات، وهذه الصفات كلها لا تختص بأربعين، ولا بأقل، ولا بأكثر، ولا تحصر بأهل بقعة من الأرض، وبهذا التحرير يظهر المعنى في اسم (النجباء).

فالغرض أن هذه الأسماء تارة تفسر بمعان باطلة بالكتاب والسنة وإجماع السلف، مثل تفسير بعضهم الغوث هو الذي يغيث الله به أهل الأرض في رزقهم ونصرهم. فإن هذا نظير ما تقوله النصارى في الباب، وهو معدوم العين والأثر، شبيه بحال المنتظر الذي دخل السرداب من نحو أربعمائة وأربعين سنة.

وكذلك من فسر الأربعين الأبدال بأن الناس إنما ينصرون ويرزقون بهم، فذلك باطل، بل النصر والرزق يحصل بأسباب من آكدها دعاء المؤمنين وصلاتهم وإخلاصهم، ولا يتقيد ذلك لا بأربعين، ولا بأقل، ولا بأكثر...

---

(١) أخرجه مسلم (١٠٦٥).

وكذا لفظ (خاتم الأولياء) لفظ باطل لا أصل له، وأول من ذكره محمد بن علي الحكيم الترمذي، وقد انتحله طائفة، كل منهم يدعي أنه خاتم الأولياء، كابن حموية، وابن عربي، وبعض الشيوخ الضالين بدمشق وغيرها، وكل منهم يدعي أنه أفضل من النبي ﷺ من بعض الوجوه إلى غير ذلك من الكفر والبهتان، وكل ذلك طمعًا في رياسة خاتم الأولياء لما فاتتهم رياسة خاتم الأنبياء، وقد غلطوا، فإن أفضل أولياء هذه الأمة السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، وخير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر رضي الله عنه، ثم عمر رضي الله عنه، ثم عثمان رضي الله عنه، ثم علي رضي الله عنه، وخير قرونها القرن الذي بعث فيه النبي ﷺ، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، وخاتم الأولياء في الحقيقة آخر مؤمن تقي يكون في الناس، وليس ذلك بخير الأولياء ولا أفضلهم، بل خيرهم وأفضلهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه، ثم عمر، اللذان ما طلعت شمس، ولا غربت على أحد بعد النبيين والمرسلين أفضل منهما. اهـ

الأئمة كلهم من أهل السنة والجماعة

❁ **قال الشيخ**: قوله: (وَفِيهِمْ أَئِمَّةُ الدِّينِ، الَّذِينَ أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى هِدَايَتِهِمْ).

مثل الأئمة الأربعة أئمة المذاهب، وغيرهم من الأئمة قبلهم بأزمان وبعدهم. ووجود الأئمة فيهم دليل أنهم من أهل السنة وليسوا من أهل البدعة، وصاحب البدعة لا يثنى عليه، بل يذم. ومن شأن أَئِمَّة الدِّين طلب الهدى واتباعه، والأئمة ليسوا محصورين في الأربعة، لكن الأربعة اشتهروا أكثر، فإن الأئمة الأربعة كونهم أهل هدى وخير وعلم، لا نزاع بين المسلمين أنهم أئمة، وليسوا معصومين في جميع أقوالهم، فإن المعصومين الرسل، فإنه ليس شرطًا أن لا يوجد في أحد زلة، لا. اهـ

الطائفة المنصورة هم أهل السنة والجماعة

وقوله: (وَهُمْ الطَّائِفَةُ الْمَنْصُورَةُ الَّذِينَ قَالَ فِيهِمْ النَّبِيُّ ﷺ: «لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ مَنْصُورَةٌ، لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ، وَلا مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»(١)).

❁ **آل الشيخ**: أي: أهل السنة والجماعة «الطائفة» الباقية وجودها في الناس «المنصورة» وهم الفرقة الثالثة والسبعون «**الذين قال فيهم النبي ﷺ**» المثنى عليهم في حديث : «**لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين**» معنى ظاهرين: عالين منصورين، عالين كما في الآية: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ [التوبة: ٣٣]، فإن الشيء كلما كان منصورًا صار جليًّا، فالظهور تبع للنصر والتأييد، وكلما كان أقل نصرة صار أقل ظهورًا. «**لا يضرهم من خذلهم**» يعني: ترك نصرتهم «**ولا من خالفهم**» وضادهم وعاداهم «**حتى تقوم الساعة**». فإن الله ﷻ عنايته أن تلك الطائفة يحفظ الله بهم الدين، وتقوم بهم الحجج على الأمة. اهـ

❁ **العثيمين**: الطائفة المنصورة هم أهل السنة والجماعة الذين قال فيهم النبي ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله**» وفي رواية: «**حتى تقوم الساعة**». والمراد بقيام الساعة قرب قيامها بالفعل، وإنما أولناه بذلك؛ لأجل أن يصح الجمع بينه وبين حديث: «**إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء**»(٢). وأهل السنة والجماعة هم خيار الخلق بعد الأنبياء، فلا يمكن أن تدركهم الساعة. فنسأل الله أن يجعلنا منهم، وأن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا، وأن يهب لنا منه رحمة، إنه هو الوهاب. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. اهـ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٤٠، ٧٣١١، ٧٤٥٩)، ومسلم (١٩٢١) عن المغيرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٧٠٦٧) عن ابن مسعود.

[فائدة]

* قال البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة من «صحيحه»: باب قول النبي ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق**» وهم أهل العلم: حدثنا عبيد الله ابن موسى، عن إسماعيل، عن قيس، عن المغيرة بن شعبة، عن النبي ﷺ، قال: «**لا يزال طائفة من أمتي ظاهرين، حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون**»، حدثنا إسماعيل، حدثنا ابن وهب، عن يونس، عن ابن شهاب، أخبرني حميد، قال: سمعت معاوية بن أبي سفيان يخطب قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين، وإنما أنا قاسم، ويعطي الله، ولن يزال أمر هذه الأمة مستقيمًا حتى تقوم الساعة، أو: حتى يأتي أمر الله**». اهـ

قال ابن حجر: قوله: «وهم أهل العلم» هو من كلام المصنف، وأخرج الترمذي حديث الباب ثم قال: سمعت محمد بن إسماعيل -هو البخاري- يقول: سمعت علي بن المديني يقول: هم أصحاب الحديث، وذكر في كتاب خلق أفعال العباد عقب حديث أبي سعيد في قوله تعالى ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾: هم الطائفة المذكورة في حديث: «**لا تزال طائفة من أمتي...**» ثم ساقه وقال: وجاء نحوه عن أبي هريرة، ومعاوية، وجابر، وسلمة بن نفيل، وقرة بن إياس. انتهى. وأخرج الحاكم في «علوم الحديث» بسند صحيح عن أحمد: إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أدري من هم، ومن طريق يزيد بن هارون مثله. اهـ

قوله: (نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنَا مِنْهُمْ وَأَنْ لا يُزِيغَ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا، وَأَنْ يَهَبَ لَنَا مِنْ لَدُنْهُ رَحْمَةً إِنَّهُ هُوَ الوَهَّابُ).

❁ **آل الشيخ**: يعني: من تلك الطائفة المنصورة ظاهرًا وباطنًا، هذا دعاء من المصنف أن يجعله الله منهم وأصحابه، ومن أراد صار حريصًا على هداية الناس. «وَأَنْ لا يُزِيغَ» أي: لا يميل «قلوبنا بعد إذ هدانا، وأن يهب» أي: يعطي «لنا من لدنه رحمة» يعني: من عنده، منًّا منه وفضلًا. اهـ

(وَاللهُ أَعْلَمَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا).

اللهم اجعلنا منهم وألزمنا سنتهم وألحقنا بهم في دار

كرامتك ووالدينا ومشايخنا وإخواننا وأصحابنا وأهلنا وذريتنا

برحمتك يا أرحم الراحمين

تم الكتاب بحمد الله وتوفيقه

تم بحمد الله

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
فَصْلٌ في الأدلةِ من السنَّةِ النبويةِ في إثباتِ العقيدةِ	٥
منزلة السنة من القرآن	٨
وجوب الإيمان بما جاء في السنة الصحيحة من نصوص الصفات	٩
إثبات نزول الرب إلى السماء الدنيا كل ليلة على ما يليق بجلاله	١٢
السؤال عن كيفية النزول	١٧
الفرق بين العلم بمعنى الصفة والعلم بكيفيتها	١٧
النزول لا ينافي العلو والاستواء على العرش	١٨
مسألة خلو العرش	١٩
إثباتُ صفةِ الفرحِ لله تعالى	٢٢
إثبات صفة الضحك لله تعالى	٢٦
الرد على المعطلة صفة الضحك	٢٩
فصلٌ في إثبات صفة العَجَبِ لله تعالى	٣٠
الرد على شبهات المعطلة	٣٥
إثبات صفة الرِّجْلِ والقَدَمِ لله على ما يليق به تعالى	٣٧
قاعدة في الصفات	٣٨
الحكمة من وضع الرب رجله في النار	٣٩
مسلك السلف في نصوص الصفات	٤٠
فائدة: في رد شبهات المعطلة على أدلة إثبات القدم والرجل	٤٢
إثباتُ صفةِ الكلامِ لله	٤٤
مذاهب المعطلة في صفة الكلام الإلهي	٤٧

الموضوع	الصفحة
مذاهب الناس في صفة الكلام	٤٧
إثبات علو الرب وفوقيته	٥٠
جملة من الأدلة على إثبات صفة العلو	٥٨
إثبات معية الله لخلقه وأن قربه لا ينافي علوه وفوقيته	٦٦
إثبات رؤية الرب في القيامة وفي الجنة عيانًا بالأبصار	٧٥
منهج أهل السنة والجماعة في قبول أحاديث الصفات	٨٠
وسطيةُ وخيريةُ أهلِ السنةِ والجماعةِ بين فرقِ الأمةِ	٨٢
وسطية أهل السنة في الأصول	٨٦
الطوائف المخالفة لأهل السنة	٨٨
الفرق بين مذهب الأشاعرة والجهمية	٩١
أفعال العباد	٩٤
مسألة الأسماء والأحكام	١٠٠
الفرق بين الخوارج والمعتزلة	١٠٣
الفِرَق الإسلامية	١٠٧
طريقة المخالفين للسنة في رد النصوص	١٠٨
فَصْلٌ في الإيمان بعلم الله ومعيته لخلقه وأنها لا تنافي علوه وفوقيته جلَّ وعلا	١١٠
الجمع بين المعية والقرب وبين العلو	١١٣
تفسير المعية بلازمها وهو العلم	١١٤
معاني كلمة (مع)	١١٨
تفسير المعية بالعلم ليس من المجاز	١١٨
أنواع المعية	١٢١

الموضوع | **الصفحة**

التأويل ١٢٤
هل المعية تقتضي القرب؟ ١٣٢
فَصْلٌ في إثبات صفة قرب الله الخاص وأنه لا ينافي علوه وفوقيته ١٣٣
الجمع بين العلو والقرب ١٣٦
فَصْلٌ القرآن كلام الله حقيقة منزل غير مخلوق ١٣٩
أقسام الناس المؤمنين بالقرآن ١٤٧
أول من أحدث المقالات في القرآن ١٥٢
مذاهب السلف ١٥٣
حقيقة قول المعتزلة في الكلام ١٦٠
حقيقة المتكلم بالقرآن ١٦١
فَصْلٌ الإيمان برؤية المؤمنين لربهم رؤية حقيقية عيانًا بأبصارهم، في عرصات القيامة، وفي الجنة ١٦٢
فَصْلٌ في الإيمان بما يكون بعد الموت واليوم الآخر ١٦٦
صفة فتنة القبر ١٧٠
هل يتكلم الميت في قبره؟ ١٧٦
عودة الروح إلى البدن في القبر ١٧٧
امتحان غير المكلفين ١٨٠
حال العبد في القبر بعد الامتحان ١٨٦
تعلق الروح بالبدن ١٨٧
الجمع بين أخبار توسيع القبر وتضييقه مع بقائه المشاهد على حاله ١٨٨
القيامة الكبرى ١٨٩

الموضوع **الصفحة**

البعث والنشور ١٩٢
نصب الموازين ووزن الأعمال والحساب ١٩٤
الميزان ١٩٦
الجمع بين وزن الأعمال والعاملين والصحائف ١٩٧
حقيقة الميزان ١٩٨
محاسبة الكفار ٢٠٥
مراتب المعاد ٢٠٦
الحوض المورود ٢١٠
الأحاديث الواردة في الحوض متواترة ٢١٢
هل الحوض غير الكوثر ٢١٦
مكان الحوض ٢١٨
الصراط المنصوب على متن جهنم ٢٢١
المرور على الصراط لأهل الإسلام دون الكفار ٢٢٤
القصاص ٢٢٧
استفتاح الجنة وأول من يدخلها ٢٢٨
فضل النبي ﷺ وأمته ٢٢٩
الإيمان بالشفاعة يوم القيامة وشفاعات النبي ﷺ ٢٣١
تعريف الشفاعة ٢٣١
الرد على من نفى الشفاعة ٢٣٥
تفصيل شفاعات النبي ﷺ يوم القيامة ٢٣٦
أقسام الشفاعة ٢٤٠

الموضوع	الصفحة

إثبات الشفاعة لأهل الكبائر والرد على منكريها ٢٤٢
الإجماع على الشفاعة لعصاة الموحدين ٢٤٩
إخراج بعض العصاة من النار برحمة الله بغير شفاعة ٢٤٩
سعة الجنة وإنشاء أقوام لها ٢٥٠
تنبيه على وهم في حديث ٢٥٠
علوم الآخرة مفصلة في القرآن والسنة ٢٥١
الإيمان بالقدر ٢٥٣
منزلة الإيمان بالقدر من الدين ٢٥٦
مراتبُ القدَرِ ٢٥٧
درجات الإيمان بالقضاء والقدر ٢٥٨
مراتب القدر ٢٦٠
أولية خلق القلم ٢٦١
الإجمال والتفصيل في القدر ٢٦٥
مجمل مذهب السلف في القدر ٢٦٩
المخالفون في القدر ٢٧٠
أصناف المنازعين في القدر ٢٧١
أقسام القدر التفصيلية ٢٧٣
المشيئة والقدرة ٢٧٤
الفرق بين المشيئة والإرادة ٢٧٦
الفرق بين الأمور الشرعية والأمور الكونية ٢٧٩
فصل في تقدير أهل الجنة وأهل النار ٢٨١

الموضوع	الصفحة
أحوال العبد مع الشرع والقدر	٢٩١
الجمع بين القدر والشرع	٢٩٣
أفعال العباد حقيقة وهي مخلوقة لله تعالى	٢٩٨
أفعال العباد خلق لله تعالى	٣٠٣
الرد على الطائفتين	٣٠٩
أصناف الطوائف المخالفة في القدر	٣١٠
خلاصة مذهب السلف في القدر	٣١٦
فوائد الإيمان بالقضاء والقدر	٣١٧
هل في القدر تغيير وتبديل	٣١٨
فَصْلٌ في الإيمان وأنه قول واعتقاد وعمل يزيد وينقص	٣٢٢
زيادة الإيمان ونقصانه	٣٢٥
الإيمان عند المعتزلة والخوارج	٣٣٠
حكم فاعل الكبيرة	٣٣٣
خاتمة	٣٤٠
تنازع الناس في اسم الإيمان والمؤمن	٣٤١
المرجئة	٣٤٣
فَصْلٌ موقف أهل السنة والجماعة من الصحابة ﷺ	٣٤٨
تفاوت الصحابة في الرتب والفضائل	٣٥٦
تفضيل السابقين على التابعين	٣٥٧
سبب تسمية صلح الحديبية فتحًا	٣٥٧
تفضيل المهاجرين على الأنصار إجمالًا	٣٥٩

الموضوع	الصفحة
تفضيل أهل بدر	٣٦١
فضيلة أهل بيعة الرضوان	٣٦٢
الشهادة للصحابة بالجنة، وبيان أفضل الصحابة	٣٨٠
الشهادة بالجنة للصحابة	٣٨٠
تفضيل عثمان بن عفان على عليّ بن أبي طالب رضي الله عنهما	٣٨٥
الخلاف في التفضيل بين عثمان وعلي	٣٨٦
ترتيب الخلفاء الأربعة الواجب اعتقاده	٣٨٧
تولي آل البيت	٣٩٠
المنحرفون في موالاة أهل البيت	٣٩٢
اصطفاء الله تعالى محمدًا ﷺ وقبيلة من بني آدم	٣٩٤
موالاة أزواج النبي ﷺ	٣٩٥
فضل خديجة بنت خويلد رضي الله عنها	٣٩٧
فضل عائشة رضي الله عنها	٣٩٧
المفاضلة بين خديجة وعائشة رضي الله عنهما	٣٩٨
البراءة من سب الصحابة وآل البيت والإمساك عما شجر بين الصحابة رضي الله عنهم	٤٠٠
حكم من سب أزواج النبي ﷺ	٤٠٥
حكم من سب الصحابة رضي الله عنهم	٤٠٦
حجة من نفى القتل والتكفير عمن سب الصحابة	٤١٨
حجة من قال بكفر وقتل ساب الصحابة	٤١٩
تكفير المألهة لعلي والمغلطة لجبريل	٤٢٨
السبب فيما دون العدالة والقدح في الدين	٤٢٨

الموضوع **الصفحة**

وجوب الإمساك عمَّا شجر بين الصحابة من حروب وفتن ٤٣٠
موقف أهل السنة في الخلاف والفتن التي حصلت بين الصحابة رضي الله عنهم ٤٣٠
الموقف من الآثار الواردة في اختلاف الصحابة ومساوئهم ٤٣٢
الصحابة غير معصومين في أفرادهم، وإنما العصمة في إجماعهم وجملتهم ٤٣٣
أسباب مغفرة الذنوب إن وقعت ٤٣٣
كمال حال الصحابة ٤٣٩
خلاصة مذهب أهل السنة في الصحابة ٤٤٠
فصل في كراماتِ الأولياءِ ٤٤١
تعريف الولي والكرامة ٤٤٣
أنواع الكرامات ٤٤٣
أقسام الناس في إثبات الكرامات ٤٤٥
إنكار المعتزلة للكرامات ٤٤٥
الفرق بين الكرامة والمعجزة ٤٤٦
الفرق بين المعجزة والكرامة والخوارق الشيطانية ٤٥٠
ثبوت الكرامات ٤٥٢
أنواع الخوارق ٤٥٢
فَصْلٌ من طريقة أهل السنة والجماعة اتباع هدي النبي ﷺ في الاعتقاد والقول والعمل ٤٥٦
التحذير من البدع ٤٥٧
التبرك بغير النبي ﷺ ٤٥٩
مصادر التلقي عند أهل السنة والجماعة وأصول الاستدلال ٤٦٠

الموضوع	الصفحة
فصل في طريقة أهل السنة والجماعة في العمل والسلوك	٤٦٣
طريقة أهل السنة والجماعة في الأمر والنهي	٤٦٧
شروط الأمر بالمعروف	٤٦٧
ضابط الأمر والنهي	٤٦٨
شروط الأمر والنهي	٤٦٨
أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	٤٦٩
حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	٤٧٠
المنهج الشرعي في الأمر والنهي	٤٧٠
المنحرفون في هذا باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	٤٧١
لزوم الجماعة مع الأئمة وإن كانوا فجارًا	٤٧٨
من منهاج أهل السنة والجماعة النصيحة	٤٨٣
الصبر والشكر والرضا	٤٨٩
حكم الصبر والرضا والشكر	٤٩٢
النهي عن مساوئ الأخلاق	٤٩٨
لزوم الكتاب والسنة	٥٠٠
فصل في أن طريقة أهل السنة والجماعة هي طريقة الإسلام	٥٠١
مذهب الإمام أحمد في العقيدة هو السنة والجماعة	٥٠٤
طبقات أهل السنة والجماعة	٥٠٥
الأئمة كلهم من أهل السنة والجماعة	٥١٥
الطائفة المنصورة هم أهل السنة والجماعة	٥١٦
فهرس الموضوعات	٥١٩